

جمع وترتيب

الدكتور سيد بن حسين العفاني

الجزء الثالث

الناشر

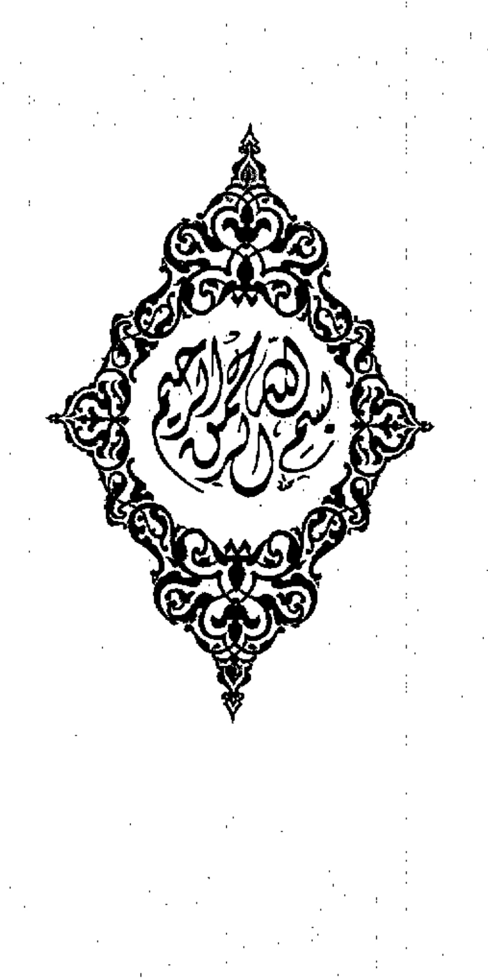
دار العفاني

القاهرة: ٢ درب الأتراك ـ الدور الثاني ـ خلف الجامع الأزهر

ت: ٥١٠٨٢٥٧ / ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

بني سويف: برج الرحمن ـ بجوار مجمع المحاكم

ت: ٠٨٢٢٣١٧٣٤٤/٠١٠١٧٥٦٢٢٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

*** السلطان عبدالحميد الخليفة العثماني وحفاظه على فلسطين رغم إغراء اليهودية:**

لعل الموقف الذي وقفه السلطان عبدالحميد من فلسطين والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان في نظر الباحث العربي المسلم، لتثمين دور السلطان عبدالحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبّان تلك الفترة والتي استغلها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له بإسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات اليهودية.

ولم يكن «تيودور هرتزل» هو الوحيد الذي سعى لمقابلة عبدالحميد وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهيونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهيونية إلى بغيتها، إلا بعد أن نجحت في مخططها لإبعاد عبدالحميد عن عرش الخلافة الإسلامية.

❑ وقد روى الشيخ طه الولي[1] أنه زار مع أخيه فؤاد الولي ـ قبل وفاته ـ في ١١ أيلول سبتمبر ١٩٦٧ الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى جانبي الشيخ محمود الجيزاوي، إمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبدالحميد الثاني فاستقبلهم

---

(١) الشيخ طه الولي، عالم لبناني فاضل، يعمل أمينًا للمكتبة العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، أما شقيقه فؤاد فقد كان ـ رحمه الله ـ أستاذًا للتاريخ في كلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس الشام بلبنان.

تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

١ ـ مزاحي قراصو مدير أحد البنوك.

٢ ـ جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

٣ ـ ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

◻ وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفيًّا للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ:

١ ـ الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

٢ ـ بناء أسطول لحماية الدولة.

٣ ـ تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة؛ لإنعاش مالية الدولة مواردها مقابل:

١ ـ إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

٢ ـ السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة.

وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

١ ـ إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

٢ ـ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر ﷺ ولست مستعداً أن أتحمل تاريخيًا وصمة بيع الأراضي المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

٣ ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

وأخبراهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتي أو الدخول لهذا المكان بعدها..

☐ ويستمر الشيخ علي شيخ العرب[١] في روايته فيقول: إن عبدالحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا الزائرون لمدة محدودة.

☐ ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدونمة»، وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا، فأطاحوا بعبدالحميد عام ١٩٠٨، ولم تكن «المشروطية»[٢] غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة بـ «الارتجاعية»[٣] لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه.

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبدالحميد الثاني، لانتزاع

(١) الشيخ علي شيخ العرب، أحد شيوخ العرب الذين قربهم إليه السلطان عبدالحميد فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلذز».

(٢) المشروطية: دعوة إلى إباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.

(٣) الارتجاعية: دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ «الرجعية»، وهي حادث ٣٠ مارس الذي أدى إلى الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد بعد أن تم تدبير مجزرة كبرى في إستانبول نسبت للارتجاعيين، وصورت على أنها مرتبة ومخططة لتثبيت نفوذ عبدالحميد والانقضاض على المشروطية الثانية، كما حصل في أعقاب المشروطية الأولى.

إلا أن الوثائق أثبتت كما سنورده في الباب القادم، أنها تمت بتدبير من الاتحاديين والماسونيين والانكليز وقد وردت ـ اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من أنور باشا، وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم.

موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين[١] .

وقد بعث السلطان عبدالحميد برسالة إلى شيخه محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة العربي، وهذا نصه يا هو[٢] .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

خطاب عبدالحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات.

الحمد للَّه رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة[٣] ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجيًا دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي! إني بتوفيق اللَّه تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية[٤] ليلاً

(١) انظر مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني ـ ترجمة د. محمد حرب عبدالحميد.

(٢) يا هو: الذكر بالاسم المفرد «اللَّه اللَّه» يا خليفة المسلمين لا يجوز، والذكر بالاسم المضمر هو نوع من الهوس.

(٣) مفيض الروح والحياة هو اللَّه سبحانه وتعالى.. وليس شيخ الطريق الشاذلية، وهكذا يقع خليفة المسلمين في الشرك ـ رحمه اللَّه ـ وعافاه.. وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بمثل هذه المعتقدات البدعية.. سقطت لما كان المستشار الدّيني لها محمد أبو الهدي الصيادي شيخ الرفاعية الذي سمّاه الكواكبي «البغل المزركش» وأتى بالأقوال الطوام.. لما انتشرت البدع والشركيات نالها ما نالها.

(٤) الأوراد الشاذلية بما فيها من بدع واستغاثة وطلب المدد من غير اللَّه. وأنت خليفة المسلمين رحمك اللَّه وغفر لك.

ونهارًا، وأعرض أنني ما زلت محتاجًا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة. بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون ترك» وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

□ وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضًا وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي، والخلفاء العثمانين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضًا».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين».

وقد كان ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على اللّه المتعالي، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة، أن أحيط سماحتكم علمًا، وتحيطوا جماعتكم بذلك علمًا.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

٢٢ أيلول ١٣٢٩ خادم المسلمين

عبدالحميد بن عبدالمجيد

☐ وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد وجّه مذكرة إلى سفيره بالأستانة عام ١٨٤٠ قال فيها:

«يقوم بين اليهود والمبعوثين الآن في كل أوربا شعور قوي، بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..

ومن المعروف جيدًا أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كبيرة.. ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداد كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.

فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان، فسيكون في هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه، وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل».

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قانون من هذا النوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوربا، وسترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيدًا لقضية فلسطين أن يكسب أصدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط منها».

◘ وبعد عام واحد أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى سفيره في الأستانة طالبه فيها بإقناع السلطان بإباحة هجرة اليهود وقال:

«سيكون مفيدًا جدًّا للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وأفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين، لكن اليهود يطلبون نوعًا من الأمان الحقيقي الملموس، ولذلك فإني أقترح أن يكون في استطاعتهم الاعتماد على حملة بريطانيا، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكاواهم عن طريق السلطات البريطانية».

كما استعان اليهود الروس بالسفير الأمريكي في الأستانة ليبذل نفوذه ومساعيه لدى السلطان عبدالحميد بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصًا بعد قرار الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٨٨٢م)، وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبدالحميد أخفق في إقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام (١٨٨٧م) بذلت فيها كل جهودها وإغراءاتها المالية ووعودها العلنية السرِّية، بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبدالحميد ثبت على رفضه القاطع.

◘ وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار مارس (١٨٨١م)، وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية إيواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا[1] .

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية «البيلوا» في عام (١٨٢٢م) من

---

(١) انظر: د. صالح مسعود أبو بصير ـ «جهاد شعب فلسطين» ـ رسالة دكتوراه بالأزهر ـ دار الفتح ـ بيروت.

إيصال ٢٠ مستعمرًا يهوديًّا إلى فلسطين اعتبروا «رواد» الهجرة اليهودية، وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعًا ولولا مساعدات البارون إدمون دي روتشيلد لماتوا جوعًا ومرضًا.

◻ وقيل أيضًا أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

◻ وفي عام (١٨٩٦م) اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على إذن لمقابلة مع قيصر ألمانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزًا، وتستطيع أن تلعب دورًا في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

◻ وعندما أرسل السلطان عبدالحميد الثاني مندوبًا سريًّا لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن ـ كما جاء في مذكراته ـ مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبدالحميد رفض العرض.

◻ وقد أرسل «المسيو كريسبي»[1] مقالاً حول القضية الصهيونية يشير فيه

---

(١) وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي: المساء بقلم صحفي إنكليزي يدعى «كريسبي»، وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٣٣م (ص٢٩).

الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) قال كريسبي: «كان الدكتور هرتزل[1] في ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبي في جريدة «نيوفري» في فيينا، فأرادني أن أسعى له في مقابلة السلطان عبدالحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم «امبراطور ألمانيا» والبرنس دوبيلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الإمبراطور إلى فلسطين.

❑ فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الأستانة اكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا «العابد» الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزراب من الذهب، وقد قبلت أن أهتم شخصيًّا بقضية الدكتور هرتزل وخصوصًا أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ.

وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الإسلام «جمال الدين أفندي» وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فإن هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدمات باهرة وإليك بيانها:

أن الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في أنحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ «إذا لم تخني الذاكرة» ٣٣ مليون ليرة إنكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن أراضي الدولة العلية.

---

(١) الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بوادبست (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) وأقام في فينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «دير يودنيشتات» أي: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ وترأس أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب اغسطس ١٨٩٧م كما قابل السلطان عبدالحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط، حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.

وفي هذه الأثناء قبل «أي: هرتزل» أن يعقد للدولة العثمانية قرضًا بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام، ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح.

❑ يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ ـ ١٨٩١م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاة «آحاد هاعام» (١٨٥٦ ـ ١٩٢٧م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ ـ ١٩٠٤م).

ورواد الصهيونية هؤلاء جميعًا يتفقون على فكرة الاستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

❑ وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام (١٨٩٥م) ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكتم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المعدمين ـ الفلسطينين ـ عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا ـ فلسطين ـ بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». «يوميات هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترح إقامتها في مؤتمر بال (١٨٩٧م) وأما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعداها شمالاً فقال: «عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع». «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

❑ أما الكابتن «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل»

الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود: الماضي والحاضر والمستقبل» الذي أصدره عام (١٩١٩م)، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر النيل».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام (١٨٥٥م) بقدوم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني - قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية - وفي عام (١٨٧٠م) أنشيء أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضًا بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام (١٩٠١م) تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كايميت» تنفيذًا لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي[1].

---

(١) لم يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم انفضاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبانيتها عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إفتقاره لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأمريكي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائيًا.

وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) حينما وقف الجنرال دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية العربية من زاوية الحرص الخالص على المصالح الأميركية في المنطقة، درسًا بليغًا أكد للصهاينة في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة - التي قد لا تحتملها «إسرائيل» - ثانية، مما حدا بهم لبرمجة العمل للسيطرة على البيت الأبيض والخارجية والدفاع والمخابرات، ومجلس الشيوخ والنواب ومختلف الأجهزة العسكرية والإعلامية، والجامعية والثقافية والمالية والاقتصادية، ومراكز البحوث والدراسات والاستفتاءات، لضمان استمرار الانحياز الأميركي لتثبيت وجود ذلك الكيان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.

ومن المؤلم أن يشهد العرب والمسلمون في هذه الآونه المظلمة من تاريخنا، بدايات تنفيذ =

وبعد نجاح المؤامرة اليهودية بالإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني على يد الاتحاديين عام (١٩٠٩م) أصدر «الاتحاديون» تشريعًا يقضي ببيع جميع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ - ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلاد فلسطين: مصطفى الدباغ».

وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف مونتفيوري»، وقد نجح الصهاينة في

= تلك المشاريع التقسيمية، التي لم يعد الخجل ليمنع دعاتها من رفع عقيرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطوا في «جرأتهم» الأجهزة الاستعمارية في أسوأ أيام الانتدابين الفرنسي والإنكليزي، ولعل الأشد إيلامًا أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتحرك ساكن، وكأن المشاعر تبلَّدت، والهمم فترت، والنخوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى اللّٰه وخشية العاقبة!. ولقد أكد الكاتب الأميركي ستيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود ما كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتصارات بدءًا بحرب (١٩٤٨م)، وحتى غزو لبنان (١٩٨٢م)، بل حتى اليوم، لولا التورط الأميركي التدريجي في الانحياز إلى «إسرائيل» ضد العرب، معززًا قناعته بمجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأميركية وغيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعها أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأميركي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كما يكشف عن المخالفة التي ارتكبها عسكريون أميركيون للدستور الأميركي بمحاربتهم إلى جانب «إسرائيل» عام (١٩٤٨م)، دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد تواطؤ الشرق والغرب على قضيتنا العربية والإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزّت التضحيات.

تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ«سياسة الخطوة خطوة»، حتى التهمت «إسرائيل» غزة وسيناء، والضفتين والجولان، ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الحاصباني والليطاني والوزاني، ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزاً للـ «الخيبة العربية» التي جسدتها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان أبريل (١٩٧٥م)، والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لإقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عنصري[1] .

---

(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام (١٩٤٧م) كان اليسار العربي يقف جنبًا إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الاتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقدهما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المارد الإسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان استنزاف قوى وطاقات هذه المنطقة.

ولقد تكرس هذا اللقاء «الشرقي ـ الغربي» بصورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلن لتحقيق «التفاهم» بين «إسرائيل» و«العرب»، حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار «العربي ـ الإسرائيلي» منذ عام (١٩٥٦م)، حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي «المصري» هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبدالناصر، وبن جوريون يدعوانهما فيهما باسم «الحركة الديموقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية «وإسرائيل» ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) أجهض تلك المحاولة.

وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على الجبهة «الإسرائيلية» لا يجد بينهم إلا الأيدي القذرة الملطخة بالدماء، بل إن بين ضحاياهم أبطالاً حقيقيين للسلام، وأولهم: «ناتان يالين ـ مور» وهو رئيس عصابة «شتيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة =

. . . .

= إلى فلسطين عام (١٩٤٨م)! وثانيهم «عاموس كنعان» الكاتب الصهيوني المعروف والعضو في عصابة «شتيرن» أيضًا، أما ثالثهم فهو «يوري أفنيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الإسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستعار لشخصية إرهابية يهودية مصرية سبق أن طردت من مصر في أعقاب فضيحة «لافون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعد تزوجه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصحفي الخطير في «لوموند» الفرنسية، وخبير شئون الشرق الأوسط للخارجية الفرنسية ولإذاعة وتليفزيون باريس!!، أما بقية أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبوهين من رفاق هنري كورِيال وبينهم:
«كلوديا» التي كانت تعمل ضمن وفد مصر للأونسكو في باريس، و«جوزيف حزان»، و«جويس بلو»، و«ريمون اسطمبولي»، و«موريس بارث»، و«دانييل أميت» الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيتا هوبيليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، وجميعهم ممن شارك في كل الحروب العربية ـ «الإسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الحافلة عبر أنشطة عصابات «شتيرن» و«أرغون» و«الهاجاناه»، وتلك هي «الحمائم الإسرائيلية» الوديعة!!.
وعلى الجانب العربي مَن عسانا نجد من أبطال السلام.. إن تاريخ «الحوار العربي - الإسرائيلي» يسجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في «فلورنسا» بإيطاليا برعاية ولي عهد المغرب ـ آنذاك ـ الأمير الحسن بن محمد الخامس، وكان ذلك في عام (١٩٥٨م)، بترتيب من هنري كورِيال الذي جمع فيه وفودًا من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي الحزب الشيوعي الإسرائيلي «راكاح»، وبعد عدوان (١٩٦٧م) التقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كورِيال في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديموقراطية»، و«حركة الضباط الأحرار» مع «كورِيال» و«أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبدالناصر، وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبدالناصر عام (١٩٧٠م).
ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءاً بممثل المنظمة في لندن سعيد حمامي الذي لقي مصرعه في يناير (١٩٧٨م) ومروراً بنعيم خضر، وبعز الدين قلق اللذين اغتيلا في أبريل (١٩٨٣م).
كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في داكار «أبو خليل»، وكان عرّاب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق =

□ ونشرت مجلة «المشرق»[1] تفاصيل محاولة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الأستانة أيام عبدالحميد فقال:

«لما كان اللورد «غوش» الإسرائيلي أي: اليهودي سفيراً بالأستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العالي، يسمونها كما يشاءون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغًا عظيمًا

= اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولاي شاوشيسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي «بيار منديس فرانس» الذي استضاف الحوار مراراً في قصره الصيفي.

وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور إبراهيم ماخوس قبيل عدوان يونيو (١٩٦٧م)، بإجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما اعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موشى دايان في الرباط (١٩٧٦م)، تمهيدًا لعقد اتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن اغتيال أنور السادات عام (١٩٨١م).

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن اتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموازنة وقادة «العدو الإسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون اجتماعات حضرها بيار الجميل ووالده بشير وأمين مع شخصيات «إسرائيلية»، أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام (١٩٧٥م).

وقبلها كانت اجتماعات «الشونة» بين «جولدا مائير» والملك عبدالله التي أدت إلى اغتيال الملك عبدالله في المسجد الأقصى عام (١٩٥٠م).

وهكذا نجد أن أقصى اليمين التقى مع أقصا اليسار في «حوار» ودي لترسيخ كيان «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفًا زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.

(١) لمعرفة حجم النفوذ المالي الذي تتمتع به الصهيونية يكفي أن نعلم أن أسعار الذهب والعملات الدولية يتم تحديدها في نشرتين يوميتين منذ عام (١٩١٩م) من قبل أربعة من كبار تجار الذهب وجميعهم من اليهود: روتشيلد، ومونتاغو، وشارب ويبكلي، وجونسون.

من الدراهم، ولا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح.

◻ وكانت المحاولة الأخيرة التي قام بها تيودور هرتزل في عام (١٩٠١م)، ولكن عبدالحميد رفض مقابلته للصدر الأعظم:

«انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، التي جاهدت في سبيلها وروتها بدمائها فليحتفظ اليهود بأموالهم وملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان إنذارًا بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب، في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه:

«أما إذا رفض فسنواصل البحث، وصدقني إننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقًا لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

وثقوا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للأتراك فاذكروا ذلك دومًا»[1].

---

(١) انظر نص رسالة عبدالحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين، فوجهت أنظار الحكومة لتنبيه الأهالي إلى الاحتزاز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الأستانة. ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها ببيروت المرحوم الشيخ عبدالقادر القباني ما يلي:

«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس[1] ؛ لأن تلك الأقطار

---

(١) تكررت هذه الأونة الأخيرة محاولات نسف المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، كما نجح الصهاينة في نسف العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى فلسطين المحتلة، كما هاجموا مؤخراً طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسئولية أمام اللّٰه والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «ماثير كاهانا» زعيم حركة «كاخ» قد خيّره بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الاغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء، والكتمان، وقال الشيخ العلمي: إنه تعرض لأربع محاولات اغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

ما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب واضطهاد العلماء المجاهدين الذين يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم بإحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشى دايان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!.

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو (١٩٨٤م) نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صيحة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!!.

كما كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وصحيفة «لوماتان» الفرنسية أن ضباطًا في الجيش الإسرائيلي يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» ـ أي: جبهة المؤمنين ـ ستاراً لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الإسلامية بفلسطين!. =

كانت لحدًا لاعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بمصالح الدولة والأمة معًا، إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط.

❑ وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهز السلطان عبدالحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني يناير (١٨٩٢م)، وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل عبدالحميد دهاءه السياسي لإخراج سيناء من ولاية مصر فأصدر فرمان التولية بحدود مصر دون إشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة الفرمان في الحفل التقليدي، ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبدالحميد، وكادت تعلن الحرب حتى اضطرته في ٨ نيسان أبريل (١٨٩٢م) إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

= ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦,٧ مليون عام ١٩٣٩م إلى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م.

ويتطرق التقرير إلى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجيًا لدفع عرب الضفة الغربية إلى إعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي إلى مزيد من إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!.

ويقول التقرير إن إسرائيل تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١ ـ إقامة سلام آمن.

٢ ـ ترتيب جبهتها الداخلية.

٣ ـ تنمية علاقات صحية وبناءة أكثر مع يهود المهجر الدياسبورا.

كما يعترف التقرير بأن إسرائيل تجد نفسها حاليًا محاصرة بعدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطرًا داخليًا على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

❑ ويقول عبدالرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»: إن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبدالحميد، وأن الشواهد تشير إلى خشيته من النفوذ البريطاني في مصر، وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لإسكان اليهود في سيناء[1] .

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبدالحميد بدهائه السياسي البعيد تعمد إثارة بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية، وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء وإعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الإنكليز واليهود، إلا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسميًا ودوليًا.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبدالحميد الثاني بالسماح لليهود، بالهجرة المحدودة فقط

---

(١) كلف فيلب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام (١٩٨٠م) لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل، يرأسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فردًا بينهم البروفسور حاييم بن شاما رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسول كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانشتر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، والبروفسور سيمور لبيست أستاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا.

وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥,٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣,٥ مليون يهودي في إسرائيل و٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و٢,٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفًا، وفي جنوب إفريقيا ١٣٠ ألفًا.

وليس إقامة وطن قومي في فلسطين ـ أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل ـ بعد فشل محاولته الأخيرة ـ إلا أن يلجأ لسلاح التهديد والوعيد صراحة.

ولم يكن السلطان عبدالحميد بغافل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارستها في الدول الكبرى، ولكنه في الوقت نفسه لم يملك إلا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي أخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب اللّه المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل.

وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لأغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافلها الشرقية والغربية، وكانت السبية اليهودية الروسية «روكزيلان» التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم السلطان» أول بؤرة صهيونية، وأول خرق للشريعة الإسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول ملك فرنسا، حينما منح لقب «حامي النصارى العثمانيين» وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام (١٩٥٣م)، الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد[1].

---

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانيات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة، ورجال الاقتصاد الإيطاليين بفضيحة بنك «إمبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «ريبرتو كالفي» قتيلاً في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فراير» في لندن عام (١٩٨٢م). =

▫ ولم يتوقف دور روكزيلان عند هذا الحد بل أنها بعد زواج ابنتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بخنق ولي العهد مصطفى ابن ضرتها، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصبح فيما بعد السلطان سليم.

وكانت روكزيلان سببًا في استعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هربًا من ظلم القياصرة، كما استعطفته ثانية لقبول إيواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفتيش الأسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول، وجزر المتوسط وموانيء الشام ومصر، وهم الذين سببوا فيما بعد دمار الدولة العثمانية، فنال الخليفة عبدالحميد الثاني حفيد سليمان القانوني على يد اليهودي قره صو جزاء سنمار، ولم يشفع له عند الصهيونية إزاء رفضه لعروض هرتزل، مما حققه البارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمال الخطوط الحديدية العثمانية (١٩٠٥م)، حتى أنه أوصى قبيل وفاته بإنفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سنمار لخلفاء المسلمين، وقد أعطى قره صو أربعمائة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الإيطالي وسلمها لثري اسمه «نجيب دراغا» الذي أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس التي أطاحت بحكم عبدالحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبدالحميد قرار عزله، رغم أنه

= وقال بارينزا: إنه يؤلف كتابين ويصور فيلمًا عن أهم الفضائح السياسية مما سيحدث هزة كبيرة، والمعروف أن بارينزا يرتبط بصدقات مع هنري كيسنجر وأليكسندر هيج، وكبار الساسة في أمريكا وإيطاليا، بحكم علاقاته القديمة مع الماسونية والمافيا وفروعهما في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية!!.

يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو[1] بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذ عبدالحميد بخمسة ملايين».

☐ يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم في محاضرته القيمة «غزة أريحا»: «إنه في نفس الليلة التي أُقصي فيها السلطان عبدالحميد آخر سلاطين آل عثمان حدث حادثان خطيران أولهما: غياب الإسلام الفعلي، ثانيًا: سقوط فلسطين في يد اليهود، ومن المعروف أن اليهود بذلوا جهدًا كبيرًا في إغراء السلطان عبدالحميد حتى يسمح لهم بالاستيطان فقط في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، وبعد ذلك جاء هرتسل فعرض على «عبدالحميد» مساعدات مالية مُغرية، فقال السلطان ضمن جوابه: سوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها مِنّا ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل لكنها لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا بأي ثمن كان. وعرض هرتسل بعد ذلك على السلطان اقتراحًا بتأسيس جامعة إسلامية في القدس يدرس فيها الشباب المسلم كل العلوم العلمية والدينية، ولكن لم يفلح كذلك، قدّم هرتسل للسلطان مليوني ليرة ذهبية رشوة شخصية له فغضب شر غضبة وطرده، وفي اللقاء الأخير حضر هرتسل ومعه رئيس الحاخامات يعرضون عليه رشوة لإقامة وطن يهودي، واقترحوا القدس وحدها، وقال تهرسل: أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس، فقال السلطان ـ وكان يحكي القصة لأحد أصدقائه في المنفي ـ:

(١) كان اليهودي قره صو أحد أربعة بلغوا عبدالحميد قرار عزلة ويا لسخرية الأيام يهودي!!.
وهؤلاء الأربعة هم:
اليهودي قره صو، والأرمني آدم، والأرناؤوطي طوبطائي، والكرجي حكمت.

شعرت بالدم يقفز من رأسي، تأمل، لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقابل سلطتنا، صرخت بهما: أخرجا من هنا حالاً، إن الوطن لا يباع بالمال، وحينما دخل رجال القصر أمرتهم بإخراجهما، منذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء كل ما ألاقيه هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطاء الوطن لليهود، ولقد ضحيت بعرشي من أجل فلسطين والقدس، وقلت لهم: لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين عامًا، فلن أسوّد صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

□ يقول بعدما أبلغوه بقرار خلعه: وحمدت المولى، وأحمده أنني لم أقبل أن ألطّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم إياي بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة الفلسطينية.

وبعد خلع السلطان عبدالحميد أخذت الصحف اليهودية في سلانيك تزف البشرى بالخلاص من مضطهد إسرائيل، وعاث اليهود فسادًا في تركيا، وكان من ضمن الإجراءات التي قام بها السلطان عبدالحميد بعدما أحس بالخطر اليهودي أصدر فرمانات تقضي برفض قبول التجاء اليهود المطرودين إلى الدولة العثمانية، وأعلن ذلك قائلاً: «إن سكن اليهود في أجزاء الإمبراطورية يجعلهم يتسللون إلى فلسطين تدريجيًا رغم ما اتخذته من تدابير، وسيسعون إلى تشكيل حكومة موسوية بتشجيع الدولة الأوربية، فليغادروا إلى أمريكا.

أيضًا سنّ تعليمات لضمان عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، وبعد هذا حدث تسلل لليهود إلى فلسطين حتى بلغ عددهم فيها خمسًا وعشرين ألفًا طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أغلق السلطان عبدالحميد جميع المحافل الماسونية في الإمبراطورية كلها لكنها استمرت بشكل سرّي

والمعروف أن الماسونية الولد النجيب لليهودية، وكان الذي سلّم السلطان قرار الخلع العم نويل قره صو اليهودي الماسوني فالتفت السلطان إلى الوفد الذي كان معه قائلاً: ألم تجدوا شخصًا آخر غير اليهودي لكي تبلغ خليفة المسلمين قرار الحل؟!

ومن قرارات: «السلطان عبدالحميد» قرارًا أبلغ به جميع ممثلي دول العالم في اسطنبول عام ١٩٠٠م بمنع الحجاج اليهود من تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين كما يحدث مع الحجاج في مكة فيسلم الحاج جواز سفره ويعطوه وثيقة يتحرك بها داخل مكة لمدة معينة، وإن تأخر عن هذه المدة فله الويل، فكان من لا يغادر البلاد في هذه المدة يُطرد بالقوة، وأصدر السلطان أمرًا بجعل تصريح الإقامة هذا لونه أحمر، حتى يسهل طردهم ولذا فقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا على جميع الجوازات الدبلوماسية على مستوى العالم كله اللون الأحمر، وهو الجواز الذي لا يُفتش صاحبه، وهذا يعتبر إعادة اعتبار لليهود ضد إجراء السلطان عبدالحميد.

* * *

السلطان عبدالحميد واليهود

قال الدكتور عدنان النحوي ـ حفظه اللَّه ـ:

سَلامٌ عَلى «عَبْد الحَميد» وَقَدْ مَضَى
عَلى الطِّيْبِ من أَمْجادِهِ العَطِرَاتِ
فَيَا أيُّها «السّلطان» ذكْرُك عاطِرٌ
عَلى صِدْق مَا جَاهَدْت في حَلَبَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى حَقٍّ وخُضْتَ سَبيلَه
وَمَا لِنْتَ مِنْ طعْنٍ وَمِنْ غَمَرَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى دِيْنٍ يُوَحِّدُ أُمَّةً
وَيَجْمَعُ نُعْمَى عِيْشَةٍ وَمَمَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى الإسْلام يُنْكِرُ فُرْقَةً
وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ شُبُهَاتِ
يُسَاوِمُكَ الكُفّار مَالاً وَزِيْنَةً
وَزهْرَةَ دُنيا أوْ مَتَاعَ حَيَاةِ
لِتُعْطِيَهُمْ داراً وَرَوْضًا وَمَا حَوَتْ
«فلسْطِيْنُ» مِنْ قُدْسٍ وَمِنْ حُرُمَاتِ
فَقُلْتَ لَهُمْ: أمْضَيتُ عَهْدِي وَبَيْعَتي
مَعَ اللَّهِ في سَعْيِي وَفِي رَكَعَاتِ
وَبِعْتُ إِلَى الرَّحْمنِ نَفسي بِجَنَّةٍ
عَلَى حُرْقَةِ الأشْوَاقِ واللَّهَفَاتِ
فَكَيْف تُرَاني أَرْتَضِي عَرَضًا بها
إِذَا كَانَت الدُّنْيَا هَشِيْمَ نَبَاتِ

مَضَيْتَ.. وَمَا لانَتْ قَنَاتُك بَيْنَهُمْ
وَمَا وَهَنَتْ نَفْسٌ عَلَى شَهَوَاتِ
هَوَى بِكَ رُكْنٌ... ما هَوَى عَزْمُكَ الذي
بَنَيْتَ بِهِ رُكْنًا وصَرْحَ أُبَاةِ
نَفَوْكَ... وَمَا هانَتْ بذَاكَ مَحَامِدٌ
وآذَوْك... فاستمسكْتَ بَيْنَ عُتَاةِ
عَلَوْت... فَهَانُوا دون صَبْرِك والهُدَى
وَذَلُّوا... وَرُمْتَ المجْدَ في ذَرَوَاتِ
سَلاَمٌ عَلَى رُكُنٍ هَوَى فَهَوَت به
مِنَ الدّار أرْكَانٌ ومِنْ عَزَمَاتِ(١)

*** الحركة السنوسية وشهيدها أسد الصحراء عمر المختار:**

تنتمي هذه الحركة إلى السيد محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧م - ١٨٥٩م). وهو من مواليد قرية مستغانم بالجزائر.

أنشأ الزوايا السنوسية التي كانت مراكز دينية ثقافية اجتماعية عسكرية، ودعا إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات ومحاربة الانحلال الاجتماعي والفساد الإداري والسياسي وإحياء الشريعة، والانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية.

أنشا - رحمه اللَّه - الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر، ثم نقل الدعوة إلى واحة جنبوب سنة ١٨٥٦م.

☐ ومن قادة السنوسيين السيد أحمد الشريف السنوسي الذي دخل في

(١) «ملحمه الأقصى» للدكتور عدنان النحوي (ص١٤١) - دار النحوي.

حرب طاحنة ضد فرنسا وإيطاليا. وتصدى - رحمه اللَّه - للفرنسيين في تونس، «ومن النماذج المشرفة لجهاد السنوسيين ضد الإيطاليين المعركة التي عُرِفت باسم معركة يوم الجمعة سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، قرب درنة، إذ جاهد السيد/ أحمد الشريف السنوسي والمجاهدون جهادًا عنيفًا، وأبلوا فيها بلاءً حسنًا رغم عدم التكافؤ حسب موازين القوى - لكن اللَّه سبحانه كتب النصر لهم في هذه الموقعة في الوقت الذي كان سلاحهم ما يعرف باسم «السلاح الأبيض» كالسيف والخناجر وغيرها أما سلاح الأعداء فالمدافع والبنادق مع تفاوت كبير في العدد والعدّة حتى اعتقد الكثيرون أن النصر جاء كرامة للسيد الشريف السنوسي»[1].

❑ وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) اجتمع زعماء طرابلس في مؤتمر غريان سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وقرروا توحيد ليبيا تحت زعامة الأمير إدريس السنوسي، تمهيدًا لإستئناف الجهاد، ووصل موسوليني إلى حكم إيطاليا في نفس السنة وأعلن أن ليبيا إيطالية، وألغى اتفاقيات سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م (صلح بنيادم) الذي ينص على وقف القتال ومنح طرابلس قانونًا أساسيًّا يضمن المساواة والحرية الدينية والشخصية[2].

❑ حين تغنّي الجنود الإيطاليون بنشيدهم: «أنا ذاهب إلى ليبيا فرحًا مسرورًا.. لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ومحو القرآن! وإذا مت يا أماه فلا تبكيني! وإذا سألك أحد عن عدم حدادك فقولي: لقد مات وهو يحارب الإسلام»[3] خرج إليهم جنود الإسلام يقودهم أسد الصحراء عمر

---

(١) «الموسوعة الحركية» لفتحي يكن (١/ ١٥٦).

(٢) «نماذج من حركات الجهاد الإسلامية الحديثة: السنوسية - الباديسية - القسّامية» لصفوت منصور (ص٦٣).

(٣) «التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي الجزء الرابع.

المختار وهو شيخ طاعن في السن، وهاجمهم في بنغازي و«القصور» و«تكنس» و«دفنا»، وجعل من الجبل الأخضر مقرًا له، ولما حاول مشايخ قبيلته منعه من العودة إلى «برقة» مجاهدًا قال: «إن ما أسير فيه هو طريق الخير، ومن يبعدني عنها فهو عدو لي، ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عنها».

وقبل ذلك كبّد هو ورفاقه الفرنسيين في «التبستي» خسائر فادحة قبل وصول إيطاليا إلى ليبيا مستعمرة لها.

وستذكر إيطاليا كيف دوّخها عمر المختار في معركة «الرحيبة» ومعركة «عقدة المطمورة» من أعظمها، وانتهت كلها بارتداد الإيطاليين. واشتد الجهاد في عامي ١٩٢٤، ١٩٢٥، بوقوع معارك عدة، ولمع اسم عمر المختار كقائد بارع يتقن أساليب الكرّ والفرّ.

ولما أراد الطليان الاستيلاء على «القران» واحتلال عاصمتها سنة ١٩٢٨، التحم المجاهدون مع الجيش الإيطالي بقيادة «جرازياني» في معركة دامية، استمرت خمسة أيام بتمامها، وقد انهزم الإيطاليون شر هزيمة، ومرة أخرى حاولوا الكرّة، وأباد المجاهدون أكثر الإيطاليين.

ومرة أخرى في «درنة» في ٢٢ أبريل سنة ١٩٢٨م يشتبك معهم في معركة عنيفة دامت يومين، وكان النصر فيها حليفه، وفي السلوم، والحجزة، ومرسى بريقة، وجالو، وأوجلة، وأنزلوا بالطليان خسائر فادحة.

للّه درك يا عمر المختار بحفنة قليلة من الرجال تزلزل أقدام الإيطاليين، ويستولى على عتادهم ومؤنهم، واضطر موسوليني سنة ١٩٢٩م أن يعين «بادوليو» حاكمًا على ليبيا، ويعهد إليه بالقضاء على المقاومة.

وحينما أرسلت إليه إيطاليا بشروطها المزرية، قال: «إني لا أرضى بهذه الشروط، وأفضل الموت جوعًا وعطشًا، ولا ألقى بنفسي وإخواني بين أيدي الإيطاليين يتصرّفون فينا كيف شاءوا». وأراد الطليان أن يستميلوا عمر المختار

بالمال، فأرسلوا إليه مع «بلعون» مدير الحاسة يعرضون عليه مليون فرنك هدية فرفضها.

وحاصر الطليان عمر المختار، وأقاموا الأسلاك الشائكة على طول مسافة لا تقل عن ثلثمائة كيلو متر على طول الحدود الشرقية مع مصر، فلم يضعف بعد أن أصبح هو ورجاله منقطعين عن جميع البشر من جميع الجهات.

وفي أكتوبر سنة ١٩٣٠م تمكن الطليان من الاشتباك مع المجاهدين في معركة كبيرة، وقد عثر الطليان عقب انتهائها على نظارات عمر المختار، كما عثروا على جواده مقتولاً، فأصدروا منشوراً حاولوا فيه أن يقضوا على أسطورة عمر المختار الذي لا يُقهر أبدًا، وقال جرازياني متوعدًا: «لقد أخذنا اليوم نظّارات عمر المختار، وغدًا نأتي برأسه».

وفي ١١ من سبتمبر سنة ١٩٣١ وصل إلى الحكومة برقية، تُفيد أن مصادمات وقعت بين المجاهدين وبين قوة من خيّالة الحكومة بالقرب من «سلنطة»، وأن رجلاً من الأهْلين وقع في أسرهم، وقد عرفه الجند وقالوا: إنه عمر المختار نفسه، قُتِل جميع من معه وقُتِل حصانه، وظل يُقاتل القوة الإيطالية إلى أن جُرِح في يده، ثم تكاثروا عليه وأخذوه أسيراً. وقال عمر المختار كلماته الغاليات الخالدات: أن القبض عليه، ووقوعه في قبضة الطليان، إنما حدث تنفيذاً لإرادة المولى عز وجل، وأنه قد أصبح أسيراً بأيدي الحكومة الإيطالية، فاللَّه سبحانه وتعالى وحده يتولى أمره، وأما أنتم فلكم الآن وقد أخذتموني، أن تفعلوا بي ما تشاءون، وليكن معلومًا أني ما كنت في يوم من الأيام لأُسلِّم لكم طوعًا»[1].

---

(١) «عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء» لمحمد محمود إسماعيل (ص٤٧) ـ مكتبة القرآن.

وشاءت الأقدار أن يقف البطل الذي حيّر إيطاليا، وأشاع الرعب في قلوب جيشها، أمام جرازياني الذي قطع رحلته إلى باريس ليستدعي البطل في صبيحة اليوم الذي عُقدت فيه المحكمة الطائرة له.

وقبل المُحاكمة بقليل جاءوا بالأسد عمر المختار مُقيَّد اليدين بالسلاسل والقيود، وكان يسير بصعوبة، وقد غطَّى وَجْهَه بحِرامِهِ، وظهرَ عمر المختار حينئذٍ وليًّا من أولياء اللَّه، لم ينل الأسر والسجن شيئًا من وقاره وجلال هيبته ودار حوارٌ بين الأسد المُسْلسَل، وبين الجبان جرازياني:

جرازياني (مخاطبًا عمر المختار): لماذا حاربت الحكومة الإيطالية هذه الحرب الشديدة؟ عمر: لأن ديني يأمُرُني بذلك. جرازياني: هل كان لديك أيّ أمل في أنك سوف تستطيع إخراجنا من «برقة»، ومعك هذا العدد القليل من الرجال الذين ينخرطون معك، وتلك المعدَّات القليلة التي تملكها؟. عمر: كلاً، فإن هذا على ما يبدو كان أمرًا مستحيلاً. جرازياني: ماذا كان غَرَضُك إذن؟ وماذا كنت تبغي؟. عمر: كنتُ مجاهدًا وكفَى، أمَّا ما يَنجمُ من هذا الجهاد؛ فالأمر فيه موكولٌ للَّه وحده. جرازياني: هل أمرتَ فعلاً بقتْل الطَّيَّارَيْن «أوبر» و«بياتي»؟ عمر: نعم، فإن الرئيس وحده هو الذي يتحمَّل جميع المسئوليَّات، والحرب هي الحرب. جرازياني: كم من الوقت يُمكنك بما لك من نفوذٍ وصَوْلَة أن تُخضع الثُّوَّار في الجبل؟ عمر: أبدًا أبدًا، قد أقسْمنا جميعًا أن نموت واحدًا بعد واحدٍ، ولا نُسلِّم أنْفُسنا بتاتًا، ومن المعروف تمامًا أنِّي لم أُسلِّم نفسي إليكم. جرازياني: لا شكَّ أنك كنت طوال حياتك رجلاً شجاعًا، وإني لأرجو أن تكون شجاعًا مهما حدثَ لك أو نزل بك. عمر: إن شاء اللَّه.

وعَرَض جرازياني على عمر المختار عفوًا شاملاً، نظير أن يكتُب بتوقيعه نداءً للمجاهدين، يدعوهم ويطلب إليهم أن يكُفُّوا عن القتال، ويُسلِّموا

أنفسهم وأسلحتهم للحكومة، ورفض عمر لأسباب وضَّحها جرازياني، وهي أن هذا العمل لا يرضي ضميره ودينه، وفضلاً عن ذلك، فإن أحدًا لن يُصدِّق صدور هذا النداء من عمر المختار.

لقد كان عمر المختار هو عمر المختار إلى النهاية! لقد كتب جرازياني في مُؤلَّفه عن «برقة» أنه لا يزال يشعر بالأثر الذي أحدثتْه في نَفْسه رؤية عمر المختار، وكيف أنه أدركَ لماذا كان المختارُ صاحبَ الكلمة المسموعة والرأي الأعلى بين المجاهدين.

وعُقدت لعمر المختار محاكمةٌ صُورِيَّة في الساعة الخامسة مساء يوم ١٥ سبتمبر عام ١٩٣١ في «برقة»، وتلا رئيسُ المحكمة في الساعة السادسة والربع مساء الحُكم بإعدام عمر المختار شنقًا، فقابَلَ عمر المختار ذلك بقوله: «إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون». وفي التاسعة من صباح اليوم التالي، وهو يوم الأربعاء الموافق ١٦ من سبتمبر عام ١٩٣١م، نفَّذ الطليان في «سلوق» حُكم الإعدام شنقًا في السيِّد عمر المختار، الذي كان في السبعين من عمره.

«ودفعت الخِسَّة بالإيطاليين إلى أن يفعلوا شيئًا عجيبًا في تاريخ الشعوب، إذ إنهم أرغموا أعيان البَرْقاوِيِّنَ الذين اعتقلوهم في «بنينة»، كما أرغموا أعيان «بنغازي» وعددًا كبيرًا من الأهالي من مختلف الجهات ـ على حضور عمليَّة التنفيذ، فحَضَرَ ما لا يقلُّ عن عشرين ألف نَسَمَة على قول جرازياني. ويا لها من ساعةٍ رهيبة تلك التي سار فيها عمر المختار بقَدَمٍ ثابتةٍ، وشجاعة نادرة، وهو ينطق بالشهادتين إلى حبل المشنقة، وقد ظلَّ عمر المختار يُرَدِّدُ الشهادتين حتى نفذ فيه الجلاَّدون حكم الإعدام، وعندما وجد هؤلاء أن عمر المختار لم يَمُتْ، أعادوا عمليَّة الشنق مرَّةً ثانية»[1].

عظمة في الحياة، وعظمة في الممات، عشتَ قاتلاً لأعداء اللَّه ومت

---

(١) «عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء» (ص٥٦، ٥٧).

مقتولاً بيد أعداء اللَّه. للَّه درُّك يا عمر «حتى الموت.. يموت الناس مرَّة، وأنت تموت مرَّتْين! لماذا؟ ألاأنَّ اللَّه يريد أن يرفعك بذلك مرَّتين، ويُعطيك على ذلك أجرين: أجر الشهيد الذي عايَنَ الموت وذَاقَهُ، ثم أجر الشهيد - مرة ثانية - الذي أراد أعداؤه أن يقتلوه مرَّة ثانية.. وتلك علامات القَبُول.. وذلك أول تاجٍ من تيجان الآخرة»(١) .

*** الشيخ عزّ الدين القسام إمام وشيخ حركة الجهاد في فلسطين عام ١٩٣٥م:**

القسّام:

القسّام القسّام.. اسم سوف يبقى في فلسطين يتردد في أجوائها فيوقع الرعب في قلوب الذين يسيطرون عليها بحرابهم، ويُتلى في صفحات تاريخها الخالدة، فيملأ نفس القارئ إكباراً وإعجابًا.

□ قال الأستاذ محمد حسن شُرَّاب: «ثبت عندي للقسّام منقبتان جامعتان لكل خلال الخير وهما: أنه شيخ المجاهدين في فلسطين، ورائد من رُوّاد الدعوة إلى اللَّه وإصلاح المجتمع على نهج السلف الصالح»(٢) .

□ ولد الشيخ محمد عز الدين بن عبدالقادر بن مصطفى القسّام الشهير «بعز الدين القسّام» في بلدة جَبَلة وهي ثغر من ثغور المسلمين من أعمال حلب قرب اللاذقية عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٣م.

وكان جده مصطفى مقدمًا في الطريقة القادرية الصوفية وورث عبدالقادر الطريقة عن أبيه، وكان أنصار الطريقة القادرية في العراق يقدمون

(١) «عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء» (ص٥٦، ٥٧).

(٢) «عز الدين القسّام شيخ المجاهدين في فلسطين» لمحمد حسن شرّاب (ص١٤) - دار العلم دمشق.

إلى جبلة لزيارة ضريحي عبدالقادر ووالده مصطفى في جبلة، فكان عز الدين يردع هؤلاء، ويحثهم على الامتناع من شد الرحال إلى جبلة لهذا الغرض.

ورحل في طلب العلم إلى الأزهر عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م ونال شهادة الأزهر العالية بعد أن أمضى حوالي ثماني سنوات في جوار الأزهر.

❑ وفتح مدرسة في جبلة سنة ١٩١٢م درّس فيها للأطفال واليافعين نهارًا، وللرجال الكبار مساء، وهذه فضيلة لم يسبقه إليها أحد من رجال الإصلاح في العصر الحديث.

❑ ودرّس الحديث، وتفسير القرآن العظيم في جامع إبراهيم بن أدهم، ثم صار خطيبًا في جامع المنصوري في وسط البلدة، وجذب الناس إليه.

*** وكان الإسلام يمتزج بدمه:**

❑ ولما غزا الإيطاليون ليبيا ثارت موجة عارمة من الغضب بين أهل الشام، وكان للقسّام دور بارز في قيادة حملات تجنيد الشباب للجهاد، وجندّ - رحمه اللّه - مئات الشباب من الساحل السوري، وقادهم بنفسه، وتعهدهم بالتدريب العسكري والفكري، وقام أيضًا بحملة لجمع الأموال والمؤن الكافية للنفقة على المتطوعين وأسرهم، ولمساعدة المجاهدين في ليبيا. واتصل عز الدين القسّام بالحكومة التركية، وحصل على موافقة الباب العالي في إستانبول بنقل المتطوعين إلى الإسكندرية.

وكانت هناك صعوبات كثيرة أمام الرجال، ولكن القسام صمم على لقاء الأشقاء المجاهدين في ليبيا، وأن ينقل إليهم ما استطاع جمعه من معونات مادية، وانتقل سرًا إلى الأراضي الليبية، والتقى القسّام بالمجاهد الكبير عمر المختار.

ولم يشارك القسّام في الثورة العربية المسلحة، ولم يحمل سلاحًا ضد الأتراك المسلمين وذلك لفقهه الكبير، ولم يشق عصا الطاعة على ولاة الأمر من الأتراك، واعتزل ـ رحمه اللَّه ـ الحرب ورجع إلى بلده بعد سنة ١٩١٦م.

❑ ولما احتل الأسطول الفرنسي اللاذقية والساحل السوري في ١٠/١٠/١٩١٨م كان القسّام ممن مَنْ رفع راية مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، وأول من حمل السلاح في وجهها. وكان من نتاج دعوته أن اندلعت نيران الثورة في منطقة صهيون.

وباع القسّام بيته لشراء السلاح ليكون قدوة للناس، وجعل يدرب المتطوعين على استعمال السلاح وفنون القتال عند شاطئ خليج بحري يُدعى «البحيص» جنوب جبلة.

ولما رأى عيون الفرنسيين يضيّقون عليه، ورأى أن منازلتهم في سهول جبلة المكشوفة تتيح لجيشهم قمع ثورته، فتطلع إلى موقع أكثر حصانة، وأبقى على الجهاد فاختار جبال صهيون ميدانًا للجهاد، وفيهم شطرها من رجاله، واتخذ قاعدة عسكرية في قمة منيعة قرب قرية «الزنقوفة» يغيرون على المراكز العسكرية الفرنسية في الجبال وفي مشارف المدن الساحلية.

وحاول الفرنسيون استمالته بأن أرسلوا إليه رسولاً بالكفّ عن مقاومتهم في مقابل تعيينه قاضيًا شرعيًّا في المنطقة، ورفض البطل دعوتهم، وقال لرسولهم: عُد من حيث أتيت، وقل لهؤلاء الغاصبين: «إنني لم أقعد عن القتال أو ألقى اللَّه شهيدًا».

فلما عجز الفرنسيون عن استمالته وثنيه عن الجهاد حكم عليه الديوان العُرفي فيما كان يُسمّى بدولة العلويين بالموت غيابيًّا.

ولم يذهب القسام وحيدًا إلى ميدان الجهاد، وإنما ذهب على رأسه أتباعه وتلامذته، وكان معه في جبال صهيون عمر البيطار ورجاله.

ومن أشهر معارك القسام وجماعته «معركة بانيا» حين تمكن القسّام مع ثلة من المجاهدين من القيام بغارة ليلاً على الثكنة الفرنسية، وقتل حاميتها في آذار ١٩٢٠م.

ولما لم يجد القسام المدد الذي طلبوه من القيادة السياسية في دمشق انتقل - رحمه اللَّه - من جبلة، انتقل منها وكان له شرف المشاركة في ملحمة ميسلون في ٢٤/ ٧/ ١٩٢٠م التي قُتل فيها البطل يوسف العظمة وعدد كبير من رفاقه.

وبعد معركة ميسلون عاد القسام إلى بيروت ومنها إلى دمشق للدفاع عنها، ومنها إلى صيدا، ومنها إلى عكا متخفيًا، وهاجر القسّام إلى فلسطين ليتابع الجهاد، واستقر في حيفا يدرس ويفتي ويربي.

«وفي سنة ١٩٣٤م قال له عامل من عمال الميناء، عندما استمع إلى درس الجهاد: «هل سمع «سيدنا» بحكاية البراميل التي اكتُشِفت مصادفة، وهي مملوءة بالأسلحة الفتّاكة التي يهربُها اليهود ليومهم الموعود»؟ فانتفض الشيخ وابتسم. وفي العشرين من تشرين الثاني ١٩٣٥م نشرت الصحف خبرًا هزّ العالم العربي يقول: إن الشيخ القسّام يلبس الكوفية والعقال و«البنطال» الكاكي والسلاح هو ورجاله، ويتدربون في غابات «يَعْبُد» بقضاء جنين استعدادًا للجهاد. فكانت هذه الثمرة الحيفاوية باكورة الجهاد الفلسطيني، وهي الفكرة التي أصلحت مسار العمل العسكري، بل أوجدته»[1].

وكانت الأحزاب السياسية مناهجها تقوم على المظاهرات، وإجراء اتصالات مع المندوب السامي، وإلقاء الخطب، وإرسال الوفود، وليس ثمة تفكير في الدعوة إلى الجهاد كما قال إبراهيم طوقان ساخرًا من الزعماء

(١) «عز الدين القسّام» لمحمد مُحمد حسن شرّاب (ص١٢٧).

السياسيين:

أنتمُ المخلصون للوطنيّه	أنتمُ الحاملون عبء القضيه
أنتم العاملون من غير قولٍ	بارك اللَّه في الزنود القويّه
«وبيان» منكم يعادل جيشا	بمعدات زحفه الحربيّه
«واجتماع» منكم يردُّ علينا	غابر المجد من فتوح أميّة
وخلاص البلاد صار على الـ	ـباب وجاءَتْ أعياده الورديّة
ما جحدنا «أفضالكم» غير أنّا	لم تزل في نفوسنا أمنيّة
في يدينا بقية من بلاد	فاستريحوا كيلا تطير البقيّه

وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

أنتم رجالُ خطابات مُنَمّقة	كما علمنا وأبطال احتجاجات
وقد شبعتم ظهوراً في مظاهرةٍ	مشروعة وسكرتم بالهتافات
أضحت فلسطينُ مِن غيظٍ تقول لكم	خلوا الطريق فلستم من رجالاتي

وكان القسام ـ رحمه اللَّه ـ يحاضر المسلمين ويعظهم في مسجد الجرينة الكبير وجامع الاستقلال ويبصّرهم بواقع الأمة ويربيهم على الجهاد.

ولما «سئِل ـ رحمه اللَّه ـ عن رأيه في أساليب الزعماء المعتمدة على محاورة الإنكليز، فأجاب: «من جرّب المجرَّب فعقله مخرَّب»، وقال مرة: «من جرّب المجرَّب فهو خائن»، وهو يشير إلى تجربة العرب مع الإنكليز إبّان الثورة العربية على العثمانيين»[2] .

وأعلن القسّام أن الإنجليز رأس البلاء والداء، ويجب توجيه

(١) المصدر السابق (ص١٣٣).
(٢) «عز الدين القسّام» لشراب (ص١٤٧).

الإمكانات كلها لحربهم، وطردهم من فلسطين قبل أن يتمكنوا من تحقيق وعدهم لليهود.

ودعا القسّام المسلمين إلى التمرّد، وحرّضهم على ألا يسمعوا للعساكر البريطانية.

«ففي أواخر سنة ١٩٣٤م، سأل القسّام المصلين من على المنبر: «هل أنتم مؤمنون؟»، وأجاب: «لا أعتقد»، وسكت قليلاً، ثم تابع كلامه قائلاً: «لأنه لو كنتم مؤمنين، لكانت لكم عزّة المؤمن، فإذا خرجتم من هذا المسجد وناداكم جندي بريطاني، فلا تطيعوا نداءه».

واتّجه القسّام إلى توعية الشعب بالشرور المحدقة بهم، وكان يكثر من قوله: «بأن اليهود ينتظرون الفرصة لإفناء شعب فلسطين، والسيطرة على البلاد، وتأسيس دولتهم».

❏ ومن باب التحريض على الجهاد دعا القسّام إلى توجيه اقتصاد البلد إلى شراء الأسلحة، وأنكر في هذا السبيل سياسة «المجلس الإسلامي الأعلى» في تزيين المساجد وبناء الفنادق، وقال: يجب أن تتحول الجواهر والزينة في المساجد إلى أسلحة، فإذا خسرتم أرضكم فإن الزينة لن تنفعكم وهي على الجدران.

وحذر الشيخ عز الدين المصلين في إحدى خطب الجمعة سنة ١٩٢٧م من التساهل مع الهجرة اليهودية التي تحتل البلاد، ودعاهم إلى استقبال هذا العدو القادم بعربات الانتداب الإنكليزي وحمايته، بوصفهم أعداء لا بوصفهم ضيوفًا».

وكان ـ رحمه اللَّه ـ في مسجد الاستقلال يردد دائمًا الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. ويُسهب في شرح ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فأولوا الأمر هم المسلمون أما الإنكليز

فلا طاعة لهم على المسلمين، وكان الإنكليز يبثون على لسان «القاديانية» ومركزها «حيفا» أن الدولة البريطانية وليّة أمر المسلمين ولها عليهم حق الطاعة.

◻ وفي سنة ١٩٢٩م عُلِمَ أن اليهود يأتمرون للهجوم على جامع الاستقلال، فطلب وجوه المسلمين في حيفا من السلطات البريطانية أن ترسل قوة لحراسة المسجد من الهجوم المُدبّر، فثار القسّام على هذا الاقتراح، وقال في خطاب ألقاه بهذه المناسبة: «إن جوامعنا يحميها المؤمنون منّا، إن دمنا هو الذي يحمي مساجدنا لا دم الآخرين» ووصف الطلب بالجبن، وعدّه دليلاً على الخضوع والذل. ولما دعته السلطات للتحقيق في كلامه، لم ينكره، وعندما أُوقف، أعلنت المدينة الإضراب، فاضطرت السلطات إلى إخراجه من السجن، وتجنّبت حكومة الانتداب اعتقاله فيما بعد[1].

◻ وفي الثلاثينيات حين شاعت حوادث قطع الطرق، وظهور عصابات السّلب، برز اسمُ «أبو جلْدة»[2] وأحيط بهالة من التقدير، بوصفه معبراً عن الحس الشعبي، ورغبته في مقاومة الانتداب، وفي سنة ١٩٣٢م سُئِل الشيخ عن رأيه في أهل «الشعراوية» وجبل نابلس الذين يقطعون أشجار اليهود، ويَسُمُّون الحيوانات، وينعتهم الناس باللصوصية وقطّاع الطرق، فأجاب: «دعهم يعملون؛ لأن في عملهم رجولة سنحولّها في يوم من الأيام إلى جهاد، وما دام المستعمر يرغب في إماتة قلوبنا، فإن هؤلاء أقرب إلى اللّه

---

(١) المصدر اسابق (ص١٤٨).

(٢) أبو جلدة: صعلوك فاتك، ولكنه كان يسلب الإنكليز واليهود فقط. ذكره المؤرخ الروسي في كتابه «تاريخ الأقطار العربية المعاصر» فقال: في سنة ١٩٣٢م. برز زعيم فصائل الفدائيين البطل الشعبي «أبو جلدة» الذي كان يزرع الرعب في قلوب المستعمرين ببسالته وجرأته.

وإلى حب الجهاد من المستكينين»[١] .

❑ واستطاع القسّام في عشر سنوات أمضاها في جامع الاستقلال، أن يجعل الناس مستعدين لتلبية نداء الجهاد، وصارت الكلمات الجهادية المقدسة من خطبه، على لسان الجمهور، من ذلك قوله: «المجاهد رائد قومه، والرائد لا يكذب أهله»، وقوله: «الجهاد رفيقه الحرمان» أي الصبر على المشقة، وكان شعار القسّام وتلاميذه «هذا جهاد، نصر أو استشهاد».

❑ ومن خلال اتصال القسّام بالقوى البشرية عن طريق المسجد، استطاع أن يُقوّم القدرات الوطنية للجهاد، ووازن بينها وبين قدرات الأعداء، فوجد القوة الوطنية تفوق قوى الأعداء، فثبت في نفسه أن الأسلوب العسكري للوصول إلى الحق هو الأسلوب الناجح، وأن الطرق السلمية التفاوضية فيها إذلال للمسلمين؛ لأنها تجبر الأسد القوي «وهم العرب» أن يفاوض الكلب (وهم الأعداء). ونقل الرواة عن ابنة القسّام ميمنة هذه الحادثة: «إذ رأته صباح يوم هائجًا هياجًا شديدًا، يردّد أشعارًا حماسية حربية، فخشيت من مغبّة هذا الهياج، وقالت له: إن الطريق السلميّة هي خير طريق يمكن أن يسلكه شعب أعزل كشعبنا؛ لأن القوة يجب أن تجابهها قوة مثلها، ونحن لا قوة لدينا ولا مال، قالت ميمنة: ولكن الوالد الشهيد لم يتركني أتمّ كلامي، بل صاح بصوته الجَهْوري: اصمتي يا ميمنة. ثم أطرف برهة، وأنشد وهو ينظر إليّ:

واعلم بأن عليك العـــار تلبَسُــه ... مَن عَضَّه الكلب لا من عضّه الأسدُ

ولم يكن القسّام مبالغًا في تقديره وتقويمة لقلة الأعداء، فقد قدّر عدد اليهود في فلسطين سنة ١٩٢٢م (٨٣٠٠٠) ثلاثة وثمانون ألفًا، وبلغت

---

(١) «عز الدين القسّام» (ص١٥٠ ـ ١٥٣).

نسبتهم لمجموع السكان (١١٪)، وفي سنة ١٩٣١م قدّر عدد اليهود (١٧٤٠٠٠) مئة وأربعة وسبعون ألفًا، وبلغت نسبتهم ١٦٪.

❑ وفي سنة ١٩٣٦م عجزت القوات البريطانية عن السيطرة على فلسطين، وحرّر المجاهدون أجزاء كبيرة من فلسطين، لولا وساطة (أصنام العرب) في فلسطين وخارجها التي نصبها الأعداء لتقرّب العرب إلى الإنكليز زُلْفى، وكانت هذه الأصنام، بل شياطينها، تعِد الناس بالمواعيد العرقوبية، وتوحي إلى المسلمين بأن قوة الأعداء العسكرية تفوق قوة العرب عددًا وعُدّة، وأنه لا سبيل إلى الخلاص منهم إلا بالحُسنى، فيطفئون حركة الجهاد، وبينها وبين النصر قاب قوسين أو أدنى، أطفأ اللَّه نور قبورهم.

وقد ركّز القسّام عنايته في التوجيه إلى معاني الجهاد، وتصحيح المفهومات السياسية الدارجة، ولكنه لم ينس ثلاث قضايا:

الأولى: الدعوة إلى إخلاص العقيدة للَّه وحده، وتنقية المفهومات الدينية الشائعة من الشوائب، والرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، مصدرين لكل توجهات المسلمين.

وفي هذا السبيل حارب البدع المتصلة بالجنائز والمآتم، والمولد النبوي، وشهر رمضان... إلخ.

وخاض من أجلها معركة شاركه فيها محمد كامل قصّاب، وألّفا فيها كتاب «النقد والبيان في دفع أوهام خزيران».

الثانية: الغزو الفكري المدعوم من اليهود والإنكليز، وكانت حيفا مركزًا لفرقتين ضالتين هما: البهائية والقاديانية.

الثالثة: اكتشاف القادرين على الجهاد وتنظيمهم في خلايا سرية، ولما تأسست جمعية الشبان المسلمين في فلسطين كان القسّام رئيسًا لجمعية حيفا، وقد واظب القسّام على تقديم محاضرة دينية أسبوعية في جميعة الشبان

المسلمين مساء كل جمعة، فكان يذهب كل أسبوع، مع فئة من أعضاء الجمعية للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلى القرى، وأسس ـ رحمه اللَّه ـ فروعًا لجمعيات الشبان المسلمين في اللواء الشمالي، أصبحت غطاءً مناسبًا لعمل رفاق القسّام في قراهم المحلية.

❑ قال أحمد القشيري: «كنت على معرفة وطيدة بالشيخ عز الدين القسّام، عرفته تقيًّا ورعًا، خطيبًا دينيًّا صالحًا، واجتمعت به في مؤتمرات جمعيات الشبان المسلمين في حيفا وغيرها، ولم يكن يدور في خلدي أو خلد غيري، حتى من أصدقائه المقربين، أن هذا الشيخ المعمم، إمام الجامع كان يهيئ نفسه لقيادة ثورة مسلحة ضد السلطات البريطانية مباشرة»[1] .

❑ كان القسّام ـ رحمه اللَّه ـ جريئًا في قول الحق، لا يخاف في اللَّه لومة لائم.

«كان يقرر من على المنبر أن الجهاد فريضة على المسلمين، وأنه لا مفرّ من محاربة الإنكليز وأعوانهم، وكان يطلب من الناس جهرًا شراء السلاح والتدرب عليه.

واستدعته سلطات الانتداب مرة للتحقيق حول تركيزه على آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] في إحدى خطبه، فأجاب القسّام، بأن الآية الكريمة جزء لا يتجزأ من القرآن، وأنّ واجبه يحتّم عليه شرح هذه الآية في ظل الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد.

وطلب مرة من المصلين أن يقاوموا الأعداء فوقف أحد المصلين وسأله: بماذا نقاوم الأعداء ونحن لا نملك سلاحًا؟

فأجاب الشيخ: بقتلهم وأخذ السلاح منهم.

---

(١) «أربعون عامًا في الحياة العربية» لأحمد الشقيري (ص١٣٩).

وروى الشيخ أحمد السعدي ـ رئيس بلدية جنين ـ أن القسّام، رفع يومًا مسدسًا أمام المصلين، وكان قد دبّر طريقة لإخفائه، وقال: من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر، فليقتن مثل هذا»[١] .

* **عز الدين القسام شيخ المجاهدين بفلسطين سلفي العقيدة والمنهج:**

▢ قال الشيخ محمد محمد حسن شُرّاب: «أخذ عز الدين ثقافته الإسلامية من القران والسنة الصحيحة، ونهل من السيرة النبوية المشتملة على بيان شمائل الرسول ﷺ التي يكون للمسلمين بها أسوة حسنة. ودرس سير الصحابة، فصدر بعد كل هذا عن عقيدة سلفية لم تتأثر بمذهب قديم أو اتجاه حديث»[٢] .

«كان همه الأول تخليص الدين من الشوائب، وإخلاص العقيدة للَّه وحده، حارب القسام ذهاب الناس إلى «مقام الخضر»[٣] على سفوح جبل الكرمل لذبح الأضاحي شكرًا على شفاء من مرض، أو نجاح في مدرسة. ودعا القسّام الناس إلى أن يتوجهوا بنذورهم وأضاحيهم إلى اللَّه تعالى فقط؛ لأنه ـ وحده ـ القادر على النفع والضر، وأما أصحاب القبور فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

وبالجملة فإن العقيدة السلفية الصحيحة، والثقافة الإسلامية المقتبسة من القرآن والسنة أثرت في تلاميذ القسّام»[٤] ، وانطبعوا بطابع التربية الإسلامية الإيمانية، سلوكًا وأقوالاً. وقد وصف أحمد الشقيري أصحاب القسّام، وقد

---

(١) «عز الدين القسّام» (ص١٩٨).
(٢) «عز الدين القسّام» (ص١٧٠).
(٣) يقع عند أقصى حد حيفا إلى الغرب من سفح جبل الكرمل.
(٤) «عز الدين القسّام» (ص١٥٥).

عايش عدداً منهم، ودافع عنهم ـ بوصفه محامياً ـ أمام الإنكليز، فقال: «لم تجر على ألسنتهم تعابير «الكفاح المسلح» و«الحركة الوطنية» و«الاستعمار والصهيونية»، فقد كانت تعابيرهم على بساطتها تنبع من ينبوع أروع وأرفع هو «الإيمان والجهاد في سبيل اللَّه» لقد كانوا قوماً مؤمنين، صنعهم الإيمان، فصفت نفوسهم، وتآلفت إرادتهم، وتعاظمت عزائمهم، وأحسّوا أن حبلهم مع اللَّه قد أصبح موصولاً، وأن الباب بينهم وبينه قد بات مفتوحاً»[1] .

«ومنذ تولّي عز الدين القسام أمر تعليم الناس في المدارس والمساجد أخذ على نفسه تقويم ما اعوج من أمر المسلمين، وأن يرجعهم إلى الإسلام المصفى الخالي، ورأى أن يبدأ بمرحلة الدعوة والتعليم لتربية جيل مؤمن بربه متمسك بسنة النبي ﷺ، فأخذ يحارب البدع والخرافات.. ويدعو الناس إلى نبذ البدعة، ومن هنا بدأ الصراع بين أنصار البدع وبين المذهب السلفي الذي اتبعه القسام»[2] .

والذي يفهم من سيرة القسّام أنه كان مربيًا سلفيًّا داعيًا يعمل لكي «يعود للدين مجده بسيطرة السنة، ومحق البدعة، وعودة مجد الدين، هو عودة لمجد أهله المتمسكين به».

«إن من يقرأ كتاب «النقد والبيان» للقسّام يعلم تمام العلم أنه ما حاد عن السلفية منهجًا وعقيدة قدر أنملة.

لم يكن القسّام ـ رحمه اللَّه ـ حاطب ليل بل كان يميز بين الصحيح والضعيف من الأحاديث النبوية وكان يدعو إلى العلم الصافي قبل القول والعمل، وكان يأمل في الإعداد المرحلي، والتّدرج في الإعداد فما أمهله أعداؤه حتى يصل إلى ما يريد.

---

(١) «أربعون عامًا» لأحمد الشقيري (ص١٤٥).

(٢) «عز الدين القسام» لشراب (ص١٧٦).

القسام البطل المتواضع الذي حرص على الاتصال بكل فئات شعبه، وكان يمتلك قلوب الناس بشخصيته الجذابة المحبوبة» هذا البطل الذي جعل من باعة الكاز «الجاز» قادة ومجاهدين عظماء.

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «يمين اللَّه إن شباب العصر الأخير ابتعدوا كثيراً من النهج القويم، وأمعنوا في الضلال، فلم يبق على هذه الأمة إلا أن تعتصم بما في قلوب الفلاحين والعمال من بساطة وإيمان، وبعد عن بهارج مدنيَّتكم الزائفة»[١] .

□ وكان ـ رحمه اللَّه ـ: يقول: «خبرتي الطويلة تجعلني أرجو خيراً من الفلاحين والعمال، فهم واثقون باللَّه، مؤمنون بجنات الخلد واليوم الآخر، ومن كانت هذه صفاته كان أقرب الناس إلى التضحية وأجرأهم على الإقدام»[٢] .

يرحم اللَّه البطل الذي بسّط العقيدة للعوامّ وشوّقهم إلى البذل والعطاء والجهاد.

□ إن الإنسان ليعجب حين يكتب الناس زوراً وبهتاناً عن القسّام فينسبونه إلى الصوفية فيجعلونه شيخ الزاوية الشاذلية، كما ترجم له صاحب «الأعلام الشرقية»[٣] ، وهذا كذبٌ صراح.

□ إن أبطال ثورة البراق كانوا من تلاميذ القسّام، وإن لم يتوفّر دليل على أنهم كانوا أعضاء في التنظيم السري.

ومن الذين شاركوا في ثورة البراق من إخوان القسّام: عبداللَّه الأصبح، الذي كان له جهاد مشهود في منطقة «صفد»، والشيخ فرحان

(١، ٢) المصدر السابق (ص٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٣) «البطولة والفداء عند الصوفية» لسعد الخطيب (ص٢٢٥ ـ ٢٢٨) دار الفكر ـ سورية.

السعدي في قضاء جنين.

وفي المدة من ١٩٣١ ـ ١٩٣٥م، تأكد أن أعضاء المُنظمتين قاموا بأعمال عسكرية في قضاء حيفا.

وكانت أولى العمليات، الهجوم على مستعمرة (الياجور) قرب حيفا ليلة ٥/٤/١٩٣١م فقتلوا ثلاثة من اليهود، وعادوا دون أن يتركوا أثرًا، كما هجم القسّاميون على مستعمرة (بلغوريا) ومستعمرة (كفار هاسيديم» ومستعمرة (عتليت) ومستعمرة (العفولة) في المرج.

*** عملية «نهلال» ضربة موجعة في أكبر رموز الصهيونية:**

◘ العملية العسكرية التي أغضبت الإنكليز واليهود، وأدخلت الرعب إلى قلوبهم هي عملية (نهلال) ليلة ٢٢/١٢/١٩٣٢م. فقد قام المجاهد أحمد الغلاييني ـ الذي يعمل سمكريًّا ـ بصنع ألغام في معمله في حيفا، وأعطى لغمًا منها لمصطفى علي الأحمد، فوضع اللغم في منزل حرس مستوطنة (نهلال) وسيّر إخوان القسّام قطيعًا من الغنم على الطريق، فذهب الأثر. فانفجر اللغم، وأدى إلى قتل يهوديين، وإصابة اثنين بجراح. فكانت هذه الواقعة ضربة مؤثرة موجعة في أكبر رموز الصهيونية في فلسطين، وهي مستعمرة (نهلال) حيث يقول «وايزمن» في وصفها: «إن (نهلال) مستعمرة ذات قيمة خاصة في نظري؛ لأنني منها أبتدئ سياحتي، وبها أختمها، وهي رمز عملنا العظيم في مرج ابن عامر، ولست أُبالغ إذا وصفتها بأنها قلب المرج، وعندما تقترب مني الأيام الصعبة أتطلّع إلى (نهلال) لأستمد منها التعزية.

وحكم بالإعدام على مصطفى الأحمد وبالسجن خمسة عشر عامًا على أحمد الغلاييني، ودامت الأعمال العسكرية سنوات، كانت من أشدّ ما قام به المجاهدون في فلسطين تأثيراً فألقت الرعب في قلوب اليهود؛ لأنهم رأوا

عملاً جديداً يُنفّذ بالسلاح، لم يعرفه اليهود من قبل، ومع كثرة هذه الأعمال، وتعدد أشكالها، فإنها ظلت محاطة بالسريّة والكتمان. وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية عظيمة فمنذ أوائل ١٩٣٥م شهد المثلث العربي جنين نابلس طولكرم سيلاً من الاغتيالات للضباط الإنجليز ونسف القطارات، وهوجمت معسكرات الجيش البريطاني، وقتل أي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالاً مريبًا.

وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام، وفي فترات متعاقبة في غاية الدقة والتنظيم والسرية، وسرت روح الجهاد بين الشعب فتتابع تنظيم التشكيلات السرية، وزادت متاعب البريطانيين وإرهابهم.

*** الاستعداد للجهاد:**

أرسل القسام أحد إخوانه (محمود سالم المخزومي)[1] الملقب (أبو أحمد القسام) إلى سماحة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى (الحاج أمين الحسيني) ليعلمه عن عزمه القيام بثورة في فلسطين للقضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي، وذلك سنة ١٩٣٥م قبل ثورة القسام بأشهر قليلة، وفعلاً، اتصل رسول القسام بالحاج أمين بواسطة الشيخ (موسى العزراوي) ـ رحمه اللَّه ـ أحد أعوان الحاج أمين، وأعلمه عن رغبة القسام: وهي أن يشرع الحاج أمين في الإعداد للثورة في جنوب فلسطين، حيث يعد القسام العدة في شمال فلسطين.

فأجاب الحاج أمين بواسطة (العزراوي) أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا

(١) «ثورة الشيخ عز الدين القسام» لعوني العبيدي (ص٥٥). وقال الأستاذ عوني العبيدي: ذكر لي ابن الشيخ أبو إبراهيم الكبير «أبو نبيل»: أن الذي كان يرسله القسام إلى الحاج أمين الحسيني هو الشيخ «كامل القصاب»، وليس محمد سالم المخزومي كما ذكر.

العمل، وأن الجهود السياسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم، إذ كان حَسَنَ الظن بالإنكليز[١] .

وباع القسام بيته الوحيد في حيفا، وباع أصحابه حليَّ زوجاتهم، وبعض أثاثهم، واشتروا بثمنها رصاصًا وبنادق[٢] .

*** القسام يعلن الجهاد المقدس:**

وبعد أسبوعين من مهاجمة قوات البوليس الإنكليزي للمتظاهرين العرب في القدس، وفي ليلة ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٥م جمع الشيخ عزالدين القسام إخوانه في مدينة حيفا، وأبلغهم أنه قرر إعلان الجهاد المقدس، وأبلغهم أنهم سيغادرون تلك الليلة إلى أرض المعركة، وقال لهم إن شعار جهاده (أن يذهب كل مجاهد إلى أهله يستودعهم اللَّه، ويواعدهم اللقاء في الجنة)، ثم يلتئم جمعهم في بيت القائد محمود سالم المخزومي، ليتوجهوا من هناك إلى أرض المعركة، وخرجوا وخرج القسام الذي جاوز الستين من عمره بعد أن ودع زوجته وأولاده الصغار.

وقد اختار أرض معركته في المناطق الجبلية، وكان أقربها إلى حيفا جبال جنين، فتوجه موكب المجاهدين في تلك الليلة إلى قرية (كفردان)، وهناك وزع رفاقه على قرى: يعبد، وفقوعة، وصندلة، وقباطية، للاتصال بأهاليها. وليشرحوا لسكانها أهداف الثورة.

وكان الشعب في السابق يعرف القسام من على منبر جامع الاستقلال في حيفا، ويعرف القسام من خلال زياراته إلى حفلات الأفراح في القرى.

---

(١) «الثورة العربية الكبرى في فلسطين» (ص٢١ ـ ٢٢) وسيأتي التعليق على بيع القسّام لبيته إذ إنه لم يكن يمتلك بيتًا إنما كان يستأجر فقط.

(٢) «الإسلام وحركات التحرر العربية» لشوقي أبو خُليل (ص٤٠٢).

ويعرف إخلاص القسّام، لذلك فقد استجاب له ولرسله أعداد كبيرة من الرجال المخلصين. وكان الاستعمار في هذه الفترة يرقب تحركات القسّام بواسطة البوليس السري «الخونة».

ويُؤثر عن رجال القسام أن كل واحد منهم كان يحمل في جيبه نسخة من القرآن الكريم الذي اتخذوه قدوة لهم، وكانوا يرون أن كل السعادة هي في بلوغ مرتبة الشهادة، والانتقال إلى الحياة الأخرى، للتمتع بما أعده اللّه للمجاهدين والشهداء من نعم.

وقد روى سكان قرية يعبد حيث كان القسام يرابط بجماعة على مقربة منهم - أنهم لم يسألوهم أو يطلبوا منهم شيئًا في يوم من الأيام، بل كانوا في النهار يأوون إلى الكهف، يصلون ويقرؤن القرآن، وفي الليل يخرجون للتدرب على القتال.

وبعد يومين أي يوم ١٤ تشرين الثاني ارتكب أحد مناضلي القسام خطأً، كان سببًا في افتضاح أمر الثورة قبل إعلانها رسميًّا، وكانت خطة القسّام أن يتوزع رجاله على قرى المناطق الجبلية، حتى يضموا إليهم أكبر عدد من المناضلين، حتى إذا اكتمل العدد الذي يريد هاجم مدينة حيفا، واحتل دوائر الحكومة ومراكز الشرطة والميناء، وبعد أن يستتب له الأمر يعلن قيام الحكومة العربية، ويكون أعوانه في المدن الأخرى قد قاموا بذات عملية الاحتلال، فينتهي بذلك مأساة تهويد فلسطين التي لم تَحُل دونها حتى الآن جميع المفاوضات والاحتجاجات والمظاهرات.

ولكن الخطأ الذي ارتكبه أحد أعوانه عرض الخطة إلى الفشل، ففي ليلة ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٥م كان المناضل محمود سالم المخزومي يقوم بالحراسة قرب قرية فقوعة، فشاهد دورية بوليس من الفرسان يقودها شاويش يهودي، وهي قادمة من مستعمرة عين حارود، فدب الحماس في المناضل الحارس

عندما وجد أنه يسيطر على موقع يستطيع منه التحكم في الدورية، فأطلق النار على الشاويش اليهودي فقتله، إلا أن زميله استطاع الهرب، فأبلغ مركز البوليس بالواقعة، وفي اليوم التالي قامت قوات كبيرة بتطويق جميع القرى المجاورة، ولما اقتربت من مواقع أعوان القسّام اشتبكت معهم في قرية (البارد)، ونشبت المعركة التي استشهد خلالها المناضل الشيخ محمود الحلحولي، وقتل اثنان من البوليس الإنكليزي، وتطورت الأمور، فأيقن حكومة الانتداب أن الثورة المسلحة قد أشرفت على القيام، وأن الجهاد الحاسم على وشك الاستنفار، عندئذ عقد اجتماع في مكتب المندوب السامي تقرر فيه ضرورة القضاء على هذه الثورة، وهي في مهدها مهما كلف الأمر قبل استفحال خطرها.

وأرسلت نجدات من رجال البوليس الإنكليزي من كافة المدن الفلسطينية إلى حيفا، تساندهم طائرات استكشافية، وفي صباح يوم ١٩ تشرين الثاني زحفت قوات البوليس إلى جبال جنين، وطوقت منذ طلوع الفجر قرى: يعبد، واليامون، وبرقين، وكفر دان، وفقوعة، وكان الشيخ القسّام مع أحد عشر مناضلاً في أحراش قرية (يعبد) في خربة الطرم في الجهة الشمالية الشرقية من يعبد.

أما إخوانه فهم: الشيخ محمد الحنفي أحمد، والشيخ يوسف الزيباوي، والشيخ حسن الباير، والشيخ أحمد جابر، والشيخ أسعد كلش، والشيخ نمر السعدي، وعرابي البدوي، وتوفيق الزيري، وناجي أبو زيد، ومحمد يوسف، وداود خطاب.

* **معركة يعبد:**

وعرفت القوات الإنكليزية أنَّ الشيخ القسّام هو قائد الثورة، وأنه يقيم في أحراش يعبد، فأرسلت إليه خمسمئة جندي فرضت عليه طوقًا بحيث لا

يمكنه الانسحاب، كما لا يمكن للنجدات أن تصل إليه.

«وحين طلب منه أن يستسلم أجاب إننا لن نستسلم إن هذا جهاد في سبيل اللَّه، والتفت إلى زملائه قائلاً: موتوا شهداء».

ودارت معركة بين قوتين غير متكافئتين بالعدد والعدة، وكان كل مجاهد يقاتل أربعين جنديًّا، ونشبت المعركة في الفجر، واستمرت حتى الظهر، فانتهت باستشهاد قائد الثورة الشيخ عز الدين القسام، والشيخ محمد الحنفي أحمد، رفيق جهاده في سوريا، والشيخ يوسف الزيباوي، كما جرح جميع إخوانه.

ووقع في الأسر الجرحي من المناضلين وهم: أحمد جابر، وعرابي البدوي، ومحمد يوسف، وتمكن الآخرون من الإفلات من طوق الجنود، وقد قتل من الإنكليز عدد كبير، إلا أن البلاغ الرسمي لم يعترف إلا بمقتل ثلاثة جنود.

ثم أصدرت السلطات البريطانية بلاغًا نعتت فيه القسام وصحبه بالأشقياء. وجرت بعد ذلك محاكمات تاريخية للأسرى من الجرحى وغير الجرحى.

وبذلك تمكن الإنكليز من القضاء على قائد الثورة وعدد من إخوانه الأبرار، وفشلت الخطة المقررة لاحتلال دوائر الحكومة في حيفا، والاستيلاء على الأسلحة التي ستسلم إلى المجاهدين للقيام بأعمال ثورية واسعة، لمنع إقامة دولة يهودية في أي جزء من أرض فلسطين.

وبعد سقوط العالم القائد المجاهد الشيخ عز الدين القسام واثنين من إخوانه الأبرار في ساحات الشرف والكرامة، واعتقال خمسة منهم، اضطر الآخرون إلى الاختفاء في الجبال لإتمام رسالة القسّام الثورية المقدسة في الوقت المناسب.

ولقد أكرم سكان مدينة حيفا البواسل الشهداء الأبرار، وتحدوا السلطات الغاشمة، وجرت جنازة مهيبة، اشترك فيها عشرات الألوف من أبناء الشعب، وجرت مظاهرات أثناء تشييع جنازة الشهداء، حيث هاجم أبناء الشعب الثائر دوائر البوليس، والدوريات الإنكليزية بالحجارة.

ونشرت تلك المظاهرات وعيًا في صفوف الشعب الفلسطيني العربي المسلم، وأخذ كل فرد يفكر بالثورة المسلحة على الظلم والطغيان، وأخذ إخوان القسام من العلماء يحرضون الشعب على القتال، وكان للعالم الشيخ كامل القصاب وزملائه دور بارز في استلام زمام المبادرة بعد القسام.

وسار موكب الجنازة مجللاً بالأعلام العربية، حيث صُلي على الشهداء في المسجد الكبير، وشيع القسّام إلى مقره الأخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلو مترات، سارتها على الأقدام حاملة نعش الشهيد، فكان مشهدًا رائعًا من المشاهد الحقة.

وقد نُعِيَ الشهيد عز الدين القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى ومساجد فلسطين، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب.

وفي اليوم التالي كتب الأستاذ أكرم زعيتر واصفًا الجنازة فقال:

«هل رأيت اليمّ الصخّاب، الجائش الفوّار، المتلاطم الأمواج الموّار، المُرْغي المزبد الهدّار؟ هل رأيت البراكين المضطرمة تقذف الحمم والنار؟ هل سمعت الرعود القاصفة تجلجل؟ هل أحسست بالعواصف العاصفة تتدافع؟ هل رأيت الأتون المستعر المتلظى المتأجج الوهاج؟

إن لم يكن هذا، فسل مَن مشى في موكب الشهداء في حيفا التي دوّت صرختها اليوم في الآفاق، وتصاعد زفيرها إلى أجواء الفضاء.

كل ذلك من أجل عصابة أشقياء!! أستغفر اللّه، بل عصبة شهداء.

يقول البلاغ الرسمي: إنها عصابة من الأشقياء، وتقول الأمة الحية التي

مشت في موكب التشييع: كلا، إنهم أبنائي، وذُوّادي، إنهم مهجي وشهدائي.

وفطن أهل فلسطين إلى الغرض الذي أراده القسام باستشهاده.

وبذلك يكون المجاهد الشيخ عز الدين القسام أول من عمل عملاً مركزًا للثورة وزرع بذور الحقد على الاستعمار البريطاني الغاشم وربيبته الصهيونية، وترك للأمة عشرات المخلصين قاموا بالدور الرئيسي البارز بالثورة الكبرى التي اندلعت في ١٥ نيسان سنة ١٩٣٦م[1] .

وقد أزعج القسام السلطة المنتدبة حتى بعد موته، فقد استدعى مدير المطبوعات أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها، وحظر عليهم كتابة شيء عن القسام، وهدد بمحاكمتهم وتعطيل صحفهم.

ولقد ألقت ثورة القسام ظلاً كبيرًا على المسرح السياسي الفلسطيني، وأصبحت كل محاولة لإقامة تقارب بين الفلسطينيين والسلطات الحكومية محكومًا عليها بالفشل.

وبموت الشيخ القسام انطوت صفحة مجيدة من صفحات البطولة والتنظيم والتخطيط الإسلامي في معارك فلسطين، إلا أن ثورة القسّام لم تمت بموته، بل بقيت منارة لأحرار فلسطين يؤمنون بأنه لا حياة لهم ولا كرامة بدون السير على خط ونهج الثورة في الكفاح والجهاد لإعلاء كلمة اللَّه فوق أرض اللَّه المقدسة، وانطلاقة لهم منها إلى جهاد أعم وأشمل.

❑ قال الشاعر محمد صادق عرنوس:

مـن شـاء فليأخـذ عـن القسـام
أنموذج الجنـدي في الإسـلام

---

(١) «جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن» (ص١٧٧).

وليتخذه إذا أراد تخلصاً
من ذله الموروث خير إمام
ترك الكلام ورصفه لهواته
وبضاعة الضعفاء محض كلام
أو ما ترى زعماءنا قد أتخموا الـ
آذان قولاً أيما إتخام
كنا نظن حقيقة ما حبروا
فإذا به وهم من الأوهام

❑ قال القسام ـ رحمه اللَّه ـ:

«ليس المهم أن نحرر فلسطين في بضعة أشهر، بل المهم أن نعطي من أنفسنا الدرس للأمة، وللأجيال القادمة»[1] .

❑ قال الأستاذ محمد حسن شُرّاب:

«استشهد القسّام فوجدوا في ثيابه مصحفًا، وأربعة عشر جنيهًا. وزعم بعض المؤلفين أن القسّام باع بيته في حيفا قبل خروجه فسألت الأستاذ عبدالرحمن بن محمد الحنفي هل كنتم تمتلكون بيوتًا؟ فقال: إن القسّام لم يمتلك بيتًا، وإنما كان يسكن بيتًا مستأجرًا»[2] .

* إنك واللَّه اليوم أخطب منك حيًّا:

❑ «أجمل وأبلغ ما قيل في أثر استشهاد القسّام[3] في الأمة قول أكرم

(١) «عز الدين القسّام» لشراب (ص٣٠١).
(٢) المصدر السابق (ص٣٠٢ ـ ٣٠٣).
(٣) لا نجزم بالشهادة لأحد إلاّ ما جزم له الرسول ﷺ ونحسبهم شهداء عند اللَّه ونكل أمرهم إلى اللَّه.

زعيتر في يوم جنازة القسّام: «لقد سمعتك قبل اليوم خطيبًا مفوّهًا، تتكئ على السيف، وتهدر من على المنبر، وسمعتك اليوم خطيبًا تتكئ على الأعناق، ولا منبر تقف عليه، ولكنك واللَّه اليوم أخطبُ منك حيًّا».

ذلك أن استشهاد القسّام كان أبلغ خطبة سمعها الناس، فكان للشهادة تأثير دائم، وكانت الشهادة أنشودة الجهاد في جميع المعارك التالية.

وبعد ثلاثة أيام من استشهاد القسّام كتب أكرم زعيتر يقول: «ليس من سبيل إلى الخلاص إلاّ الجهاد الدامي، وقد فتح فقيدنا القسّام الباب فلنلجْه، وإنا لفاعلون، إنها دعوة جديدة أخذت تظهر على ألسنة الناس، ويجهر بها الكُتَّاب، لم نكن نعرفها من قبْل، نفخت في الأمة روحًا لم تكن تفطن لها[1].

❑ وقال عجاج نويهض: «سافر القسّام، وكان جواز سفره الأكبر مصحفًا في جيبه وقلبه».

❑ وقال حمدي الحسيني: «إن القسّام عدّل من هذه القضية ما اعوجّ».

❑ وقال صبحي الخضراء: «إن القسّام قضى على الردّة التي أفسدت على البلد اتجاهه».

❑ وقال أحمد الشقيري: «حاول الإنكليز أن يَصِموا القسّام بإشاعات كثيرة، منها: أن الشيوعيين هم الذين استخدموه. كذبوا كذبوا».

❑ وقال أكرم زعيتر: «بالأمس دفنّا القسّام، ودفنّا معه العدل البريطاني. لماذا التمجيد والتأبين ألأنهم ماتوا؟ كلا، بل لأنهم عرفوا كيف يموتون، وأيّ سبيل إلى الجنة يسلكون، القسّام خاطب العاتي بأفصح لغة، وأكرم بيان، فتح في القضية باب الجدّ، ودقّ بيده المضرّجة باب المجد».

(١) «عز الدين القسّام» لشراب (ص١٠٣).

❑ وقالت جريدة الجامعة العربية بتاريخ ١٩٣٦/١/٣م: «يحتفل أبناء فلسطين بإحياء ذكرى مجاهد من «سوريا الشمالية» سقط شهيداً في سبيل استقلال «سورية الجنوبية»، وليس ذلك فحسب، بل قاد حملة جهاد لعلها الأولى من نوعها في تاريخ الإسلام الحديث في فلسطين وسورية والشرق العربي بأسره».

«يُجمع المؤرخون الذين عاصروا العقد الرابع من القرن العشرين على أن استشهاد القسّام كان المولد، والحياة والقدوة للشعب الفلسطيني في جميع مراحل نضاله، حيث قدّم القسّام إلى الشعب المسلم في فلسطين المثل الأعلى في الجهاد الذي كان ينتظره وألهبت حركته واستشهاده في الشعب الحماس، وصارت مثلاً للجرأة والجهاد العلني ضد الإنكليز. وأجبر أصحاب الاتجاهات السياسية والفكرية على الإقرار بتفوق العمل القسّامي على كل عمل يسبقه، وقوة تأثيره فيما لحقه، ولم يتفق الكُتّاب والمؤرخون على صحة زعامة رجل عمل في الحقل الوطني كما اتفقوا على استحقاق القسّام لقب الزعيم والقائد[١].

❑ وقال أكرم زعيتر في رسالته إلى المندوب السامي في ١٩٣٦/٤/١٩م: «إن شخصًا كالشيخ عز الدين القسّام لا ينتمي إلى عائلة كبيرة، ولا يمت بصلة إلى الزعامات الحكومية، ولم يرشح نفسه لكرسيّ من كراسيها، يتمتع برعاية وتقديس واحترام لا يحلم بمثله أكبر زعيم».

❑ وقال «عجاج نويهض» يصف حال فلسطين بعد استشهاد القسّام: «كانت فلسطين تُولد رُوحيًّا ولادة ثانية. صارت صورة القسّام وحوارييه كأنها آية نجوم سماوية تضيء، لا فلسطين وحدها، بل الرقعة العربية كلها،

---

(١) المصدر السابق (ص٣٠٩ ـ ٣١٠).

اكتسحت نفوس الناس موجة كلها عواصف وزعازع، وزفير كزفير النار. ابن العاشرة استوى في هذه الموجة مع ابن العشرين والثلاثين والأربعين، حتى التسعين فما فوق، النساء أصبحن يحملن الروح القسّامية أشد من الرجال.

◘ وصل تأثير استشهاد القسّام إلى عواصم الأقاليم العربية، وأرسل الدكتور أمين رويحة من بغداد لأكرم زعيتر برقية قال فيها: «لقد أحيا القسّام وإخوانه في نفوسنا الأمل، بعد أن كدنا نفقده، وليتني علمت بعصابتهم قبل الآن، لكنتُ واللَّه أوّل من ينضمّ إليهم، فهذا واللَّه سبيل الخلاص وَحْدَهَ».

◘ وقال المؤرخ عمر أبو النصر مؤرخًا ثورة ١٩٣٦م: «إن الثورة لم تبدأ في نيسان سنة ١٩٣٦م، بل بدأت يوم تشييع القسّام، يوم رأينا حيفا تضطرب في موجة حزن، وتجتمع في نعش ميت، وتخرج بأعلامها وراياتها وآلامها وأحزانها ونسائها وشيوخها وشبابها، تضع هذا كله على بضعة أشبار من الأرض استراح إليها بطل، ضحكت أمانيها على فمه، ولم تفطن إلى عبقريته وتضحيته حتى سقط على أرضها صريعًا، عندئذ فَطِنت إلى عِظَم ما قام به في سبيلها، وكيف أنه نفخ فيها روحًا لم تكن تفطن لها مِن قَبْل. وكذلك جعل اللَّه من جثة القسّام الهامدة وطنًا يُشعِر بالحرية، ويعيد للذكرى التضحيات، بل يَا لَهُ من جسدٍ لم يكد الموت يتلقاه حتى أفاض الحياة على هؤلاء الذين يعيشون على الأرض من غير أن يفطن واحدٌ منهم إلى أضواء الحياة».

◘ **قال القسام:**

«إن الصليبية الغربية الإنجليزية، والصهيونية الفاجرة اليهودية، تريد ذبحكم كما ذبحوا الهنود الحمر في أمريكا، تريد إبادتكم أيها المسلمون، حتى يحتلوا أرضكم من الفرات إلى النيل، ويأخذوا القدس، ويستولوا على المدينة المنورة، ويحرقوا قبر الرسول ﷺ، إنهم يريدون اللعب بأمهاتكم

وبناتكم وأخواتكم وتحويلهن إلى خدم وسبايا!!.

يا ويلكم ألا تفهمون؟ رسول اللَّه ﷺ يقول: إذا ديس شبر من أرض المسلمين، فعلى المرأة أن تخرج بغير إذن زوجها[1] ، وعلى الولد أن يخرج بغير إذن أبيه، أيها المسلمون ألا تفهمون؟

أيها المؤمنون، فرض اللَّه علينا الجهاد ليحمينا به، ليحمي أرضنا وعرضنا، قال تعالى: ﴿**قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة**﴾ لقد ملأ اليهود بلادكم، ولقد سرقوا أرضكم.

ولما حان الوقت المناسب، صرخ القسام من فوق منبر الاستقلال بألوف المسلمين: «باسم اللَّه نعلن الثورة، سأخرج فورًا إلى الجهاد، لن أعود إلى هذا الجامع إلا بعد طرد الإنجليز واليهود»[2] .

وخرج ولم يعد، لا لشيء إلا لأنه سقط شهيدًا».

*** الحمد للَّه الذي شرفني باستشهاد أبي:**

وفي أول مؤتمر نسائي عربي في التاريخ عقد لأجل فلسطين عام ١٩٣٨م وقفت ميمنة ابنة الشهيد عز الدين القسام خطيبة في وفود النساء، وحدث في أثناء إلقائها الخطاب أن غلبها التأثر، وبدرت منها بادرة إغماءة، وكان ذلك التأثر البالغ، يبدو جليًا على العموم، دموعًا أو تصفيقًا، فأجلست، وأحضر الماء لرشه على وجهها وسارعت السيدة ساذج نصار، فتناولت الخطاب، وراحت تكمله بإلقاء موفق، ولكن لم تكد تلقي فقرات منه، حتى نهضت ميمنة، واستعادت وعيها، وتناولت الخطاب في عاصفة

---

(١) هذا في جهاد فرض العين. ليس هذا بحديث، ولكن هذا ما فهمه أهل العلم من النصوص الآمرة بالجهاد إذا أصبح فرض عين. حين يداهم العدو بلدة بعينها فيصير الجهاد فرض عين على أهل تلك البلدة.

(٢) «الإسلام وحركات التحرير العربية» (ص٢١٠).

من التصفيق، واستأنفت إلقاءه ومما جاء فيه:

«هل تسمحن أن تتكلم عربية يا سيداتي، أبوها شيخ جليل، وعالم من علماء الدين، له أنصار وتلاميذ، ألف منهم عصبة كريمة مجاهدة، ومضى بهم إلى أحراش يعبد وروابي جنين.

وهناك وقف في مواجهة جيش الظالمين، وهتف بإخوانه:

اللَّه أكبر، اللَّه أكبر. ثباتًا ثباتًا موتوا في سبيل فلسطين، وما هي إلا ساعة حتى كان أبي وملاذي، الشيخ عز الدين القسام، صريع الظلم والعدوان يخضب دمه عمامته البيضاء، ويسقي شجرة الاستقلال في ثرى فلسطين، وقال التاريخ: عز الدين أول شهيد في الثورة، دق باب الحرية بيده المخضبة بالدماء، فكان استشهاده أستاذًا في الفداء، أما طلابه ومريدوه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً.

نعم، منهم من خاض الغمرات وعشي المعامع، واستبسل في الوقائع، وهو لا يزال في الجبال، والوهاد، في المغاور والكهوف، لم يلق سلاحه، ولم يستسلم، حتى تنجو فلسطين من كيد الكائدين.

أما أنا فلست أقول سوى: الحمد للَّه، ثم الحمد للَّه الذي شرفني باستشهاد أبي، وأعزني بموته، ولم يذلني بهوان وطني واستسلام أمتي»[1].

□ وقال الشاعر عبدالرحيم محمود:

حفي اللسان وجفّت الأقلام
والحالُ حالٌ والكلام كلامُ
إني رأيتُ الحقَّ فَصْل خطابه
يتلوهُ فينا الفيصل الصمصامُ

---

(١) «عز الدين القسّام» لعوني العبيدي (ص٨٨ - ٩٠).

اصهــر بنــارك غُــل عُنْقِــك ينصــهــرْ
وعلى الجمـاجـم تركـزُ الأعـــلامُ
وأقــم على الأشـــلاء صَـرْحَك إنـمــا
من فوقهـا تُبنى العُـــلا وتُـقـــامُ
وخـــذ الحقـــوق إليك لا تَسْتَجْدِهـا
إن الألي سـلبـوا الحقـــوقِ لِئـــامُ
هـذي طريقـك للحيـاة فـلا تَـزِغْ
قـد سـارهـا من قبلك «القسّـام»
ذاك الـذي هـجـر الكـلام لِفَتْـكَةٍ
بِـكْرٍ وهــلْ فـكُّ القيـــودَ كـــلامُ؟

* **هذا عزّ الدين فماذا قال الساسة:**

«في سنة ١٩١٩م جاءت إلى اللاذقية لجنة من الأمريكيين لاستفتاء الناس في شأن مصيرهم، واختيار دولة تكون وصية عليهم فشخص وفد من جبلة لمقابلتها، وكان الشيخ من أعضائه، وعندما سُئل عن رأيه جهر بالقول: لا وصاية، ولا حماية، فقال رئيس اللجنة: نعتقد أنكم لا تستطيعون إدارة أنفسكم، وحماية بلادكم، فردّ الشيخ قائلاً:

«إننا نستطيع، وليس غيرنا أقدر منا على ذلك، ولدينا قوّة لا يملكها سوانا»[1].

وأخرج المصحف من جيبه وقال: هذه قوّتنا».

◻ وبعد ستة أيام من موت القسّام اجتمع ممثلوا الأحزاب السياسية مع

(١) «عز الدين القسّام» لشراب (ص٣٧٠).

المندوب السامي وقدّموا له مذكرة جاء فيها: «إنهم إذا لم يتلقَوْا جوابًا عن مذكرتهم، يكونُ مُرضيًا فإنهم سيفقدون كل ما يملكونه من نفوذٍ على أتباعهم، وعندئذ تسود الآراء المتطرّفة غير المسؤولة، وتتدهور الحالة سريعًا»[1].

فجعلوا الخوف على النفوذ والمراكز دافعًا لتحقيق المطالب، وجعلوا إعلان الجهاد بالسلاح سلوكًا متطرفًا!!

*** شِنْشِنة أعرفها من أخزم[2] :**

قد أعاد التاريخ نفسه بعد ستين عامًا، فسَرَت هذه «الشِّنْشِنة» من أخزم إلى أولاده، فما زلنا نسمع العبارة نفسها من المفاوضين والرؤساء، والقوّاد «إذا لم تعطونا ـ الأقل من القليل ـ ساد المتطرفين والإرهابيون» فعدَّ أبناء أخزم المطالبة بفلسطين كلها تطرفًا وإرهابًا.

* * *

(١) المصدر السابق (ص٣١٤).

(٢) مثل عربي. والشنشنة: الطبيعة والسجيّة، وكان أخزم عاقًّا لأبيه، فمات وترك بنين عقّوا جدّهم وضربوه، فقال الجدّ ذلك.

من بلد الرشيد بلاد الرافدين: دجلة والفرات

كان الشيخ الزهاوي

*** العلاّمة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي شيخ علماء العراق المعاصرين:**
(١٣٠٠ - ١٣٨٧هـ)

أيام الاحتلال الإنجليزي للعراق قامت الثورة عليهم، وكان الشيخ ضاري - رحمه اللَّه - شيخ مشايخ عشائر زوبع في لواء الدليم خصمًا سياسيًّا بارزاً للإنجليز، وهو - رحمه اللَّه - على جانب من الإيمان والشجاعة في الجهاد ضد الإنجليز حتى في معارك الكويت الضارية إلى جانب الجيش العثماني المسلم، وهي معارك ما يزال يئن من وطأتها تاريخ الحرب البريطانية حيث أسر فيها الجنرال الإنكليزي «طاوزند» وبعد تغلّب الإنكليز وسيطرتهم على العراق عيّنوا إنكليزيًّا وقحًا شرسًا، خبيثًا مجرمًا حاكمًا للواء الدليم مستقر الشيخ ضاري وعشائره الشجاعة المجاهدة وهو الكولونيل «ليجمن».

وفي أول لقاء بين الشيخ ضاري - رحمه اللَّه - وهذا الإنكليزي المجرم القذر التفت «لجمن» إلى الشيخ ضاري وبادره بقوله: ها.. شيخ ضاري. أين أصحابك الأتراك؟

فقال الشيخ: لا أدري فقد ذهبوا حيث ذهبوا.

فقال لجمن: لا تدري؟ أنا أعلمك بخبرهم.. لقد تركناهم كالأرانب بين الشجر. وسكت الجميع.

وبعد ذلك أخذ لجمن يزور الشيخ ضاري في مضيفه وكان يحرص أن يسرد على مسامع الحاضرين قصص غزواته الشجاعة وكيف كان يذبح المتمردين العرب بشراهة وقوة وتبجح، وهم الثائرون المجاهدون ضد الإنكليز

ـ يغيظ بذلك الشيخ ضاري ومن كان في مجلسه.

□ وفي إحدى هذه الزيارات برزت عزة المؤمن وأشار إلى ولده البطل الشجاع الشيخ خميس بن ضاري، وبعد خروج هذا الإنكليزي، الشرس القذر أفرغ الشيخ خميس المؤمن الشجاع عدة رصاصات من بندقيته فيه فأراده قتيلاً، يتخبّط في دمه، وقامت قيامة الإنكليز، كيف يُقتل الكولونيل «الجمن» وهو الحجر الأساسي لهذا الاستعمار، وخرج الشيخ ضاري ـ رحمه اللّه ـ إلى سورية ونجا هو وأولاده، وقامت المظاهرات الصاخبة في بغداد وأرجاء العراق تشيد بالشيخ ضاري وبوطنيته وشجاعته، ومما كانوا يهتفون به «هزّ ضاري لندن وأبكاها» ولكن مؤامرات الإنكليز استمرت تلاحق الشيخ ضاري حيث استطاعوا بواسطة سائق سيارة أرمني جاسوس عندهم أن يخدع الشيخ ويحمله إلى بغداد بسيارته، وكان مريضًا فأدخلوه المستشفى وحاكموه، وطلبوا له المحامي حسب أنظمتهم فأبى الكثيرون وتقدّم المؤمن الصادق الشيخ أمجد الزهاوي المحامي الحرّ وتولى الدفاع عن الشيخ ضاري ولم يبال بالإنجليز ولا بأذناب الإنكليز. وهذا أحد المواقف الشجاعة التي يذكرها التاريخ العراقي لشيخ العراق وعالمه المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي ـ رحمه اللّه ـ وأسكنه فسيح جنّاته[1].

* * *

---

(١) انظر «العلامة المجاهد الشيخ أمجد الزهاوي» لمحمد محمود الصوّاف ص(١٣ ـ ١٥) طبع دار الاعتصام.

*** إرادة اللَّه فوق إرادة الملك :**

❑ يقول الشيخ محمد محمود الصوّاف:

«وموقف آخر ذكره لي فضيلة الشيخ عبدالقادر حتاتة ـ رحمه اللَّه ـ خطيب مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان في الأعظمية والرجل الصالح الكريم، قال لي ـ ونحن نتحدث عن قوة الشيخ في الصراحة في الحق ـ:

لقد طلبوا أمرًا من الشيخ أمجد أرادته الحكومة فأبى وهو رئيس في مجلس التمييز الشرعي؛ لأن الأمر الذي طُلب منه مخالف للشريعة، وأخيرًا ذهب إليه مسئول كبير وبلّغه رغبة الملك فيصل الأول بذلك فقال الشيخ: «إرادة اللَّه فوق إرادة الملك» ورفض الطلب»[1] .

*** الشيخ الزهاوي يراسل ملوك المسلمين ورؤساءهم مطالبًا لهم بتطبيق شرع اللَّه :**

كانت أولى هذه الرسائل والمذكرات رسالته إلى الملك محمد الخامس ملك المملكة المغربية وسلّمها له بيده عند لقائه به هو والشيخ محمد الصواف في قصر سلطانه في المدينة المنورة في يوم ٢٦ رجب سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٤/ ١/ ١٩٦٠م وهذا نصّها:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

حضرة الملك المعظم محمد الخامس ملك المغرب أسعده اللَّه وأسعد به المسلمين.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد:

إن الواجب اليوم على كل مسلم ومسلمة أن يفكر في الحالة الراهنة

(١) المصدر السابق ص(١٥).

ومصير الإسلام فإن الجيل الحاضر قد انتشرت فيه الردة والداعون إليها في عمل مستديم وتعاون على محو الإسلام وهو الآن جار على حسب خططهم في كافة البلاد الإسلامية فلا بد من صيحة بالمسلمين لينتبهوا أمام هذا التيار الجارف إن المسئولية عن سير الحالة أصبحت عامة ولكنها درجات أولاً تقع على عاتق الأمراء ثم على العلماء، ثم على قادة الرأي والرؤساء، ثم على كافة المسلمين. فحماية الدين والدفاع عنه لم تكلف به الملائكة بل نحن المكلفون به فعلى قدر ما ينكب المسلمون في دينهم تعظم عقوبة المتقاعدين عن نصرته. أما المسارع إلى نصرته فإن اللَّه آخذ بيده وناصره لا محالة. وقد كفل ذلك بقوله عز من قائل: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾ واللَّه لا يخلف الميعاد.

إن الذي يجب البداءة به من أمراء المسلمين بسرعة فائقة وعزيمة صادقة.

أولاً: إشغال المراكز الحساسة عسكرية أو إدارية بالأقوياء من المؤمنين الصادقين ولا تخلو البقاع منهم ولا يشترط فيهم أن يكونوا خريجي مدارس بل اجتناب هؤلاء أولى فإن أعاظم رجال التاريخ لم يستصحبوا في أعمالهم العظيمة سوى مقدرتهم الفطرية ومعلوماتهم من أدوار التجارب التي تمر بهم في أعمالهم.

ثانيًا: الحكم بموجب الشريعة الإسلامية وإلغاء القوانين التي هي أحكام جاهلية وأن يعين للقضاء رجال الدين.

أن المتجددين يزعمون أن ليس في الأحكام الشرعية كفاية وقد كذبوا فإن القوانين الغربية لا تقاربها في الدقة والعدالة علاوة على أن الشعب يدين بحقيتها فهو قد ارتضاها بصفته مسلمًا وأعدل حكم في نظر الطرفين ما يرتضيانه ويعتقدان عدالته لكن المتجددين يستنكفون من الشرائع ومن كل قديم وذلك كفر مضاعف وفيهم تفسير الآية الكريمة ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ**

اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

إن القوانين المدنية والجزائية إنما تراد لنتائجها وليس في الدنيا بقعة أرض هي آمن من البلاد السعودية بفضل تطبيقهم للشريعة والدعاوى المدنية تحسم فيها في أوجز وقت والطرفان يرضيان بالحكم ويعتبرانه عدلاً. وأفضل الأحكام ما له هذه النتائج.

إن تسليم الإدارة لغير المعروفين بالديانة متعبة للملوك؛ لأن همهم أن يكيدوا صاحب السلطة ليتخلصوا من كل قديم وقد قيل: «مقرب أعدائه قاتل نفسه».

ومن الخير العظيم أن تسعوا في حلف إسلامي ينتعش به المسلمون بواسطة بعثة علمية أكون أحدهم أو بغير ذلك من التدابير التي ترونها. وأظن أنه سيستجيب لهذا الحلف ملك ليبيا وملك السعودية وملك الأردن وغيرهم ممن كتبت لهم السعادة وسيكون هذا الحلف الإسلامي الخالص مباركًا وحصنًا للإسلام والله الموفق.

محمد محمود الصواف
من علماء العراق وعضو المكتب
الدائم للمؤتمر الإسلامي بالقدس

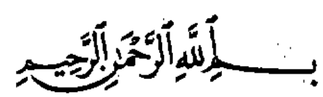
أمجد الزهاوي
رئيس رابطة العلماء في العراق

❑ يقول الشيخ محمد الصوّاف في كتابه عن «الشيخ أمجد الزهاوي» ص(١٣٧ ـ ١٥٤): في أوائل شهر رجب سنة ١٣٧٩هـ تركت دمشق متوجهًا إلى المدينة المنورة لألتحق بشيخنا وأستاذنا أمجد الزهاوي ـ رحمه اللَّه، وهناك سكنَّا في غرفة واحدة قريبة من مسجد النبي صلوات اللَّه وسلامه عليه. وبعد بضعة أيام رأينا أن نواصل الجهود والعمل ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. ثم قررنا أن نرفع مذكرات ونداءات للملوك والرؤساء لعل اللَّه عز وجل أن ينفع بها، ونكون قد أدينا بعض واجب الدعوة والتبليغ. وإن كنا في هجرة وبعد عن وطننا وبلادنا. فالوطن الإسلامي بفضل اللَّه كله وطننا، وهذه المدينة المنورة هي دار الهجرة والمهاجرين، ومنها انطلق النور وانطلقت الدعوة، وانطلقت جيوش الفتح تحمل النور والهداية للعالمين.

وبعد قرارنا هذا تفرغ الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ لكتابة هذه المذكرات، وبعد الانتهاء منها توجهنا إلى جدة، وقابلنا سفير ليبيا، وسلمناه مذكرة للملك المؤمن محمد السنوسي ـ رحمه اللَّه. وكذا قابلنا سفراء باكستان والسودان ومصر، والأردن والمغرب، وتونس والجزائر وغيرهم من سفراء الدول الإسلامية حيث حملناهم الأمانة وسلمانهم الرسائل ليبلغوها كل إلى مرجعه=٣ ودولته.

أما رسالة الملك سعود ـ رحمه اللَّه ـ فلم يكن في جدة فأخرناها لنسلمها له باليد. ثم غدنا إلى المدينة المنورة بعد أن مكثنا في جدة قرابة عشرة أيام.

رسالة الملك سعود



حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم أيده اللَّه سبحانه وتعالى بما

يؤيد به أولياءه.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

إن اللَّه عز وجل قد استودعكم إمارة المسلمين وإن لهذه الوديعة لا سيما في هذه الظروف شأنًا عظيمًا لا يقدر قدرها إلا العالمون فالجو مظلم من جميع الأرجاء وقد أحاطت بنا علل قتالة من إلحاد وبلشفة تتدفق من كل صوب كالسيل الجارف، واليهود على مقربة من الأماكن المقدسة وقد كمنت فيها عصارة قوة الغربيين لجعلها مركزًا لاحتلالهم البلاد الإسلامية عند زوال التوازن بين الكتلات المتقابلة، أو تقسيمها عند التقارب بينهما ويدل هذا الكمون بوضوح اندفاع اليهود على الجيش المصري بصورة لم تمكنه من لم شعثه في الهزيمة فأحس الروس أنه بعد بضعة أيام ستصبح أفريقيا بيد الغربيين غنيمة باردة دون عناء فهدد بإعلان الحرب إذا لم ينسحبوا فأرغموا على الانسحاب واكلين الأمر إلى فرصة أخرى ومع كل ذلك لا يجوز لنا وليس من المعقول الاستسلام لليأس فقد قال النبي ﷺ: «**من قال هلك الناس فهو أهلكهم**»، أي: بإدخاله اليأس على قلوبهم وكيف يساورنا اليأس واللَّه عز من قائل يقول: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾، ويقول: ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، ولكن لا ينبغي لنا أن نأمل النصر الموعود إلا بعد إحكام الشرط المشروط، وذلك نصرة اللَّه سبحانه وتعالى باتباع أوامره فقد جرت سنته في الكون بترتيب المسببات على الأسباب فمن لم يزرع لم يحصد ولكن من زرع القليل حسب مكنته ربما يحصل على كثير لم يكن في الحسبان بفضل اللَّه وبركاته، فعلينا الإقبال على ما أمرنا اللَّه سبحانه وتعالى به بكل وسعنا على التفكير وإعداد القوة وليكتب العامل منا على باب غرفة عمله الحديث الشريف «من استوى يوماه فهو مغبون»[1]، فإذا رآنا اللَّه

(١) حديث لا يصح.

سبحانه وتعالى قد صدقنا الجد ومحضنا النصح لله ولرسوله وللمؤمنين عمنا برحمته كما قال فيمن امتحنهم من الأمم السابقة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

«ما تجب معالجته بادئ ذي بدء»

أرى أن أول ما يجب عمله نظرًا للحالة الراهنة السعي في إنشاء حلف إسلامي بدلاً من الرابطة العربية التي تذكرنا بعهود الغساسنة والمناذرة حين كانوا يسامون الخسف والهوان تحت سيادة المستعمرين.

وإشادة بذكر ملوك الإسلام التي دانت لهم بقاع الأرض وكانت لهم السيادة على الربع المسكون كما يقول ابن حزم واستمر لهم ذلك الأجيال المتطاولة إلى عهد ليس ببعيد أن هذا الحلف يجعل المتحالفين كتلة واحدة في الدفاع عن الإسلام، ولكي تسري فيه الروح الإسلامية ويكون له مفعول قوي يشترط على الداخل فيه أن يلتزم أحكام الشرع ويتقيد بشعائر الدين حتى يستثار بذلك شعور المؤمنين فتتعالى أصواتهم وتتجاوب من كل مكان ويعلم العالم الإسلامي أن الله سبحانه وتعالى بعث إليهم من يجدد دينهم فيبتسم لهم الأمل وينشطون من الخمول وتصبح لهم نفوس فعالة قديرة على محافظة دينهم وحراسة زعمائهم الذين يتولون تنظيم سعادتهم، وهكذا على مجرى الأيام تزداد فيهم عزيمة الدفاع والشعور بالواجب الديني فتسموا نفوسهم كما سمت نفوس آبائهم بالسلاح المعنوي وهو يفوق السلاح المادي بما لا يتقارب وعليه الاعتماد عند الشدائد ويقول علماء الاجتماع: إن توسع الأمم يمتد على قدر تعصبهم للمبدأ الذي يوحدهم وانتصارهم له ومن هنا نعلم أن انتشار الشيوعية واستطارتها في الأقطار ذلك لاستماتتهم حول مبدأهم والمسلمون أشد انتصارًا للإسلام من الشيوعية لمبدئهم.

ولكن أمراءهم أساءوا إليهم حين جردوهم من مبدئهم الحقيقي فأماتوا

فيهم هذه الغريزة واستبدلوا بها القومية والوطنية التي لا يتحسس بها المسلمون تلوكها ألسنتهم إطاعة لأمرائهم وليس لقلوبهم منها شيء.

حتى صاروا أجسامًا بلا أرواح، لا يثبتون أمام العواصف، أما وقوف الأتراك في الحرب العالمية الأولى حين تألبت عليهم وعلى حلفائهم الغربيين بأسلحتها الفتاكة حتى استسلمت لهم ألمانيا بلا قيد ولا شرط وقد كانت أكبر دولة حربية واضمحلت النمسا التي كانت أم الأوربيين ذلك لأنهم كانوا تربية المرحوم[1] السلطان عبدالحميد وقد كان مؤمنًا فكانوا يذكرون اللَّه سبحانه وتعالى عند هجماتهم وضد أعدائهم فلم يرزءوا من بلادهم شيئًا وذلك بفضل - ما كانوا عليه من الإيمان، أما الآن وقد شطت بهم أمراء السوء وأنسوهم الذكر فلا يعرف مصيرهم إذا عصفت بهم العواصف.

«كيفية تنظيم الحلف»

إذا كان للرأى العالي فيه جبهة فهناك التوفيق إن شاء اللَّه وإن أمرنا بمعالجة المقترحات فأنا أذهب مع الصواف ومن أردتم أن يصحبنا بكتاب منكم إلى من تؤمل منه الإجابة أولاً فنعرض عليه هذا الرأي وندعمه بما يفتح اللَّه علينا من البينات فإذا اقتنع بهذا الرأي حصلنا منه على كتاب معتمد يكون معنا للذهاب إلى آخر وهكذا إلى أن يتم عدد الذين يرغبون في الدخول بالحلف أولاً فيصبح بسلاحه المادي والمعنوي وعزائم ملوكه حصنًا حصينًا ومعقلاً جليلاً مهابًا تستشرف له النفوس ويأوي إليه الملوك للاعتصام به عند النوازل وما أقربها نظرًا لما تنذر به الأحوال المشاهدة، فرحم اللَّه سبحانه من أسس هذا البنيان له ولمن استرعاه اللَّه وهو سائر بهم إلى ساحل السلام الشاطئ الأيمن المبارك فطوبى له ولمن سار في ركابه واللَّه ولي التوفيق.

أمجد الزهاوي

---

(١) لا يجوز الجزم بالرحمة ودخول الجنة لأحد ولا نقطع بذلك إلا لمن سمّاه الشارع.

سلمتها بيد الملك سعود في طريق الطائف عند افتتاح الطريق الجديد طريق جبل الهدى.

٢٨ رمضان سنة ١٣٨٠ ـ محمد الصواف.

رسالة الملك إدريْس السّنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ملك ليبيا المعظم أسعده اللّه وأسعد به المسلمين.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته وبعد:

فإن الحالة الراهنة توجب على كل مسلم ومسلمة التفكير والتعاون على مقاومة الإلحاد والإباحية والازدراء بالشرائع السماوية في جميع الأقطار وهي سائرة على الخطط المرسومة من جماعات تعاونت علي كيد الإسلام للتخلص منه ومن كل قديم وعلى نسبة خطورة الحالة تقع المسئولية على عاتق كل مسلم ومسلمة على اختلاف درجاتهم فيها.

فأولاً: على الأمراء؛ لأن القيادة في أيديهم ويملكون من توجيه الأمة ما لا يملك غيرهم، والمؤاخدة على قدر المقدرة، وقد كتب النبي ﷺ لعظيم الروم أنه إذا لم يستجب إلى الإيمان فإن عليه إثم الأريسيين.

وثانيًا: العلماء؛ لأنهم المرشدون للأمة ومسموعو الكلمة فيهم وبصلاحهم تصلح الأمة.

وثالثًا: أولو الرأي والأشراف فلهم من نفوذ الكلمة ما ليس لغيرهم.

ورابعًا: العامة ولن يعفى المسئولية أحد من المكلفين.

لهذا نرى أن نستنجد بكم لمكانتكم ومكانة أسلافكم من الدين، فقد

جمعتم بين الحكم والعلم والإرشاد، والتدابير العاجلة التي يجب المسارعة إليها هي:

١ ـ إعلان إجراء الأحكام الشرعية في البلاد فإن مركز الإسلام يتقوى بذلك وبه يحصل الوئام بين الراعي والرعية وخير ما تحكم به الأمة الأحكام التي تعتقد عدالتها، والشعب المسلم لا يرى العدالة إلاَّ فيها، على أن القوانين إنما تراد لنتائجها وهي الأمن وفصل الدعاوى بسرعة وبصورة يرتضيها الطرفان، وذلك ظاهر من تطبيق الأحكام الشرعية في البلاد السعودية فليس في الدنيا بقعة أرض تماثلها في الأمن بفضل تطبيق الشريعة فيها كما أن المسائل الحقوقية تفصل بكل سرعة ويتلقاها المتخاصمان بالقبول.

٢ ـ إشغال المناصب العالية والحساسة بالمعروفين بالديانة والتضحية في سبيل الإسلام من أولي القوة دون انتقائهم من خريجي الجامعات المشبعة أرواحهم بما لا يوافق نفوسنا. فإن قوة الإرادة بقوة الروح وما عليه التجارب أثناء السير في الأعمال وهو المعروف عن عظماء الرجال المخلدة أعمالهم في صفحات التاريخ ولم يؤثر على أحدهم استمداده العون من الكتب، فقوة الإرادة بالروح القوية والعزيمة الصادقة والعقل الفطري المتكامل بممارسة الأعمال.

٣ ـ تقريب العلماء المشهورين بالصلاح والإكثار من الاستعانة بهم حتى يتمكنوا من توجيه الناس بالوعظ والإرشاد إلى واجباتهم الدينية التي منها حث الناس على إعداد القوة والالتفاف حول السلطان ومحافظته وتنفيذ أوامره المشروعة كما يأمر به الشرع الشريف؛ لأنه مصدر قوة المسلمين فعليهم محافظته ومؤازرته وعدم الخروج عليه حسب وصية النبي ﷺ فيهم ما لم يروا منهم كفراً بواحًا.

٤ ـ الإقلال من مدارس المعارف وعدم السماح بامتدادها إلى الأرياف

والسيطرة عليها بأن لا يندس بين رجال التعليم مجهول لا تعرف عدالته وعلى الكتب التي تدرس فيها وإلزام الطلاب بإيفاء شعائر الدين وطرد من يؤنس منه التهاون بها وتوزيع الإدارة فيها إلى رجال مشهورين بالصلاح وإعطائهم الصلاحية التامة في شئون الإدارة لما يجب عمله لمحافظة المدرسة من دخول الآراء الهدامة فيها، فإن مكروبًا واحدًا منها كاف لهدم صرح المملكة والحكم وفي سقوط حكومة المرحوم عبدالحميد في تركيا وفي مصيبة بغداد الحاضرة عبرة لمن اعتبر فالتساهل في ذلك إلقاء النفس في تهلكة الدنيا والآخرة وتعريض المملكة إلى الضياع فلم تؤت الممالك الإسلامية إلا من قبل المدارس «من ها هنا يطلع قرن الشيطان»، ولهذا أرى الأوفق الإقلال من الصفوف النظرية واستبدالها بمدارس صناعية إنتاجية تدر الخير على البلاد.

وفقكم اللَّه لسعادة المسلمين وعمر قلبكم بالالتجاء إليه سبحانه وتعالى والتوكل عليه وطرد عنكم الضعف واليأس مهما جابهتكم الخطوب العظام، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾، وقال عز من قائل ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾...

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

أمجد الزهاوي
رئيس رابطة العلماء في بغداد
ورئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
١١ شعبان ١٣٧٩هـ
٨ يناير ١٩٦٠م

رسالة رئيس جمهورية باكستانْ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السيادة رئيس جمهورية باكستان المعظم.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، وبعد:

فإن ما شاع عنكم من رجاحة العقل وسمو التفكير وقوة الإرادة وحب الإسلام دعاني إلى التعاون معكم في بيان عوامل الانحطاط ووسائل الترقية والرجوع إلى القوة التي لم تفارق المسلمين إلا من عهد قريب حينما أضاع حكامها استقلال الرأي ورفعوا على رءوسهم علم المغلوبية ألا وهو التقليد، فإن الأمة المغلوبة شأنها أن تتشبه بالغالبة.

إن عوامل الغلبة بالدرجة الأولى لا تركز على القوى المادية بل على الأمور المعنوية وذلك بشدة التمسك بالمبدأ الذي يوحدهم والدفاع عنه وقد ذكر علماء الاجتماع أن قوة الحكومة واتساعها على نسبة تعصبها للمبدأ الذي تحتضنه وتمسكها به. وقد تجلى ذلك في الشيوعية فإن قوتها المشاهدة تستمد من تغلغل مادتها في نفوسهم وذلك سر انتشارها واتساعها في أقطار الأرض. إن المسلمين أشد اعتزازاً بدينهم ودفاعًا عنه من الشيوعيين بمبادئهم ولكن في الآونة الأخيرة صار حكامهم ينتزعون منهم هذا المبدأ بوسائل مختلفة مستعيضين عنه بمبادئ القومية والوطنية اتباعًا للغربيين، والمسلمون لا يتحمسون لهذه المبادئ الاصطناعية التي لا تتعدى ألسنتهم وليس لها أي مفعول في قلوبهم فقد سلبوهم المبدأ الحقيقي دون أن يحل محله آخر فصاروا أجسامًا خاوية وأفراداً متفرقين لا تجمعهم جامعة فكان ضياعهم في أقطار الأرض وفقدانهم عزهم أمراً طبيعيًا حتى قال بعض من لم ينظر في التاريخ من الغربيين في تعليل ما أصيب به المسلمون من الضعف والهوان: قد غرٍّ

هؤلاء دينهم حيث يأمرهم بالتوكل على اللّه في أمورهم وترك الوسائل والأخذ بالأسباب ونظرة بسيطة في التاريخ ترينا قصر نظر هؤلاء حيث لم يمتد إلى ما قبل الحالة الراهنة حتى يروا سيادة المسلمين على ربع المسكون طيلة القرون الماضية وإذا أصابتهم مغلوبية في بعض الأقطار فإنما هي موضعية كنكبة الأندلس في الوقت الذي سقطت فيه إمبراطورية الروم بسقوط القسطنطينية وكانت السيادة في أوربا آنئذ للعثمانيين وكذلك فتنة التتار التي لم تقف أمامها دول الغرب قد صدت من قبل عساكر مصر والشام وبعد ذلك دخلوا في الإسلام وكيف تصح نسبة ترك الأسباب لهم وهم يقرأون في القرآن ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾.

فقد أمرهم القرآن بإعداد القوة بمنتهى الوسع وما بعد المنتهى غاية، والتاريخ يذكر أن معداتهم الحربية في عامة حروبهم كانت تتفوق على معدات خصومهم وإنما السبب الحقيقي ما ذكرنا من إضعاف المبدأ الذي يحاربون من أجله وذلك الإسلام وهو سلاحهم المعنوي، وهو أقوى من كل سلاح مادي.

إن الجيش العثماني كان في الحرب العالمية الأولى مربىّ تربية إسلامية فقد كان تربية المرحوم السلطان عبدالحميد وهو كان مسلمًا صحيح الإسلام، فاستطاع هذا الجيش أن يقف بوجه الحلفاء وحده حينما سلمت ألمانيا دون قيد أو شرط نزولاً على حكم الأعداء واضمحلت النمسا غير أن العثمانيين بقوا في النضال ست سنوات ولم يخسروا من بلادهم سوى البلاد العربية التي خرج عليهم زعماؤهم بإغراء الأعداء فالرجوع إلى القوة هو الرجوع إلى الإسلام وذلك بنشر تعاليمه وتطبيق أحكامه وحمايته عن المبادئ المناقضة له. فإذا قامت بذلك دولة من دول الإسلام لا سيما إذا كانت مثل دولتكم في اتساعها وكثرة الأفراد ووفرة الإمكانيات فيها من كل ما تتطلبه أسباب الغلبة كان النجاح مضمونًا ورجعت القوة الإسلامية كما كانت وعاد النصر حليفهم

وهكذا يعلو شأنهم حتى يصبحوا كتلة ثالثة في العالم الحاضر. فالمسلمون اليوم وعددهم نحو من خمسمائة مليون في انتظار ذلك الزعيم المسلم الحق الذي يودعه اللَّه أمر هذه الأمة فينصب لها علمًا تلتفت حوله حتى تحتل به مكانتها الأولى.

إن هذا الانقلاب الخطير لا يكلف أمرًا عظيمًا فإن قوامه بأربعة أمور:

١ ـ أن يعلن إجراء الأحكام الشرعية في الدولة وإظهار الشعائر الإسلامية بكل معناها.

٢ ـ أن توسد المراكز العليا للمعروفين بالديانة والنصح للمسلمين من أولي القوة.

٣ ـ أن توسع دائرة الوعظ والإرشاد سيما بين الجنود ومدارس المعارف حتى يتكون في الدولة جيل صالح يقوى على مجابهة الأخطار.

٤ ـ أن تكون مدارس المعارف تحت مراقبة تامة في انتخاب المدرسين والدروس وإلزام الطلاب بإيفاء واجباتهم الدينية.

إن إنجاز هذه الأربع في غاية اليسر. أما الأولى فإن الشعب مسلم لا يعتقد شيئًا من القوانين الوضعية يسامي أحكام الشريعة وبصفته مسلمًا راضيًا بها ومعتقدًا بصحتها وضحى في سبيلها، وأفضل الأحكام هي التي يرتضيها الطرفان المتحاكمان. هذا من الوجهة النظرية، أما من الوجهة العملية فإن لها أثرًا عظيمًا في الغاية التي تراد من أجلها القوانين فإنها إنما تراد لنتائجها وأثر الأحكام الشرعية في المملكة السعودية ظاهر للعيان فلا توجد في الأرض بقعة تماثلها في الأمن وسرعة الفصل في القضايا وذلك بفضل تطبيق الأحكام الشرعية فيها فلا تتكدس فيها الإضبارات فتشغل الحكام عن سرعة الإنجاز ويتمتع الظالم بظلمه مدة بقاء الدعوى تحت نظر الحكام فيتكاثر الظلم لتلك الغاية. وأما البواقي فإنها من حق تصرفات الحكام الاعتيادية، وقد كان في

السابق يمولها المتجددون الذين لا يرتاحون لكل قديم ويحتجون بمعارضة حلفائنا للرجوع لأحكام الشرع كما كانت عليه أسلافنا.

أما الآن فإن خطر الشيوعية قد جمع بيننا وأزال تلك الفوارق فإن بناء التحالف على القوة ولن تتجلى قوة المسلمين إلا باتباع مبادئهم فأي غرض للحليف في إضعاف قوة حليفه التي عليها بنيت المحالفة في ظروف خطيرة فإن غلطة واحدة ربما أدت إلى زوال الجميع من خارطة العالم إن هذا لا يتصور أن يقدم عليه عاقل. إن الخطر قد أحاط بالعالم وإننا الآن في الخط الثالث والساقط في الحرب القادمة لا يرجى له قيام وإنا لنأمل أن تسيروا بالمسلمين لا بباكستان وحدها إلى شاطئ السلامة الشاطئ الأيمن المبارك، فإن في الأوساط الإسلامية والتطورات الاجتماعية استعداداً لذلك ولا بد أن ينبثق نور السعادة من نقطة فطوبى لتلك النقطة التي تكون منبعًا لسعادة العالم.

ونحن ندعو اللَّه سبحانه وتعالى أن تكون تلك النقطة ولا يحتاج الأمر إلا إلى إرادة قوية وعزيمة صادقة وذلك معهود فيكم فما الإصلاحات التي قمتم بها هي الغاية نظرًا للعزيمة القوية التي منحكم اللَّه إياها بل نأمل أن تكون هذه في طريق الغاية التي هي أسس من كل ما خلده التاريخ لعظماء الرجال، فامضوا على بركة اللَّه فستخدمكم الصدف وتنقاد لكم الأمور ويحالفكم النصر، قال اللَّه سبحانه وتعالى ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾ لا يخلف اللَّه وعده.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

أمجد الزهاوي
رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
ورئيس رابطة العلماء في بغداد
١٠ شعبان ١٣٧٩هـ
٧ يناير ١٩٦٠م

*** باكستان في نظر الزهاوي:**

في حديث للشيخ الزهاوي مع مجلة الأخوة الإسلامية في عددها ٢١ الصادر في بغداد ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٧٣ الموافق ٤ أيلول سنة ١٩٥٣ سُئِل ـ رحمه اللَّه ـ: ما رأيكم في وضع الباكستان الحاضر؟ أجاب سماحته:

«إن قيام دولة الباكستان وانفصالها عن الهند كان على أساس ديني؛ لأن الأكثرية الساحقة من سكان الباكستان من المسلمين ولذا فقد كان من المنتظر من الحكومة الباكستانية أن ترعى الإسلام رعاية تامة وتؤازر كل حركة إسلامية صحيحة تهدف لإعلاء الإسلام ونصرة المسلمين، ولكن الذي فهمناه وأيّدته الوقائع أن الحكومة قد تنكّرت لزعماء الحركة الباكستانية بل تنكّرت للإسلام وهذا خطر عظيم إذا كانت الأمة في جانب والحكومة في جانب آخر، ويعظم هذا الخطر عند الشدائد والمحن. ولا شك أن الباكستانيين يعلمون أن انفصالهم عن الهند كان على أساس ديني وإلاّ فهم قوم واحد فإذا تنكرت الحكومة للإسلام ازداد تأثير المسلمين في الباكستان ونقموا على الحكومة وامتلأوا غيظًا وحقدًا لمن تنكّر للإسلام ولمن فصلهم عن أبناء جنسهم.

نسأل اللَّه أن تتعظ الحكومة الباكستانية وتدرك هذه النقطة الحسّاسة فترعى الإسلام وعلماء الحركات الإسلامية الذي يعلم اللَّه وتُشهدُ العالم أن الباكستان لو لم يكن الإسلام لما وُجِدت دولة في القارة الهندية يُطلق عليها الباكستان.

إني لأحذر الحكومة الباكستانية من الاستمرار في غيّها خشية النقمة عليها من مسلمي الباكستان الذين يقرأون الحديث الشريف **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»** سدّد اللَّه أولي الأمر إلى الطريقة المثلى التي تحفظ كيان دولة الباكستان لأن الاحتفاظ بالشيء أصعب من الحصول عليه»[1].

(١) المصدر السابق ص(١٦٨ ـ ١٦٩).

رسالة رئيس جمهورية السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فخامة رئيس جمهورية السودان المحترم.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد:

فإن النفوس الكبيرة تجابه المستقبل بالحزم، والأعمال بقوة العزم، وتقابل النعم بالشكر. وقد اختاركم اللَّه سبحانه وتعالى لقيادة الأمة السودانية التي هي من خيرة الأمم الإسلامية وجهزكم بما تحتاج إليه القيادة الرشيدة في الصفات كما جهز شعبكم من المناعة بما يصد عنه كل عدوان. فشكر هذه النعم يتم بمقابلة صرف هذه المواهب في سبيل سعادة الشعب بتقوية روح الإيمان وتنميتها في قلوبهم وهو الوضع الطبيعي فيها المحافظ على وحدتها التي هي قوام كيانها وبقائها ومتى فقدته تفرقت بها المبادئ المختلفة وأفقدتها قوتها المعنوية فكانت المغلوبية، وفقد الاستقلال لها محتَّمًا والمسئول الأول عن ذلك الذي يرعاها فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته أعاذك اللَّه من ذلك.

والسياسة الرشيدة جمع الأمة على ما به سعادتها وهو الإسلام الذي نعتقده وندافع عنه وهو قوتها المعنوية التي هي أمضى من كل سلاح وقد برهنت الحروب السابقة على مفعولها فيهم. تاركون إلى غيره من المبادئ القومية والوطنية التي تنطلق بها ألسنتهم ولا تمر بقلوبهم مغامرة عظيمة في انحلال قوة الأمة التي عليها ترتكز سيادتها.

فالزعيم العظيم هو الذي يحافظ على ما به سعادتها وسيادتها ويجنبها ما به شقاؤها وانحلالها شعوراً بالمسئولية العظيمة الموجهة إليه.

إن حماية الأمة ورعايتها الكافلة لسعادتها وبقاء استقلالها يتم بأربعة أمور:

١ - إشغال المراكز الكبيرة الحساسة من عسكرية وإدارية وقضائية بالمشهورين بالديانة والصلاح ولا يقتصر في ذلك على خريجي الجامعات وحملة الشهادات فإن عظماء الرجال الذين خلدت أعمالهم صفحات التاريخ لم يكن لهم سوى العقل الفطري وقوة الإرادة والعلوم التي يكتسبونها من التجارب حين مجابهتهم الأمور الخطيرة.

٢ - تقريب العلماء ووضعهم في مراكز مرموقة حتى تحتل الصفة الدينية في المملكة مكانتها اللائقة بها والإكثار من وظائف الوعظ والإرشاد ولا سيما بين الجنود حماة الإسلام. ومدارس المعارف المربية لرجال المستقبل حتى تظهر على المملكة السيادة الدينية فتتبعها الوحدة ومن ثم القوة.

٣ - إعلان إجراء الأحكام الشرعية في البلاد فإن الأمة المسلمة تعتز بها ولا ترى أحكامًا تساميها والأسس التي تبنى هي عليها في غاية الدقة والمنطق يحق للمسلمين أن يفتخروا بها على غيرهم كما أن مفعولها فيما توضع القوانين لأجله من الأمن وسرعة إيصال الحقوق إلى مستحقيها يتجلى في البلاد السعودية فليس في الأرض بقعة آمن منها والقضايا الحقوقية تفصل فيها بأسرع وقت على ما يرضى الطرفين المتخاصمين. إلا أن المتجددين الذين سرت فيهم الروح الغربية لا يروق لهم ذلك لمجرد أنه قديم وهم أعداء لكل قديم وإلا فليس لهم من النظريات الحقوقية ما تعرف به مناهجهم في استنكارها سوى أنه لم تكن صياغتها من قبل الغربيين وهكذا نفوس الغربيين تتحكم في نفوسنا حتى إننا لنرفع على رءوسنا علم المغلوبية وهو التقليد في كل مجال حياتنا.

٤ - النظر الدقيق في مدارس المعارف فإنها هي التي تكون الرأي العام فيجب أن يكون المدرسون فيها مراقبين أشد المراقبة حتى لا يدخل بينهم من لا تعرف سيرته ونزعته فإن مكروبًا واحدًا كافٍ لإفساد أمة بأسرها كما أن

الكتب التي تدرس يجب أن تكون فنية خالية من الآراء الاجتماعية والعقائد الزائفة. وينتخب المدرسون من المعروفين بقوة الروح والتأثير في الإلقاء فإن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان. ويستعان على ذلك بمن يختار لهذه المهمة من رجال الإدارة الذين هم على جانب من الصلاح والقدرة ويزودون بصلاحيات واسعة ليتمكنوا من أداء مهمتهم بكل حرية ومع ذلك يقتضي تقليل الصفوف وقصرها على العلوم العملية الإنتاجية وعدم امتدادها إلى الأرياف فإنها مادة الإسلام ومعدن القوة وملجأ صاحب السلطة في قمع أهل الشغب عند ثورتهم فينبغي ترك الأرياف على بساطتهم وفطرتهم مجهزين بالمبادئ الدينية التي منها إيجاب طاعة أولي الأمر ومنع تسرب النظريات الاجتماعية الحديثة إليهم التي هي مظنة التفرقة والاختلافات وقى اللّٰه بلادكم منها ووفقكم للعمل لصالح الأمة وأيدكم بنصره فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ فالنصر مضمون لكم عند نصرة الدين والسلام عليكم.

أمجد الزهاوي
رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
ورئيس رابطة العلماء في بغداد

*** مذكرة لبقية الملوك والرؤساء يُرسلها الشيخ الزهاوي:**

وهذه المذكرة سُلِّمت بيد السفراء في جدة بعد مقابلتهم والتحدث معهم:

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته:

وبعد فإن الرزية كل الرزية ما أصيب به المسلمون من وافدة الردة التي نشبت جذورها في الأقطار الإسلامية إلى جانب التحلل والخلاعة البالغة التي نزلت بهم إلى مستوى الحيوانات. تلك السحب المظلمة التي أنذر بها النبي ﷺ مبشرًا العامل فيها بأجر خمسين رجلاً من الصحابة، إنهم على آثار أهل بدر في العمل على عز الإسلام يا لها من منزلة عالية أكرمنا اللّه سبحانه وتعالى بها وإنما تراد الحياة لنيل هذه المناصب السامية على قدر أهل العزم تأتي العزائم وقد كانت ملوك المسلمين برها وفاجرها تحمي الديانة عن التجاوز عليها وعمن يخترق حرمتها في النفوس وتصدر في مهام أمور المسلمين عن رأي العلماء، وبذلك حافظوا على السيادة في ربع المسكون إلى عهد قريب حيث أضعف نفوسهم إعجابهم بالغربيين فقلدوهم في كل شئونهم وإنما التقليد علم المغلوبين ومن الاستكانة رفع علم المغلوبين على رءوسنا.

إن مصدر غلبتنا في عصور عزنا سلاحنا المعنوي الذي يدفعنا إلى ساحة القتال ويصحبنا فيها هذا المبدأ الذي كنا نحارب من أجله ذلك الإسلام وغلبة الأقوام وامتداد الملك يكون على نسبة قدسيتهم لمبدأهم والتفافهم حوله فالشيوعية إنما استطارت إلى أقطار متنائية لشدة تعصب القائمين بها وتحزبهم لمبادئها على كون تلك المبادئ مصادمة للعقل ومضادة للطبيعة.

أما الآن فقد هدموا هذا المبدأ الذي عليه محور انتصاراتنا واستبدلوا به مبادئ لا تمت إلى الإسلام بصلة كالقومية، والوطنية فانفصمت عرى الوحدة

ولم يبلغ مفعول المبدأ القلوب فتعاونت علينا ثلاثة عوامل الانقسام وضعف النفوس وعدم الوثوق بالمستقبل، وفي هذه الظروف ترانا في مسئولية عظيمة أمام اللَّه سبحانه وتعالى، إذا وقفنا أمام هذه الحوادث صامتين، فقادنا التفكير إلى إنشاء مؤتمر إسلامي يكون محل دعوة للمؤمنين إلى الأعمال التي ترفع شأن الإسلام ورأينا في طريقنا أن نعرض على من نتوسم فيه الإيجابية من ملوك الإسلام فكرة التضامن على هذا المشروع فإن فيه السير بالأمم إلى ساحل السلامة الشاطئ الأيمن المبارك وهم أقدر بإمكانياتهم إلى تكييف شعوبهم بما يؤدي إلى إسعادهم وسيبذل المؤتمر جهوده تحت إشرافها وتوجيهها ولنا الأمل الواسع بأن الذين ترسل إليهم كتبنا من الملوك والرؤساء في هذا الشأن العظيم وهو التضامن على هذا الانقلاب الفكري والأخلاقي الصامت سيقابلوننا بالإجابة المشفوعة بالشكر نظرًا لما نتوسم فيهم من الفطرة على الخير فيكونون مفاتيح للخير مغاليق للشر وعلى مقدار ذلك يتفاوت عظماء الرجال وسيلحق بهم سائر ملوك الإسلام فيكون لهم فضل التقدم على حد قوله ﷺ : «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**». وباتفاق قادة المسلمين تعود شوكتهم كما كانت، فطوبى لمن يجري ذلك على يديه. واللَّه الموفق.

أمجد الزهاوي
رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس
ورئيس رابطة العلماء في بغداد

*** البطل الفذّ أحمد عبدالعزيز.. إذا ذُكِرت فلسطين ذُكِر أحمد عبدالعزيز.. أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين:**

❑ البطل أحمد عبدالعزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية، وهو الذي تولى قيادة المتطوعين في حروب فلسطين، والتنسيق بينهم وبين الجيش المصري تحركت كتيبة بقيادته في اتجاه بئر سبع، ومنها إلى الخليل، ومنها إلى بيت لحم حيث عسكرت، وهناك دارت معارك كبيرة أمام مستعمرة رامات راحيل.

❑ هذا البطل العظيم الذي لا ينساه تلاميذ من ضباط الجيش المصري، وهو يُلقِي عليهم محاضراته القيمة في كلية أركان الحرب، وبطولاته الرائعة التي سجّلها في ميدان الفروسية.. ولا ينساه أهل فلسطين، وهو يسجل صفحات النور في تاريخ فلسطين.. بطلاً مولعًا بالمغامرة، له الجرأة الخارقة، العالم بمقدرته وكفاءته، وعنده اليقين كل اليقين بربه.

أدمى عيون اليهود كثيرًا، وأدخل الفزع الشديد والرعب في قلوبهم من مجرد سماع اسمه.. طبّق في قتاله.

❑ لن يسنى اليهود لأحمد عبدالعزيز معركة كفار ديروم الثالثة فقد أوقع بهم ضربة قاتلة وطبّق البطل حرب العصابات في معركته هذه «وأوقع باليهود في هذه المعركة خسائر فادحة. وبعد نصره الرائع في هذ المعركة، أخذ يضرب المستعمرات بمدفعيته دون أن يهاجمها، ويعترض طريق القوافل المصفحة ويبيدها عن آخرها، حتى أزعج اليهود إزعاجًا شديدًا، وحرّم عليهم التجول في صحراء النقب وكان مقدراً لهذه الحركة نجاحًا رائعًا لولا أحداث جدّت على الموقف الحربي.

ورأى اللواء أحمد على المواوي قائد الجيش المصري أن يتولى أحمد

عبدالعزيز قيادة منطقة (بئر السبع) ـ على ألا يتجاوزها شمالاً ـ فيدافع بذلك عن مفتاح فلسطين الشرقي، ويوزع قوات العدو بين جبهتين واسعتين، ويحمي ميمنة الجيش المصري من خطر الالتفاف.

وقبل أحمد عبدالعزيز هذا الرأي فجمع قواته واخترق بهم صحراء النقب ماراً بمستعمرة «العمارة» حيث ضربها بمدفعيته في ١٧ مايو، ودخل بئر السبع حيث قابله السكان مقابلة رائعة. ولم يكد يستقر بها حتى بدأ أول حركاته بضرب مستعمرة (بيت إيشل) الحصينة، ثم شرع في توزيع قوته على هذه المنطقة. فأرسل جزءاً بقيادة البكباشي «زكريا الورداني» ليحتل «العوجة» و«العسلوج» العربيتين. وأبقى جزءاً آخر بقيادة اليوزباشي «محمود عبده» ليتولى الدفاع عن مدينة (بئر السبع) ومنطقتها.

أما هو فقد اتخذ قيادته في المدينة، وأخذ يرسم الخطط لمهاجمة اليهود في كل مكان في الصحراء. وجاء وفد من مدينة الخليل في ١٩ مايو، وقابل أحمد عبدالعزيز والتمس منه إرسال جزء من قواته للاشتراك مع الجيش الأردني في الدفاع عن الخليل وبيت لحم. ووافق أحمد عبدالعزيز، وقرّر الزحف إلى الخليل وفي ٢٠ مايو زحف البطل على رأس قوة صغيرة تاركاً مهمة الدفاع عن مدينة بئر السبع ومنطقتها لليوزباشي «محمود عبده».

□ وما فعله البطل محمود عبده ورجاله من الإخوان المسلمين تحت قيادة أحمد بن عبدالعزيز يوم ٧ مايو ١٩٤٨ باليهود يسجل له ولقائده بأحرف من نور.. وحصارهم المستعمرات، وإنهاك قوى اليهود بالغارت المتواصلة على مواصلاته ومراكزه، وبعثه بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طرق القوافل وترغمها على الفرار تاركة خلفها الكثير من الأسلحة ومعدات الحرب.

*** هزيمة منكرة لليهود في مستعمرة رامات راحيل في ٢٦ مايو ١٩٤٨م**

كانت مستعمرة «رامات راحيل» الواقعة على طريق بيت لحم - القدس مصدر خطر كبير على الجيش الأردني في بيت لحم، فرامات تقع على ربوة عالية، وتتحكم في الطريق الرئيسي الذي يصل بيت لحم بالقدس، فوق أن المدافعين عنها يمكنهم مراقبة القوات الموجودة ببيت لحم وإحصاء كركاتهم وسكناتها، لذلك توجه البطل أحمد عبدالعزيز لاقتحامها منذ هبط بيت لحم. وأرسل في ٢٤ مايو قوة من الإخوان بقيادة لبيب الترجمان لتقوم باستكشاف المستعمرة وكتابة تقرير واف عن تحصيناتها. وكانت خطة البطل أحمد عبدالعزيز أن تبدأ المدفعية بقصف الحصون والأبراج، ثم يزحف المشاة تحت غلالة من نيران المدفعية (الهاون) وقنابلها الدخانية، ثم تقوم جماعات الفدائيين من حملة ألغام (ألنجالور) لنسف العوائق السلكية وحقول الألغام.

وكان يوم ٢٦ مايو ١٩٤٨م يومًا من أيام فلسطين: لماجدة وجاس البطل أحمد عبدالعزيز برجال خلال أبنية المستعمرة وأبراجها، وفجر الرجال الابراج العالية، وعكفوا على تطهيرها وحين كان آخر يهودي يغادر المستعمرة هاربًا، كان صوت المؤذن يتهادى مع نسيم الفجر من أعلى قمة فوق أعلى برج. اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر. أشهد أن لا رله إلا اللَّه.. أشهد أن محمداً رسول اللَّه.. ورأى رجال اللَّه في المستعمرة ما أذهلهم من الخيرات والمؤن المكدسة؛ إذ كانت هذه المستعمرة هي مركز التموين الذي يشرف على إمداد المستعمرات الواقعة في جنوبي القدس. وكان عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة كبيرًا للغاية إذ وُجِد تحت الردم ما يزيد على المائتين، عدا ما نجح اليهود في أخذه معهم عند انسحابهم، أما خسائر المسلمين فلم تتجاوز عشرة من الشهداء والجرحى.

❑ تولى البطل الدفاع عن «صور باهر»، وقد حدث في أوائل شهر

يونيو أن حلقت طائرة يهودية تحمل أسلحة وذخائر، وأردات إلقاءها على (رامات راحيل)، وكان الوقت ليلاً، ورأى أحمد عبدالعزيز أن المستعمرة تطلق إشارات حمراء لتدل الطائرة على موضعها، فما كان منهم إلا أن أطلقوا إشارات حمراء مشابهة، فاختلط الأمر على الطائرة وألقت حمولتها فوق (صور باهر) وكانت صناديق ضخمة مليئة بأجزاء المدافع وأنواع الرشاشات الحديثة والأدوية الثمينة.

□ أرسل اليهود قوة من جنودهم هاجمت الجيش الأردني في مقر قيادته في «دير مار إلياس» واضطرته لإخلائه، وكان هذا الدير يقع على مقربة من (صور باهر) وكان احتلال هذا الدير يؤثر تأثيرًا بالغًا في موقف المرابطين في بيت لحم، فلم يجد أحمد عبدالعزيز بُدًّا من معاودة احتلاله، وتقدمت قوة بقيادة المجاهد «حسين حجازي» تعاونة قوة من جيش الجهاد المقدس الفلسطيني بقيادة المجاهد جاد اللَّه، وهاجمت اليهود على غرة واضطرتهم للأنسحاب موقعة بهم كثيراً من الخسائر.

□ وأرسل البطل أحمد عبدالعزيز قوة إلى مستعمرة (تل بيوت) التي دأبت على إطلاق النيران من برجها الضخم وتسبب ذلك في كثير من الخسائر والأضرار، وأصدر البطل أمره إلى البطل حسين حجازي ليتولى تدمير هذا البرج الخطير، وفي ليلة ٤ يونيو زحف حسين وإخوانه أربعة كليو مترات تحت تهديد الرصاص والحيات الزاحفة بين الأحجار، وقرب الفجر سمعت بيت لحم انفجاراً مدويًا وشهدت ثلاث حصون من «تل بيوت» وبرجها الضخم الذي تهاوى وصنع من تراكمه قبراً كبيراً يضم نخبة كبيرة من رجال الهاجاناة.

* * *

*** أكبر خطيئة في تاريخ الحروب قبول الجيوش العربية للهدنة ليفلت مائة ألف يهودي محاصرون بالقدس من إبادة محققة:**

«حينما حاصر المجاهدون من مصر وسورية وفلسطين وشرق الأردن مائة ألف يهودي بالقدس وقد طلب اليهود التسليم بدون قيد أو شرط؛ لأنه قد مُنِع عنهم الطعام والماء الذي كان يصلهم من رأس العين، استغاث اليهود بأبناء أوربا وتجاوبت معهم اليهودية العالمية وأوربا الصليبية، واستصدروا قراراً من مجلس الأمن بفرض هدنة مدتها أربع أسابيع بين اليهود والعرب اعتباراً من ٢٩ مايو ١٩٤٨ يتوقف أثناءها القتال، وكان الهدف من ورائها انقاذ يهود القدس وغيرهم من هلاك محقق إن لم يتم التسليم، مع تمكن اليهود من جلب مزيد من الأسلحة الثقيلة والذخائر.

وكان على الأنظمة العربية أن لا تقبل الهدنة، وخاصة أن المجاهدين يمسكون بعنق العدو، ولكن الخيانة كانت تلعب دورها، وكما ذكر أحد المؤرخين، وتحت تهديد توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن[1] قبلت الأنظمة العربية الهدنة ووقف إطلاق النار من جانبها دون قيد أو شرط، وكان ذلك اعترافًا فعليًّا من الأنظمة العربية بقيام الدولة اليهودية.

❑ وفي ٢٣ من حزيران ١٩٤٨م كلّف القائد أحمد عبدالعزيز البطل معروف الحضري باحتلال مواقع أمامية في مواجهة اليهود منها (بيه إلياس) وقام باحتلال مواقع أخرى أمامية».

قال وكيل القنصل الأمريكي بالقدس: «إن قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الأولى في ٢٩ مايو ١٩٤٨، هو وحده الذي خلّص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية»[2].

---

(١) «جهاد شعب فلسطين» (ص٤٠٥).

(٢) «جهاد شعب فلسطين» (ص٣٨٩، ٤٠٦).

☐ وقال عبدالله التل: «لقد وافق أعضاء اللجنة السياسية بالجامعة العربية على الهدنة بدون قيد أو شرط، وهي أكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي، حيث فُكّ حصار القدس، وأنقذ مائة ألف يهودي كانوا على وشك التسليم»(١) .

☐ لم تقف فائدة الهدنة لليهود عند حدٍّ جلب السلاح والعتاد فحسب، ولكنها كانت وسيلة لاحتلال المواقع الهامة، إذ أن أغلب المراكز الخطيرة لم تستطع اليهود احتلالها إلا بهجمات غادرة قاموا بها خلال الهدنة.

وهاجم اليهود قرية العسلوج واستولوا عليها في أول يوم الهدنة، وكان احتلال هذا الموقع يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجبهة الشرقية مما دعا قيادة الجيش المصري إلى تنظيم خطة لاسترداده، وفي اليوم التالي تحركت قوة كبيرة من الجيش النظامي تعاونها المدفعية والسيارات المدرعة ولكنها فشلت في الاقتراب من القرية، لاستماتة العدو في الدفاع عنها.

فاستنجدت القيادة العامة بالبكباشي أحمد عبدالعزيز، ووضع البطل خطته وتولى تنفيذها رجاله من متطوعي الإخوان وعلى رأسهم اليوزباشي محمود عبده قائد متطوعي الإخوان في (صور باهر) واسترد الرجال هذا الموقع.

☐ يقول القائد العام للقوات المصرية في فلسطين اللواء أحمد محمد علي المواوي في شهادته أمام القضاء في «قضية سيارة الجيب». :

«العسلوج بلد تقع على الطريق الشرقي، واستولى عليها اليهود في أول يوم الهدنة، ولهذا البلد أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات، وكانت

(١) «جهاد شعب فلسطين» (ص٣٨٩).

رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذا البلد حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إليّ إشارة هامة يقول فيها: (لابد من استرجاع العسلوج بأي ثمن) فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين، فكلفت المرحوم[1] أحمد عبدالعزيز بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم، وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة، ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

ولما سأله المحامون عن السبب في تغلب القوة الصغيرة أجاب:

«القوة الغربية كانت من الرديف، وضعفت روحهم المعنوية بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط، المسألة مسألة روح، إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل ما يشاء، ولكن إذا كانت الروح ميتة لا يمكن للضابط أن يعمل شيئًا، لا بد من وجود الروح المعنوية». وكان هذا الملازم هو المجاهد «يحيى عبدالحليم فللّه دره ودر قائده أحمد عبدالعزيز.

*** البطل أحمد عبدالعزيز ورجاله يلقنون اليهود الدروس القاسية:**

خلال الهدنة جمع أحمد عبدالعزيز قوّاته المبعثرة وحشدها في بيت لحم، وأمدته القيادة العامة المصرية ببعض الأسلحة والذخيرة، وزودته بعدد من الجنود، فأخذ يحصن نفسه داخل المدينة، وأقام خطًّا دفاعيًّا حولها يمتد من (صور باهر) إلى (كرمزان) مارًّا بقرى (مار إلياس) و(بيت صفافا) و(شرفات) و(الولجا)، وكان رجاله من الإخوان والمتطوعين خير الرجال أثبتوا

(١) يُقال ـ رحمه اللّه ـ ولا يقطع بالرحمة في الآخرة ودخول الجنة لأحد: أسأل اللّه أن يتقبل هذا البطل في شهداء المسلمين.

مقدرتهم الفائقة على الدفاع والتحصين، وكانت مواقع (صور باهر) الحصينة وما أقيم بها من خنادق و(دشم) نحتت ببراعة في الأرض الصخرية الصلبة، تشهد بعظم الجهد الذي بذله الرجال لتحصين هذه القرية العربية والاحتفاظ بها حتى آخر مراحل القتال رغم الهجمات المتوالية التي شنّها العدو، وحاول فيها احتلالها ليضع القوات المرابطة في بيت لحم والخليل كلها تحت رحمته.

وكانت أولى المحاولات التي قام بها العدو هي إقدامه على محاولة احتلال مرتفعات جبل المكبر في ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨. وجبل المكبر الواقع إلى الجنوب الشرقي من القدس القديمة مرتفع منيع يستطيع من يحتله أن يهيمن على القدس كلها، ويقطع الطريق الرئيسي الذي يصلها بعمان، فوق هذا يتحكم في القوات المتطوعة التي ترابط في جنوب القدس. وكان هذا المرتفع إحدى حلقات الدفاع التي يتولاها الإخوان المسلمون المرابطون في قرية صور باهر تحت القيادة العامة لأحمد عبدالعزيز، ونائبه في صور باهر محمود عبده. وبدأت جموع اليهود تتحرك في الساعة الثامنة من مساء ١٨ أغسطس من أحياء القدس اليهودية ومن المستعمرات الواقعة في جنوبها، تحرك اليهود في سكون غير أن نقط المراقبة الأمامية فطنت لهذه الحركة.. ودار قتال عنيف، واستماتت اليهود ليحتلوا هذا الموقع، وكان طريق الإمداد مفتوحًا على مصراعيه، وكانت أولى الخطوات التي أقدم عليها المجاهد محمود عبده أن أمر فصيلة من جنوده فدارت إلى اليمين واقتربت من الطريق الذي يستخدمه العدو في تحركاته وأخذت تطلق النار على القوافل التي تتحرك صوب المعركة، وفي نفس الوقت كان يصدر أمره للمدافعين عن الجبل بالانسحاب إلى الوراء، فظن العدو أن المقاومة قد انتهت، فتقدم ليحتل المواقع التي أخلاها المجاهدون وفي نفس الوقت كانت أفواه المدافع تنفتح من كل صوب وتقذف كتلاً من اللهب على قمة الجبل، ولم يكن لليهود ما يحتمون فيه، فقُتل عدد كبير من اليهود وتراجعوا في ذعر وارتباك. وكان

يومًا عظيمًا من أيام فلسطين، وأصيب فيه قائد الموقع المجاهد محمود عبده وتولى القيادة من بعده المجاهد لبيب الترجمان للَّه درهم جميعًا.

*** البطل أحمد عبدالعزيز مفخرة الجيش المصري والعسكرية المصرية يفاوض بعزة المسلم وفطنته:**

□ أخذ اليهود يتسللون فرادى إلى المنطقة الحرام ودار الحكومة حيث يوجد بعض مراقبي الهدنة ورجال هيئة الأمم وفطن الإخوان للأمر فتابعوهم إلى هناك، وضربوا حصارًا محكمًا حول دار الحكومة وهددوا بتدميرهم، مما اضطر رجال هيئة الأمم إلى الاستغاثة بالبكباشي (أحمد عبدالعزيز) الذي جاء لتوه، واستجاب لرغبة مراقبي الهدنة بوقف إطلاق النار، ولكنه أصر على احتلال مرتفع يدعى (رأس الأحرش) يشرف على دار الحكومة والحي اليهودي بالقدس. وبذلك أصبح الإخوان خطرًا شديدًا يهدد القدس الجديدة واتخذوا من هذا الموقع نقطة يراقبون منها حركات اليهود وسكناتهم.

وحاول اليهود في اليوم التالي القيام بهجوم كبير على نفس هذه المواقع أملاً في احتلالها ورد اعتبارهم بعد هزيمة الأمس، ولكن يقظة الإخوان واستماتتهم في الدفاع وقفت سدًا منيعًا دون وصولهم لهذه الغاية، مما اضطرهم إلى التراجع في ذلة وانكسار؛ وكانت خسائرهم في هذه المرحلة تتجاوز المائتين حسب تقدير مراقبي الهدنة عدا فقدانهم لجميع الأسلحة والمعدات التي دفعوا بها في هذه المعارك.

بدأت بعد هذه الفترة مرحلة مفاوضات طويلة لتخطيط حدود المنطقة الحرام، وكان أحمد عبدالعزيز فخورًا بجنود الإخوان وبما أحرزوه من انتصار رائع، مما جعله يملي إرادته على اليهود ويضطرهم للتخلي عن منطقة واسعة مهددًا باحتلالها بالقوة، وكانت المفاوضات تدور في مقر قيادة الجيش العربي بالقدس ويحضرها الكولونيل (عبداللَّه التل) القائد العربي في المدينة

المقدسة»[1] .

*** وسقط البطل أحمد عبدالعزيز أبرز شخصية عسكرية أنجبتها المعارك على ثرى فلسطين:**

وحين انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس أراد أحمد عبدالعزيز أن يحمل نتائجها إلى القيادة المصرية العامة في (المجدل) وأصر على أن يذهب في ليلته، وكانت المعارك في ذلك الحين تدور بشدة على الطريق المؤدي للمجدل مما جعل ضباطه يلحون عليه في التريث وعدم الذهاب، ولكنه قطع هذه المحاولات حين قفز إلى سيارته (الجيب) وهو يردِّد: ﴿**قل لن يصبنا إلا ما كتب اللَّه لنا**﴾ وانطلقت السيارة في طريق المجدل، ولم يكن معه إلا اليوزباشي (الورداني) واليوزباشي (صلاح سالم) من ضباط رئاسة المواوي، وسائق سيارته.

وكانت «عراق المنشية» في ذلك الحين تستهدف لهجمات متواصلة مما دعا القيادة العامة إلى منع السير على هذا الطريق بالليل.

وما أن وصلت السيارة إلى مواقع عراق المنشية حتى صاح الحارس يأمر السيارة القادمة بالوقوف، ولكن سوء الحظ تدخل هذه المرة، إذ ضاع صوت الحارس في ضجيج السيارة فأطلقت نقطة المراقبة النار، وتدخل سوء الحظ مرة أخرى حين أصابت أول رصاصة البكباشي (أحمد عبدالعزيز) في جنبه، وحمله مرافقوه إلى عيادة طبيب بمدينة (الفالوجا) ولكن قضاء اللَّه سبقهم إليه، فصعدت روحه إلى بارئها.

ولم يكد الخبر يذاع على الناس حتى عم الوجوم الجميع، وبكاه كل فرد في الجيش، وكان أكثر الناس حزنًا عليه وألمًا لفراقه أولئك الجنود الذين

---

(١) «الإخوان المسلمون» (ص١٠٠).

زاملوه في الميدان وقاسموه مرارة الهزيمة ونشوة النصر، ونعته وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة العالمية وأسف لفقده الحلفاء والأعداء، ونعوه للناس بمزيد الإعجاب والإكبار، وبموت أحمد عبدالعزيز طويت صفحة من أمجد صفحاتنا العسكرية، وأفل نجم لامع كان في سمع الناس وبصرهم، وخلا بذلك مكانه في الميدان، وصعدت روحه الطاهرة لتحتل مكانًا مرموقًا في ملكوت اللَّه وجنته ورفع اسمه من كشوف الجيش المصري ليحفظ في سجل التاريخ، كأبرز شخصية عسكرية أنجبتها حرب فلسطين.

* كيف قتل الشهيد البطل أحمد عبدالعزيز فخر العسكرية المصرية والجيش المصري؟

نشرت الأهرام بعددها الصادر يوم ٢٢ من إبريل ١٩٨٤ في صفحتها الخامسة مقالاً للضابط محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية توضيحًا لمقتل البطل أحمد عبدالعزيز الذي سبق الحديث عنه في هذا الكتاب، فقال تحت عنوان: «إخلاء الأرض من أقوى عناصر في مواجهة اليهود»:

«استدعت القيادة المصرية بأوامر من القاهرة البطل أحمد عبدالعزيز ليترك الجبهة التي كان يسيطر عليها تمامًا بقواته لينزل إلى القاهرة عبر قيادة القوات المصرية في المجدل للقاء هام مع القيادة السياسية في مصر، ومع الملك فاروق نفسه كما قيل. وكان أحمد عبدالعزيز في حالة من الغضب لما يجري من تواطؤ في هذه الحرب لصالح إسرائيل، ونزل في ذلك اليوم المشهود في سيارة جيب يقودها الصاغ صلاح سالم (الرائد) حاليًا بجواره، ومن خلفهما الجندي السائق. وأثناء دخول أحمد عبدالعزيز إلى مواقع الكتيبة السادسة مشاة في عراق المنشية والتي كان جمال عبدالناصر أركان حربها، قُتِلَ أحمد عبدالعزيز في سيارته برصاصة أصابته وحده. ووصل إلى المجدل

حيث فارق الحياة، ولم يتم لقاؤه بالقيادة السياسية في مصر. واختفى عن مسرح العمليات العسكرية التي كان يعمل لها موشي ديان ألف حساب، ويخشاها أكثر من خشيته لكل القوات العربية المقاتلة في فلسطين عام ١٩٤٨م. فهل كان استدعاؤه مصادفة؟ أو إبعاده عن ميدان القتال مصادفة؟ ثم استشهاده على هذا الحال ـ إن لم يكن هذا كله حلقة من حلقات الحرب».

□ يقول الأستاذ حسن الجمل في كتابه «جهاد الإخوان المسلمين في القناة وفلسطين»: تحت عنوان «كلام خطير»: «خطب فينا القائد: أحمد عبدالعزيز في أحد الأيام قائلاً: «أنتم خير شباب مصر وخير رجالها، ولا بد من تحرير البلاد الإسلامية من كل أجنبي».

وكان يوجد أحد رجالات المخابرات المصرية...».

هذه صفحة ناصعة من جهاد البطل ورجاله وكيف سقط.. ونسأل اللَّه أن يتقبله في عداء الشهداء.

* الشيخ أبو الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية (١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) وأميرها بالقارة الهندية يصدع بالحق في أمور الحاكمية والصوفية ونبذ القومية والضرورة الحتمية للدينونة للتشريع الإسلامي:

ولد الأستاذ المودودي عام ١٩٠٣م في إحدى مدن ولاية حيدر أباد الدكن من شبه القارة الهندية.

«وهو مؤسس الجماعة الإسلامية بالقارة الهندية وأميرها. وكان كاتبًا مجيداً، وصحفيًا ناجحًا، بارعًا في الأسلوب، لبقًا في الأداء، موفقًا في عرض الحلول للمشاكل الناجمة في المجتمع، ومبدعًا في تقديم الإسلام إلى غير المسلمين في الأسلوب العصري المتزن.

قام بتشكيل الجماعة الإسلامية سنة ١٩٤١م، وأصدر مجلة «ترجمان

القرآن»، وألف في التفسير والحديث، والتعليم والتربية والسياسة والقانون، والاقتصاد والاجتماع والدفاع عن الإسلام. وردّ في كثير من كتاباته على الحضارة الغربية المزيّفة، والأفكار الإلحادية المستوردة، والحركات الهدّامة المعاصرة، ونقلت بعض كتبه إلى كثير من لغات العالم الحية.

وكذلك حذّر المسلمين من وخيمة الشرك والقومية، والتقليد الأعمى، والتصوف. وبذل جهداً مشكوراً مع الجماعات الأخرى في تدوين الدستور الإسلامي في باكستان، وتطبيق الشريعة»[1].

□ يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٦):

«لعلي لا أجانب الواقع إذا قلت إن أبرز سماته ذلك الوقار الذي يجلله كله، حتى مشيته ونظراته ولهجته، فيذكرك بقول عبدالله بن المبارك في إمام المدينة:

يأبى الجواب فما يراجع هيبةً والسائلون نواكس الأذقان
عز الوقار ومجد سلطان النهى فهو المهيب وليس ذا سلطان

ولم يطل لقاؤنا يومئذ ومضيت، ثم لم أره بعد ذلك، بيد أني لم رفارق أفكاره التي تغنيني عن الاجتماع بشخصه وظللت أتتبع أخبار النضال الذي ما ينفك يخوضه في سبيل تثبيت الطابع الإسلامي على الدولة، التي ما كان لها أن تكون لولا الإسلام.. إلى أن توفاه الله يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩».

* إلى الصحافة:

ألقى عصا التسيار وهو لم يتجاوز السابعة عشرة في مدينة «بجنور» بعد

(١) «زوابع في وجه السنة قديمًا وحديثًا» للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد (ص١١٧) ـ دار ابن الأثير ـ الكويت.

وفاة والده وعمل في مجلة أسبوعية في المدينة نفسها. «والظاهر أن الدافع له إلى إيثار هذه المجلة هو التزامها (حركة المحافظة على الخلافة الإسلامية) وقد انتفع بموهبته الإنشائية فجعل يكتب لها الافتتاحيات اللاهية في موضوع الخلافة، الذي كان مشغلة نفوس مسلمي الهند في ذلك العهد، ولم يكتف بنصرة الحركة عن طريق الكتابة فقط بل جعل يقتطع من أجوره ما يتبرع به لصندوقها.

وفي هذا الجو المتأجج بالحماسة الإسلامية ألّف اثنين من أوائل كتبه، أحدهما (النشاطات التبشيرية في تركية) والثاني بعنوان (مجازر اليونانيين في سمرنا) وفي هذين العنوانين ما يكفي لتصوير قلق مسلمي الهند على إخوانهم في تركية، التي كانت ترزح أثناء ئذٍ تحت كابوس الاحتلال الصليبي، وتعاني من عدوان اليونانيين على مناطقها التي أغرقوها بدماء الأبرياء.

وفي العنوانين إلى ذلك دلالة أخرى على ما في قلب هذا الفتى، الذي لم يتجاوز السابعة عشرة بعد من تفاعل مع أحداث العالم الإسلامي، وبخاصة في دولة الخلافة، التي كانت، على ضعفها الذي أطمع بها أعداء الإسلام، مطمح أنظار المسلمين على تباعد أقطارهم، والمركز الذي يستقطب مشاعرهم الروحية، فيؤلف قلوبهم حول الخليفة الذي يعتبر الرمز المقدس لوحدة العالم الإسلامي..

*** الطريق إلى القمة:**

ولقد كان لاتصال المودودي بحركة الخلافة، ولمقالاته البليغة في نصرتها، أثر شد أبصار الشخصيات السياسية إليه ودفعهم إلى تقدير مواهبه. وفي رحلة إلى دهلي اجتمع باثنين من أكابر جمعية علماء الهند المتعاونين مع غاندي في نطاق النضال ضد الاستعمار البريطاني، وكانا من المعجبين بكتاباته المثيرة، وأسلوبه الأخّاذ، وعن طريق هذين العالمين الكبيرين توثقت صلته

بجمعية العلماء، حتى أسندت إليه رئاسة التحرير لأول صحيفة أصدرتها باسم (المسلم) عام ١٩٢١ وفي عام ١٩٢٤ أصدرت صحيفة أخرى باسم (الجمعية) وأسندت إليه كذلك أمر تحريرها، وقد استمر في عمله ذاك إلى عام ١٩٢٨م.

وكفى بهذا دليلاً على ما بلغه المودودي الشاب من مكانة في أوساط أهل العلم والعاملين في ميدان القضية الإسلامية وحركة التحرير الوطنية جميعًا. جعلته موضع الثقة من أفاضل العلماء وكبار الساسة.. وهي ثقة من شأنها أن تفسح السبيل لمستقبل أبعد وأعمق.

ثم لا ننسى أن عمله في الصحافة قد أتاح له الاطلاع على خفايا الأحداث وأنواع النفوس، وفي ذلك زادٌ لا غنى عنه للرجل الذي يعده القدر للإسهام في قيادة الفكر الإسلامي على المستوى العالمي..»[1].

*** مزيد من الثقافة:**

ودهلي في الهند كالبصرة في دولة بني العباس، ملتقى الثقافتين الغربية والإسلامية، فلا معدي للرجل الطُّلَعَة، ذي النهم الذي لا يخمد إلى المعرفة، من الانتفاع بهذه البيئة إلى أقصى الحدود، وكذلك فعل صاحبنا، فأقبل على تكثيف معرفته العربية بدراسته علوم البلاغة والأدب على أحد المختصين في ذلك البلد، وقرأ أمهات من كتب الحديث على آخر من المشهورين بهذا الفن، واغترف ما أمكنه من التفسير والفقه والمنطق من أحد كبار علماء ذلك البلد..

ولم يغفل أمر العلوم العصرية فتعلم الإنجليزية على أحد أساتذتها في أربعة أشهر، وعن طريق الإنجليزية أطل على الكثير من علوم الغرب كالتاريخ

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٩).

والفلسفة والعلوم الاجتماعية، وبذلك أتيح له أن يعلم من مواضع التلاقي والافتراق بين الثقافتين، ما لم يكن ليحيط به لولا هذا التضلع الذي وفقه اللّه إليه.

وفي هذا الغمار من الكتابة في شئون المسلمين، والدراسة المتصلة لمختلف الفنون والعلوم، تمكن المودودي من إخراج كتابين آخرين أحرزا الكثير من الإعجاب والرواج، وهما (مصدر قوة المسلم) و(الجهاد في الإسلام).. وقد نشرهما أولاً حلقات متسلسلة في جريدة الجمعية ثم أخرجهما في طبعتين مستقلتين.

وكان لهذا التوسع الثقافي أثره العميق في نفس الأستاذ المودودي، إذ تحصل لديه من العلم ما أتاح له أن يُكَوِّنَ تصوراً متكاملاً عن الإسلام، يختلف عن المفهوم الذي جمد عليه المشايخ التقليديون. وكان لكل من الكتابين على وجه الخصوص أثره الفعال في عقل مؤلفه، إذ كان عليه أن يراجع الكثير من المصادر، ليستمد منها الركائز الأساسية للموضوع الذي يزمع كتابته، فيستكشف أثناءئذٍ من الحقائق ما لم يقع عليه من قبل، وبذلك تتسع مساحة أفكاره، وتمتد أشواطه خلالها، حتى بلغ كل من الكتابين الحجم الذي لم يتصوره.. وتولى طبع كتاب الجهاد للمرة الأولى العلامة الإسلامي السيد سليمان الندوي في خمسمائة صفحة من القطع الكبير، وبلغ من إعجاب شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال بهذا الكتاب أن جعل ينصح للشباب المسلم باقتنائه والانتفاع به.. بل إن الأستاذ المودودي نفسه يرحمه اللّه يقول عنه: (إن كتاب الجهاد نفعني أكثر من أي قارئ له، فقد بدأت تأليفه وأنا على حمية القومية، وفرغت منه وأنا على حمية الإسلام.. حتى لقد آليت ألا أعود إلى ممارسة الصحافة في المستقبل إلا على أساس أن أجعلها وسيلة لخدمة الإسلام[1] .

(١) بتصرف عن كتاب الحامدي (ص١٨).

* في طريق الدعوة:

وتحت هذا التأثير الفكري قرر الأستاذ أجزل اللَّه أجره أن يقف حياته على الدعوة إلى اللَّه، ولكنه على أتم القناعة بأن الإقدام على هذه المهمة يقتضي استعدادًا خاصًا من الزاد العلمي يتناسب مع مستوى العصر.. هذا العصر المليء بالأفكار والتيارت المذهبية مما لم يسبق له مثيل حتى في العصور العباسية.

وهكذا انقطع الفتى إلى المطالعة الواسعة العميقة، مكتفيًا من العمل الدنيوي بالقليل الذي يكفُّه عن الحاجة، لينصرف بكل طاقته إلى الدعوة عن طريق مجلته (ترجمان القرآن) وقد صور لنا مدى تصميمه بالكلمة التالية التي افتتح بها العدد الأول منها:

«إن هذه المجلة تضع قدمها اليوم في طريق محفوف بالمصاعب والمحن، ويتولى عبئها رجل يعترف بأنه ضعيف فاقد القيمة صفر اليدين. ولكنه على الرغم من وعورة الطريق استعد لحمل هذا العبء يقينًا منه بأن اللَّه الذي نور قلبه بالإسلام، وخلق في نفسه حب الدعوة إليه، هو الذي سوف يؤازره بنصر من عنده، ويمنحه الرسوخ في العلم، والصحة في الفكر، والسلامة في القلب، والطهارة في النفس، والسمو في الروح[1] ..».

وبهذه العزيمة الفذة يمضي الشاب الفقير الأعزل، إلا من سلاح الإيمان والرؤية الواضحة والتصميم الحاسم، في طريق الدعوة التي وهب لها نفسه، ووقف عليها مجلته التي لم يكن لها مؤنس سواه، فهو مديرها ومحررها، ومصحح طبعاتها والساعي الذي يحملها إلى البريد.. والمجيب على كل

(١) المصدر السابق (ص١٩).

استفسار يتعلق بها.. فمن أجلها يسهر الليالي يطالع ويكتب إلى صلاة الفجر، ومن أجلها يتحمل شظف العيش حتى لتأتي عليه أيام لا يتاح له من الطعام إلا العدس والماء[١]..

وعلى غلاف المجلة كتب عهده للقراء بأن «غايتها إعلاء كلمة اللَّه والدعوة إلى الجهاد في سبيله، ووسيلتها إلى ذلك نقد الأفكار المنحرفة ومبادئ الحضارة الغربية بمحك القرآن، ثم عرض المبادئ التي جاء بها كتاب اللَّه وسنة رسوله في كل مجال من الفلسفة والعلوم والسياسة والاقتصاد والاجتماع.. إن هذه المجلة تدعو الأمة المسلمة إلى حياة جديدة، وخلاصة دعوتها: أيها الناس. اجعلوا قلوبكم وأذهانكم مسلمة خاضعة للَّه، وتخلوا عن نظم الجاهلية واسلكوا صراط اللَّه المستقيم، وخذوا كتاب اللَّه بالقوة لتكونوا سادة العالم وأئمة الحضارات».

وسرعان ما انتشرت هذه الأفكار في مواطن المسلمين على مدى القارة، كما ينتشر شعاع الفجر في ليل كثيف الظلمات.. وأخذت كلماته سبيلها إلي القلوب والعقول تتداولها وتتأملها وتتفاعل معها..

*** المودردي وإقبال:**

لعل أبرز نقاط التلاقي بين العملاقين هي إيمان كل منهما بعظمة الإنسان المسلم، واحتقارهما للضعف الذي مسخ ذاتيته في أُتُون النوائب، التي أطبقت عليه في كل مكان من وطن الإسلام، فكان من الأهداف الفكرية لكل منهما إيقاظ تلك الذوات المخدَّرة، وإعادة الثقة بالنفس إليها، وبعث وعيها لحقائق هذا الدين، التي غيرت مسيرة الإنسانية من قبل، وهي على أتم الاستعداد لتغييرها من بعد..

---

(١) المصدر السابق (ص٢٠) انظر «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٢).

وأحس شاعر الإسلام إقبال من خلال مقالات المودودي في «ترجمان القرآن» قوة الوشائج التي تجمع بينهما، فكتب إلى صديق له في حيدر أباد ليبلغه رغبته في مقابلته، فلم يتلبث حتى شخص لزيارته في لاهور. . وكان لقاء ضاعف من قوة تلك الوشائج، إذ وجد كل منهما أفكاره في صدر صاحبه وتم الاتفاق بينهما على أن ثمة ركيزتين أساسيتين لا نجاح بدونهما: إحسان العرض لعظمة النظام الإسلامي بالأسلوب العلمي المقنع، وإعداد الرجال الذين يصلحون لقيادة المسلمين فكرًا وعملاً. .

واستجاب الأستاذ لاقتراح إقبال بالهجرة إلى البنجاب، التي تعتبر مهد الحركات والدعوات والتيارات الفكرية، واتخذ فيها موطنه منذ ذلك العهد، بيد أن الأجل سرعان ما وافي الشاعر العظيم، فحرمه القدر الحكيم فرصة التعاون مع ذلك القلب الموَّار بنور الإيمان وهدايته. . وسجل المودودي مشاعره بإزاء هذه المصيبة في قوله: «فقدت أكبر سند في الدنيا بموت هذا الرجل العظيم. . »[1] .

وكان على المودودي أن يستفيد من جو لاهور العلمي فاستجاب لدعوة كلية «حماية الإسلام» وشرع في العمل بها محاضرًا دون أجر لمدة عام. . ومن ثم اتجه إلى العديد من المدن يلقي فيها المحاضرات على الطبقات المثقفة، فكان منها واحدة في قاعة بلدية لاهور بعنوان «الجهاد في سبيل اللَّه» وأخرى في «مجلس الأخوة الإسلامية للطلبة الجامعيين» بلاهور أيضًا، ثم محاضرتان بعنوان «منهاج الانقلاب الإسلامي» و«معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام» ألقاهما في جامعة عليكره عام ٤٠ و٤١ ثم أخرى في «دار العلوم لندوة العلماء» بعنوان «منهج جديد للتربية والتعليم» وواحدة بعنوان «الإسلام والجاهلية» في «مجلس الدراسات الإسلامية» بالكلية الإسلامية في بشاور.

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٢ ـ ١٣).

* الجماعة الإسلامية:

«والمتحدث عن الإمام المودودي ملتزم بأمرين اثنين أحدهما أفكاره التي انعكست في مقالاته ومؤلفاته الموسوعية والثاني هو الجماعة التي أراد أن يجعل منها مجالاً حيًا لتطبيق مخططه في تكوين الرجال المؤهلين لحمل رسالة الإسلام، وقد شاء اللَّه أن يخلِّد أعمال هذا الرجل، فحفظ أفكاره وجعل منها منارة تستمد من أنوار الوحيين، كما يستمد القمر من ضوء الشمس فينقل عطاءها للناظرين.

لقد آمن المودودي بطريقة إمامه وقائده المصطفى، صلوات اللَّه عليه وسلامه، القائمة على الجمع بين التربية والتعليم جميعًا، كما وصفها كل من عثمان وابن مسعود وابن عمر، عليهم رضوان اللَّه، بما مؤداه: «كنا نتعلم الآي من كتاب اللَّه فلا ننتقل منها إلى غيرها حتى نتعلم العمل بها» فكان من ثمرات ذلك الإيمان أنه لم يكتف بالعلم يبثه في الكتب والصحف، فأقام لترجمته ذواتًا تحمل طابعه، وتمثل معالمه في سلوكها وسائر تصرفاتها.. وهكذا نشأت الجماعة الإسلامية، التي على الرغم من انقسام القارة إلى دولتين، وتجزئها أخيرًا إلى ثلاث جماعات، فقد احتفظ كل منها بطابعه الإسلامي الراسخ الرصين.

وقد تم أول اجتماع لتأسيس هذه الجماعة عام ١٩٤١ وبعد الاتفاق على نظامها الأساسي أعطى كل من أعضائه الخمسة والسبعين عهده بتنفيذ ذلك الميثاق ذي الفقرات الثماني عشرة، الشاملة المحددة لهويتها الإسلامية.. مجددًا ولاءه لكتاب اللَّه وسنة رسوله ومؤديًا شهادة التوحيد في خشوع المتأمل في أبعادها المدرك لعظيم تبعاتها.. وكان من أوائل التزاماتهم لمبادئ الجماعة انسحاب كل موظف بينهم من خدمة الحكومة البريطانية والوقوف في سائر تصرفاتهم عند حدود الشريعة المطهرة، ورفض محاميهم المرافعة أمام

المحاكم التي تقضي بغير ما أنزل الله[١] .

والمتتبع لأعمال هذه الجماعة يتبين أنها تنظيم غير مسبوق يتناول بأنشطته سائر جوانب الحياة، من تعليم وتعاون واقتصاد، وتنمية وسياسة، وطاقات بشرية تشمل الأستاذ والطبيب والتاجر والطالب والفلاح والنساء والرجال على السواء..

وقد يقف المتأمل في هذا التنظيم وهو يتذكر نظيره الذي قام بمصر على يد الإمام حسن البنا وإخوانه، في نفس الفترة من حياة العالم الإسلامي، فيتساءل: أيهما الذي اقتبس من الآخر؟!. كما يقف مشدوها أمام التلاقي الماثل بين أفكار المودودي والشهيد سيد قطب، دون أن يستطيع فصلاً تامًا بين المؤثر والمتأثر»[٢] .

* **أتون المحن المتلاحقة:**

بعد تقسيم الهند وقيام الباكستان باسم الإسلام، تكاثفت المشكلات، وتحركت الأهواء يريد كل منها أن يفرض نفسه على المجتمع الجديد.

وأخطر هذه المشكلات هو في اضطراب الرؤية عند الساسة الذين قادوا حركة الانفصال، فهم يتكلمون عن دولة إسلامية، ويتحدثون عن مميزاتها القومية، ولكنهم لايملكون أي فهم لمضمون الإسلام، من حيث كونه نظامًا مستقلاً بذاته عن كل نظام آخر عرفه الإنسان الحديث في شرق أو غرب..

ومن هنا تدفق سيل البلاء على دعاة الحق، إذ أصبحوا يشكلون الجبهة الوحيدة المقاومة لتلك الشواذ الخطيرة، والمتصدية لتصحيح الأفهام، ولنشر التوعية بحقائق الإسلام، والمعارضة لكل انحراف عن جادَّته في أوساط الحكام.

ومن البديهيات المألوفة في عالم السياسة الميكافيلية أن أصحاب الحكم

(١) مجلة «الأمان» عدد ٣٥/ ٧ ذي القعدة ١٣٩٩ (ص٨).

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٤ ـ ١٥).

المطلق لا يقرون معارضة تَحُدُّ من سلطانهم، فكل محاولة لتغيير وجهتهم من قبل الآخرين إنما هي بنظرهم تطاول على كرامتهم، واستهانة بشأنهم، لا مندوحة من القضاء عليها بكل الوسائل الممكنة.

وهكذا وجدت الجماعة الإسلامية وقائدها الملهم أنفسهم في أتُونِ من المحن المتلاحقة لا يفرغون من الواحدة حتى تتلقفهم الأخرى..

إنهم يرون اتجاه الدولة في الطريق نفسه الذي طالما عانوا من شروره في ظل الاستعمار الإنجليزي بل إنهم ليرون هؤلاء الحكام المحسوبين على الإسلام أشدَّ عداءً له من الإنجليز أنفسهم، وأشد منهم اندفاعًا في تأييد قوانينهم المنافية لدين الأمة، فعلام إذن حدث هذا الانفصال، وفي سبيل أي شيءٍ تحمل المسلمون تكاليفه التي ذهبت بعشرات الآلاف من إخوانهم وبآلاف الملايين من ممتلكاتهم؟!..

كلا.. إن اللَّه لن يعذر مسلمًا يرضى بهذه الخيانة التي ستقرر مصير المسلمين إلى أحقاب طويلة وإذا كانت التبعة على قدر الإدراك فعلى عاتق الجماعة الإسلامية يقع العبء الأكبر منها.

*** في معركة الدستور:**

وهكذا أخذ المودودي زمام المبادرة لمواجهة كل تدبير يضاد الخط الإسلامي، وكان سلاحه في هذه المعركة ذلك القلم الذي استطاع بتوفيق اللَّه أن يوقظ النائمين، ويُقِض مضاجع الظالمين، ثم تلك الجماعة التي احتضنت أفكاره، من خلال إيمانها بكتاب اللَّه وسنة رسوله، وشاركته التصميم على تحمل كل مسئولية في سبيل اللَّه.

ومن الطبيعي أن يقع ثقل المعركة بين الطغيان الجديد، والجماعة الإسلامية، بين علمانية المتسلطين وإسلامية المودودي وإخوانه العاملين..

وحشد كل من الفريقين أعوانه في التحام غير متكافئ من حيث الإمكانات، فبينما يقود رجال السلطة مرتزقة الغوغاء من السياسيين

والعسكريين وأتباعهم، من عميان العامة والحاقدين على الإسلام، ليضربوا بهم جنود الحق العزل بكل ضروب الإرهاب، كان هؤلاء يدفعون الشر بالخير والحماقة بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد وطَّنوا أنفسهم على التضحية بكل شيء من أجل الإسلام، الذي باسمه ولأجله قامت باكستان.

وتفاقم الصراع بين الطغيان والجماعة الإسلامية، على تفاوت ما بين وسائل كلٍّ من الفريقين، وقد تجلى ذلك أكثر ما يكون في معركة الدستور، التي حفزت كلا منهما لتعبئة أقصى ما يملك من الطاقات. ولا غرو، فالدستور هو المنطلق الذي سيحدد الخط النهائي لنظام الحكم.. وهو الفيصل الحاسم في حياة المجتمع الباكستاني وفي مسيرته العامة، فإما أن يكون إسلاميًّا ينسجم مع طبيعة السواد الأعظم من الأمة، التي دفعت فداء إسلامها عشرات الألوف من الشهداء والمشوهين، فازدادت به تشبثًا، يقينًا منها بأنه لها بمنزلة الروح من الجسد، والمأمن الذي ليس وراءه إلا العار والدمار..

وإما مخطط شيطاني تُمليه أهواء الأقليات الضالة من متسلطين نشئوا في محاضن الاستعمار فلا يستسيغون سوى طريقته في الحياة، ووثنيين خُلِّفوا في باكستان ليكونوا «الطابور الخامس» لأعدائها المتربصين بها الدوائر.. ماركسيين فقاديانيين يدّعون الإسلام وهم ألد أعدائه، الذين أعطوا ولاءهم لبريطانية التي حطمت كيان الدولة الإسلامية في الهند، وملأت شوارعها بجثث العشرات من آلافهم..

وكان على الجماعة العزلاء إلا من سلاح الإيمان أن تثبت للمتسلطين تأييد السواد الأعظم من الأمة لدعوتها إلى الدستور الإسلامي، فراحت تعقد الاجتماعات الشعبية هنا وهناك، فتتهافت الجموع المؤمنة لتأييدها في تصميم لا يعتريه خوف الموت..

وصدرت الأوامر إلى مرتزقة السلطة وجنودها بمهاجمة هذه الاجتماعات بكل وسائل الإرهاب، وثبتت الجماعة بوجه المجرمين، معتصمة

بالصبر والهدوء والرد بالتي هي أحسن..

وهكذا يمضي الفريقان كل في الطريق الذي ارتضاه أو سيق إليه.. وكان أشد الجميع إيذاء للجماعة الإسلامية جمهور القاديانيين من أنصار وزير خارجية باكستان، التي يقول أول رئيس لوزرائها لياقات على خان: «إنها هبة الإسلام» ومع ذلك لا يتورع حكامها أن يشهروا الحرب على الإسلام وأن يسلطوا عليه أشرس أعدائه.

وعلى الرغم من المنهج السلمي الذي أخذ به الإمام المودودي جماعته لم يجد بدًا من مواجهة القوى الشريرة بالتظاهرات السلمية[1] المصممة تملأ شوارع البنجاب هاتفة بسقوط القاديانية. وغرّ القاديانيين سلطانهم في قوى الأمن فانهالوا على المؤمنين بالنار التي حصدت من المتظاهرين عدة مئات.. ولكن الإيمان كان كشأنه دائمًا أقوى من الموت، فلم يقف الزحف السلمي حتى سقط قائد القاديانية ظفر اللَّه خان، وتضاءلت قواته حتى كادت تنحصر في حوك الدسائس من وراء الستور.

*** أكبر من الموت:**

في هذه الظروف ألف الأستاذ المودودي رسالته في موضوع القاديانية ففضح عقائدها ومؤامراتها الرهيبة على المسلمين، ولكن حاكم باكستان غلام محمد ما لبث أن اتخذ منها مسوّغًا لإعلان الحكم العرفي ولإلغاء الجمعية التأسيسية، ولوقف البحث في الدستور الجديد، الذي يوشك أن يأخذ طابعه الإسلامي تحت ضغط الشارع، الذي يقوده المودودي وأنصار فكرته.. وتلا ذلك اعتقال الكثيرين من رجال الإسلام، وعلى رأسهم المودودي بتهمة تأليف كتّيب وُصِف بأنه ضاعف من أسباب الاضطرابات والقلاقل.. وهي مناسبة تتيح لأولئك المتسلطين فرصة التخلص من الرجل الذي يشكل بنظرهم العقبة

(١) المظاهرات السلمية وجدواها يخالف فيها السلفيون في عدم مشروعيتها الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية بباكستان ورأي السلفيين أرجح وبه نلتزم واللَّه أعلم.

الكبرى في طريق الدولة العلمانية، التي تطلق أيديهم في رقاب الشعب، وتمكنهم من العبث بكل قيمه الإسلامية..

وأصدرت محكمة العسكر قرارها بإعدام المودودي، في محاكمة صورية كالتي يساق إليها الإسلاميون في مصر وتركية وإندونيسيا، والعديد من أقطار المسلمين الرازحة تحت كابوس العسكريين.

ويصف مرافقه خليل أحمد الحامدي موقفه وهو يتلقى ذلك الحكم الظالم فيقول: لقد استمع إلى هذا القرار بوجه باسم وقلب مطمئن، ولم يزد على قوله: «الحمد للَّه على كل حال..».

وجاء الضابط ليسلمه نص القرار وهو يقول: يمكنك أن تقدم الاسترحام خلال أسبوع. ولعل هذا الضابط كان يظن أنه يقدم بذلك بشرى سارة إلى ذلك المحكوم عليه بالموت، وهل يجهل أنه تلقاء نوع من الرجال لم يسمع بمثله قط، لذلك لا بد أنه فوجئ بقول الشيخ في الرد على عرضه: «لن أسترحم أحدًا لأن أحكام الموت والحياة لا تصدر من الأرض، بل من السماء، فإذا قدر اللَّه لي موتي فلن يستطيع أحد إنقاذي، وإذا قدر اللَّه الحياة فليس بمقدور أحد أن يضرني قيد شعرة» ثم توجه الأستاذ إلى إخوانه الحاضرين تلك المحاكمة بقوله: «لا يقدم أحدٌ منكم أي استرحام بشأني، وأؤكد بذلك على والدتي وأخي وزوجتي وأولادي جميعًا..».

ولكن.. وعلى الرغم من استنكاف الأستاذ عن طلب الرحمة فقد أعادت المحكمة العسكرية نفسها النظر في قرارها واستبدلت به حكمًا بالسجن لمدة إحدى وعشرين سنة.. ولعلها قد فعلت ذلك بإيعاز من السلطة التي تدرك مدى الخطر في إعدام الإمام المودودي، الذي استحوذ بشخصيته المثالية على حب المسلمين، وعرف الطريق إلى قلوبهم فهو يؤلِّبهم لتوكيد انتمائهم الإسلامي، فأقدمت على ذلك التغيير تفاديًا للعواقب التي لن تستطيع دفعها..

*** إلى المحكمة العليا:**

وقد قضى الأستاذ خمسة وعشرين شهرًا فقط من تلك السنين في السجن.. إذ انتهز إخوانه فرصة قيام وزارة جديدة فرفعوا إلى المحكمة العليا بلاهور اعتراضًا على ذلك الحكم بالباطل متذرعين بالبراهين القانونية التي لا تُدفع..

يقول الأستاذ الحامدي[١] : «لما دخل الإمام المودودي قاعة المحكمة العليا وقف قضاتها احترامًا له.. وهو موقف لم يعرف له مثيل في تاريخ القضاء..».

في هذا المشهد الرائع سمع الإمام المظلوم قرار المحكمة العليا بالإفراج عنه، مصحوبًا بالتكريم الأسمى من أعلى هيئة قضائية وثقافية في باكستان، فكان ذلك إدانة دامغةً لعهد خان قضية الإسلام، الذي لولاه لما كان لباكستان من حق في الوجود.

وإن كل ذي ضمير حي في العالم الإسلامي ليشعر بالتوقير البالغ لأولئك القضاة الذين أثبتوا أنهم فوق الأهواء، وأنهم مع الحق الذي لم يوجد القضاء إلا لحمايته من عسف البغاة والمستبدين..

ولقد كان لهذه الظاهرة أثرها العميق في ارتفاع معنويات المسلمين، فإذا بالمسيرات والمواكب والحفلات تعم أرجاء لا هور بمظاهر الفرح والاستبشار، وأقيمت الاحتفالات العديدة لاستقبال البطل الظافر، وفي أحد هذه التجمعات رد على كلمة الترحيب بقوله:

لقد ذكرتم ما قدر اللَّه علينا من محن الحكم بالإعدام إلى امتحان السجن، وأحب أن أقول لكم إن هذه الأحداث لم تفاجئنا قط، بل إني كنت

---

(١) (ص٦٤) من كتابه «الإمام أبو الأعلى المودودي» ط المكتبة العلمية بلاهور.

أتوقع أمثالها منذ أن وضعت أول خطاي في هذا الطريق قبل اثنتين وعشرين عامًا.. إذ من خصائص العقيدة التي نؤمن بها أن تواجه بالمحن، وقد علمنا التاريخ أن الدعوة امتُحِنت في الماضي، ولا بد أن يتكرر الامتحان في الحاضر والمستقبل، سنة اللَّه ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً..

* **المفاجأة الرهيبة:**

وكانت هدنة تحرر المسلمون أثناءها من كابوس الإرهاب العسكري، وبخاصة بعد أن عادت الجمعية التأسيسية الجديدة إلى أعمالها، وصدَّقَتْ على الدستور الإسلامي، الذي أجمعت عليه الأمة بلسان علمائها وجماعاتها وجماهيرها الشعبية، واعتبر يوم صدوره من عام ١٩٥٦م منطلق حياة سعيدة للمسلمين جميعًا، لم يشذَّ عنهم إلا قلة من المستغربين والشيوعيين والقاديانيين والنفعيين، الذي ألقوا بأقدامهم إلى مزلقة الإثم، فلم يعودوا بقادرين على التوقف قبل أسفل الهاوية..

وعبر الإمام المودودي أيامئذ عن فرحة المسلمين بذلك التصريح الذي يصور مدى أمل المسلمين في مستقبلهم المنشود:

«نبدأ اليوم حياة جديدة، حياة شعب حر قرر بلسان ممثليه أن الحاكمية في باكستان للَّه عز وجل، وأن السلطة أمانة في عنق الأمة لا تزاولها إلا في نطاق ما حدد اللَّه ورسوله.. فالحمد للَّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه..»[1] .

ولكن.. شاء اللَّه ألا تقف محنة باكستان عند هذه النهاية البهيجة؛ لأن أعداء العدالة والخير قد صمموا على ألا يُلقوا سلاحهم وفيهم عرق ينبض، وهكذا فوجئت باكستان ذات صباح بمثل الحال التي أشار إليها قول الشاعر:

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ١٦ ـ ٢١).

قد سالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ففي الثامن من أكتوبر عام ١٩٥٨ أغار الجنرال محمد أيوب، وكان رئيسًا لأركان الجيش الباكستاني، على أمنها في انقلاب عسكري ألغى البرلمان ونقض الدستور، وأدخل البلاد في تيار المحن والمتاعب المتلاحقة طوال إحدى عشرة سنة، لم تعرف لها باكستان نظيرًا في كثافة البلاء وجرأة الحكام على دينها وشريعتها..

لقد صمم محمد أيوب على اجتثاث المعارضة لحكمه بكل الوسائل الممكنة، وبدا له أن يجرب أسلوب المكر مع الإمام المودودي، وكان ذلك عام ١٩٦٠ حين جاء مدينة لاهور، وهناك بعث إليه يدعوه لمقابلته في قصر الحكم، وبعد تردد بين الإجابة والرفض قرر مقابلته رجاء أن تكون المقابلة في صالح الدعوة، واستقبل أيوب الشيخ بترحيب حار وأحاطه بحفاوة جميلة، وراح يطري جهود الشيخ ويكثر الثناء على خدماته للإسلام، وقدرته البارعة في اكتساب العقول والقلوب.. حتى إذا انتهى إلى ما يريد قال:

أيها الشيخ الفاضل. أقترح عليك التفرغ للدعوة والتبليغ بعيدًا عن التورط في السياسة والانغماس في أوحالها.. وبذلك تكون أكثر نفعًا لقومك ووطنك.. ولكن الشيخ سرعان ما أبطل مكره حين أجاب:

«حقًا إن السياسة قد استحالت أوحالاً، ولذلك دخلتها لأطهرها من الأوساخ، وأجعلها نظيفة سديدة لا تدنس الأذيال بل تعود رحمة على الوطن وأهله..»[1].

*** مؤامرة على الإسلام:**

وكان هذا الجواب بمثابة النذير بمعركة جديدة بين الطغيان والإيمان..

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٢٢).

وقد امتازت هذه المعركة بضروب من العنف والهول أكبر من كل التجارب السابقة، ذلك أن محمد أيوب قد دخلها في برنامج صريح يستهدف حربًا للإسلام لا هوادة فيها. . فقد قرب إليه منكري السنة من أتباع المدعو أبرويز، وما أدري أذلك اسم له أو لقب، ولكن المعروف أنه اسم لآخر أكاسرة الفرس، ذلك الأحمق الذي مزّق كتاب رسول اللَّه فمزق اللَّه ملكه وقتله بيد ولده، ولعل هذا الخائب قد اختار لنفسه ذلك اللقب إعلانًا لنيته بتمزيق الكيان الإسلامي في باكستان.

لقد راح هؤلاء الخائبون يثيرونها حربًا شعواء على السنة النبوية فيصدرون الكتب والمجلات المشحونة بالطعن عليها، وتتولى أجهزة الإعلام الحكومية توزيعها وإشاعتها، وأقبلت على وضع تفسيرات مضللة لمعاني الكتاب الحكيم، تصرفها عن مقاصدها الإلهية إلى توجيهات هدامة، كتفسيرها القطع للسارق بتأديبه في السجن والغرامة، وتفسيرها للصلاة بالحركة والنشاط والتزام الدوام الرسمي في موعده المحدد، وقولها في الزكاة إنه استثمار المال في المشروعات الإنمائية، وأتموا مؤامرتهم باعتبار رئيس الدولة بمثابة الرسول في امتلاك السلطة المطلقة في التشريع والتقنين وتفسير الأحكام القرآنية بما يراه مصلحة لعصره دون مراجعة لسنته ﷺ . .

وبهذه القحة أصدر محمد أيوب عددًا من القوانين المضادة للشريعة المطهرة، وبخاصة في نطاق الأحوال الشخصية، التي يعتبر الإخلال بها سلخًا للمسلم من صبغته الإسلامية، ومن ذلك حظر الزواج على الفتى الذي لم يبلغ السادسة عشرة مع إباحة الزنى والمخالَّة له مع أيٍّ شاء من النساء. .

وفي هذا الجو الخانق أُغلِقَتْ أفواه العلماء، وحيل بينهم وبين إبداء مرئياتهم في هذه التصرفات الخرقاء، ولم يبق في الساحة من يرجى للتنفيس عن صدور المسلمين سوى الرجل الذي وهب حياته للإسلام، فلا يبالي على

أي جنب كان في اللّه مصرعه..

لقد انبرى المودودي لعدو السنة أبرويز وجعل يفند أضاليله الواحدة بعد الأخرى في مجلته «ترجمان القرآن» حتى أتى عليها جميعًا، فكشفه للناس عدوًا مبينًا لدين اللّه، وهو يعلم يقينًا أنه لا يهاجم أباطيله وحدها، بل يهاجم من ورائه السلطة التي تمده بكل أسباب القوة.. ويهاجم كذلك كل من أخذ بتّرهاته من أعداء السنة. وهذا كتابه «مكانة السنة في التشريع» يجعل من هؤلاء في كل زمان ومكان أضحوكة العقلاء، بما يُعَرِّي من جهلهم لحقائق الإسلام، القائمة على الكتاب والسنة دون أي انفصام.

وتصدي لقوانين أيوب المنافية لشريعة اللّه بالنقد العلمي الذي قطع ألسنة كل المدافعين عنها.. ما أثار حنق الطاغية فأمر باعتقال بعض قادة الجماعة الإسلامية، وزج بالسجن صاحب المطبعة التي أقدمت على نشر ذلك النقد.. ولكنه لم يتعرض لشخص المودودي، ولعله توهم أن تجريده من إخوانه في ذلك الجو الرهيب كاف للحد من نشاطه، ومُلْق في قلبه الرعب فيمسك عن مهاجمة دستوره الهدام، ولكن خاب فأله، حين رأى البطل المؤمن يتناوله بالتشريح الفاضح، فيبرز بوائقه، ويبين أخطاره على الحرية، وما يستهدفه من توطيد النظام الاستبدادي وعلى الرغم من إحجام الصحف الباكستانية عن نشر ذلك النقد الفاضح، فقد حملته الألسن إلى كل مكان فتردد صداه على مستوى الدولة كلها.

*** تصميم أعظم من الإرهاب:**

وبذلك تهيأت الأذهان لحضور الاحتفال الذي أعدته الجماعة الإسلامية لإعلان قرارها الحاسم في ذلك الدستور البغيض.. واستحصلت على إذن من النيابة بعقد ذلك الاجتماع الذي ضم ما يزيد على عشرة آلاف مندوب وعزّ على السلطة الاستبدادية أن تمر تلك المناسبة الهامة بسلام، فدفعت

أدواتها من رجال المباحث لإحداث البلبلة، فاندسوا خلال المجتمعين، وجعلوا يثيرون الشغب ويطلقون الشعارات المعادية للجماعة ولقائدها.. وهو قائم يلقي خطابه في الجمهور، وعمدوا إلى أسلاك المكبر فقطعوها لكي يمنعوا صوته من الوصول إلى الأسماع.. إلا أن الجماعة سرعان ما تداركت هذا الحال بالعودة إلى طريقة المبلِّغين، الذين نهضوا في جوانب الحفل، وجعلوا يستقبلون كلمات الأستاذ ليوصلوها إلى الحضور كاملة مفصلة.. وساء المشاغبين إخفاقهم في إفساد الاجتماع فعمدوا إلى السلاح يطلقون النار لمجرد الإرهاب أولاً، ثم وجه أحدهم طلقته إلى الإمام نفسه، ولكن شاء اللّه أن تصيب رجلاً آخر من الجماعة فيسقط شهيدًا في الحال، ويظل الأستاذ منتصب القامة يترقب الفرصة لاستئناف خطبته، وأحاط به بعض إخوانه يدعونه للجلوس حفاظًا على سلامته، ولكنه أبى وأجاب: «لو جلست فمن سيبقى واقفًا؟!» ولم يُذهِل حرج الموقف عزيمته، وأخذ يوجه تنبيهاته لأفراد الجماعة بالتزام الهدوء، والاكتفاء بإخراج المشاغبين دون أذى.. وما هي إلا دقائق حتى عاد الوضع إلى طبيعته، وهنا أرسل المودودي الحكيم كلمته التي ذهبت مثلاً: «إن مثَلَ الحركة الإسلامية كمثل الماء المتدفق، إذا واجه صخرة في طريقه لا يضيع جهده في تحطيمها، بل ينعطف يمينًا ويسارًا حتى يترك الصخرة وراءه تعض أناملها من الغيظ..»[1] .

* بين الخرافة والغرور:

«وبلغ الغرور بمحمد أيوب بعد فوزه الصوري في ذلك الانتخاب حدّه الأقصى.. وكان ذلك في آخر رمضان من عام ١٩٥٧ إذ حلّ عيد الفطر في يوم الجمعة، فكبر على الرئيس أن يجتمع على المسلمين خطبتا الجمعة والعيد

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٤ ـ ٢٥).

في يوم واحد، وذلك بنظر الخرافيين في باكستان نذير بانتهاء الحكم القائم، لذلك بادر بمحاولة تغيير موعد العيد فأصدر الأوامر بوجوب إفطار المسلمين يوم الخميس، مع التهديد بالاعتقال لكل من يخالف ذلك الأمر. ولم يكن للميدان غير فارسه المُعْلَم، فأعلن الأستاذ ـ رحمه اللَّه ـ استنكاره لتلك الخرافة، وأكد للمسلمين بأن موعد العيد موقوف على ثبوت الرؤية، وليس لأحد أيًّا كان مركزه أن يقدم في ذلك الموعد أو يؤخره بعد الرؤية الثابتة بالشرع.. واعتبر محمد أيوب هذا التصريح من المودودي تحديًا لمقامه وإلغاء لكلامه، فأمر بإعادة اعتقاله، حيث لبث في السجن شهرين، غادره بعدهما ليشهد عقيب أشهر قليلة سقوط الطاغية وزوال عهده الأسود.. ولكن لم ينته إلى هذا المصير إلا بعد أن مهد السبيل لخليفته ذي الفقار بوتو، ومجيب الرحمن، اللذين قضيا على وحدة باكستان»[١].

*** نظرة في مؤلفات الأستاذ المودودي:**

وطبيعي أن القارئ الذي يريد الإحاطة بشخصية الإمام المودودي، لن يكفيه الاطلاع على ما كتبه عنه وعن جهاده الكاتبون، حتى يرجع إلى مؤلفاته نفسها فيُنْعِم فيها الفكر والتأمل، ويتغلغل من خلالها في أعماق تلك الشخصية الفذة، التي أعدها القدر إعدادًا خاصًا لإيضاح معالم الإسلام، ولإيقاظ الوعي لحقائقه الجامعة المانعة على ضوء العصر، فكان بها أحد المجددين لهذا الدين.

❑ ولننظر الآن في عنوانات بعض هذه المؤلفات التي تتجاوز المئة عددًا، والتي تُرجم بعضها إلى أكثر من أربعين لغة:

١ ـ الحضارة الإسلامية: أصولها ومبادئها.

٢ ـ نحن والحضارة الغربية.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٩).

٣ ـ الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.

٤ ـ مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة.

٥ ـ في محكمة العقل.

٦ ـ الرسول والرسالة.

٧ ـ حقوق الزوجين.

٨ ـ تحديد النسل.

٩ ـ مبادئ الإسلام.

١٠ ـ أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة.

١١ ـ الحجاب.

١٢ ـ الإسلام كما جاء به الرسول.

١٣ ـ نظرة الإسلام السياسية.

١٤ ـ نظرة فاحصة على العبادات الإسلامية.

١٥ ـ موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه.

١٦ ـ منهاج الانقلاب الإسلامي.

١٧ ـ استفسار وذو بال.

١٨ ـ المصطلحات الأربعة في القرآن.

١٩ ـ الإسلام والجاهلية.

٢٠ ـ منهج جديد للتعليم والتربية.

٢١ ـ معضلات الإنسان الاقتصادية وحلها في الإسلام.

وفي هذه العنوانات الرامزة لمضموناتها تصوير جامع لطاقة فكرية تناولت أسس الحياة الإنسانية في ضوء الإسلام. فالحديث عن الحضارة الإسلامية ـ في الكتاب الأول ـ يتطلب علمًا يتسع لأبعاد الحياة البشرية

وموقف الإسلام من كل جزء فيها، ولا يقل عن ذلك أهمية تحديد موقف الإسلام من حضارة الغرب، التي يراد فرضها على المجتمعات الإسلامية، ثم عناصر الصمود الإسلامي في وجه التحديات العصرية.. وهكذا نلاحظ من مجموع هذه الأسماء التي اختارها المؤلف لكتبه طابع الشمول الذي يتصف به ذلك العقل الجبار، الذي ترك بصماته عميقة في ثقافة العالم الإسلامي المعاصر. ولا عجب فقد رأينا من حديث الأستاذ عن مصادره الثقافية ما أقنعنا بأن لديه من نعمة اللَّه وتوفيقه القدرة على معالجة مختلف المشكلات التي تشغل الفكر البشري في هذا الزمن، ومواجهتها بالحلول الشافية المستمدة من كتاب اللَّه الخالد وسنة رسوله الذي علمه ما لم يكن يعلم، وزوده من الحكمة بكل المؤهلات التي تؤكد أنه الرحمة المهداة..[١].

*** خلوات مباركات وكرامات:**

ومع أن الميزة الأولى لهذه المؤلفات سواء الصغير منها أو الكبير، هي الجدّة والعمق والنسق المنطقي، الذي يخاطب عقل القارئ وقلبه جميعًا، فقد لفت انتباهي منها حديث الأستاذ الحامدي عن كتاب «مبادئ الإسلام» الذي يقول: إنه ترجم إلى ثلاثين لغة، وصدرت منه ملايين النسخ، وكان من المهتدين به شاب أسباني كتب إلى الأستاذ عقيب قراءته إياه في ترجمته الأسبانية يقول: إنه كان قد اختار حياة الترهب فما إن اطلع على كتابه هذا حتى أُخِذَ بِهِ وانتقل من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.. لا إيمان الوادع بل إيمان من لا يخلد إلى الراحة حتى يُخْضِع الصليب في أسبانيا للَّه الواحد الأحد الصمد[٢].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٩ ـ ٣١).

(٢) «كتاب الحامدي» (ص٢٦).

ولئن صح ما يقوله الأستاذ الحامدي رواية عن الإمام المودودي بأنه قد أتم تأليف هذا الكتاب لإدارة التربية والتعليم في حيدر أباد، خلال أسبوع واحد فقط، فلا أشك أنها كرامة قد قيضها له اللَّه، من نوع تلك الكرامات التي كانت توافي شيخ الإسلام ابن تيمية فينتج من الأعمال العلمية في اليوم الواحد ما يعجز الآحاد من العلماء في الأسابيع والأشهر.

ولم يلتق المودودي وابن تيمية على هذا فحسب بل كان بينهما أكثر من جانب مشترك واحد. فقد كان السجن لشيخ الإسلام خلوة تساعده على المزيد من التأمل والإنتاج العلمي، وكذلك المودودي إذ بارك اللَّه عليه في سجنه، فقدر له إخراج العديد من الكتب الصالحة، منها كتابه المشهور عن «الربا» و«مسألة ملكية الأرض في الإسلام» كما أتم المجلد الأول من تفسيره الذي يسميه «تفهيم القرآن» في غياهب السجن أيضًا»[1] .

* المودودي والتصوف:

وأي مؤمن سليم الرؤية ينكر على الأستاذ المودودي قوله عن غلاة الطرقيين في كتابه «واجب الشباب المسلم»: «وإن تعجب فعجب حال الصوفية فلا تجد بينهم من عمل بالإسلام الحقيقي وعلَّمَه إلا عددًا يسيراً، وأما معظمهم فكانوا يدعون إلى تصوف مزاجه الفلسفات الإشراقية والمانوية والرواقية، التي اختلطت بالتصوف حتى لم تبق له علاقة مع عقائد الإسلام وأعماله الخالصة إلا قليلاً..»!!!.

وهل نحن بحاجة إلى التذكير برواسب هذا المزيج الهندي والفارسي واليوناني، في مذاهب أولئك الطرقيين، الذين شحنوا أذهان مريديهم بأفكار الحلاج وابن عربي والتجاني والجيلي، والعشرات من أمثالهم، الذين أصبحوا

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣١ - ٣٢).

قادة السواد الأعظم من عامة المسلمين.. وأصبحت أضاليلهم أعمق أثرًا في قلوبهم من كلام الله ورسوله والأئمة من علماء الإسلام!!

حتى ما يسمونه التصوف النقي يرى الأستاذ المودودي التوكيد على أن الإقبال عليه لا يتفق مع مصلحة الإسلام في الظروف الراهنة، فهو بنظره كالماء الذي استيقن المريض ضرره، فيجب عليه تركه على الرغم من إباحته الأصلية[1] وقديمًا قال الحكماء: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره»، وموقف المودودي من المتصوفة له صلة وثيقة بواقعهم الذي نشهده في كل مكان إلا ما رحم الله وقليل ما هم.

* بين المودودي وأبي الحسن الندوي:

«في كتاب «التفسير السياسي للإسلام» الصادر في رمضان ١٣٩٨هـ يناقش الأستاذ أبو الحسن الندوي بعض أفكار أخيه المودودي، فيترجم إعجابه الكبير «بمقالاته القيمة التي كان يكتبها في مجلته الغراء «ترجمان القرآن» في نقد الحضارة الغربية ونظام الحياة الغربي، التي تتميز بأسلوبها الهجومي ونقدها اللاذع لحركة التقدمية والتجدد وفكرة القومية المتطرفة، التي نجمت وباضت وفرخت في حضن الثقافة الغربية، وكذلك موضوعات وقضايا في صميم الشريعة الإسلامية.. وسطر قلمه مقالات قوية مؤثرة معضدة بالدلائل أمثال «الربا» و«الحجاب» و«الجهاد» و«الأضحية» و«الرق» و«حجية الكتاب والسنة» و«الأحوال الشخصية» وما إليها من المسائل الهامة..» حتى ينتهي إلى القول بأنه: «سيكون من الإجحاف الكبير إذا لم نوف حقه من الاعتراف بما لعبته مقالاته هذه.. ومؤلفاته ورسائله المستقلة من دور رائع في إعادة الثقة إلى الطبقة الذكية المثقفة ثقافة غربية بالإسلام، وبقيمه وتصوراته وفي

---

(١) «التفسير السياسي للإسلام» لأبي الحسن الندوي (ص١١٧).

تخليصها من مركب النقص ونفسية الهزيمة الداخلية حيال الإسلام وتعاليمه، مما جعل بعض الكتاب يدعونه «متكلم الإسلام».

* **النقد البريء:**

ومن ثم يقف على بعض النقاط التي يرى شذوذها عن الخط الذي يطريه في كتابات المودودي، فيقول: إن الأستاذ المودودي من خلالها «يمارس عملاً آخر نستطيع أن نسميه «الصياغة الجديدة للفكر الإسلامي» أو «الصياغة الجديدة للإلهيات الإسلامية».

ويشرح ذلك بأنه يعني كتابه «المصطلحات الأربعة في القرآن» الذي فسر فيه تلك المصطلحات تفسيراً خاصًا يتميز بالطابع السياسي، ويدور حول «حاكمية الإله» و«سلطان الرب» يحدد علاقة العبد بربه في حدود.. «تأسيس «الحكم الإسلامي» و«إقامة الحكومة الإلهية» فحسب..

والمصطلحات الأربعة التي يدور حولها كتاب الإمام المودودي هي: الإله والربّ والدين والعبادة، وخلاصة ما ذهب إليه بشأنها هي أنها المحور الذي عليه يدور الكيان الإسلامي كله، وأن مفهومها الصريح الواضح في الحِقَب الأولى قد تغير في تصور المسلمين اللاحقين تغيراً أفقدها روحها وفاعليتها.. حتى باتت العقيدة في الألوهية والربوبية محدودة الأثر في حياة جماهير الأمة، بل أقرب إلى الموت، لا تحرك ساكنًا لتنفيذ شريعة اللّه، وبذلك استحالت العبادة حركات لا مردود لها في نطاق الطاعة الواجبة لأوامر اللّه ونواهيه..

فالمسلم في عبادته الخالية من روح الوعي لحقائق الإسلام والعمل بها شأنه كشأن الخادم الذي يكتفي من تعظيم مخدومه بترديد اسمه والقيام بين يديه دون أن يقوم بتنفيذ أي من تعليماته الحاسمة.. وفي تمثيل آخر يشبهه بالمريض الذي كتب له الطبيب الحاذق وصفة شافية، لكنه بدلاً من استعماله الدواء الموصوف اكتفى بقراءة الوصفة وترديد كلماتها..

ولكي يتم القيام بمضمون المصطلحات الأربعة بنظر المودودي لا بد من الجمع بين التلبس بالعقيدة السليمة في الألوهية والربوبية والتزام العبادة الحقة مع النهوض بواجب التنفيذ لأوامر اللَّه، التي في رأسها السعي لإقامة حكم اللَّه في الأرض، وإزالة ظلمات الشرك عن عباده.. حتى ليجعل أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين.. مقررات تدريبة لتحقيق ذلك الهدف.

ومأخذ سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي على هذه الأفكار المتحدة عند المودودي وسيد قطب، أنها تفرغ العبادة من صفتي الذل والحب التي يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها ـ العبادة ـ «تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، إذ تتضمن غاية الذل للَّه تعالى بغاية المحبة له..» وهو مأخذ لا مندوحة من النظر إليه؛ لأن تجربة المؤمن الذاتية، بل اليومية، تؤكد له أن علاقته بربه قائمة على الرهبة والرغبة، وأن ثمة لحظات من التجلي تمر به فتغمره بحبه، حتى ليكاد يذهل في غمار نشوتها عن كل معاني الرهبوت والجبروت..»[١].

فتركز المودودي وسيد قطب ـ رحمهما اللَّه ـ على الجانب السياسي فقط في موضوع المصطلحات الأربعة يؤخذ عليهما، وإن كان لهما العذر في الواقع الرهيب الذي يعانيه الإسلام في ظل العلمانية والخطر الهائل الذي يهدد الإسلام والمسلمين بالزوال إذا لم يكن لهم الكيان الذي تحكمه شريعة القرآن.. لا بد أن يؤخذ الإسلام ككل، ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾، لا بد أن يؤخذ التوحيد بشموله، ولا يحصر الإسلام في الجانب السياسي فقط.

*** الدين النصيحة.. وكل يخطئ ويصيب:**

إن الشيخ المودودي ـ رحمه اللَّه ـ أكثر الكتابة في مواضيع مختلفة

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣٤ ـ ٣٦).

ومتنوعة. فزلّ قلمه في بعض الأمور التي نراه قد رجع عن كثير منها، إلى الصواب الذي فقده في كتاباته القديمة، أو أدخل تعديلاً في العبارات التي كانت مثار سوء تفاهم لدى الناس، أو وعد بذلك عند تنبيه القرّاء على بعض أخطائه، كما لا يخفى على من له إطلاع على كتاباته القديمة والحديثة[1] .

---

(١) راجع على سبيل المثال:

تفسير آية ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١] في تفسيره «تفهيم القرآن» (ط. أولى)، حيث أخطأ في تفسير الآية، وصحّحه في الطبعات الأخرى ـ انظر (١/ ٣٢٦) ـ طبعة لاهور ١٩٨٢م.

ـ وكذا في تفسير آية: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وقع في الخطأ، وصححه في تفسيره «التفهيم» (طبعة لاهور ١٩٨٢).

ـ ذهب إلى إباحة المتعة في بعض الحالات الاضطرارية (ترجمان القرآن) أغسطس ١٩٥٥م، (٤/ ٣٧٩) عدد ٦.

وحينما سئل عن توضيح هذا الأمر، قال: «كنت أريد من هذا إصلاح أفكار الذين أجازوا المتعة مطلقًا بدون شرط الاضطرار، ولكني أتأسف على أنه نشأ سوء تفاهم من أسلوب كتابتي بأني أجيز المتعة في حالة الاضطرار، والحق أنني أقول بحرمتها قطعًا، وصرّحت بذلك قبل عدّة سنوات في «رسائل ومسائل» (٢/ ٢٠ ـ ٢٣) فاطمئنوا على أنه سيدخل تعديل في مثل هذه العبارات عند المراجعة بحيث لا يبقى إمكان لأي سوء فهم» «رسائل ومسائل» للمودودي (٣/ ٤١) ـ ط رابعة، فبراير ١٩٨١م بدلهي).

فالانتقاد على الشيخ المودودي في مثل هذه المسائل، بناء على كتاباته القديمة خلاف الحق والصواب، وخلاف الأمانة العلمية أيضًا.

ـ ولكن للأسف أن السيد علي النقوي من علماء الشيعة استغلّ كلامه لإثبات المتعة فقال: «قد أقرّ بإفادية المتعة مفكّر العصر الشهير العلامة أبو الأعلى المودودي، أمير الجماعة الإسلامية، بكتابة مقال مفصل حول الموضوع» «الأستاذ المودودي في نظر علماء أهل الحديث» (ص١٥) طبعة غوجرانواله ـ نقلاً عن «المتعة والإسلام» للسيد علي النقوي (ص٧) ـ نشر المكتبة الإمامية بلاهور.

ـ ولم يقتصر الأمر على هذا، بل الشيعة اتخذوا بعض كتابات الشيخ المودودي الأخرى أيضًا حول «الصحابة» ﷺ ـ تكأة يتكئون عليها، وليس هذا مجالاً للتفصيل. ومن يريد ذلك فليراجع كتابه «الخلافة والملك» الذي طبعته «دار القلم» بالكويت. =

وهذا الذي كان يرجى منه ومن أمثاله العاملين في حقل الدعوة الإسلامية؛ لأن الإنسان يخطئ ويصيب، وهو مركب الخطأ والنسيان، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. وهذا هو دأب العلماء قديمًا وحديثًا.

*** موقفه من الحديث النبوي:**

دخل الشيخ المودودي خلال كتاباته ـ وللأسف الشديد ـ في بعض المواضيع الشائكة أيضًا التي لم يكن يحسنها، فوقع فيما لا تحمد عقباه من الأخطاء والزّلات، ونبّهه العلماء عليها، ولكنّه ـ مع ادعائه لرحابة صدره في الرجوع إلى الحق، وترحيبه بالنقد البنّاء ـ لم يرجع عنها.

ومن هذه المواضيع موقفه من الحديث النبوي، الذي نراه ثابتًا لم يطرأ عليه تغيير يذكر. وكتاباته حول نقد منهج المحدثين، والإسناد والمتن، والرواية

= وقد قام بالردّ على هذا الكتاب عديد من علماء شبه القارة الهندية دفاعًا عن الصحابة ﷺ.

(١) وإليكم بعض المسائل منها:

ـ تأويله لآيات الصفات، وعدم إمراره إياها كما جاءت، وذلك في تفسيره «تفهيم القرآن».

ـ وتأويله لبعض المعجزات، مثلاً قال في تفسير آية: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ما معناه: «يفهم من هذه الآيات أن داود ـ عليه السلام ـ حينما كان يحمد اللّه تعالى، ويثني عليه، كانت الجبال ترتج بصوته الندي الجميل، والطيور تتوقف، وطرأت كيفية عجيبة» (تفهيم القرآن: ٣/ ١٧٥) هذا التأويل «لتسخير الجبال» (أي: ارتجاج الجبال بالصوت) ليس خاصًا بداود عليه السلام ـ بل «الارتجاج» والصدى يحصل بصوت كل واحد من الناس. ولأجل هذا عقب عليه الشيخ عبدالماجد الدريابادي قائلاً: «إن هذا المعنى لتسخير الجبال لداود ـ عليه السلام ـ ليس تفسيراً للقرآن، بل هو تحريف له. (التفسير الماجدي: الأنبياء ٧٩).

ـ وقلة الاهتمام بالأحاديث في فهم القرآن.

والدراية مضطربة، ونقده لبعض أحاديث الصحيحين يلقى رواجًا في أوساط الجماعة الإسلامية بدعوى حرية التفكير والتحقيق في النظام الإسلامي. وخاصةً مقاله «مسلك الاعتدال»[١] المطبوع في التفهيمات، الذي أبدى فيه آراء متفككة في ظنية خبر الآحاد، وخرج على منهج المحدثين في نقد الحديث، ونظر إليه بنظر الريبة والشكّ. كما ردّ فيه على طائفة منكري الحديث، انتقد على أنصاره أيضًا، ما ينشئ جراثيم لرفض الحديث، ويفتح أبوابًا سرّية لإنكاره، أمام أصحاب العقول المريضة، والأفكار السقيمة الذين يبحثون عن كلمات يتخذونها شبكة يصيدون بها سفهاء الأحلام، وصغار العقول.

وقد وقع ما كان يُخَافُ منه، هذا «غلام أحمد برويز» رئيس طائفة منكري الحديث، استشهد بكلام الشيخ المودودي على تأييد وجهة نظره الرافضة للحديث مرّات، وخاصة استغل هو وزملاؤه «التفهيمات» للشيخ المودودي، للردّ على أنصار الحديث في كثير من الأحيان، حتى قال هذا الغلام مستفزًّا الجماعة الإسلامية:

«عقيدتي وعقيدة الشيخ المودودي في قضية إنكار الحديث سواسية، فلا تناقشني الجماعة الإسلامية فيها بدون طائل»[٢] .

وأضاف إلى ذلك أن أول مقال ضدّ الحديث لهذا الغلام نشر بعنوان «عبودية الشخصية» في مجلة «ترجمان القرآن» للشيخ المودودي. وأيّده في ذلك الوقت إلى حد كبير[٣] .

لم يكن الشيخ المودودي منكراً للحديث مثل «غلام أحمد برويز» (معاذ

(١) وهو أحرى بأن يسمى «مسلك الاعتزال».

(٢) «إضاحة الحق» للقريشي (ص٧٤ ـ مقال الشيخ محمد يونس الدهلوي) نقلاً عن «طلوع إسلام» عدد إبريل ـ مايو ١٩٥٥م.

(٣) «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث» (ص٤٤ ـ مقدمة الفوجياني ـ طبعة الكويت).

اللَّه)، ولا يقول ذلك إلا معاند بل هو ردّ على هذا الغلام وغيره من منكري الحديث في كتاباته، حتى ألّف كتابه «المكانة التشريعية للسنّة» ولكن إذا نُظِرَ إلى كتاباته المتعلقة بالحديث بمنظار المحدّثين تتصل حدودها بإنكار السنّة. وذلك لنقد منهج المحدثين نقدًا حرًا بدون التقيد بالقواعد والأصول، ورميه إياهم بالاتكال على الرواية دون الدراية وتشكيكه في صحة بعض أحاديث الصحيحين، وخلطه في مبحث ظنّية خبر الآحاد[1].

وهناك نقاط تشبث بها منكرو الحديث قديمًا وحديثًا للرد على الأحاديث الصحيحة كما ذكرها الشيخ المودودي نفسه في «التفهيمات» (١/ ٣٥٤)، والفرق بينهم وبينهم هو الفرق ما بين الرد الجزئي، والرفض الكلي؛ لأنهم يعممون هذه القواعد ويجعلونها معياراً على السنة، والشيخ يردّ بها بعض الأحاديث الصحيحة وقد قال بعد ذكر هذه النقاط، وهو بصدد الرد على منكري الحديث «يستدلون بهذه الأفراد على رفض المجموعة الحديثية كلها، وهذا أشبه بالاستدلال بشرور عدة أفراد من الجماعة على شرور الجماعة كلها» (التفهيمات١/ ٣٥٤).

□ ومن خلال التتبع لكتابات الشيخ المودودي نجده يرد بعض الأحاديث الصحيحة لمخالفة الحديث للعقل والذوق، أو مخالفته للقرآن، أو مخالفته للوقائع التاريخية.

وبعض النقاط في كتابات المودودي لرد الأحاديث الصحيحة لا يؤدي إلا إلى عدم الثقة بجهود المحدثين، وإلى تأليه العقول والذوق إزاء الأحاديث الصحيحة.

ومن الأحاديث التي ردّها الأستاذ المودودي «حديث الكذبات الثلاث»[2].

---

(١) «زوابع في وجه السنة» لصلاح الدين مقبول (ص١١٨ ـ ١٢١).

(٢) رواه البخاري ـ كتاب البيوع ـ باب شـراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، و«صحيح =

☐ وحديث سليمان عليه السلام «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة...» وفي رواية «تسعين» وهو أصح[1] .

وردّ المودودي حديث الجسّاسة والدجال الذي رواه مسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، وأحمد، والطيالسي عن فاطمة بنت قيس، وأبو يعلى في مسنده عن جابر.

وقد سئل الأستاذ المودوي عن الدجال: «يشهر عن المسيح الدجال بأنه مقيد بالسلاسل في مكان ما، فما هو المكان الذي حُبس فيه، وقد وصل الإنسان اليوم في كل زاوية من زوايا الدنيا، فما هو السبب بأنه لا يوجد له خبر ولا أثر الآن»[2] .

☐ ردّ عليه الشيخ المودودي بما يأتي:

«هذا المسيح الدجال وغيره من الأساطير[3] ، التي ليست لها أي حيثية شرعية، وأيضًا لسنا في حاجة إلى البحث عن مثل هذه الأشياء، والإسلام ليس مسئولاً عما اشتهر بين العامة من الناس من هذه الأمور. فإن ثبت خطأ بعضها لا يتضرّر به الإسلام شيئًا؟!»[4] .

☐ تعقبه سائل على ذلك، فقال:

«سُئِلتَ في مجلة «ترجمان القرآن» عما هو مشهور عن المسيح الدجال،

= مسلم» (٢٣٧١)، وسنن أبي داود (٢٢١٢)، و«جامع الترمذي» (٣١٦٥).

(١) «صحيح البخاري» أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾، و«صحيح مسلم» (١٦٥٤)، وسنن النسائي (٧/ ٢٥).

(٢) «الرسائل والمسائل» للمودودي (١/ ٤٤ - ٤٥) تحت عنوان «القرآن والحديث والحقائق العلمية».

(٣) ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

(٤) «الرسائل» (١/ ٤٦) (نقلاً عن مجلة «ترجمان القرآن» عدد رمضان - شوال ١٣٦٤هـ سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٥م).

بأنه محبوس في مكانٍ ما، فما هو المكان، وقد وطئت أقدام الإنسان كل ناحية من نواحي الدنيا، فلماذا لا يوجد له أثر ولا خبر؟

ورددت على السائل «بأن المسيح الدجّال وغيره من الأساطير التي ليس لها أي حيثية شرعية».

ولكن لحد علمي ورد ذكر الدجال على الأقل في ثلاثين رواية، ويمكن تصديقه بالرجوع إلى «صحيحي البخاري ومسلم»، و«سنن أبي داود» و«جامع الترمذي»، و«شرح السنة»، و«سنن البيهقي».

فعلى ماذا ينبني ردك على السائل عن المسيح الدجال؟»[1].

□ فرد الشيخ المودودي على السائل: «إن الأمر الذي تحققت فيه أنه «أسطورة» هو ذلك الوهم الذي يؤكد أن الدجال محبوس في مكان ما»!!!.

* إصرار الشيخ المودودي على موقفه من الحديث وردّ العلماء عليه:

لقد أصرّ الشيخ المودودي على هذا الموقف من الحديث رغم المناقشات الكثيرة التي دارت حوله بينه وبين علماء شبه القارة الهندية وتبناه أصحابه أيضًا ـ إلا من رحم ربّهم ـ ودافعوا عنه. حتى سهل الآن على العامّة منهم فضلاً عن الخاصة أن يردّوا بعض أحاديث «الصحيحين» بدون أي مبالاة، معتمدين على كتاباته بهذا الصدد[2].

وقد طلب من الشيخ بعضُ المحبّين له، والمخلصين لدعوته الرجوع عن الكتابات التي تقلّلُ أهمية الحديث، وخاصّةً ما ورد في «مسلك الاعتدال»، وأثار ضجّة في الأوساط الدينية، وعوّق سير الدعوة. ولكنه لم يزل مدافعًا

(١) «الرسائل والمسائل» (١/٤٧) تحت عنوان «تحقيق حديث الدجال».

(٢) زد إلى ذلك أن كتابه «مسلك الاعتدال» الذي يعتبر قاعدة كلّية لنقد منهج المحدثين ـ حسب زعمه ـ نُشِرَ أخيرًا في الكويت للتوزيع مجانًا، تعصبًا لرأيه فقط؛ لأنه لا يخدم أي جانب من جوانب الدعوة. فنسأل الله السلامة!.

عن موقفه، محاولاً إقناع المعارضين له من غير أن يطرأ عليه أي تغيير[١] .

ولأجل إصراره على هذه الموقف من الحديث ردّ عليه كثير من العلماء في كتبهم المستقلّة، غير البحوث والمقالات المنشورة في الجرائد والمجلاّت[٢] .

ومنهم:

- الشيخ أبو الوفاء ثناء اللّٰه الأمرتسري.
- والشيخ الحافظ محمد الغوندلوي.

---

(١) راجع الاستدراك على «مسلك الاعتدال» المنشور في آخره، و«الرسائل والمسائل» (١/٢١٩ - ٢٣٥) حيث ردّ على السائلين عن هذا الموضوع بعناوين مختلفة، مثلاً: «الحديث والفقه»، و«حريّة التحقيق في النظام الإسلامي للجماعة»، و«مكانة الإسناد والتفقّه في تحقيق الأحاديث».

(٢) أما الردود على الشيخ المودودي في مجالات أخرى مختلفة فتبلغ حسبما عرفت بالأرقام (مائة وعشرة كتب) ما بين صغير وكبير، ورطب ويابس، وعنيف وليّن.
ردّ عليه من علماء «ديوبند» الأحناف المعروفين:
- الشيخ حسين أحمد المدني.
- والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.
- والشيخ ميان محمد الدهلوي.
- والسيد مهدي حسن (مفتي ديوبند).
- ونظرة عابرة في فهرس الردود على الشيخ المودودي، تكشف أيضًا عن أسماء بعض الشخصيات المعروفة على مستوى العالم الإسلامي، التي التزمت بالجماعة الإسلامية، ثم انفكّت عنها. وألفّت في تحديد مواضع الضعف في الجماعة وأميرها حسب تجاربها.
ومن هذه الشخصيات:
- السيد أبو الحسن علي الندوي.
- والأستاذ أسرار أحمد.
- والأستاذ وحيد الدين خان.
- والأستاذ عبيداللّٰه الكاشميري.
- والشيخ منظور أحمد النعماني - وغيرهم.

- والشيخ عبدالله الأمرتسري الروبري.
- والشيخ عبدالرؤوف الرحماني.
- والشيخ محمد إسماعيل السلفي.
- والشيخ عبدالمبين منظر البستوي.
- والشيخ الحافظ محمد صلاح الدين يوسف.

❑ وقال العلامة محمد إسماعيل السلفي ردًّا على «مسلك الاعتدال» للشيخ المودودي:

«وخاصة «مسلك الاعتدال» فقد قاءت فيه مزبلة الدماغ حثالة أفكارها بدون اعتدال. فلو أن أحدًا من منكري الحديث كتبه لم يكتب إلا ذلك»[1].

غفر الله له وأجزل له المثوبة جزاء حسناته وعفا عن هفواته.

* * *

(١) «موقف الجماعه الإسلامية من الحديث النبوي» (ص١٢٨) الدار السلفية بالكويت.

* عالم عصره وعلاّمة مصره مربِّي الرجال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

ولد ـ رحمه اللَّه ـ في الرياض سنة ١٣١١ هجرية.. وتلقى علومه على أيدي الصفوة من علماء مصره وفي مرض موت عمه الشيخ عبداللَّه بن عبداللطيف أوصى الشيخ الملك عبدالعزيز به خيرًا، وأعلمه بكفاءته العلمية والشخصية، وأنه يصلح أن يكون خليفة عنه بعد مماته في كل ما كان يقوم به من نشر العلم والدعوة إلى اللَّه تعالى والإفتاء وحل المشكلات العامة وتذليل الصعاب. ولما توفى عمه عين الملك عبدالعزيز الشيخ محمد بن إبراهيم خلفًا له في الإفتاء والتدريس وعمره ٢٨ عامًا. «فصار مرجع الناس في الإفتاء، وإمامًا للناس في الفروض الخمسة في مسجد الشيخ، وشيخ العلم والتعليم فيه أيضًا، فكان يجلس فيه لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، تقرأ عليه الأفواج في جملة من العلوم الشرعية والعربية، وهو بين ظهرانيهم مَعين لا ينضب، ونشاط لا ينقطع، وعلم لا ينحسر، ودأب عجيب دائم، لا يُغني هذا الكلام عن تصوره حقيقة، ولذا سأدع الحديث هنا لفضيلة الشيخ عبداللَّه بن عبداللطيف، إذ يقول في ترجمته في كتابه «مشاهير علماء نجد» (ص١٧٠) وهو يتحدث عن طريقة تدريس الشيخ وأوقات جلوسه للتعليم والمستفيدين[1] : كان الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ إذا صلى الفجر، جلس في المسجد يقرأ عليه صغار الطلبة في كتاب «الآجرومية» في النحو، وبعدهم يقرأ عليه متوسطو الطلبة في كتاب «القطر» لابن هشام في النحو، وبعدهم يقرأ عليه كبار الطلبة في «ألفية ابن مالك» وشرح ابن عقيل عليها في النحو أيضًا.

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر» لعبدالفتاح أبي غدة (ص٢٦٤) ـ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

□ فإذا انتهوا من قراءة النحو في «الألفية» وشرحها، قرأوا عليه في الفقه من متن «زاد المستقنع» غيبًا، فإذا قرأ آخرهم وسكت، أخذ الشيخ في قراءة ما قرأوه من المتن من حفظه، وشرع يتكلم على بعض العبارات، ويوضح معاني الكلمات، فإذا انتهى شرع أحد الطلاب في قراءة شرح «الزاد» المسمى «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، قراءة ترتيل، يقف عند كل فقرة وجملة، والشيخ يُعلق على عبارات الشارح وجمله، بكلام يوضح المعنى ويزيل الإشكال، ويصور المسائل تصويرًا ملموسًا، يقرِّب المعاني الفقهية إلى أذهان الطلبة، ويقرر قواعدها في نفوسهم.

فإذا انتهى من تقريره على الفقه، شرعوا في القراءة عليه في «بلوغ المرام» فإذا أشارت الساعة إلى الواحدة نهارًا ـ بالتوقيت الغروبي وذلك وقت الضحى ـ انصرف إلى داره وجلس فيها فإذا حانت الساعة الثالثة، جاءه كبار الطلبة وخواصهم، وقرأوا عليه إلى الساعة الخامسة قبيل الظهر، ثم انصرفوا، فإذا أُذِّن بالظهر، خرج وصلى بالناس في المسجد، وجاءه أهل المطولات وقرأوا عليه في مختلف الكتب، كـ «جامع الترمذي»، و«صحيح البخاري» و«زاد المعاد»، فإذا انتهوا قرأ عليه بعض الطلبة في المتون العلمية غيبًا، مثل «كتاب التوحيد» و«العقيدة الواسطية».

□ فإذا أُذِّن بالعصر خرج إلى داره وجدّد الوضوء، ثم رجع وصلى بالناس العصر، وجلس في المسجد يقرأ عليه أحد أعيان الطلبة في بعض الردود، فإذا انتهى قرأ عليه جملة من الطلبة في مصطلح الحديث، فإذا انتهوا قرأوا عليه في «العقيدة الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا بقي إلى أذان المغرب مقدار نصف ساعة خرج إلى داره.

□ فإذا أُذن بالمغرب جاء وصلى بالناس، ثم جلس في المسجد للطلبة، يقرأون عليه علم الفرائض والمواريث، فإذا حان أذان العشاء، قام من حلقة درس الفرائض إلى الصف الأول في المسجد، وتنفل بركعات، ثم أمر

القارئ، فشرع يقرأ عليه في «تفسير ابن كثير» إلى الساعة الثانية والنصف، فيأمر بإقامة صلاة العشاء، فإذا أقيمت وصلى بالناس تنفّل وأوتر، وخرج إلى داره وهي قريبة من مسجده.

◻ وكان ـ رحمه اللّه تعالى ـ لا يدع طالب العلم المبتدئ يقرأ عليه في الفقه والمطوّلات، حتى يقرأ عليه في مختصرات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإذا قرأها عليه عن ظهر قلبه، سمح له في القراءة عليه في مختصر «المقنع» وغيره في كتب الفقه، وفي القراءة في «بلوغ المرام» وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها، و«الروض المربع» فكان يربي الطلبة بصغار العلوم قبل كبارها. وقد استمر على هذا الترتيب في الدروس بهذه الصفة، إحدى وأربعين سنة من عام ١٣٣٩ إلى عام ١٣٨٠، حيث ترك جميع الدروس ما عدا درس الفقه و«بلوغ المرام»، فإنه لم يترك الجلوس لهما بعد صلاة الفجر، إلى أن حبسه المرض، فاقتصر على درس التفسير قبيل القيام إلى صلاة العشاء يُقرأ عليه في تفسير ابن جرير الطبري «انتهى كلام الشيخ عبداللّه بن عبداللطيف.

وهذه حقبة كبيرة من الزمن في عمر الرجل العالم ٤١ عامًا: تعليمًا وتدريسًا وتفقيهًا وتحديثًا، فقد كان الشيخ «أمة» في جسد رجل، وكان مسجده «جامعة» في قلب نجد، ملأت بلاد نجد وغيرها علمًا، وأنارتها بعلوم الشريعة، قبل أن تُبني مدارس التعليم والمعاهد والكليات والجامعات، التي هي أثر من آثار نهضة الشيخ العلمية ـ رحمه اللّه تعالى ـ وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيرًا.

وكانت علوم الشيخ عيونًا صافية متدفقة، أروت الظماء، وأنشأت العلماء، وأسس الشيخ بجهوده المخلصة لنهضة علمية كبرى، فقد تخرّج به أعداد كبيرة لا تُحصى من العلماء والمحصّلين، وحسبك أن تعلم أن جُلّ أكابر

علماء المملكة اليوم هم من تلاميذه، وهم الذين يشغلون أعلى المناصب العلمية والدينية، ويملأون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس والوعظ والإرشاد والدعوة إلى اللَّه تعالى.

يبني الرجال وغيره يبني القرى شتان بين قرىً وبين رجال[1]

*** تلامذته وأبناؤه في العلم:**

أمضى الشيخُ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ كلَّ عمره الشريف في التعليم ونشر العلم والدعوة إلى اللَّه تعالى. . ، وقد عاش نحو ثمانين عامًا، عاش منها فوق خمسين عامًا يَنشُرُ تلك الفضائل، ويَبُثُّ ذلك الخيرَ في أبناء الأمة، فما تكادُ تجدُ عالمًا كبيرًا في هذه الديار إلاَّ وهو من تلامذته، أو من الطبقة التي أخَذَتْ عن تلامذته، وهم جميعًا مُستقون من مَعينه، مُتعلِّمون بين يديه، ومتتلمذون عليه، فحَصْرُ تلاميذه عَدَدًا وتسميةً أمرٌ عسيرٌ، لا يُمكِن انضباطُهُ.

فشيوخُ العلم الكبار والجامعات الإسلامية والكليات والمعاهد العليا، وشيوخُ القضاء والإفتاء، وشيوخُ المعاهد المتقدمين في العلم هم من طلابه، وهذا أمرٌ معروفٌ، ونَسبٌ شريف يَتفاخَرُ به المنتسبون إلى حلقة الشيخ في هذه الديار النجدية، ويَعتَزُّون به. وما كان بي من حاجة إلى تسميةِ أحد منهم، لولا أن البعيدَ عن هذه الديار، إذا سَمِعوا أسماءَ بعض تلامذة الشيخ الذين هم من كبارِ أهل العلم اليوم، زادَتْ معرفتُهم بمقام الشيخ العلمي وزعامتُه الدينية الوارفة، فمن أجلِ هؤلاء أسوق بعضَ الأسماء، معتذرًا عن عدم الاستيفاء[2] .

---

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» (ص٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) الأسماءُ المذكورة جلُّها منقول من ترجمة الشيخ في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، وهناك أسماءٌ كثيرةٌ أخرى.

١ ـ سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حُمَيد، الرئيس الأعلى لمجلس القضاء.

٢ ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، الرئيس العام لإدارة الإفتاء والبحوث والدعوة.

٣ ـ معالي الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، شقيق الشيخ، والرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالمنطقة الغربية.

٤ ـ معالي الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم، نجل الشيخ، ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود قبل تقاعده.

٥ ـ معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، نجل الشيخ، ووزير العدل قبل تقاعده.

٦ ـ الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمى، رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة.

٧ ـ معالي الشيخ عبدالله بن سليمان المِسعَري، رئيس ديوان المظالم في المملكة سابقًا.

٨ ـ العَلاَّمة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الوسطى والشرقية.

٩ ـ معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، رئيس هيئة الأمر بالمعروف في المملكة ووزير المعارف سابقًا.

١٠ ـ العَلاَّمة الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، نزيل مدينة أبها ومفتي عسير ورئيس قضاتها.

١١ ـ الشيخ عبدالرحمن بن فارس، أحد قضاة مدينة الرياض أيضًا.

١٢ ـ الشيخ عبدالرحمن بن سعد، القاضي، من بلدة مَلْهَم.

١٣ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان من آل مبارك، قاضي بلدة الخَرْج والأفلاج.

١٤ ـ الشيخ سعد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن رُوَيشِد.

١٥ ـ الشيخ إبراهيم بن عبدالله آل الشيخ، ابن أخي الشيخ.

١٦ ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن عتيق.

١٧ ـ الشيخ عبدالعزيز بن عجلان، من بلدة نَعَام المعروفة.

١٨ ـ الشيخ محمد بن مسلم آل عثيمين، قاضي مدينة تبوك والبِدَع.

١٩ ـ الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن فريّان.

٢٠ ـ الشيخ راشد بن صالح بن خُنَيْن، وكيل ثم المستشار في الديوان الملكي.

٢١ ـ الشيخ سعود بن رُشُود، رئيس محكمة الرياض.

٢٢ ـ الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك، قاضي مدينة شقراء.

٢٣ ـ الشيخ محمد بن مُهَيزِع، أحد القضاة في مدينة الرياض.

٢٤ ـ الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، جامع «مجموع فتاوي ابن تيمية».

٢٥ ـ الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، نجل المذكور قبله ومعينه في جمع «الفتاوي».

٢٦ ـ الشيخ أحمد بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، أمين مكتبة كلية الشريعة بالرياض.

٢٧ ـ الشيخ محمد بن الأمير، أحد قضاة المحكمة الكبرى في الرياض.

٢٨ ـ الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان، رئيس الهيئة القضائية العليا.

٢٩ ـ الشيخ محمد بن جبير رئيس ديوان المظالم في المملكة رئيس مجلس الشورى.

٣٠ ـ الشيخ زيد بن فياض الوهبي التميمي مؤلف الروضة الندية وغيرها.

٣١ ـ الشيخ عبدالرحمن بن عتيق، القاضي.

٣٢ ـ الشيخ عبداللَّه بن عبدالعزيز الخضيري، القاضي.

٣٣ ـ الشيخ عبداللَّه بن عبدالعزيز الراجحي، أحد المدرسين.

٣٤ ـ الشيخ عبداللَّه بن عبدالرحمن الراشد، أحد المدرسين.

٣٥ ـ الشيخ محمد بن فُوزان بن مُشرف، أحد المدرسين.

٣٦ ـ الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، العلامة المحدث الفقيه الباحث في دار الإفتاء.

٣٧ ـ الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن جابر، القاضي.

٣٨ ـ الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، أحد المدرسين.

٣٩ ـ الشيخ عبداللَّه بن سليمان المنيع، القاضي سابقًا، من هيئة كبار العلماء.

٤٠ ـ الشيخ صالح بن علي الغصوب، العلامة عضو مجلس القضاء الأعلى.

٤١ ـ الشيخ حسن بن عبداللطيف المانع، العلامة المدرس.

٤٢ ـ الشيخ علي بن عبداللَّه بن مسلم.

٤٣ ـ الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن شلهوب، مدير معهد إمام الدعوة العلمي سابقًا.

٤٤ ـ الشيخ عبدالله بن سليمان المعيوف.

٤٥ ـ الشيخ عبدالرحمن بن محمد الهويمل، قاضي الرياض.

٤٦ ـ الشيخ عبدالعزيز بن خلف بن عبدالله الخلف، القاضي وصاحبُ كتاب: نظرات في كتاب حجاب المرأة المسلمة للألباني.

٤٧ ـ الشيخ محمد بن خلف بن عبدالله الخلف، القاضي.

٤٨ ـ الشيخ عبدالعزيز بن محمد العريفي، القاضي.

٤٩ ـ الشيخ مُقبِل بن عبدالله العصيمي، القاضي.

٥٠ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، المدرّس.

هذه شَذْرَةَ من أسماء تلامذة الشيخ، لا تُعبِّر عن عددهم إطلاقًا، فهم لا يُحصَون كثرةً كما أسلفتُ، وإنما تُعبِّرُ عن نموذج للمستوى العلمي الرفيع الذي نهض به الشيخُ، وخَلَّفَه في أبنائه أكابِر العلماء في هذه الديار السعودية.

وهذه شَذْرَةٌ من تاريخ حياته الحافلة بالمآثر والعطاء والمحامد الشمَّاء، فللَّه دَرُّه وبِرُّه، واللَّهُ المرجوُّ أن يتغمده بواسع رحمته، ويُسبِغَ عليه شآبيب رضوان العظيم.

وما كلُّ ما فيه من الخير قلتُهُ   وما كلُّ ما فيه يقولُ الذي بعدي[1]

* اهتمام الشيخ بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كانت الدعوة إلى الله شعار الشيخ وحليته، وكان له فيها اليد الطولى.

«وبداية رحلة الشيخ ـ رحمه الله ـ في الدعوة إلى الله أن أرسله الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ناصحًا ومرشدًا لأهل الغطغط لما رأى تشديدًا منهم

(١) المصدر السابق (ص٢٨٥ ـ ٢٩٠).

في الدين وتكفيرًا وغلوًّا ينافي الشرع وذلك سنة ١٣٤٥هـ وعمره ٣٤ سنة، فأخذ يناصح الإخوان ويسايسهم بحكمة ويبين لهم أحكام الشرع وما يجب عليهم من طاعة ولاة الأمور، وأقام ـ رحمه اللَّه ـ بين ظهرانيهم ستة أشهر صاحبه فيها أخوه الأصغر عبدالملك بن إبراهيم كاتبًا ومرافقًا وحمل معه كتبًا للمطالعة فشرح للإخوان أصول التوحيد وضوابط التكفير، وبيّن لهم عبارات أئمة الدعوة وفسّرها، واحتج لهم بالنصوص الشرعية وقعدّ لهم في ذلك القواعد، فأفادهم في ذلك أدلة سمعية وعقلية، فتراجع منهم مجموعة، ولكن بعضهم بثّ فيهم روح الشقاق وعدم القناعة، فعلم الشيخ أنهم يكيدون له، وأنهم يرومون قتله، فأمر بتجهيز مطيته، وحمل عليها كتبه ليلاً وما خفّ من متاع، ثم تركها عائدًا إلى الرياض»[1].

*** آثاره الباقية في إقامة مناهل العلم والدين:**

لم يكن يُقنِع الشيخ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما رآه من كثرة الطلبة والعلماء حوله، فقد رغب أن يعمّ هذا الازدهار العلمي الأطراف البعيدة والقريبة في المملكة، على وجه نظامي موسع، ليُدخل العلم إلى كل قرية وبلد، فرأى في عام ١٣٦٩ أن يُنشأ في الرياض معهد علمي نظامي يكون تحت نظره وإشرافه، حتى يحتذَى به في إنشاء أمثاله في بقية البلاد السعودية، وتمّ افتتاح المعهد العلمي بالرياض في سنة ١٣٧١ تحت نظر الشيخ وإشرافه، ثم رأى إنشاء «كلية الشريعة في عام ١٣٧٣هـ تحت إشرافه أيضًا، واستقبلت خريجي المعهد العلمي، وكانوا طلائع الخير للأفواج المتلاحقة. ورأى الشيخ أن يعمم هذه الثمرة العظيمة في أنحاء المملكة، فتحصّل في عام ١٣٧٤هـ على أمر ملكي، يخوّله افتتاح فروع لهذا المعهد في سائر جنبات المملكة كما

---

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» لراشد بن عثمان الزهراني (١/ ٩٤ ـ ٩٥) ـ دار الصميعي.

يريد، فأمر سماحته بافتتاح ستة معاهد. ورأى سماحته أن يكون للغة العربية كلية مستقلة فأنشئت كلية اللغة العربية بالرياض في عام ١٣٧٤، وكانت تحت إشرافه أيضًا.

ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية في سائر أنحاء المملكة. وأنشأ مكتبة عامة تتوافر فيها الكتب النادرة في الرياض ١٣٧٠هـ تحت إشرافه ونظره. وجلب لها أمهات الكتب ونوادر المخطوطات.

◻ ثم اتجه نظره إلى نشر العلم بين أبناء المسلمين قاطبة فأُنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١ تحت إشرافه ورئاسته وكان ـ رحمه اللَّه ـ وراء إنشاء المعهد العالي للقضاء بالرياض في عام ١٣٨٥، وتم افتتاحه عام ١٣٨٧، تحت إشرافه وبرئاسته أيضًا.

◻ وفي سنة ١٣٧٣ أُنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشئون الدينية تحت رئاسته.

وكان الشيخ يُستفتَى في كبار المسائل وصعابها من داخل المملكة وخارجها، فيجيب السائلين ويُفيد المستفتين حتى تكوّن من فتاواه مجلدات كثيرة.

◻ وفي سنة ١٣٧٦هـ أُنشئت رئاسة القضاء في نجد وملحقاتها والمنطقة الشرقية والشمالية وأسندت رئاستها إليه، ثم ضُمت إلى رئاسة القضاء في الحجاز سنة ١٣٧٨، ثم توحدت رئاسة القضاة فيه، وأنشأ في عهد رئاسته كثيرًا من المحاكم الشرعية في بلدان المملكة، وأقام فيها قضاة أفاضل من خيار تلامذته وطلابه.

ومن مناصبه أيضًا:

ـ رئاسة دور الأيتام. ـ الإشراف على رئاسة تعليم البنات. ـ رئاسة معهد إمام الدعوة ـ رئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا. ـ رئاسة المجلس الأعلى لرابطة

العالم الإسلامي. ـ رئاسة مؤسسة الدعوة الصحفية. ـ الإشراف على نشر الدعوة في افريقيا. ـ الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين والوعاظ والمرشدين. ـ رئاسة هيئة التمييز وكان إلى جانب هذه المهام التي تنوء بها العصبة أولو القوة خطيب الجامع الكبير، وإمام الفروض الخمسة في مسجده.

◻ وكان قد بدأ في إنشاء «مجلس هيئة كبار العلماء» واعتُمدت له ميزانية مالية لعام ١٣٨٩، غير أن الأجل وافاه قبل أن يباشر المجلس أعماله.

هذا موجز تقريبي للأعمال التي كان ينهض بها ذاك العَلَم المفرد، ويملأها بعلمه وحلمه وحكمته وحصافته وصبره وجلده، وما أصدق قول الشاعر البحتري في مثله:

قلبٌ يُطِــلُّ على أفكــاره وَيَــدٌ   تُمضي الأمور ونفسٌ لهوها التعبُ

وإن الدارس لحياته ليُدهش من هذا الدأب العجيب، والجلد المتواصل، والتوازن العظيم الذي يتحلّى به هذا الإمام الجليل، والتوازن في الرجال، عند إدارة الأعمال، من أغلى الصفات وأندرها، فكان يُصرف أمور التعليم والقضاء، والإفتاء، والإدارة في كل تلك المرافق الهامة والواسعة بصمت كامل، وحكمة وروية، دون دعاية ولا ضوضاء ولا إعلان، ويقوم مع هذا كله بالتعليم بنفسه، وبالتأليف، دون أن يطغى منه جانب على جانب، فللّه دره ما كان أقواه عزمًا وحزمًا وجلداً ودأبًا في ميادين الخدمة للإسلام والمسلمين.

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسامُ

◻ وللشيخ ـ رحمه اللّه ـ فتاوى جامعة، في العبادات والمعاملات والعقائد، وقد جمعها وجُلّ رسائل الشيخ ومكاتيبه، وطائفة كبيرة من محفوظاته، تلميذه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن القاسم، وطبعت في ١٣

جزءًا بعنوان «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ».

«وفي هذه الفتاوى والرسائل نماذج كثيرة حيّة ناطقة بعمق نظره في الفقه الإسلامي، ودقة نظره في القضاء، وشده اجتنابه من المداهنة في دين اللَّه تعالى، مع الانتباه التام لدخائل ودسائس أهل الأهواء والقلوب المريضة في شئون الدين»[١].

◻ يقول عنه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة: «له هيبة في الصدور كهيبة الملوك»[٢].

ومات الشيخ محمد بن إبراهيم في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٨٩هـ.

◻ قال أبو غدة: «كانت الفجيعة به فادحة جدًّا، والأسف عليه عظيمًا، والمصابُ به جللاً عامًا، والثناء عليه وعلى جهوده وجهاده طيبًا عطرًا، أثنت عليه الألسنة البعيدة والقريبة خيرًا، وترك فراغًا كبيرًا لم يُملأ بعده، فقد كان صرحًا رفيعًا للعلم وأهله، وسياجًا منيعًا للدين وذويه، ونصيرًا للإسلام والمسلمين في بلده وخارج بلده..

نعم لقد مات هذا الإمام الهمام والعالم المهيب، الذي كانت هيبته في نفوس أهل الشطط ورعاة التفرنج والشرود عن الجادة أشد رهبة من عصا السلطان القامعة الزاجرة المؤدبة، تحجمهم عن بوائقهم ومفاسدهم. فكان فقده كما قال القائل:

وما كان قيس هُلْكُه هُلْكَ واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدّما[٣]

---

(١) «تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٥).
(٢) المصدر السابق (ص٢٨٤).
(٣) المصدر السابق (ص٢٨٥).

□ يقول الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ الذي لو لم يكن للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من حسنات إلا هذا الإمام لكفى ـ تلميذ الشيخ:

«لقد أكرمني اللَّه سبحانه وتفضّل عليّ وله الحمد والمنة بأن كنت من أخصّ تلامذة شيخنا المذكور، لازمته نحو عشر سنين في عام ١٣٤٧هـ إلى عام ١٣٥٧هـ ثم تعينت في القضاء بعد ذلك لكني لم أنقطع عن الاتصال به وسؤاله عن كل ما يشكل والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفى ـ رحمه اللَّه ـ وقد حضرت له مواقف مشرفة، وشاهدت منه أعمالاً موفقة في نفع المسلمين والغيرة على الإسلام والرد على خصومه، أجزل اللَّه له المثوبة، وكان يوصي الطلبة كثيرًا بالدعوة إلى اللَّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وكان واسع العلم كثير الخوف من اللَّه سبحانه، ومناقبه وفضائلة كثيرة جدًّا»[1] .

*** الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي أعلم الناس بتفسير القرآن بالمأثور في قرننا:**

□ قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: مُلِئ علمًا من رأسه إلى أخمص قدميه».

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: «آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب».

وقال سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: «أعرف من الشيخ.. العلم الواسع بالتفسير واللغة العربية وأقوال أهل العلم في تفسير كتاب اللَّه عز وجل والزهد والورع والتثبت في الأمور، ومن سمع حديثه في التفسير

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» لراشد بن عثمان الزهراني (ص١٠١).

يعجب كثيراً من سعه علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته ولا يمل سماع حديثه، فرحمه اللَّه رحمة واسعة ونفع المسلمين بعلمه[١].

□ وقال عنه الشيخ الألباني: «من حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله «وشبهه بابن تيمية».

□ وقال عنه الشيخ حمّاد الأنصاري: «وله حافظة نادرة قوية، ويعتبر في وقته نادراً، ولم يكن له منافس في تفسير القرآن بأنواعه الأربعة: بالقرآن والسنة، وأقوال السلف، واللغة العربية، وعنده في اللغة استحضار عديم النظير»[٢].

□ وقال فيه تلميذه الشيخ بكر أبو زيد: «لو كان في هذا الزمان أحد يستحق أن يسمى شيخ الإسلام، لكان هو».

«اشتغل بتفسير القرآن على أوسع مجال في المملكة حوالي ثلاثين سنة تقريبًا، وفسّر القرآن في المسجد النبوي وحده ثلاث مرات قريبًا[٣]، وقد سمعته يقول: ما من آية في المصحف إلا وعندي عنها ما قيل فيها، وقد ظهر ذلك جليًا في أضواء البيان بحمد اللَّه»[٤].

درّس ـ رحمه اللَّه ـ التفسير بالمعهد العلمي وكلية الشريعة واللغة العربية بالرياض عشر سنين، ودرسه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوره اثنا عشر عامًا.

□ يقول عنه تلميذه الشيخ عطية سالم: «وكان اهتمامه بالعلم وبالعلم وحده، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية».

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٥، ١٤٦).
(٢) «ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان» للشيخ عبدالرحمن السديس ـ طبع دار الهجرة.
(٣) توفى ولم يكمل الثالثة.
(٤) «ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» للشيخ السديس.

وقال أيضًا: «مات ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن أحيا علومًا درست، وخلّف تراثًا باقيًا، وربّى أفواجًا متلاحقة تعد بالآلاف من خريجي كليات ومعاهد الإدراة العامة بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ما مات ـ رحمه اللَّه ـ إلا بعد أن ترك في كل مكتبة وفي كل منزل «أضواء البيان» تبدد الظلام وتهدي السبيل».

ولو لم يكن للشيخ إلا «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» هذا الكتاب الجليل العظيم، لكفاه فخرًا مدى الأزمان.

بكت المثاني ترجمان بيانها ... حاميمها تبكي عليه وصادُ
وكذا المعاني كالمثـــان ثـواكلاً ... أُمَّاتُها تبكي وتبكي الضادُ
هذا البيــان وهـذه أضـواؤه ... عزّت لغير الشيخ لا تنقادُ

❑ أما مناقبة وشمائله فقد قال عنه تلميذه الشيخ عطية سالم: «لو أن للفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها لكان هو أحق بها».

وقال عنه أيضًا: «وبالجملة؛ فقد كان ـ رحمه اللَّه ـ خير قدوة وأحسنها في جميع مجالات الحياة فكان العالم العامل، ولا أزكي على اللَّه أحدًا»[1] .

❑ أما عن زهد الشيخ فحدّث ولا حرج، كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «الذي يُفرحنا أنه لو كانت الدنيا ميتة لأباح اللَّه منها سد الحاجة».

❑ وأهدى له الأمير عبداللَّه بن عبدالرحمن آل سعود شقيق الملك عبدالعزيز بيتًا في الطائف، فردّه، ولم يقبله، فسُئل عن ذلك؟ فقال: «الذي بناه يحتاجه لنفسه، أما أنا فلم أبنه ولم أحتاجه، وعندي بيتي في المدينة يكفيني».

---

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» (ص١٤١).

◻ وقال الشيخ بكر أبو زيد: «وقد كان شيخنا هو محمد الأمين الشنقيطي متقللاً من الدنيا وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية»[١].

*** موقفه مع الحق:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ قويًا صلبًا في بيان الحق، لينًا سهلاً في الرجوع إلى ما ظهر إليه منه.

◻ يقول الشيخ عطية سالم ـ رحمه اللَّه ـ:

«في بعض الأعوام التي حججت معه قدمنا مكة يوم سبع من الشهر، وكان مفردًا الحج، وفي يوم الحج صحبته للسلام على سماحة المفتى ـ الشيخ محمد بن إبراهيم ـ بمنى، فسأله ـ رحمه اللَّه ـ عن نسكه فقال: جئت مفردًا الحج، وقصدًا فعلتُ، فأدرك المفتي ـ رحمه اللَّه ـ أن وراء ذلك شيئًا ولكن تلطف مع الشيخ وقال: أهو أفضل عندك حفظك اللَّه؟ فقال: حفظكم اللَّه لا للأفضلية فعلت، ولكن سمعت وتأكد عندي أن أشخاصًا ينتمون لطلب العلم يقولون لا يصلح الإفراد بالحج ويلزمون المفردين بالتحلل بعمرة، وهذا العمل لا يتناسب مع العديد من وفود بيت اللَّه الحرام كُلٌّ بما اختار من نسك، وكل يعمل بمذهب صحيح، وجرت محادثة من أنفس ما سمعت في تقرير هذا البحث مع مناقشة الأدلة وبيان الراجح، وأخيرًا قال: أنه لا ينبغي بيان الأفضل فهذا أمر مختلف فيه وكلٌّ يختار ما يترجح عنده، ولكن يعنيني إبطال القول بالمنع من صحة إفراد الحج لأنه قول لم يُسبق إليه، والأمة مجمعة على صحته، فما كان من سماحة المفتي ـ رحمه اللَّه ـ إلاّ أن استحسن قوله ودعا له.

أما المواقف الدالة على لينه مع الحق ورجوعه إليه كلما ظهر له فهي

---

(١) «إتحاف النبلاء بسير العلماء» (ص١٣٨).

كثيرة، منها أنه في آخر دروسه في الحرم النبوي في سورة براءة أعلن عن رجوعه عن القول في الأشهر الحرم بأنها منسوخة، قال: الذي يظهر إنها محكمة وليست منسوخة وكنّا نقول بنسخها في «إيهام الاضطراب» ولكن ظهر لنا بالتأمل أنها محكمة»[١] .

رحم اللَّه زاهد عصره وغريبه، فهو كما قال عنه الشيخ محمد بن مدين الشنقيطي

عجيب غريب في البرايا وإنما غرائبه في العلم فوق الغرائبِ

* دفاع الشنقيطي عن الشريعة وهدى القرآن وصدعه بالحق:

يزخر الكتاب المبارك «أضواء البيان» للشنقيطي عن دفاعه العظيم عن الشريعة وهدى القرآن، وإفحامه للزنادقة الأقزام والمناوئين لشرع اللَّه عز وجل بعقولهم العفنة، ونسوق موضعًا من تفسيره عند قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

☐ يقول ـ رحمه اللَّه[٢] ـ:

هذه الآية الكريمة أجمل اللَّه جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة، ولكننا إن شاء اللَّه تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدي القرآن للطريق التي هي أقوم بيانًا لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة، تنبيهًا ببعضه على كله من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفار، وطعنوا بسببها في دين الإسلام، لقصور

(١) المصدر السابق (ص ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) أنظر المبحث الذي نسوق قطعًا منه في «أضواء البيان» (٣/ ٣٧٢ ـ ٤١٦).

إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة».

ثم تكلم عن توحيد اللَّه عز وجل في القرآن، وهدى القرآن في جعل الطلاق بيد الرجل، وأن تسوية المرأة بالرجل في ذلك مكابرة في المحسوس، وتكلم عن تعدد الزوجات وأن ذلك من أقوم الطرق وأعدلها لأمور محسوسة يعرفها العقلاء، وهدي القرآن وهو أكمل هدى في تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث، ثم قال:

«فلتعلمن أيتها النساء اللاتي تحاولن أن تكن كالرجال في جميع الشئون أنكن مترجلات متشبهات بالرجال، وأنكن ملعونات في كتاب اللَّه على لسان رسوله ﷺ وكذلك المخنثون المتشبهون بالنساء، فهم أيضًا ملعونون في كتاب اللَّه على لسانه ﷺ، ولقد صدق من قال فيهم:

وما عجب أن النساء ترجلت ... ولكن تأنيث الرجال عجاب

واعلم وفقني اللَّه وإياك لما يحبه ويرضاه، أن هذه الفكرة الكافرة الخاطئة الخاسئة، المخالفة للحس والعقل، وللوحي السماوي وتشريع الخالق البارئ، من تسوية الأنثى بالذكر في جميع الأحكام والميادين، فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنساني مالا يخفى على أحد إلا من أعمى اللَّه بصيرته، وذلك لأن اللَّه جل وعلا جعل الأنثى بصفاتها الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة في بناء المجتمع الإنساني، صلاحًا لا يصلحه لها غيرها كالحمل والوضع، والإرضاع وتربية الأولاد، وخدمة البيت، والقيام على شئونه: من طبخ وعجن وكنس ونحو ذلك. وهذه الخدمات التي تقوم بها للمجتمع الإنساني داخل بيتها في ستر وصيانة، وعفاف ومحافظة على الشرف والفضيلة والقيم الإنسانية - لا تقل عن خدمة الرجل بالاكتساب؛ فزعم أولئك السفلة الجهلة من الكفار وأتباعهم: أن المرأة لها من الحقوق في الخدمة خارج بيتها مثل ما للرجل، مع أنها في زمن حملها ورضاعها

ونفاسها، لا تقدر على مزاولة أي عمل فيه أي مشقة كما هو مشاهد. فإذا خرجت هي وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة: من حفظ الأولاد الصغار، وإرضاع من هو في زمن الرضاع منهم، وتهيئة الأكل والشرب للرجل إذا جاء من عمله. فلو أجروا إنسانًا يقوم مقامها، لتعطل ذلك الإنسان في ذلك البيت التعطل الذي خرجت المرأة فرارًا منه، فعادت النتيجة في حافرتها على أن خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين؛ لأن المرأة متاع، وهو خير متاع الدنيا؛ وهو أشد أمتعة الدنيا تعرضًا للخيانة؛ لأن العين الخائنة إذا نظرت إلى شيء من محاسنها فقد استغلت بعض منافع ذلك الجمال خيانة ومكرًا، فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه ما لا يخفى على أدنى عاقل، وكذلك إذا لمس شيئًا من بدنها بدن خائن سرت لذة ذلك المس في دمه ولحمه بطبيعة الغريزة الإنسانية، ولا سيما إذا كان القلب فارغًا من خشية اللَّه تعالى، فاستغل نعمة ذلك البدن خيانة وغدرًا. وتحريك الغرائز بمثل ذلك النظر واللمس يكون غالبًا سببًا لما هو شر منه؛ كما هو مشاهد بكثرة في البلاد التي تخلت عن تعاليم الإسلام، وتركت الصيانة، فصارت نساؤها يخرجن متبرجات عاريات الأجسام إلا ما شاء اللَّه؛ لأن اللَّه نزع من رجالها صفة الرجولة والغيرة على حريمهم، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم! نعوذ باللَّه من مسخ الضمير والذوق، ومن كل سوء، ودعوى الجهلة السفلة: أن دوام خروج النساء بادية الرءوس والأعناق والمعاصم، والأذرع والسوق، ونحو ذلك يذهب إثارة غرائز الرجال؛ لأن كثرة الإمساس تذهب الإحساس، كلام في غاية السقوط والخسة؛ لأن معناه: إشباع الرغبة مما لا يجوز، حتى يزول الأرب بكثرة مزاولته، وهذا كما ترى. ولأن الدوام لا يذهب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء؛ لأن الرجل يمكث مع امرأته سنين كثيرة حتى تلد أولادهما، ولا تزال ملامسته لها، ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته، كما هو مشاهد لا ينكره إلا مكابر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وقد أمر رب السموات والأرض، خالق هذا الكون ومدبر شئونه، العالم بخفايا أموره، وبكل ما كان وما سيكون ـ بغض البصر عما لا يحل، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾ الآية.

❑ ثم تكلم عند هدي القرآن في ملك الرقيق وملك اليمين، وهديه في القصاص وهديه في قطع يد السارق، والدية، ورجم الزاني المحصن يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«ومن هدي القرآن التي هي أقوم: رجم الزاني المحصن ذكراً كان أو أنثى، وجلد الزاني البكر مائة جلدة ذكرًا كان أو أنثى.

أما الرجم ـ فهو منصوص بآية منسوخة التلاوة باقية الحكم، وهي قوله تعالى: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من اللَّه واللَّه عز حكيم».

وقد قدمنا ذم القرآن للمعرض عما في التوراة من حكم الرجم، فدل القرآن في آيات محكمة ـ كقوله: ﴿**يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه..**﴾ الآية، وقوله: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يدعون إلى كتاب اللَّه ليحكم بينهم..**﴾ الآية ـ على ثبوت حكم الرجم في شريعة نبينا ﷺ لذمه في كتابنا للمعرض عنه كما تقدم.

وما ذكرنا من أن حكم الرجم ثابت بالقرآن لا ينافي قول علي رضي الله عنه، حين رجم امرأة يوم الجمعة: «رجمتها بسنة رسول اللَّه ﷺ»؛ لأن السنة هي التي بينت أن حكم آية الرجم باق بعد نسخ تلاوتها. ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه في حديثه الصحيح المشهور: «فكان مما أنزل إليه آية الرجم،

فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول اللَّه ﷺ ورجمنا بعده..» الحديث.

والملحدون يقولون: إن الرجم قتل وحشـي لا يناسب الحكمة التشريعية، ولا ينبغي أن يكون مثله في الأنظمة التي يعامل بها الإنسان، لقصور إدراكهم عن فهم حكم اللَّه البالغة في تشريعه.

والحاصل ـ أن الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى؛ لأن الزاني لما أدخل فرجه في فرج امرأة على وجه الخيانة والغدر، فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراض، وتقذير الحرمات، والسعي في ضياع أنساب المجتمع الإنساني، والمرأة التي تطاوعه في ذلك مثله. ومن كان كذلك فهو نجس قذر لا يصلح للمصاحبة، فعاقبه خالقه الحكيم الخبير بالقتل ليدفع شره البالغ غاية الخبث والخسة، وشر أمثاله عن المجتمع. ويطهره هو من التنجيس بتلك القاذورة التي ارتكب، وجعل قتلته أفظع قتلة؛ لأن جريمته أفظع جريمة والجزاء من جنس العمل.

وقد دل الشرع المطهر على أن إدخال الفرج في الفرج المأذون فيه شرعًا يوجب الغسل، والمنع من دخول المسجد على كل واحد منهما حتى يغتسل بالماء. فدل ذلك أن ذلك الفعل يتطلب طهارة في الأصل، وطهارته المعنوية إن كان حرامًا قتل صاحبه المحصن؛ لأنه إن رجم كفر ذلك عنه ذنب الزنى ويبقى عليه حق الآدمي، كالزوج إن زنى بمتزوجة وحق الأولياء في إلحاق العار بهم كما أشرنا له سابقًا. وشدة قبح الزني أمر مركوز في الطبائع، وقد قالت هند بنت عتبة وهي كافرة: ما أقبح ذلك الفعل حلالاً! فكيف به وهو حرام، وغلظ جل وعلا عقوبة المحصن بالرجم تغليظًا أشد من تغليظ عقوبة البكر بمائة جلدة؛ لأن المحصن قد ذاق عسيلة النساء، ومن كان كذلك يعسر عليه الصبر عنهن، فلما كان الداعي إلى الزنى أعظم، كان الرادع عنه أعظم

وهو الرجم.

وأما جلد الزاني البكر ذكرًا كان أو أنثى مائة جلدة - فهذا منصوص بقوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**..﴾ الآية؛ لأن هذه العقوبة تردعه وأمثاله عن الزني، وتطهره من ذنب الزني كما تقدم. وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى تفصيل ما يلزم الزناة من ذكور وإناث وعبيد وأحرار «في سورة النور».

وتشريع الحكيم الخبير جل وعلا - مشتمل على جميع الحكم من درء المفاسد وجلب المصالح، والجري على مكارم الأخلاق، ومحاسن العادات، ولا شك أن من أقوم الطرق معاقبة فظيع الجناية بعظيم العقاب جزاء وفاقًا».

◻ وبين - رحمه اللَّه - أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، وبيّن سذاجة وجهل وعمي بصائر من تركوا دينهم واتبعوا الغرب، وتقولهم الباطل على الدين الإسلامي ورميه بما هو برئ منه لينفروا منه ضعاف العقول ممن ينتمي للإسلام ليمكنهم الاستيلاء عليهم؛ لأنهم لو عرفوا الدين حقًا واتبعوه لفعلوا بهم ما فعل أسلافهم بأسلافهم، فالدين هو هو وصلته باللَّه هي هي، ولكن المنتسبين إليه في جل أقطار الدنيا تنكروا له، ونظروا إليه بعين المقت والازدراء؛ فجعلهم اللَّه أرقاء للكفرة الفجرة؛ ولو راجعوا دينهم لرجع لهم عزهم ومجدهم، وقادوا جميع أهل الأرض. وهذا مما لا شك فيه ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾.

◻ ومن هدي القرآن للتي هي أقوم - بيانه أن كل من اتبع تشريعًا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبداللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح، مخرج عن الملة الإسلامية. ولما قال الكفار للنبي ﷺ: الشاة تصبح ميتة من قتلها؟ فقال لهم: «**اللَّه قتلها**» فقالوا له: ما ذبحتم بأيديكم حلال، وما ذبحه اللَّه بيده الكريمة تقولون

إنه حرام! فأنتم إذن أحسن من اللَّه!؟ أنزل اللَّه فيهم قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ حذف الفاء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يدل على قسم محذوف فهو قسم من اللَّه جل وعلا أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين، وسيوبخ اللَّه مرتكبه يوم القيامة بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ لأن طاعته في تشريعه المخالف للوحي هي عبادته.

* وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ أي: ما يعبدون إلا شيطانًا، وذلك باتباعهم تشريعه.

* وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ..﴾ الآية فسماهم شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية اللَّه تعالى.

* وقال عن خليله: ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ الآية، أي بطاعته في الكفر والمعاصي. ولما سأل عدي بن حاتم النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا﴾ الآية، بين له أن معنى ذلك أنهم أطاعوهم في تحريم ما أحل اللَّه وتحليل ما حرم. والآيات بمثل هذا كثيرة.

* والعجب ممن يحكم غير تشريع اللَّه ثم يدعي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾.

* وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

* وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

❑ ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ـ هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع، وأن ينادي بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام؛ لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك، بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيها على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ الآية، أي لا تخرجون إخوانكم.

* وقوله: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين.

* وقوله: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ الآية، أي: إخوانكم على أصح التفسيرين.

* وقوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم﴾ الآية، أي لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات، ولذلك ثبت في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

* ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية: قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ

قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والأبناء والإخوان والعشائر.

* وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الآية.
* وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.
* وقوله: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

◻ فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية ـ لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين.

ومن أصرح الأدلة في ذلك: ما رواه البخاري في «صحيحه» قال: باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان قال: حفظناه من عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار!! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!! فسمعها الله رسوله فقال: «**ما هذا؟**» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة..**» الحديث.

فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار، وهذا المهاجري: يا للمهاجرين ـ هو النداء بالقومية العصبية بعينه، وقول النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**» يقتضي وجوب ترك النداء بها؛ لأن قوله: «**دعوها**» أمر صريح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما تقرر في الأصول؛ لأن الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* ويقول لإبليس: ﴿مَا منَعكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فدل على أن مخالفة الأمر معصية.

* وقال تعالى عن نبيه موسى في خطابه لأخيه: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ فأطلق اسم المعصية على مخالفة الأمر.

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فدلت الآية على أن أمر الرسول ﷺ مانع من الاختيار، موجب للامتثال، لا سيما وقد أكد النبي ﷺ هذا الأمر بالترك بقوله: «**فإنها منتنة**». وحسبك النتن موجبًا للتباعد لدلالته على الخبث البالغ.

□ فدل هذا الحديث الصحيح على أن النداء برابطة القومية مخالف لما أمر به النبي ﷺ، وأن فاعله يتعاطى المنتن، ولا شك أن المنتن خبيث، والله تعالى يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ..﴾ الآية، ويقول: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ وحديث جابر هذا الذي قدمناه عن البخاري أخرجه أيضًا مسلم في «صحيحه» قال ـ رحمه الله ـ: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وأحمد بن عبدة الضبي، وابن أبي عمر، واللفظ لابن أبي شيبة قال ابن عبدة: أخبرنا وقال الآخرون: حدثنا سفيان بن عيينة قال سمع عمرو جابر بن عبدالله يقول: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار؟! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية!**» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» الحديث.

□ وقد عرفت وجه دلالة هذا الحديث على التحريم، مع أن في بعض رواياته الثابتة في «الصحيح» التصريح بأن دعوى الرجل: «**يا لبني فلان**» من

دعوى الجاهلية. وإذا صح بذلك أنها من دعوى الجاهلية فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس منا ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**». وفي رواية في «الصحيح»: «**ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية**»، وذلك صريح في أن من دعا تلك الدعوى ليس منا، وهو دليل واضح على التحريم الشديد. ومما يدل لذلك قوله ﷺ : «**من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**» هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد من طرق متعددة عن عتي بن ضمرة السعدي، عن أبي بن كعب ﷺ، وذكره صاحب الجامع الصغير بلفظ «إذا سمعتم من يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا» وأشار لأنه أخرجه أحمد في «المسند»، والنسائي، وابن حبان، والطبراني في «الكبير»، والضياء المقدسي عن أبيّ ﷺ، وجعل عليه علامة الصحة. وذكره أيضًا صاحب «الجامع الصغير» بلفظ: «إذا رأيتم الرجل يتعزى..» إلخ، وأشار إلى أنه أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي، وجعل عليه علامة الصحة. وقال شارحه المناوي: ورواه عنه أيضًا الطبراني. قال الهيثمي: ورجاله ثقات. وقال شارحه العزيزي: هو حديث صحيح. وقال فيه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني في كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» قال النجم: رواه أحمد والنسائي وابن حبان عن أبي بن كعب ﷺ. ومراده بالنجم: الشيخ محمد نجم الدين الغزي في كتابه المسمى «إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن» فانظر كيف سمى النبي ﷺ ذلك النداء «**عزاء الجاهلية**» وأمر أن يقال للداعي به «إعضض على هن أبيك» أي فرجه، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكناية. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي ﷺ .

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة.

وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا..﴾ الآية، وقوله: ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ الآية، وأمثال ذلك من الآيات.

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء ـ كما ذكرنا آنفًا ـ في منع النداء برابطة غير الإسلام؛ كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية؛ فإن النداء بها حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضًا باتًا، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم أيضًا مثلاً؛ فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفًا من الإسلام، واستبدالها به صفقة خاسرة؛ فهي كما قال الراجز:

بدلت بالجمة رأسًا أزعرًا　　　وبالثنايا الواضحات الدردرا

كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى.

□ والحاصل ـ أن الرابطة الحقيقة التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة «لا إله إلا اللَّه» ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضًا، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا اللَّه لهم هذا الدعاء الصالح العظيم، إنما هي الإيمان باللَّه جل وعلا؛ لأنه قال عن الملائكة: «ويؤمنون به» فوصفهم بالإيمان. وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فوصفهم أيضًا بالإيمان فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان وهو أعظم رابطة.

ومما يوضح لك أن الرابطة الحقيقة هي دين الإسلام ـ قوله تعالى في أبي لهب عم النبي ﷺ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة عند النبي ﷺ والمسلمين، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال فيه: «**سلمان منا أهل البيت**» ورواه الطبراني والحاكم في «المستدرك»، وجعل عليه صاحب «الجامع الصغير» علامة الصحة. وضعفه الحافظ الذهبي. وقال الهيثمي فيه عند الطبراني كثير بن عبداللَّه المزني ضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. وقد أجاد من قال:

لقد رفـــع الإســـلام ســلمان فارسٍ　　وقد وضعَ الكفر الشريف أبا لهب

◻ وقد أجمع العلماء: على أن الرجل إن مات وليس له من القرباء إلا ابن كافر، أن إرثه يكون للمسلمين بإخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة. فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من النبوة النسبية.

وبالجملة، فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء، هي رابطة «لا إله إلا اللَّه» فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها.

* ومن والى الكفار بالروابط النسبية محبة لهم، ورغبة فيهم يدخل في

قوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.

* وقوله تعالى: ﴿ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ والعلم عند اللَّه تعالى».

□ وتكلم الشيخ عن ضعف المسلمين في أقطار الدنيا عن مقاومة الكفار وأن حل هذه المشكلة هو بصدق التوجه إلى اللَّه تعالى، وقوة الإيمان به والتوكل عليه؛ لأن اللَّه قوي عزيز قاهر لكل شيء؛ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا.

فالإيمان الكامل، والتسليم العظيم للَّه جل وعلا، ثقة به وتوكلاً عليه هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

□ ثم تكلم عن تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء ـ مع أن المسلمين على الحق، والكفار على الباطل.

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ: وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ، فأفتى اللَّه جل وعلا فيها، وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه جل وعلا.

وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد. فقتل عم رسول اللَّه ﷺ وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجرح ﷺ، وشقت شفته، وكسرت رباعيته، وشج ﷺ.

استشكل المسلمون ذلك وقالوا: كيف يدال منا المشركون؟ ونحن على الحق وهم على الباطل؟! فأنزل اللَّه قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ فيه إجمال بينه تعالى

بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا - إلى قوله: لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح؛ بأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره ﷺ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدمًا لها على أمر الرسول ﷺ. وقد أوضحنا هذا في سورة «آل عمران». ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى.

* كلام الشيخ عن اختلاف القلوب:

❏ فقال - رحمه اللَّه -: المشكلة الثالثة هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية، لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾. وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة «الأنفال».

فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضًا فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك.

وقد بين تعالى في سورة «الحشر» أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل؛ قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ولا شك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي؛ لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتًا ويضيء الطريق المتمسك به؛ فيريه الحق حقًّا والباطل باطلاً، والنافع نافعًا، والضار ضارًا؛ قال تعالى:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

* وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق؛ لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقًّا، والباطل باطلاً.

* وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

* وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾.

* وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ الآية، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه، ونورًا بدلاً من الظلمات التي كان فيها.

وهذا النور العظيم يكشف الحقائق كشفًا عظيمًا؛ كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ - إلى قوله: - وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ - ولما كان تتبع جميع ما تدل عليه هذه الآية الكريمة من هدي القرآن التي هي أقوم - يقتضي تتبع جميع القرآن وجميع السنة لأن العمل بالسنة من هدي القرآن للتي هي أقوم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وكان تتبع جميع ذلك غير ممكن في هذا الكتاب المبارك، اقتصرنا على هذه الجمل التي ذكرنا من هدي القرآن للتي هي أقوم تنبيهًا بها على غيرها. والعلم عند اللَّه تعالى.

✍ رحم اللَّه الشيخ الشنقيطي بما نصح لأمته ودعاؤه إياها للصراط المستقيم.

* **الشيخ علي الطنطاوي الأديب والداعية الإسلامي الكبير وعُرْس الشهداء:**

كتب الداعية الإسلامي الكبير الشيخ علي طنطاوي السوري معبرًا عن حزن الأمة المسلمة في سوريا، ومعبرًا عن حزن العالم الإسلامي كله، لما أصاب الدعاة على يد الطاغية جمال عبدالناصر في ديسمبر ١٩٥٤م[1].

يقول: «لو كان الأمر لي، لما جعلته يوم حداد بل يوم بشر وابتهاج، ولما صيرته مأتمًا بل عرسًا، عرس الشهداء الأبرار على الحور العين، ولما قعدت مع الإخوان أتقبل التعزيات بل التهنئات.

وهل يرجو المسلم إلا أن يموت شهيدًا؟ وهل يسأل اللّه خيرًا من حسن الخاتمة؟ إني لأتمنى واللّه شاهد على ما أقول، أن يجعل منيتي على يد فاجر ظالم، فامضي شهيدًا إلى الجنة، ويمضي قاتلي إلى النار، فتكون مكافأتي سعادتي به ويكون عقابه شقاؤه بي.

هذا هو العقاب الحق لا عقابك يا جمال ـ عقاب اللّه الناصر لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الذي ستقف أمامه وحدك، ليس معك جيشك ولا دباباتك ولا زبانيتك ولا عتادك ولا سجونك وأعوانك، تساق إليه وحيدًا أعزل فريدًا كما قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

* وكما قال جل في علاه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

---

(١) وفيها حُكم بالإعدام على الشيخ عبدالقادر عودة، والشيخ محمد الفرغلي، والشيخ يوسف طلعت، وهنداوي دوير، وإبراهيم الطيب ـ رحمهم اللّه.

* وكما قال جل وعلا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥١].

يومها لا تستطيع إنجلترا أن تجيء معك ولا أن تدافع عنك ولا أمريكا.. فالملك للَّه العلي الكبير، والشهود عليك في نفسك لسانك ويدك ورجلك.

تقف بين يدي اللَّه أعزل منكس الرأس فيسألك عن هذه الدماء الذكية فيم أرقتها؟ وعن هذه الأرواح الطاهرة لم أزهقتها؟ وعن هاتيك النساء العابدات الطاهرات القانتات فيم رملتهن؟ وعن أولئك الأطفال البرآء فيم يتمتهم؟ وعن هذه الجماعة الداعية إلى اللَّه المجاهدة في سبيله لم شمّت بها أعداء اللَّه ورسوله؟

فإن كان عندك دفاع فأعده من الآن، لتدلي به أمام محكمة المنتقم الجبار، التي لا تحكم بالموت شنقًا، بل بالحياة الدائمة التي يصغر الشنق ألف مرة من عذاب لحظة منها.

* وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، يقوم لا ينفع حزب ولا أعوان، يوم تبدل الموازين، وتتغير المقاييس ويكون الفضل للفاضل والصدر للصالح، فيذل أعزة، ويعز الأذلاء، وتهوى ملوك وجبابرة، وتعلو سوقه يوم ينادي المنادي لمن الملك اليوم؟ للطغاه للبكباشية، لسادة في البيت الأبيض والكرملين؟ كلا كلا.. الملك للَّه الواحد القهار.

◘ فعش مهما عشت، وسُد مهما سُدْتَ، فهل تقدر أن تجد لك طريقًا لا يمر بك على الحشر؟ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢].

هل تجد طريقًا لا يقف بك موقف الحساب؟ هل تعرف ملكًا غير ملك اللَّه تفر إليه كما يهرب المجرم السياسي من دولة أساء إلى حاكميها إلى دولة أخرى تحميه؟ وهل تظنها تدوم لك يا عبدالناصر؟ لو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

◘ ولقد حكم مصر من قبلك فاروق، ومن قبله المماليك، ومن قبلهما فرعون وهامان؟ فأين هم اليوم؟ أين من بنى وشيد؟ أين من أحيا وأمات؟ أين من طغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى؟

لقد ساروا جميعًا في ركاب عزرائيل، تشيعهم لعنات المظلومين والمقهورين، حتى وردوا على من لا يضيع عنده مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فاتق أيها الرجل دعوات المظلومين في الأسحار، فإنها السهام التي لا تخطئ واعتبر بمن مضى أن تصير عبرة لمن يأتي، وابك على نفسك قبل ألا تجد من يبكي عليك.

◘ أما أنتم أيها الشهداء فهنيئًا لكم فادخلوها خالدين، فلقد بدأتم بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وشيعتكم في كل بلد من بلدان هذه الأرض المسلمة الملايين من لم يكن يعرفكم ولا تعرفونه، ولكن اللَّه ملأ قلوبهم جميعًا حبًا لكم وألسنتهم هتافًا بأسمائكم بوادر من تكرمته إياكم، النساء في الخدور والأطفال في المدارس، والتجار في الأسواق الذين فاروا من أجلكم وثاروا، فترك الطالب درسه والتاجر كسبه، وخرجوا حبًا فيكم وغضبًا لكم.

فإن ضن عليكم الظالمون بالماء، غسلوكم بالدموع الجواري، وإن بخلوا بالقبور دفنوكم في الأفئدة البواكي، ثم مشوا بكم في مواكب النور، التي لا تفتأ تتسلل وتتعاقب، سائرة في الزمان من لدن حمزة وجعفر وشهداء الفتح

في بدر، والقادسية واليرموك، ومن قتلى الطغاة الظالمين من أمثال الحجاج وهولاكو وتيمورلنك، إلى شهداء الجهاد في الجزائر وتونس والقوطة والقناة.

لقد سلككم اللَّه في هذه المواكب التي بدأت يوم بدأت في الأرض دعوات الخير والإيمان على لسان نوح وهود وعيسى ومحمد صلى اللَّه عليهم جميعًا.. إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

فهل من التكريم أبلغ من هذا من يا نساء الشهداء؟ ويا أولادهم؟ ويا من فجعه هذا الظالم بالزوج والأب وبالأخ والولد.

فيا إخواني ويا إخوتي ويا بناتي وأبنائي.. إن فقدتم الولد والأخ فإن كل مسلم على ظهر الأرض أخ لكم اليوم واللَّه خير من الجميع ولقد حول بيتي مأتمًا الليلة البارحة صورة مقطوعة من مجلة، هي صورة العالم الجليل عبدالقادر عودة، يوم أن خرج من السجن وابنه يقدم له الحلوى، فقُصَّتْ على الصورة قصة مكتوبة بمداد الدمع قصة هذا الولد يسأل أمه أين أبي؟ فلا تستطيع أن تقول له أن أباك سجين وتداري دمعها وتغالب بكاءها، وتقول إنه مسافر فيقول: ومتى يعود؟ فتقول: يعود قريبًا يا حبيبي، فيرقب عودته، إن رأى طعامًا طيبًا قال سأحفظه لأبي، وإن ألبسوه جديدًا قال: إني ألبسه يوم يعود أبي، وإن بكت أخته الصغرى قال: لها اسكتي غدًا يعود والدنا.. ويوم جاء أبوه قدم له الحلوى وجلس على ركبته وأخته على ركبته الأخرى وهو يقبل هذا خدًا وتلك خدًا، ويقولون لماذا طالت الغيبة يا أبي؟ لا تسافر مرة أخرى.

فماذا يقولون الآن؟ وقد سافر مرة ثانية إلى حيث لا يعود المسافرون؟ وبماذا تجيب الآن إن سألاها أين والدنا ومتى يعود؟؟

هل تقول لهما أن أباكما الجليل المجاهد المناضل قد شنقه عبدالناصر.

فما ذنب هؤلاء يا عبدالناصر؟ وما ذنب هذه الأم؟ بل ما ذنب الرجل الذي قتلته وفجعت به هذه الأسرة؟ أكل ذلك لأنهم قالوا لمعاهدتك أنها عمل غير صالح؟ أو تعرف ـ لك الويل ـ بمن ضحيت؟

ضحيت بمن كان أعلم المسلمين على ظهر الأرض بالتشريع الجنائي في الإسلام ومن سنحتاج إليه غداً فلا نجده ولا نجد مثله فنبكي عليه حزنًا وأسفًا ويضحك عدونا شماتة وسروراً.

ضحيت بمن ألف الكتاب الجليل ـ «التشريع الجنائي في الإسلام»، وترجم إلى أكثر اللغات، وقرر تدريسه في الجامعات وتزاحم الجميع على تكريمه وبعثوا يطلبونه، فقيل لهم: إنه لا يستطيع أن يحضر حفلات التكريم لأن عبدالناصر كرم علمه وفضله بحبل المشنقة.

*** يا عبدالناصر جزاك الله بما تستحق:**

بسيد المجاهدين، الفرغلي.. بالشيخ الذي أفزع بريطانيا حتى جعل راديو فايد ينادي كل يوم ثلاث مرات، بأن من جاء برأسه فله خمسة آلاف جنيه.. فجاءهم برأسه عبدالناصر.

بالذي لاحت عمامته مرة للإنجليز فغلبت مدافعهم ـ وكان ذلك في ١٩٥٣م يوم اختفى الطيار البريطاني فأنذروا حكومة مصر بالويل والثبور إن لم يعد، وأمهلوها للتاسعة من صبيحة الغد وانطلق صلاح سالم يتكلم كلام المستطار اللب يبدئ ويعيد إلى قريب الفجر وكان الغد.. وحبست مصر كلها أنفاسها ترقب ما يكون بعد انقضاء الأمهال وكانت الساعة التاسعة ساعة الهول، فوقفت أمام دار محافظة القناة سيارتان: سيارة تحمل موفد الإنجليز بالتهديد والوعيد، وسيارة تحمل فرغلي ومعه نفر من الإخوان جاء يعلن نصرته للحكومة رغم ما كان بين الحكومة والإخوان المسلمين في تلك الأيام، فلما رأى الإنجليز الشيخ انطفأت الجمرة وسكن الغضب وذهب الوعيد لقد

كان الفرغلي أعدى أعداء الإنجليز فكافأه عبدالناصر في ذلك بحبل المشنقة.

*** يا عبدالناصر جزاك الله بما تستحق:**

لقد كانوا جميعًا من أئمة التقى ومصابيح الهدى، من الذين يقومون الليل يقطعونه تسبيحًا وقرآنًا، ويجاهدون في النهار يملأونه خيرًا وإحسانًا والله يأمر بتكريم الصالحين والعقل يقضي بإجلال العلماء والمصلحة توجب تشجيع العاملين.. والإنجليز يريدون غير ذلك كله.. فترك عبدالناصر ما يأمره به الله، ويقضي به العقل وتوجبه المصلحة، لما يريده الإنجليز، وأشهد لقد قرأت أخبار المشركين وتعذيبهم لمن آمن من قريش وما فعل أعداء الإسلام بالمسلمين، من الطغاة الجبارين كهولاكو وتيمورلنك وما صنعت محاكم التفتيش في الأندلس واليهود في فلسطين - في دير ياسين وقبيه ونحالين، فلا والله ما آلمني شيء كما آلمني ما صنع عبدالناصر وأعوانه بهذه النخبة الصالحة من المسلمين.

لأن أولئك كفرة فجرة، وهؤلاء يزعمون أنهم مؤمنون وأنهم يحجون ويلبون ولأن أولئك فعلوها كسبًا لدنيا يريدونها وهؤلاء فعلوها ليكسب الإنجليز الدنيا بها.

ولو كان من هؤلاء الشهداء قاتل أو مجرم وحاكموه محاكمة، ثم عاقبوه قصاصًا لما اعترضهم أحد، أما أن يكونوا من خيار المؤمنين وأن يكون ذنبهم أنهم أعدوا السلاح للعدو بعلم رجال الحكومة وأنهم دُرِّبوا على القتال والتدريب واجب على كل مسلم، وأنهم أعلنوا رأيهم في المعاهدة وحق الرأي حق من حقوق الإنسان، وأن تحاكمهم هذه المحاكمة وأن تكون المحاكمة بهذا الأسلوب وأن يكون الحكم على هذه الصورة فهذه قصة فظيعة فظيعة قصة بلغ من فظاعتها أن أجمع الناس على اختلاف البلدان والألسنة والألوان والمذاهب والأديان على استنكارها.

إن الفارس من يبارز خصمه في الميدان، وينازله مسلحًا، أما الذي يبدي البطولة والخصم أعزل مقيد، ويبديها وحوله الرهط من الأنصار وخصمه مفرد، فليس من الفروسية في شيء.

إن هولاء الإخوان قد مضوا شهداء أبرار ونالوا مجد الدنيا وثواب الآخرة.. فارقبوا أنتم ماذا تنالون في دنياكم وأخراكم.

وبعد.. فهذا هو العالم الإسلامي يلبس كله ثوب الحداد ويجلس للعزاء، ما خرج على هذا الإجماع إلا النفر الذين غضب اللَّه عليهم من أعوان الظالم، ومن مشايخ السوء، أصحاب ذلك البيان الذي جشى كذبًا وافتراء وتحريفًا للآيات عن مواضعها.

والثورة كالقطة تأكل أبناءها.. وهذه ثورة فرنسا شاهد على ما أقول، وهذه أحداثها تنطق بها كتب التاريخ: الذي جاء بالمقصلة قطع رأسه بها، والذي نصب المشانق علق عليها، والذي أوقد النار كان لها حطبًا، ولنار الآخرة أشد نكالاً وأبقى.

ولكن الثورة الفرنسية لم تقتل أفذاذ العلماء ولم تعرض لدعاة الخير وكانت ثورة أمة على عصابة آثمة.

*** أما أنتم أيها الإخوان.. فاعلموا أن المحن تدريب:**

وكلما تقدم الجندي خطوة، صعب التدريب عليه وقسا فإذا وصل إلى أقصاه بلغ غاية القوة وصار جنديًّا كاملاً، وأنتم بلغتم ذلك اليوم حين امتحنتُم الامتحان الأكبر امتحان الدم، ونجحتم، نجحتم واللَّه، ولم تزعزع المشانق إيمان هؤلاء الإخوان، ولا هزَّت أعصابهم ولقد قابلوا الموت مقابلة انحنت إكباراً لبطولتها وعظمتها هامات الرجال في كل مكان.

والعاقبة لكم، إنها واللَّه لكم، لأنكم تمشون على هدي الإسلام، المستقبل لكم فلا تزعزعكم الإحداث ولا تفتنكم عن إيمانكم.

وبعد فيا أهل الشهداء.. الصبر.. الصبر.. إن دموع العالم الإسلامي كله قد مازجت دموعكم وقلوبهم جميعًا قد قاسمت بالأسى قلوبكم، ولكم أخ لكم وصديق ومأتمكم صار مأتم دنيا الإسلام كلها.. والله معكم خير من الجميع.. ولن يفلت سفاح مصر من الانتقام.. والمنتقم هو الله»[١].

* الشيخ القرضاوي صاحب الملحمة النونية:

هو صاحب المواقف المشكورة في الدفاع عن قضايا المسلمين، وكل يؤخذ من قوله ويترك، وله القلم السيال في تصوير مآسي المسلمين، وهو صاحب النونية وهي ملحمةٌ ألفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام ١٩٥٥م، هذه الملحمة التي نقدمها بين يدي القارئ ـ تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهرًا في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، في السجن الحربي. إنها تصويرٌ بسيطٌ لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذبوا في هذا السجن الرهيب.

لقد ألف الشاعر هذه القصيدة، أو الملحمة، في ظروف عصيبةٍ داخل السجن الحربي؛ حيث لم يكن يسمح لأي معتقل بأن يبقي معه ورقةً أو قلمًا؛ ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة السطور؛ فقد حفظها عددٌ كبيرٌ من الشباب داخل السجن، فكانوا لها رواةً، ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

فلنقرأ هذه الوثيقة التاريخية التي سجلت، بأمانةٍ ودقةٍ، جزءًا أسود من جرائم الطاغية ضد الحركة الإسلامية[٢].

ثَارَ القَرِيضُ بِخَاطِرِي فَدَعُونِي ... أُفْضِي لَكُمْ بِفَجَائِعِي وَشُجُونِي
فَالشِّعْرُ دَمْعِي حِينَ يَعْصِرُنِي الأَسَى ... وَالشِّعْرُ عُودِي يَوْمَ عَزْفِ لُحُونِي

(١) «عرس الشهداء» لعلي الطنطاوي (ص١٩ ـ ٢٨) ـ دار المنار الحديثة.
(٢) «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث» الجزء الثالث، أحمد الجدع، حسني جرار. ط٤ ـ مؤسسة الرسالة، (ص١٨ ـ ٣٦).

كَمْ قَالَ صَحْبِي أَيْنَ غُرٌّ قَصَائِدٍ تُشْجِي الْقُلُوبَ بِلَحْنِهَا المَحْزُونِ؟
وَتُخَلِّدُ الذِّكْرَى الأَلِيمَةَ لِلْوَرَى تُتْلَى عَلَى الأَجْيَالِ بَعْدَ قُرُونِ
مَا حِيلَتِي وَالشِّعْرُ فَيْضُ خَوَاطِرٍ مَا دُمْتُ أَبْغِيهِ وَلاَ يَبْغِينِي؟!
وَالْيَوْمَ عَاوَدَنِي المَلاكُ فَهَزَّنِي طَرَبًا إِلَى الإِنْشَادِ وَالتَّلْحِينِ
أُلْهِمْتُهَا عَصْمَاءَ تَنْبُعُ مِنْ دَمِي وَيَمُدُّهَا قَلْبِي وَمَاءُ عُيُونِي
نُونِيَّةً وَالنُّونُ تَحْلُو فِي فَمِي أَبَدًا فَكِدْتُ يُقَالُ لِي «ذُو النُّونِ»
صَوَّرْتُ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتُ بِرِيشَتِي وَتَرَكْتُ لِلأَيَّامِ مَا يُعْيِينِي
مَا هِمْتُ فِيهَا بِالْخَيَالِ فَإِنَّ لِي بِغَرَائِبِ الأَحْدَاثِ مَا يُغْنِينِي
أَحْدَاثُ عَهْدِ عِصَابَةٍ حَكَمُوا بَنِي مِصْرٍ بِلاَ خُلُقٍ وَلاَ قَانُونِ
أَنْسَتْ مَظَالِمُهُم مَظَالِمَ مَنْ خَلَوْا حَتَّى تَرَحَّمْنَا عَلَى «نِيرُونِ»!
يَا سَائِلِي عَنْ قِصَّتِي، اسْمَعْ إِنَّهَا قِصَصٌ مِنَ الأَهْوَالِ ذَاتُ شُجُونِ
أَمْسِكْ بِقَلْبِكَ أَنْ يَطِيرَ مُفَزَّعًا وَتَوَلَّ عَنْ دُنْيَاكَ حَتَّى حِينِ
فَالْهَوْلُ عَاتٍ وَالْحَقَائِقُ مُرَّةٌ تَسْمُو عَلَى التَّصْوِيرِ وَالتَّبْيِينِ
وَالْخَطْبُ لَيْسَ بِخَطْبِ مِصْرٍ وَحْدَهَا بَلْ خَطْبُ هَذَا المَشْرِقِ المِسْكِينِ
فِي لَيْلَةٍ لَيْلاَءَ مِنْ نُوفَمْبَرٍ فُزِّعْتُ مِنْ نَوْمِي لِصَوْتِ رَنِينِ
فَإِذَا «كِلاَبُ الصَّيْدِ» تَهْجُمُ بَغْتَةً وَتَحُوطُنِي عَنْ شَمْأَلٍ وَيَمِينِ
فَتَخَطَّفُونِي مِنْ ذَوِيَّ وَأَقْبَلُوا فَرِحًا بِصَيْدٍ لِلطُّغَاةِ سَمِينِ
وَعُزِلْتُ عَنْ بَصَرِ الْحَيَاةِ وَسَمْعِهَا وَقُذِفْتُ فِي قَفَصِ الْعَذَابِ الْهُونِ
فِي سَاحَةِ «الْحَرْبِيِّ[1]» حَسْبُكَ بِاسْمِهِ مِنْ بَاعِثٍ لِلرُّعْبِ قَدْ طَرَحُونِي

(١) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال؛ ليودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية، وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام، في

مَا كِدْتُ أَدْخُلُ بَابَهُ حَتَّى رَأَتْ عَيْنَايَ مَا لَمْ تَحْتَسِبْهُ ظُنُونِي
فِي كُلِّ شِبْرٍ لِلْعَذَابِ مَنَاظِرٌ يَنْدَى لَهَا - وَاللَّهِ - كُلُّ جَبِينِ
فَتَرَى الْعَسَاكِرَ وَالْكِلابَ مُعَدَّةً لِلنَّهْشِ طَوْعَ الْقَائِـدِ الْمَفْتُونِ
هَذِي تَعُضُّ بِنَابِهَـا وَزَمِيـلُهَا يَعْدُو عَلَيْكَ بِسَـوْطِهِ الْمَسْنُونِ
وَمَضَتْ عَلَيَّ دَقَائِقٌ وَكَأَنَّهَا مِمَّا لَقِيتُ بِهِنَّ بِضْـعُ سِنِينِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا دَهَانِ؟ وَمَا جَرَى؟ لاَ زِلْتُ حَيًّا أَمْ لَقِيتُ مَنُونِي؟
عَجَبًا! أَسِجْنٌ ذَاكَ أَمْ هُوَ غَابَةٌ؟ بَرَزَتْ كَوَاسِرُهَا جِيَاعَ بُطُونِ؟
أَأَرَى بِنَاءً أَمْ أَرَى شِقَّيْ رَحًى جَبَّـارَةٍ لِلْمُؤْمِنِـينَ طَحُـونِ؟

= كل قسم عدد من الزنازين، بعضها يبلغ المئات، والزنزانة غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف، وهي مطلية بطلاء قاتم، وقد أعدت لتكون سجنًا انفراديًّا.. ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنود عبدالناصر يودعون في الزنزانة الواحدة سبعة أو ثمانية، بل عشرة في بعض الأحيان، هذا بالإضافة إلى سجون القلعة، وقرة ميدان، وطرة، والقناة، والواحات، وغيرها.. وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي؛ حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرعب، وعلى أرضه قُتل العشرات من المعذبين. وأخيرًا، وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية، أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضية واحدة من قضايا التعذيب، بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٧٥، مجموعة أحكام؛ فقد قررت المحكمة تعويض المستشار علي جريشة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه، يدفعها شمس بدران وزير الحربية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبدالكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل، والرائد حسن كفافي، والملازم أشرف صفوت الزوبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم وإزالة السجن الحربي؛ باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضد أربعة وزراء عدل سابقين؛ وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفى كامل إسماعيل، بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال، وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من أسهم في إذلال الشعب، وتعذيب أفراده بصورة أو بأخرى.

وَاهًا!! أَفِي حُلُمٍ أَنَا أَمْ يَقْظَةٍ ... أَمْ تِلْكَ دَارُ خَيَالَةٍ وَفُتُون؟
لَا، لَا أَشُكُّ، هِيَ الْحَقِيقَةُ حَيَّةٌ ... أَأَشُكُّ فِي ذَاتِي وَعَيْنِ يَقِينِي؟
هَذِي مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ فَكَيْفَ مَا ... تَحْوِي الْفُصُولُ السُّودُ مِنْ مَضْمُونِ؟

***

هَذَا هُوَ «الْحَرْبِيُّ» مَعْقِلُ ثَوْرَةٍ ... تَدْعُو إِلَى التَّحْرِيرِ وَالتَّكْوِينِ؟
فِيهِ زَبَانِيَةٌ أُعِدُّوا لِلأَذَى ... وَتَخَصَّصُوا فِي فَنِّهِ الْمَلْعُونِ
مُتَبَلِّدُونَ عُقُولُهُمْ بِأَكُفِّهِمْ ... وَأَكُفُّهُمْ لِلشَّرِّ ذَاتُ حَنِينِ
لَا فَرْقَ بَيْنَهُمُو وَبَيْنَ سِيَاطِهِمْ ... كُلٌّ أَدَاةٌ فِي يَدَيْ مَأْفُونِ
يَتَلَقَّفُونَ الْقَادِمِينَ كَأَنَّهُمْ ... عَثَرُوا عَلَى كَنْزٍ لَدَيْكَ ثَمِينِ
بِالرِّجْلِ، بِالْكُرْبَاجِ، بِالْيَدِ، بِالْعَصَا ... وَبِكُلِّ أُسْلُوبٍ خَسِيسٍ دُونِ
لَا يَقْدِرُونَ مُفَكِّرًا وَلَوَ انَّهُ ... فِي عَقْلِ سُقْرَاطٍ وَأَفْلَاطُونِ
لَا يَعْبَئُونَ بِصَالِحٍ وَلَوَ انَّهُ ... فِي زُهْدِ عِيسَى أَوْ تُقَى هَارُونِ
لَا يَرْحَمُونَ الشَّيْخَ وَهْوَ مُحَطَّمٌ ... وَالظَّهْرُ مِنْهُ تَرَاهُ كَالْعُرْجُونِ
لَا يُشْفِقُونَ عَلَى الْمَرِيضِ وَطَالَمَا ... زَادُوا أَذَاهُ بِقَسْوَةٍ وَجُنُونِ
أَتَرَى أُولَئِكَ يَنْتَمُونَ لِآدَمٍ ... أَمْ هُمْ مَلَاعِينٌ بَنُو مَلْعُونِ؟
تَاللَّهِ، أَيْنَ الآدَمِيَّةُ مِنْهُمُو؟ ... مِنْ مِثْلِ مَحْمُودٍ وَمِنْ يَاسِينِ؟
مِنْ جَوْدَةٍ أَوْ مِنْ دِيَابَ وَمُصْطَفَى ... وَحَمَادَةٍ وَعَطِيَّةٍ وَأَمِينِ[1]

---

(١) هذه أسماء بعض زبانية العذاب في السجون في سنوات ٥٤، ٥٥، ١٩٥٦م، وقد كانوا يُختارون من الجنود الفسقة القساة، المعروفين بميولهم الإجرامية، ثم يحشون رءوسهم بمعلومات كاذبة عن الإخوان، ويغرونهم بمكافآت مادية باهظة، وعلاوات استثنائية، سُميت «علاوة إجرام»، وكلما زاد أحدهم في إجرامه ووحشيته انهالت عليه الترقيات والعلاوات والمكافآت.

لا تَحْسَبُوهُمْ مُسْلِمِينَ مِنِ اسْمِهِمْ ... لا دِينَ فِيهِمْ غَيْرُ سَبِّ الدِّينِ!
لا دِينَ يَرْدَعُ لا ضَمِيرَ مُحَاسِبٌ ... لا خَوْفَ شَعْبٍ لا حِمَى قَانُونِ
مَنْ ظَنَّ قَانُونًا هُنَاكَ فَإِنَّمَا ... قَانُونُنَا هُوَ «حَمْزَةُ الْبَسْيُونِي»(١)
جَلَّادُ ثَوْرَتِهِمْ وَسَوْطُ عَذَابِهِمْ ... سَمَّوْهُ زُورًا قَائِدًا لِسُجُونِ!
وَجْهٌ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ(٢) حَاقِدٌ ... مُسْتَكْبِرُ الْقَسَمَاتِ وَالْعِرْنِينِ
فِي خَدِّهِ شَجٌّ تَرَى مِنْ خَلْفِهِ ... نَفْسًا مُعَقَّدَةً وَقَلْبَ لَعِينِ
مُتَعَطِّشٌ لِلسُّوءِ، فِي الدَّمِ وَالِغٌ ... فِي الشَّرِّ مَنْقُوعٌ، بِهِ مَعْجُونُ
هَذَا هُوَ الْحَرْبِيُّ مَعْقِلُ ثَوْرَةٍ ... تَدْعُو إِلَى التَّطْوِيرِ وَالتَّحْسِينِ!
هُوَ صُورَةٌ صُغْرَى اسْتُعِيرَتْ مِنْ لَظَى ... فِي ضِيقِهَا وَضِعَذَابِهَا الْمَلْعُونِ
هُوَ مَصْنَعٌ لِلْهَوْلِ كَمْ أَهْدَى لَنَا ... صُوَرًا تُذَكِّرُنَا بِيَوْمِ الدِّينِ
هُوَ فِتْنَةٌ فِي الدِّينِ لَوْلا نَفْحَةٌ ... مِنْ فَيْضِ إِيمَانٍ وَبَرْدِ يَقِينِ

* * *

قُلْ لِلْعَوَاذِلِ إِنْ رَمَيْتُمْ مِصْرَنَا ... بِتَخَلُّفِ التَّصْنِيعِ وَالتَّعْدِينِ
مِصْرُ الْحَدِيثَةُ قَدْ عَلَتْ وَتَقَدَّمَتْ ... فِي صَنْعَةِ التَّعْذِيبِ وَالتَّقْرِينِ!!
وَتَفَنَّنَتْ ـ كَيْ لا يَمَلَّ مُعَذَّبٌ ـ ... فِي الْعَرْضِ وَالإِخْرَاجِ وَالتَّلْوِينِ
أَسَمِعْتَ بِالإِنسَانِ يُنْفَخُ بَطْنُهُ ... حَتَّى يُرَى فِي هَيْئَةِ «الْبَالُونِ»؟

---

(١) حمزة البسيوني: ضابط كان برتبة مقدم «بكباشي» عام ١٩٥٤، وهو قائد السجون الحربية حينذاك، وبقي قائدًا لها في هذه المحنة. هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جلاد، وبين فكيه لسان «شرشوح» لا دين له ولا خلق، قال مرة للإخوان: «هاتوا لي ربكم وأنا أحطه في زنزانة!»، لعنه الله. والجدير بالذكر أنه طُرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حملات التطهير، ثم أعاده عبدالناصر خصيصًا لتعذيب الإخوان.

(٢) قمطرير: مقبض ما بين العينين لشدته.

أَسَمِعْتَ بالإنسانِ يُضْغَطُ رَأسُهُ ... بالطَّوْقِ حَتَّى يَنْتَهِي لِجُنُونِ
أَسَمِعْتَ بِالإِنْسَانِ يُشْعَلُ جِسْمُهُ ... نَاراً وَقَدْ صَبَغُوهُ «بِالْفَزْلِين»؟
أَسَمِعْتَ مَا يَلْقَى الْبَرِيءُ وَيَصْطَلِي ... حَتَّى يَقُولَ: أَنَا الْمُسِيءُ خُذُونِي!
أَسَمِعْتَ بالآهَاتِ تَخْتَرِقُ الدُّجَى ... رَبَّاهُ عَدْلَكَ، إِنَّهُمْ قَتَلُونِي!!
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ فَسَلْ عَمَّا جَرَى ... مِثْلِي، وَلاَ يُنْبِيكَ مِثْلُ سَجِينِ
وَاسْأَلْ ثَرَى «الْحَرْبِيِّ» أَوْ جُدْرَانَهْ ... كَمْ مِنْ كَسِيرٍ فِيهِ أَوْ مَطْعُونِ
وَسَلِ السِّيَاطَ السُّودَ كَمْ شَرِبَتْ دَمًا ... حَتَّى غَدَتْ حُمْرًا بِلاَ تَلْوِينِ
وَسَلِ «الْعَرُوسَةَ» قُبِّحَتْ مِنْ عَاهِرٍ ... كَمْ مِنْ جَرِيحٍ عِنْدَهَا وَطَعِينِ
كَمْ فِتْيَةٍ زُفُّوا إِلَيْهَا عُنْوَةً ... سَقَطُوا مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّوْهِينِ
وَاسْأَلْ «زَنَازِينَ» الْجَلِيد تُجِبْكَ عَنْ ... فَنِّ الْعَذَابِ وَصَنْعَةِ التَّلْقِينِ
بالنَّارِ أَوْ بِالزَّمْهَرِيرِ فَتِلْكَ فِي ... حِينٍ، وَهَذَا الزَّمْهَرِيرُ بِحِينِ
يُلْقَى الْفَتَى فِيهِ لَيَالِيَ عَارِيًا ... أَوْ شِبْهَ عَارٍ فِي شِتَا كَانُونِ
وَهُنَاكَ يُمْلِي الإعْتِرَافَ كَمَا اشْتَهَوْا ... أَوْ لاَ فَوَيْلَ مُخَالِفٍ وَحَرُونِ
وَسَلِ «الْمُقَطَّمَ» وَهْوَ أَعْدَلُ شَاهِدٍ ... كَمْ مِنْ شَهِيدٍ فِي التِّلاَلِ دَفِينِ[1]
قَتَلَتْهُ طُغْمَةُ مِصْرَ أَبْشَعَ قِتْلَةٍ ... لاَ بِالرَّصَاصِ وَلاَ الْقَنَا الْمَسْنُونِ

---

(١) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم عبدالناصر هم الستة الذين شنقوا علنًا بحكم المحكمة الهزلية، التي سُميت زورا «محكمة الشعب»، والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قُتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جداً، يكفي أن تضيف إليهم ٢٤ شهيداً أُطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة، مع أنهم سجناء، والتحقيقات التي أُجريت في السجن الحربي أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سياط الزبانية المتوحشين، وأدوات التعذيب، وأساليبه التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية؛ ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، وحسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوة، وعلي الخولي، ومحمود أبو الخير، وغيرهم، وغيرهم.

بَلْ عَلَّقُوهُ كَالذَّبِيحَةِ هُيِّئَتْ ... لِلْقَطْعِ وَالتَّمْزِيقِ بِالسِّكِّينِ
وَتَهَجَّدُوا فِيهِ لَيَالِيَ كُلَّهَا ... جَلْدٌ وَهُمْ فِي الْجَلْدِ أَهْلُ فُنُونِ
فَإِذَا السِّيَاطُ عَجَزْنَ عَنْ إِنْطَاقِهِ ... فَالْكَيُّ بِالنِّيرَانِ خَيْرُ ضَمِينِ
وَمَضَتْ لَيَالٍ وَالْعَذَابُ مُسَجَّرٌ ... لِفَتًى بِأَيْدِي الْمُجْرِمِينَ رَهِينِ
لَمْ يَعْبَئُوا بِجِرَاحِهِ وَصَدِيدِهَا ... لَمْ يَسْمَعُوا لِتَأَوُّهٍ وَأَنِينِ
قَالُوا: اعْتَرِفْ أَوْ مُتْ فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ ... فَأَبَى الْفَتَى إِلاَّ اخْتِيَارَ مَنُونِ
وَجَرَى الدَّمُ الدَّفَّاقُ يَسْطُرُ فِي الثَّرَى ... يَا إِخْوَتِي اسْتُشْهِدْتُ فَاحْتَسِبُونِي
لاَ تَحْزَنُوا؟ إِنِّي لِرَبِّي ذَاهِبٌ ... أَحْيَا حَيَاةَ الْحُرِّ لاَ الْمَسْجُونِ
وَامْضُوا عَلَى دَرْبِ الْهُدَى لاَ تَيْأَسُوا ... فَالْيَأْسُ أَصْلُ الضَّعْفِ وَالتَّوْهِينِ
قُولُوا لأُمِّي: لاَ تَنُوحِي وَاصْبِرِي ... أَنَا عِنْدَ خَالِقِيَ الَّذِي يَهْدِينِي
أَنَا فِي رُبَا الْفِرْدَوْسِ أَقْفِزُ شَادِيًا ... جَذْلاَنَ كَالْعُصْفُورِ بَيْنَ غُصُونِ
وَإِذَا حُرِمْتُ الْعُرْسَ فِي الدُّنْيَا فَلِي ... مَا شِئْتُ فِيهَا مِنْ حِسَانٍ عِينِ
أُمَّاهُ حَسْبُكِ أَنْ أَمُوتَ مُعَذَّبًا ... فِي اللَّهِ لاَ فِي شَهْوَةٍ وَمُجُونِ
مَا خُنْتُ دِينِي أَوْ حِمَايَ وَلَمْ أَكُنْ ... يَوْمًا عَلَى حُرُمَاتِهِ بِضَنِينِ
فَلْيَسْأَلُوا عَنِّي «الْقَنَاةَ» وَيَسْأَلُوا ... عَنِّي «الْيَهُودَ» فَطَالَمَا خَبَرُونِي
سُحْقًا لَجَزَّارِينَ كَمْ ذَبَحُوا فَتًى ... مُسْتَهْتِرِينَ كَأَنَّهُ ابْنُ لَبُونِ[1]!
فَإِذَا قَضَى ذَهَبُوا بِجُثَّتِهِ إِلَى ... تَلِّ الْمُقَطَّمِ وَهْوَ غَيْرُ بَطِينِ[2]
لَفُّوهُ فِي ثَوْبِ الدُّجَى وَتَسَلَّلُوا ... سَارِينَ بَيْنَ مَفَاوِزٍ وَحُزُونِ[3]
وَارَوْهُ ثُمَّ مَحَوْا مَعَالِمَ رَمْسِهِ ... فَغَدَا كَسِرٍّ فِي الثَّرَى مَكْنُونِ

---

(١) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن؛ وهو الذي أتم سنتين، ودخل في الثالثة.
(٢) البطين: البعيد.
(٣) حزون: جمع حزن: ما غلظ من الأرض.

أَخْفَوْهُ عَنْ عَيْنِ الأَنَامِ وَمَا دَرَوْا ... أَنَّ الإِلَهَ يَرَاهُمُ بِعُيُونِ
اللَّيْلُ يَشْهَدُ وَالْكَوَاكِبُ وَالثَّرَى ... وَكَفَى بِهِمْ شُهَدَاءَ يَوْمَ الدِّينِ

* * *

قَالُوا: مُحَاكَمَةٌ، فَقُلْتُ: رِوَايَةٌ ... أَعْطَوْا لِمُخْرِجِهَا وِسَامَ فُنُونِ
هِيَ شَرٌّ مُهْزَلَةٍ وَمَأْسَاةٍ مَعًا ... قَدْ أَضْحَكَتْنِي مِثْلَ مَا تُبْكِينِي
أَوَعَتْ سِجِلَّاتُ الْقَضَاءِ قَضِيَّةٌ ... كَقَضِيَّةِ «الإِخْوَانِ»؟ أَيْنَ؟ أَرُونِي؟
الْخَصْمُ فِيهَا مُدَّعٍ وَمُحَقِّقٌ ... وَهْوَ الَّذِي يَقْضِي بِلا قَانُونِ
إِلاَّ هَوَاهُ وَمَا يَدُورُ بِرَأْسِهِ ... مِنْ خَلْطِ سِكِّيرٍ وَرَأْيِ أَفِينِ
أَرَأَيْتَ مَحْكَمَةً تَرَأَّسَهَا امْرُؤٌ ... يَدْعُوهُ مَنْ عَرَفُوهُ «بِالْمَجْنُونِ»[1]
أَرَأَيْتَ أَحْرَارًا رَمَوْا بِهِمُو لَدَى ... قَاضٍ عَدِيمٍ دِينَهُ مَأْبُونِ
وَالْوَيْلُ لامْرِيءٍ اسْتَبَاحَ لِنَفْسِهِ ... إِظْهَارَ تَعْذِيبٍ وَدَفْعَ ظُنُونِ
سَيَعُودُ «لِلْحَرْبِيِّ» يَأْخُذُ حَظَّهُ ... وَجَزَاءَهُ الأَوْفَى مِنَ «الْبَسْيُونِي»

* * *

أَنَا إِنْ نَسِيتُ فَلَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً ... فِي سَاحَةِ الْحَرْبِيِّ ذَاتَ شُجُونِ
عُدْنَا الْمَسَاءَ مِنَ الْمُحَاكَمَةِ الَّتِي ... كَانَتْ فُصُولَ فُكَاهَةٍ وَمُجُونِ
مَا كَادَ يَعْرُونَا الْكَرَى حَتَّى دَعَا ... دَاعِي الرَّدَى وَكَفَاكَ صَوْتُ أَمِينِ[2]

---

(١) هو البكباشي جمال سالم الذي دخل مستشفى الأمراض العقلية غير مرة، ثم عينه فرعون مصر ليحاكم قادة الدعوة الإسلامية؛ أمثال حسن الهضيبي، وعبدالقادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وسيد قطب، وقد أقصاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظالمًا سلط عليه، سنة اللّه في خلقه.

(٢) أمين السيد: رقيب أول «باشجاويش» السجن الحربي، كان في يده سلطات مطلقة، ويستطيع أن يعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة.

فَتَجَمَّعَ «الإِخْوَانُ» مِمَّنْ حُوكِمُوا ... ذَا الْيَوْمَ مِنْ طَنْطَا إِلَى بَسْيُونِ
أَمَّا الأُلَى سَيُحَاكَمُونَ فَأُحْضِرُوا ... لِيَرَوْا يَقِينًا لَيْسَ بِالْمَظْنُونِ
وَإِذَا بِقَائِدِنَا الْمُظَفَّرِ حَمْزَةٍ ... فِي عَسْكَرٍ شَاكِي السِّلاحِ حَصِينِ
حَشَدَ الْجُنُودَ وَصَفَّهَا بِمَهَارَةٍ ... وَكَأَنَّهُ عَمْرٌو بِأَجْنَادِينِ
وَأَحَاطَنَا بِبَنَادِقٍ وَمَدَافِعٍ ... فَغَرَتْ لَنَا فَاهَا كَفِي التِّنِّينِ
طَابُورُ «تَكْدِيرٍ» ثَقِيلٍ مُرْهِقٍ ... فِي وَقْتِ أَحْلامٍ وَآنِ سُكُونِ
نَعْدُو كَمَا تَعْدُو الظِّبَاءُ يَسُوقُنَا ... لَهَبُ السِّيَاطِ شَكَتْ مِنَ التَّسْخِينِ
وَمَضَتْ عَلَيْنَا سَاعَتَانِ وَكُلُّنَا ... عَرَقٌ تَصَبَّبَ مِثْلَ فَيْضِ عُيُونِ
مَنْ خَرَّ إِغْمَاءً يُفِقْ عَجِلاً عَلَى ... ضَرَبَاتِ صَوْتٍ لِلْعَذَابِ مُهِينِ
وَمَنِ ارْتَمَى فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْخُوخَةٍ ... أَوْ عِلَّةٍ دَاسُوهُ دَوْسَ الطِّينِ
لَمْ يَكْفِ حَمْزَةَ كُلُّ مَا نُؤْنَا بِهِ ... مِنْ فَرْطِ إِعْيَاءٍ وَمِنْ تَوْهِينِ
فَأَتَى يُوَزِّعُ بِالْمُفَرِّقِ دُفْعَةً ... بِالسَّوْطِ مِنْ عِشْرِينَ لِلْخَمْسِينِ
كُلٌّ يَنَالُ نَصِيبَهُ بِنَزَاهَةٍ ... فِي الْعَدِّ وَالإِتْقَانِ وَالتَّحْسِينِ
وَإِذَا نَسِيتُ فَلَسْتُ أَنْسَى خُطْبَةً ... مَا زَالَ صَوْتُ خَطِيبِهَا يُشْجِينِي
إِذْ قَالَ حَمْزَةُ ـ وَهْوَ مُنْتَفِخٌ ـ فَلَمْ ... يَتْرُكْ لِفِرْعَوْنٍ وَلاَ قَارُونِ
أَيْنَ الأُلَى اصْطَنَعُوا الْبُطُولَةَ وَادَّعَوْا ... أَنِّي أُعَذِّبُهُمْ هُنَا بِسُجُونِي
أَظَنَنْتُمُو هَذَا يُخَفِّفُ عَنْكُمُو؟ ... كَلاَّ، فَأَمْرُكُمُ انْتَهَى، وَسَلُونِي؟
أَمْ تَحْسَبُونَ كَلامَ أَلْفٍ مِنْكُمُو ... عَنْكُمْ وَعَنْ تَعْذِيبِكُمْ يُثْنِينِي؟
إِنِّي هُنَا الْقَانُونُ، أَعْلَى سُلْطَةٍ ... مَنْ ذَا يُحَاسِبُ سُلْطَةَ الْقَانُونِ
مُتَفَرِّدٌ فِي الْحُكْمِ دُونَ مُعَقِّبٍ ... مَنْ ذَا يُخَالِفُنِي وَمَنْ يَعْصِينِي
فَإِذَا أَرَدْتُ وَهَبْتُكُمْ حُرِّيَّةً ... أَوْ شِئْتُ ذُقْتُمْ مِنْ عَذَابِي الْهُونِ
مَنْ مِنْكُمُو سَامَحْتُهُ فَبِرَحْمَتِي ... وَإِذَا أَبَيْتُ فَذَاكَ طَوْعُ يَمِينِي

وَمَنِ ابْتَغَى مَوْتًا فَهَا عِنْدِي لَهُ ... مَوْتٌ بِلاَ غُسْلٍ وَلاَ تَكْفِينِ
يَا فَارِسَ الْوَادِي وَقَائِدَ سَجْنِه ... أَبَنُو الْكِنَانَةِ أَمْ بَنُو صِهْيُونِ؟
هَلاَّ ذَهَبْتَ إِلَى الْحُدُودِ حَمَيْتَهَا ... وَأَرَيْتَنَا أَفْكَارَ نَابُلْيُونِ؟
اذْهَبْ لِغَزَّةَ يَا هُمَامُ وَأَنْسِنَا ... بِجِهَادِكَ الدَّامِي صَلاَحَ الدِّينِ!
أَفَضِدُّنَا كَبْشُ النِّطَاحِ وَنَعْجَةٌ ... فِي الْحَرْبِ جَمَّاءٌ بِغَيْرِ قُرُونِ؟

* * *

قُلْ لِلَّذِي جَعَلَ الْكِنَانَةَ كُلَّهَا ... سِجْنًا وَبَاتَ الشَّعْبُ شَرَّ سَجِينِ
يَأَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي سُلْطَانِه ... أَمِنَ النُّضَارِ(١) خُلِقْتَ أَمْ مِنْ طِينِ؟
يَا مَنْ أَسَأْتَ لِكُلِّ مَنْ قَدْ أَحْسَنُوا ... لَكَ دَائِنِينَ فَكُنْتَ شَرَّ مَدِينِ
يَا ذِئْبَ غَدْرٍ نَصَّبُوهُ رَاعِيًا ... وَالذِّئْبُ لَمْ يَكُ سَاعَةً بِأَمِينِ
يَا مَنْ زَرَعْتَ الشَّرَّ لَنْ تَجْنِي سِوَى ... شَرٍّ وَحِقْدٍ فِي الصُّدُورِ دَفِينِ
سَيَزُولُ حُكْمُكَ يَا ظَلُومُ كَمَا انْقَضَتْ ... دُوَلٌ أُولاَتُ عَسَاكِرٍ وَحُصُونِ
سَتَهُبُّ عَاصِفَةٌ تَدُكُّ بِنَاءَهُ ... دَكًّا وَرُكْنُ الظُّلْمِ غَيْرُ رَكِينِ
مَاذَا كَسَبْتَ وَقَدْ بَذَلْتَ مِنَ الْقُوَى ... وَالْمَالِ بِالآلاَفِ وَالْمِلْيُونِ؟
أَرْهَقْتَ أَعْصَابَ الْبِلاَدِ وَمَالَهَا ... وَرِجَالَهَا فِي الْهَدْمِ لاَ التَّكْوِينِ
وَأَدَرْتَ مَعْرَكَةً تَأَجَّجُ نَارُهَا ... مَعَ غَيْرِ «جُنْ بُولِ» وَلاَ «كُوهِينِ»
هَلْ عُدْتَ إِلاَّ بِالْهَزِيمَةِ مَرَّةً ... وَرَبِحْتَ غَيْرَ خَسَارَةَ الْمَغْبُونِ؟
وَحَفَرْتَ فِي كُلِّ الْقُلُوبِ مَغَاوِرًا ... تَهْوِي بِهَا سَفْلاً إِلَى سِجِّينِ
وَبَنَيْتَ مِنْ أَشْلاَئِنَا وَعِظَامِنَا ... جِسْرًا بِهِ نَرْقَى لِعِلِّيِّينِ
وَصَنَعْتَ بِالْيَدِ نَعْشَ عَهْدِكَ طَائِعًا ... وَدَقَقْتَ إِسْفِينًا إِلَى إِسْفِينِ

---

(١) النضار: الذهب.

وَظَنَنْتَ دَعْوَتَنَا تَمُوتُ بِضَرْبَةٍ خَابَتْ ظُنُونُكَ فَهْيَ شَرُّ ظُنُونِ
بَلِيَتْ سِيَاطُكَ وَالْعَزَائِمُ لَمْ تَزَلْ مِنَّا كَحَدِّ الصَّارِمِ الْمَسْنُونِ
إِنَّا لَعَمْرِي إِنْ صَمَتْنَا بُرْهَةً فَالنَّارُ فِي الْبُرْكَانِ ذَاتُ كُمُونِ
تَاللَّه مَا الطُّغْيَانُ يَهْزِمُ دَعْوَةً يَوْمًا، وَفِي التَّارِيخِ بِرُّ يَمِينِي
ضَعْ فِي يَدَيَّ الْقَيْدَ، أَلْهِبْ أَضْلُعِي بِالسَّوْطِ، ضَعْ عُنُقِي عَلَى السِّكِّينِ!
لَنْ تَسْتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِي سَاعَةً أَوْ نَزْعَ إِيمَانِي وَنُورَ يَقِينِي!
فَالنُّورُ فِي قَلْبِي وَقَلْبِي فِي يَدَيْ رَبِّي وَرَبِّي نَاصِرِي وَمُعِينِي!
سَأَعِيشُ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِ عَقِيدَتِي وَأَمُوتُ مُبْتَسِمًا لِيَحْيَا دِينِي!

*** أديب الإسلام الشيخ سيد قطب وصدعه بالحق وحكايته مع الطاغية:**

يعلم اللَّه أنا نكتب هذه الترجمة إنصافًا لقدر الناس، وأني لا أحيد عن مذهب السلف ومنهجهم قيد أنملة.

وبالسـلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجبُ

ولي وقفات كثيرة مع الفكر القطبي وجماعة القطبيين وردود طويلة على كتاب «حد الإسلام» وبيانًا لبدعهم.. ومع هذا أقول: إن للشيخ سيد قطب عبارات فيها استرسال وخاصة في مسائل التكفير وخاصة في تفسيره لسورة الأنعام في «الظلال» وهذه تحتاج لضبط سلفي، ونقدر مواقف الرجال وكلامهم يحتاج إلى روية وجمع لكلامهم المتفرق وأسلوب عف في النقد، مع بيان الخطأ والحيدة عن عقيدة السلف في كل صغيرة وكبيرة.. وليس من الإنصاف محاكمة الرجل على أنه عالم مدقق، وإنما الرجل يكتب بلسان الأديب وفيه استرسال فنبين خطأه وننقده فيه، ونذكر ما عنده من الصواب.. ويوم أن قتل أثنى عليه علاّمة الزمان وشيخ العصر ابن باز، وأثنى عليه بعد ذلك الشيخ بكر أبو زيد، وأثنى على كلمات له الشيخ الألباني.. وكان يكفي

الشيخ ربيع بن هادي المدخلي أن يخفف من حدته في الهجوم وينقد الشيخ سيد قطب نقدًا هادئًا[١] حتى ينتفع ببعض ردوده وفيها صواب على سيد قطب ـ رحمه اللَّه، ولعل أسلوب الشيخ الدويش في كتابه «المورد الزلال في أخطاء الظلال» أسلوب لين هين يبين الصواب بعيدًا عن التهجم والتشنج في العبارات فكل إنسان يؤخذ منه ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

أكرر للمرة الألف أنا لسنا من القطبيين ولا نوافقهم على بدعهم في التكفير، ولا نقر انحرافهم عن الحق في كتابهم «حد الإسلام» لعبدالمجيد الشاذلي بل نحن السلفيون لهم بالمراصد في كل مكان «نقولها لوجه اللَّه أولاً وأخيرًا وحسابنا على اللَّه.

ولقد أنصف شيخ السلفية الألباني سيد قطب وهو يتحدث عن كلامه في فصل «لا إله إلا اللَّه منهج حياة» من كتابه «معالم على الطريق».

▫ يقول الشيخ بكر أبو زيد عن سيد قطب: «وجدت في كتبه خيرًا كثيرًا، وإيمانًا مشرقًا، وحقًّا أبلجًا، وتشريحًا فاضحًا لمخططات العداء للإسلام! على

---

(١) نأخذ ما عند الشيخ ربيع بن هادي المدخلي من حق ونبينه بالأسلوب الهادئ للناس ونترك منه تحامله في كلامه، ونأخذ من عند سيد قطب من حق ولا نقره مطلقًا على خطئه وخاصة في العبارات المبهمة والتي فيها إرسال في مسائل التكفير، وتأويله للصفات، وكلامه المبهم في بعض الأماكن القول بخلق القرآن ورده لبعض الأحاديث الصحيحة، وإنكاره لسحر النبي ﷺ، وكلامه في كتابه العدالة الاجتماعية عن عثمان ومعاوية ﭬ.. وقلامة عثمان ﭬ ومعاوية ﭬ تساوي الدنيا بأسرها من أبناء عصرنا ونسأل اللَّه أن يمد في العمر ونكتب عن «سيد قطب ماله وما عليه» حتى لا يفتري علينا أحد بأننا من القطبيين بل نحن من السلفيين ومن دعاة المنهج والفكر السلفي الخالص نسأل اللَّه أن يتوفانا على هذا وإن يحشرنا مع سلفنا الصالح، كما نبين أنا سنذكره في كتابنا عن نقد الرجال.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

عثرات في سياقاته، واسترسال بعباراته! ليته لم يتفوَّه بها! وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان آخر والكمال عزيز.

والرجل كان أديبًا نقّادة، ثم اتجه إلى خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم، والسنة المشرفة، وسخّر قلمه ووقته ودمه في سبيلها، فشرق بها طغاة عصره!!

وأصرّ على موقفه في سبيل اللَّه تعالى، وكشف عن سالفَيَه!.. وطُلب منه أن يسطّر بقلمه كلمات اعتذار! وقال كلمته الإيمانية المشهورة. إن أصبعًا أرفعه للشهادة، لن أكتب به كلمة تضادها! أو كلمة نحو ذلك!

فالواجب على الجميع الدعاء له بالمغفرة! والاستفادة من علمه! وبيان ما تحقّقنا خطأه فيه.

وإن خطأه لا يوجب حرماننا من علمه ولا هجْر كتبه!

واعتبر ـ رعاك اللَّه ـ حاله بحال أسلاف مضوْا، أمثال أبي إسماعيل الهروي والجيلاني، كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالى ـ رغم ما لديهما من الطوام؛ لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة وانظر «منازل السائرين» للهروي ـ رحمه اللَّه ـ تر عجائب لا يُمكن قبولها! ومع ذلك فابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ يعتذر عنه أشد الاعتذار، ولا يُجرّمه فيها، وذلك في شرحه «مدارج السالكين».

نقبل الحق من سيد قطب ولا نقلده في خطئه الفكري أو الحركي فلا نقبل منه قوله في كتابه «لماذا أعدموني» (ص٤٥):

«تجب حماية الحركة الإسلامية وهي سائرة في خطواتها بحيث إذا اعتُدي عليها وعلى أفرادها ترد الاعتداء، وما دامت هي لا تريد أن تعتدي على غيرها، ولا تريد أن تفرض نظام اللَّه بالقوة من أعلى، فيجب أن تُترك لتؤدي واجبها، وألا يُعتدي عليها وعلى أهلها.

فإذا وقع الاعتداء عليها، كان الرد عليه من جانبها، بضرب القوة المعتدية، بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها».

لا نقبل هذا الكلام منه، لأننا نراه لا يتفق مع روح الدعوة والجهاد، ولا مع صبر الأنبياء والصالحين مع قوى الباطل، وقد كان كلام سيد هذا النافذة التي دخل منها الأعداء الراصدون إلى تنظيم الإخوان، وتوريطه، وجعل هذا وسيلة إدانته عند الظالمين في مذبحة ١٩٦٥م.. لا بد من الصبر الجميل حتى يقضي اللَّه أمرًا كان مفعولاً لا بد من تربية الناس والجيل الناشئ على العقيدة السلفية.

❑ من العجيب أنه في فترة التمهيد لثورة يوليو ١٩٥٢ كان الضباط الأحرار يعقدون بعض اجتماعاتهم مع سيد قطب تحت شجرة باسقة في حديقة بيته بحلوان.

❑ يقول الأستاذ أحمد عبدالغفور عطّار الأديب الحجازي المعروف والصديق الأثير لسيد قطب عن صلة سيد برجال الثورة بعد قيامها «بلغ من احترام الثورة لسيد قطب وعرفانها بجميله وفضله، أن كل أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا ملتفين حوله، ويرجعون إليه في كثير من الأمور، حتى إنه كان هو المدني الوحيد الذي يحضر جلسات المجلس أحيانًا، وكانوا يترددون على منزله في حلوان.

ويتابع عطّار كلامه: «قرر مجلس قيادة الثورة ـ ونشرت القرار مجلة آخر ساعة أن يُسنَد إلى سيد قطب منصب وزير المعارف، كما أذكر، ولكن سيد قطب اعتذر!! ورجوْه أن يتولّى منصب المدير العام للإذاعة، فاعتذر!!

وأخيرًا وافق على أن يكون السكرتير العام لهيئة التحرير، ولبث فيه شهرًا.

وبدأ الخلاف بين سيد قطب وبين عبدالناصر وزملائه فاضطر سيد قطب

إلى الاستقالة من هيئة التحرير»[١] .

□ يقول سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «كنت أعمل أكثر من اثنتي عشرة ساعة يوميًّا قريبًا من رجال الثورة»[٢] .

* قيادة ثورة يوليو يقيمون حفل تكريم لسيد قطب في أغسطس ١٩٥٢م!!

«من تقدير وتوقير رجال الثورة له أنهم أقاموا حفل تكريم له بعد شهر من قيام الثورة. . وكان أساس الحفل محاضرة لسيد قطب بعنوان «التحرر الروحي والفكري في الإسلام» دُعي سيد لإلقائها في نادي الضباط في الزمالك في شهر أغسطس ـ آب ـ ١٩٥٢م.

وذهب سيد لإلقاء المحاضرة في الموعد المحدد، وكان معه صديقه الأديب الحجازي أحمد عبدالغفور عطّار.

وبدل أن يلقى سيد محاضرته، حوّل قادة الثورة الحفل إلى كلمات وخطابات للإشادة بسيد وبيان مناقشة، وصار الخطباء يتكلمون عن سيد ويثنون عليه وهو جالس.

□ قال الأستاذ عطّار:

«كان مقررًا حضور محمد نجيب، وتولّيه تقديم سيد قطب إلاّ أن عُذْرًا عارضًا اضطر محمد نجيب للتخلف، وبعث برسالة تُلِيَت على الحضور، تلاها أحد الضباط. . وموجز كلمة محمد نجيب: أنه كان حريصًا على أن يحضر المحاضرة، ويُفيد من علم سيد قطب، ووصف سيد بأنه معلم الثورة ورائدها وراعيها.

---

(١) مجلة كلمة الحق السنة الأولى ـ العدد الثاني صفر ١٣٨٧ (ص٣٨) نقلاً عن كتاب «سيد قطب» لصلاح عبدالفتاح الخالدي ـ دار القلم دمشق.

(٢) «لماذا أعدموني» لسيد قطب (ص١١، ١٣).

وبعث نجيب برسالته مع أنور السادات، وأناب عنه جمال عبدالناصر.

افتتح أحد الضبّاط الحفل بآيات من القرآن، وقال أحد كبار الضباط:

«كان مقرّرًا أن يقوم الرئيس محمد نجيب بتقديم أستاذنا العظيم ورائد ثورتنا المباركة، مفكر الإسلام الأول في عصرنا الأستاذ سيد قطب، ولكن أمرًا حال دون حضوره». . وتقدّم الدكتور طه حسين وألقى كلمة رائعة قال فيها: «إن في سيد قطب خصلتيْن هما: المثالية المثالية، والعِناد، فهو ليس مثاليًّا فقط، ولكنه مثالي في المثالية».

وذكر سيد قطب وأثره في الثورة ورجالها. . وختم كلامه بالقول: إن سيد قطب انتهى في الأدب إلى القمة والقيادة، وكذلك في خدمة مصر والإسلام.

ثم وقف سيد قطب وألقى كلمة مرتجلة، وسط تصفيق المصفقين، وهتاف الهاتفين له.

❑ قال عن الثورة: «إن الثورة قد بدأت حقًّا، وليس لنا أن نثني عليها، لأنها لم تعمل بعدُ شيئًا يُذكَر، فخروج الملك ليس غاية الثورة، بل الغاية منها العودة بالبلاد إلى الإسلام!!

ثم قال سيد قطب: لقد كنت في عهد الملكية مهيئًا نفسي للسجن في كل لحظة! وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضًا فأنا في هذا العهد مهيئ نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثر من ذي قبل».

وهنا وقف جمال عبدالناصر، وقال بصوته الجهوري ما نصه: «أخي الكبير سيد: والله لن يصلوا إليك إلا على أجسادنا، جثثًا هامدة، ونعاهدك باسم الله، بل نجدد عهدنا لك، على أن نكون فداءك حتى الموت!!».

وصفّق الناس تصفيقًا حادًّا متواصلاً، مع الهتاف المتكرر بحياة سيد قطب وعندما انتهى الحفل كان البكباشي جمال عبدالناصر في وداع سيد قطب».

ونذكّر بأن عبدالناصر الذي أقسم أمام الجماهير الحاشدة في ذلك

الحفل، أن يحافظ على سيد وحياته، والذي عاهده أن يكون فداءه حتى الموت، هو الذي حكم عليه بالإعدام بعد أربعة عشر عامًا كاملة من هذا التاريخ[١].

*** خلاف سيد مع رجال الثورة:**

أنشأ جمال عبدالناصر «هيئة التحرير» في ١٩٥٣/١/٢٣م وأسند إلى سيد قطب رئاستها، وحاول سيد أن تكون الهيئة إسلامية، ولكن رجال الثورة لا يريدون ذلك.

واستقال سيد قطب منها في شهر فبراير ١٩٥٣م، وحاول سيد قطب الإصلاح بين عبدالناصر والإخوان لئلا يقع الصدام بين الطرفين وفي هذا خسارة للإخوان والثورة والوطن ولكنه عجز.

فحتى مطلع عام ١٩٥٣ كان سيد قطب يعمل مع عبدالناصر لإصلاح الأحوال في مصر، وكان يرى عملاءَ أمريكا في مصر يحرّشون عبدالناصر علي الإخوان، لكنه لم يجد عند عبدالناصر استعداداً لذلك، ولهذا فاصله وفارقه في شهر فبراير ١٩٥٣م وانضم إلى الإخوان مباشرة وانضمام سيد قطب للإخوان في هذه الأجواء دليل على صدق توجهه، وإخلاصه للَّه، فهو على يقين أنهم كانوا مقدمين على محنة خطيرة شديدة قاسية، وكان قبل انضمامه إليهم مقربًا من عبدالناصر ورجال الثورة، وهم يملكون الوظائف والمراكز والمناصب والأموال، ومع ذلك ترك الدنيا وما فيها عند عبدالناصر، وذهب إلى الإخوان وهو يكاد يرى المحن والأهوال التي تنتظرهم.

☐ يقول سيد قطب: «كانت حوادث ١٩٥٤م، فاعتقلت مع من اعتقلوا في يناير[٢]، وأُفرِج عنهم في مارس، ثم اعتُقلت بعد حادث المنشية في ٢٦

(١) انظر مجلة كلمة الحق ـ السنة الأولى ـ العدد الثاني، مايو ١٩٦٧م (ص٣٧ ـ ٣٩) وكتاب «سيد قطب» لصلاح الخالدي (ص١٦٠ ـ ١٦٥).

(٢) عند حل جماعة الإخوان في ١٥ يناير ١٩٥٤م.

أكتوبر كذلك، واتهمت بأني في الجهاز السري، ورئيس قسم المنشورات به، ولم يكن شيء من هذا كله صحيحًا»[١] .

وأفرج عن سيد قطب عام ١٩٦٤م بعفو صحي.

وفي ١٩٦٥/٨/٩م ألقي القبض على سيد قطب وبقي في التحقيق والتعذيب والمحاكمة إلى أن تم إعدامه بعد سنة من هذا التاريخ.

لما أُفرج عن سيد قطب عام ١٩٦٤م أصدر كتابه «معالم في الطريق»، وبسبب الأفكار الدعوية في كتاب «معالم في الطريق» وكتابه «في ظلال القرآن» غضب الطغاة من سيد قطب وحكموا عليه بالإعدام، ولهذا أطلق بعضهم على كتاب «معالم في الطريق» الكتاب الذي حكم على صاحبه بالإعدام.

❑ يقول سيد قطب في كتابه «لماذا أعدموني»:

«إنه أعقب ضرب الإخوان في سنة ١٩٥٤ موجة من الانحلال الأخلاقي والاتجاه الإلحادي، وستعقب ضربهم[٢] الآن موجة أشد، لا يعلم إلا اللَّه مداها، فلحساب من هذا الانهيار إنه قطعًا ليس لحساب البلد، ولا حتى لحساب النظام الحاكم.

ومهما كانت الآذان الآن غير مستعدة لسماع هذا الكلام، فإن من واجبي إبلاغه، وتبرئة ذمتي بقوله!!

لقد سمعت عدة مرات: وهل أنتم وحدكم المسلمون؟ أولا يكفيكم المؤتمر الإسلامي، وبرنامج «نور على نور» والمساجد تُقام فيها الصلاة، والناس يذهبون إلى الحج؟ ويجب أن أُقرر أن الإسلام شيء أكبر من هذا كله.. إنه

---

(١) «لماذا أعدموني» لسيد قطب (ص١٢).

(٢) هذا الكلام في ٢٢/ ١٠/ ١٩٦٥م.

نظام حياة كاملة، وإنه لا يقوم إلا بتربية وتكوين للشباب، وإلا بتحكيم شريعة اللَّه.

ولقد أردت في سنة ١٩٥٢م القيام بهذا في هيئة شباب التحرير، وكان الاتجاه معي في أول الأمر، ولكن في النهاية تغلّب توجيه جمعية الفلاح الأمريكية، وأشتات المتنفعين، الذين أرادوا هيئة التحرير بالصورة المهلهلة التي وُجدت بها، والتي تُخالف كل ما كنا اتفقنا عليه بشأنها.

إن الإسلام لا يقوم ولا يوجد في بلد ليس فيه حركة تربية ثم قيام نظام إسلامي يحكم بشريعة اللَّه في النهاية!

هذه في النهاية كلمات رجل، يستقبل وجه اللَّه، يُخلِّص بها ضميره، ويُبلِّغ بها دعوته إلى آخر لحظة!

والسلام على من اتبع الهدى.

السجن الحربي في ٢٢/ ١٠/ ١٩٦٥م[1].

وقال في هذا التقرير أيضًا: «إنه آن أن يُقدِّم إنسان مسلم رأسه ثمنًا لإعلان وجود حركة إسلامية»[2].

وكان سيد قطب ينتظر حكم الإعدام عليه ويعلم أنهم سيحكمون عليه بهذا «روى الأستاذ إبراهيم المصري قائلاً: «وهنا لا بدّ من كشف النقاب عن حديث استكتمه سيد ـ رحمه اللَّه ورضي عنه ـ أحد إخوانه، قبل اعتقاله بأسابيع.. كان الحديث يدور حول اليهودية العالمية، وخطرها على العالم أجمع، والمسلمين بخاصة. يقول سيد: لقد وقفت على مدى تغلغل الأصابع اليهودية وخطرها، بعد بحث وطول عناء، واليهود إذا علموا أنني أحيط

(١) «لماذا أعدموني» (ص٩١ ـ ٩٤).

(٢) «لماذا أعدموني» (ص٧).

بذلك فلا بد أن أُقتل»[١] .

☐ قبل الحكم على سيد قطب بالإعدام يقول أحمد رائف: «في مرة من المرات أخذوني مع بعض الزملاء، لنُحضِر الطعام من المطبخ، وفي الطريق سنحت فرصة للتحدث مع سيد قطب.. قلتُ له ـ فيما قلت: ماذا تنتظر؟

فقال لي الرجل بابتسامة واثقة، نابعة من صدر هادئ مطمئن: أنتظر الوفود على ربي!!!

هذا كل ما كان ينتظر، أمّا ما قاله في المحكمة، فكان يريد به ذكر شيء للتاريخ[٢] .

«كان ينتظر القدوم على ربه؛ لأنه يشعر بأنه أدّى الواجب الذي عليه، وصدق ما عاهد اللَّه عليه، وبلّغ دعوته، وهو فرح سعيد راض.

وقد نُقِل عنه قوله لأحد إخوانه: «لقد عرفت أن الحكومة تريد رأسي هذا المرّة، ولست نادمًا لذلك، ولا متأسفًا لوفاتي، وأنا سعيد للموت في سبيل اللَّه».

وأرسل إلى صديقه عطار قبل الإعدام: «لقد وجدت اللَّه كما لم أجده من قبل قط، ولقد عرفت منهجه وطريقه، كما لم أعرفه من قبل قط، ولقد اطمأننت إلى رعايته، ووثقت بوعده للمؤمنين كما لم أطمئن من قبل قط!! وأنا بعد ذلك ـ على ما عهدتني ـ مرفوع الرأس، لا أحنيه إلا للَّه.. واللَّه يفعل ما يشاء.. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾»[٣] .

وبعد صدور الحكم بإعدامه كان باديًا على وجه الشكر والرضا، وكانت

---

(١) مجلة الشهاب اللبنانية ـ السنة الخامسة ـ العدد الحادي عشر أيلول ١٩٧١م (ص٣).

(٢) «البوابة السوداء» لأحمد رائف (ص٢٢٣).

(٣) «سيد قطب» للخالدي (ص٢٦٠) نقلاً عن مجلة «كلمة الحق» السنة الأولى ـ العدد الثاني مايو ١٩٦٧م (ص٤).

السعادة بادية على تقاسيم وجهه.

وعند ركوب السيارة سأل أحد الضبّاط أحدهم عن الحكم؟ فأجاب بأنه الإعدام!

فقال له سيد قطب: لا تقل لهم إعدام، بل قل شهادة في سبيل اللَّه دعهم يسمعون ما يكرهون.

«وسكت سيد قطب برهة، قال بعدها: الحمد للَّه - قالها بملء فيه - الحمد للَّه - شهادة في سبيل اللَّه.. إن اللَّه سبحانه وتعالى أراد أن يعطينا الجزاء، ولكن الجزاء أكبر بكثير مما نستحق.. شهادة في سبيل اللَّه! غدًا نلقي الأحبة، محمدًا وصحبه! وقال رسول اللَّه ﷺ عن الشهداء: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل**»[1].

«وأُعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام - الشهادة - وتعجّب؛ لأنه لم يحزن ويكتئب ويُحبط، فسأله قائلاً: أنت تعتقد أنك ستكون شهيدًا، فما معنى شهيد عندك؟.

أجـابه سـيد قطب قائلاً: الشهيد هو الذي يقدّم شهادة من روحه ودمه، أن دين اللَّه أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين اللَّه»[2].

واستعلى الرجل.. سيد قطب على كل المساومات.. أن يقول إن هذه الحركة كانت على صلة بجهة ما ويُفرج عنه بدلاً من الإعدام.

فقال: واللَّه لو كان هذا الكلام صحيحًا لقُلته، ولما استطاعت قوة على

---

(١) «الإخوان وعبدالناصر» لأحمد عبدالمجيد (ص١٩٣ - ١٩٤).

(٢) «مذابح الإخوان» (ص١١٨).

وجه الأرض أن تمنعني من قوله! ولكنه لم يحدث وأنا لا أقول كذابًا أبدًا؟!

قال لأخته حميدة: «إنهم لا يستطيعون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، وإن الأعمار بيد اللَّه، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي، ولا يستطيعون إطالة الأعمار ولا تقصيرها، كل ذلك بيد اللَّه.. واللَّه من ورائهم محيط»(١).

عندما طُلب منه الاعتذار مقابل إطلاق سراحه قال: لن أعتذر عن العمل مع اللَّه. وعندما طُلب منه كتابة كلمات يسترحم عبدالناصر، رفض ذلك بعزة وقال: إن أصبع السبّابة الذي يشهد للَّه بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفًا يُقَرّ به حكم طاغية!

وقال ردًّا على ذلك الطلب: لماذا أسترحم؟ إنْ سُجنت بحق فأنا أقبل حكم الحق، وإن سُجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل(٢).

□ يقول الشيخ عبدالحميد كشك أسد المنابر في مذكراته «قصة أيامي» (ص١١٩ - ١٢٠):

«كان من الأحداث الجسام التي وقعت في صيف السجن ذلك الخبر الذي تعمّدوا أن يذيعوه علينا بالمذياع غداة تم تنفيذ حكم الإعداء في الشهداء الثلاثة: «سيد قطب» و«عبدالفتاح إسماعيل» و«محمد يوسف هوّاش». ولن أنسى صبيحة هذا اليوم وقد أذاعت النبأ إحدى المذيعات وكأنها تزفّ نبأ انتصار الجيش على إسرائيل، وكأننا استعدنا أرض فلسطين المقدسة.. ومما زاد الألم في النفوس أنها بعد إذاعة النبأ قالت: والآن نستمع إلى أغنية «بسبس نَوْ»!!

إلى هذا الحد بلغت الشماتة بقوم صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه.. إن

---

(١) «أيام من حياتي» لزينب الغزالي (ص١٨٣ - ١٨٤).

(٢) «لماذا أُعدم سيد قطب وإخوانه» (ص٢).

هؤلاء النفر الذين نُفِّذ فيهم حكم الإعداء فجر التاسع والعشرين من أغسطس ١٩٦٦م قوم قالوا كلمة حق عند سلطان جائر، فهم بين حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب[1] . لقد أمروا هذا السلطان الجائر بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلهم بعدما عضّهم بنابه، وصبّ عليهم سوط عذابه، لقد جرّعهم كئوس التنكيل، وأذاقهم من العذاب ما لوْ صُبّ على الجبال لخرّت له هدّا».

عجبت لمصر تهضم الليث حقه   وتفخر بالسنور ويحك يا مصرُ
سلام على الدنيا سلام على الورى   إذا ارتفع العصفور وانخفض النسرُ

نسأل اللَّه أن يتقبّلهم في عداد الشهداء.

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون، وإن الناس يعيشون ليموتوا، ولكن الشهداء يموتون ليعيشوا!!

انظر إلى قول سيد قطب في الظلال عند قوله تعالى: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

«هو تعبير عجيب عن معنى عميق: إن الشهداء المختارون.. يختارهم اللَّه من بين المجاهدين.. ويتخذهم لنفسه سبحانه..

فما هي رزية إذن ولا خسارة، أن يستشهد في سبيل اللَّه من يُستشهد.. إنما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء الذين اختصهم اللَّه ورزقهم الشهادة، ليستخلصهم لنفسه ـ سبحانه.. ويخصهم بقربه.. ثم هم شهداء يتخذهم اللَّه، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداءً لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا

---

(١) لا نقطع بالجنة لأحد إلا من عيّنه الشارع فضلاً عن الشهادة.. هذا هو مذهب سلفنا أهل السنة والجماعة، ولكن نسأل اللَّه أن يتقبّلهم في عداد الشهداء.

جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل اللَّه لإحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس»[١] .

أما حياة الشهداء عند ربهم، التي أخبرنا اللَّه عنها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن هناك سيخرّون شهداء في معركة الحق.. شهداء في سبيل اللَّه.. قتلى أعزاء أحباء.. قتلى كراماء أزكياء..

هؤلاء الذين يُقتلون في سبيل اللَّه ليسوا أمواتًا، إنهم أحياء.. فلا يجوز أن يُقال عنهم: أموات! ولا يجوزأن يُعتبروا أمواتًا في الحس ولا في الشعور، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة اللَّه سبحانه، فهم لا بد أحياء.. إنهم قُتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين..

ولكن حقيقة الموت، وحقيقة الحياة، لا تقرّرهما هذه النظرة السطحية الظاهرة. إن سمة الحياة هي الفاعلية والنمو والامتداد، وإن سمة الموت الأولى هي: السلبية والخمود والانقطاع.

وهؤلاء الذين يُقتلون في سبيل اللَّه، فاعليتهم في نصرة الحق الذي قُتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي قُتلوا من أجلها ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثّر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتدّ.. فهم ما يزالون عنصرًا فعّالاً دافعًا مؤثرًا، في تكييف الحياة وتوجيهها.

وهذه هي صفة الحياة الأولى.. فهم أحياء بهذا الاعتبار الواقعي في حياة الناس»[٢] .

---

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٤٨١).

(٢) «في ظلال القرآن» (١/ ١٤٣).

◘ قال ـ رحمه اللَّه ـ عن «قوة الكلمة» وحياتها وحيويتها: «إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين، فتحركها وتجمعها وتدفعها.. إنها الكلمات التي تقطر دماء؛ لأنها تقتات قلب إنسان حيّ!

كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان!

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئًا كثيرًا، ولكن بشرط واحد.. أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم! أن أفكارهم من لحومهم ودمائهم.. أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويُقدموا دماءهم فداءً لكلمة الحق! إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثًا هامدة، حتى إذا متنا في سبيلها وغذّيناها بدمائنا انتفضت حية، وعاشت بين الأحياء»[1] .

* **الدين النصيحة:**

◘ من المستنكر قول الأستاذ سيد قطب بحرية الاعتقاد كما جاء في كتابه «دراسات إسلامية» (ص١٣ ـ ١٤) يقول:

«وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم اللَّه للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.

وهذه أخص خصائص التحرر الإنساني التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة، لا يسمح لهذا الكائن الذي كرمه اللَّه باختياره لعقيدته ـ أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا ـ وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون ـ وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل

(١) «دراسات إسلامية» لسيد قطب (ص١٣٩).

والأسباب.

إن حرية الاعتقاد: هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف الإنسان.

فالذي يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء.. ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم، لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام وهو أرقى تصور للوجود وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء - هو الذي ينادي بأن ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضًا بسلطان الدولة ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟!»[1].

وهذه فتوى للشيخ محمد بن عثيمين فيمن يجيز حرية الاعتقاد والتدين بما شاء من الأديان.

وسئل فضيلة الشيخ: نسمع ونقرأ كلمة (حرية الفكر) وهي دعوة إلي حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب بقوله: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ، فإنه كافر بالله عز وجل - يستتاب فإن تاب وإلا وجب قتله.

والأديان ليست أفكارًا، ولكنها وحي من الله - عز وجل - ينزله على رسله، يسير عباده عليه، وهذه الكلمة - أعني كلمة فكر - التي يقصد بها

---

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٢٩١).

الدين يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية؛ لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد..

☐ وخلاصة الجواب: أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حر فيما يتدين به فإنه كافر بالله - عز وجل - لأن الله تعالى - يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ويقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوى الإسلام جائز.

ولا يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة»[1].

☐ **وهذا سؤال أيضًا وجه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:**

يا شيخ ما رأيكم فيمن يقول: «الإسلام لا يقرر حرية العبادة لأتباعه وحدهم إنما يقرر هذا الحق لأصحاب ديانات مخالفة ويكلف المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع ويأذن لهم في القتال تحت هذه الراية راية ضمان الحرية لجميع المتدينين وبذلك يحقق أنه نظام عالمي حر يستطيع الجميع أن يعيش في ظله آمنين مستمتعين بحرياتهم الدينية على قدم المساواة مع المسلمين وفي حماية المسلمين؟».

☐ **فأجاب فضيلته قائلاً:**

«الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هناك قاعدة شرعية وعقلية تقول: من ادعى شيئًا فعليه الدليل، فهذا الرجل الذي يدعي أن الناس أحرار في أديانهم وأنهم يختارون من الأديان ما يريدون، وأنهم إذا اختاروا دينًا غير الإسلام فهو كأهل الإسلام؛ لأن

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٩٩) رقم (٤٥٩).

كلاً له حريته.

نقول له: هذه دعوى فأت لها بدليل فإن لم تأت بدليل فإنها باطلة بالنص والإجماع، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ...**﴾، وقال تعالى: ﴿**قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ..**﴾، وقال اللَّه تبارك وتعالى في المؤمنين أنفسهم: ﴿**لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

فهذا القائل لهذه المقالة نقول: إنه مدع والمدعي عليه البينة وهذه الدعوى مردودة بالقرآن وبإجماع المسلمين على ذلك، صحيح أن الإنسان لا يجبر على الدين الإسلامي إذا بذل الجزية واستكان للدين الإسلامي وذل أمامه، فإننا لا نلزمه أن يتدين، ولكننا نعلم أن مأواه جهنم وبئس المصير، أما إذا نابذ ولم يخضع لحكم الإسلام في بذل الجزية وعدم العدوان على الإسلام وأهله فإننا نقاتله حتى تكون كلمة اللَّه هي العليا، نقاتله بأمر ربنا الذي خلقنا والذي خلقهم واللَّه عز وجل يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**﴾، وقال: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾.

وكل من دان بغير دين الإسلام الذي بعث اللَّه به محمداً ﷺ فهو خاسر ولا ينفعه تدينه هذا بل هو من أصحاب النار حتى إن النبي ﷺ قال عن اليهود والنصارى مع أنهم أهل كتاب إذا سمعوا بمحمد ﷺ ثم لم يؤمنوا ويتبعوه فإنهم يكونون من أصحاب النار فعلى هذا القائل أن يراجع نفسه وأن يحكم عقله وأن يتقي ربه وألا يكون جماداً لا يفرق بين الخبيث

والطيب وبين المؤمن التقي والكافر الشقي.

□ يا شيخ ما حكم ما يقول هذا؟

«حكمه أن يبلغ ويبيَّن له الحق فإن اهتدى فذلك المطلوب، وإن لم يهتد فلولاة الأمور أن يجروا عليه ما يقتضيه الشرع الإسلامي، ما يقتضيه الدين الإسلامي» ا.هـ[1].

□ ويؤخذ عليه قوله بالاشتراكية وإلغاء الرق[2].

انظر «العدالة الاجتماعية» (ص٢٦١) ـ الطبعة الخامسة» وفي «ظلال القرآن» (٣/ ١٦٦٩) و(١/ ٢٣٠)، (٤/ ٢٤٥٥)، (٦/ ٣٢٨٥).

□ قوله بالأخوة الإنسانية [انظر كتابه «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٣٢)].

□ وقوله بالضرائب (المكوس) [انظر كتاب سيد قطب «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٤١ ـ ٤٢)].

وقوله: في يد الدولة أن تنزع الملكيات جميعًا وتعيد توزيعها من جديد. [انظر «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٤٣ ـ ٤٤، ٥٢)، و«دراسات إسلامية» (ص٩٠)].

□ وقوله في الجزية انظر «الظلال» (٣/ ١٦٣٣ ـ ١٦٣٤).

ومساواته بين أهل الزكاة وأهل الجزية انظر إلى كتابه «السلام العالمي» (١٧٥ ـ ١٧٦) في حرية العبادة.

□ ويؤخذ عليه قوله عن نبي اللّه موسى عليه السلام «أنه نموذج للزعيم

(١) «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» للشيخ ربيع بن هادي المدخلي (ص٥٦ ـ ٦٣).

(٢) انظر «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» لربيع المدخلي (ص١٩) ـ نقلاً عن كتاب «التصور الفني في القرآن».

المندفع العصبي المزاج»[1] .

◻ ويعاب عليه عيبًا شديدًا ما قاله عن ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، وما قاله عن معاوية بن أبي سفيان خال المسلمين ﷺ وما قاله عن الصحابي «أبو سفيان بن حرب» والصحابية هند بنت عتبة، وعمرو بن العاص ﷺ في كتابه «العدالة الاجتماعية» وقد رد عليه الشيخ محمود شاكر في مجلة «المسلمون» عام ١٣٧١هـ العدد الثالث تحت عنوان «لا تسبوا أصحابي».

(انظر العدالة الاجتماعية لسيد قطب ـ الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٩هـ (ص١٥٩، ١٦١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧)، و«كتب وشخصيات» (ص٢٤٢).

◻ أفيعقل أن يقول عن عثمان ﷺ: «ولقد كان من سوء الطالع أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ضعفت عزيمته عن عزائم الإسلام» [«العدالة» (ص٢٠٦) ـ الطبعة الخامسة].

◻ ويقول عن معاوية ﷺ: «فلما جاء معاوية، وصارت الخلافة الإسلامية ملكًا عضوضًا في بني أمية لم يكن ذلك من وحي الإسلام، إنما كان من وحي الجاهلية»، وقال عن بني أمية: «فأمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات»، ويقول عن خال المسلمين معاوية ﷺ: «فمعاوية هو ابن أبي سفيان وابن هند بنت عتبة، وهو وريث قومه جميعًا، وأشبه شيء بهم في بعد روحه عن حقيقة الإسلام.

فلا يأخذ أحد الإسلام بمعاوية ـ أو بني أمية فهو منه بريء ومنهم بريء».

---

(١) نفس الهامش السابق.

هذا الكلام يشين سيد قطب . . فلو عمل سيد قطب ما عمل ما بلغ مد أحد من الصحابة ولا نصيفه».

فأي انحراف قيد أنملة عن عقيدة السلف من سيد قطب أو غيره ولو كان من كان يردّ إلى المزابل، وولاؤنا لعقيدة السلف.

وبالسلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجب

ولولا محاولتي وحرصي أن يكون كتابي وجمعي هذا جامعًا في بابه ما ذكرت لمن حاد عن منهج السلف قيد أنملة ولا نصف كلمة.

*** الدين النصيحة:**

❑ من المستنكر قول الأستاذ سيد قطب بحرية الاعتقاد كما جاء في كتابه «دراسات إسلامية» (ص١٣ ـ ١٤).

يقول: «وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم اللَّه للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.

وهذه أخص خصائص التحرر الإنساني التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة، لا يسمح لهذا الكائن الذي كرمه اللَّه باختياره لعقيدته ـ أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا ـ وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون ـ وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب.

إن حرية الاعتقاد: هي أول حقوق الإنسان التي يثبت لها بها وصف الإنسان.

فالذي يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء.. ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم، لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام وهو أرقى تصور للوجود وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء - هو الذي ينادي بأن ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكرام الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضًا بسلطان الدولة ولا يسمح لم يخالفها بالحياة؟!»[١].

◻ وهذه فتوى للشيخ محمد بن عثيمين فيمن يجيز حرية الاعتقاد والتدين بما شاء من الأديان.

وسئل فضيلة الشيخ: نسمع ونقرأ كلمة (حرية الفكر) وهي دعوة إلى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب بقوله: تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ، فإنه كافر بالله - عز وجل - يستتاب فإن تاب وإلا وجب قتله.

* العالم العامل والمربي الفاضل العلاّمة الشيخ محمد الأوْدن صاحب الكرامة العظيمة:

◻ قال عنه الشيخ حسن عاشور صاحب «دار الاعتصام»: «أمير علماء عصره.. العالم العامل والمربي الفاضل، والناصح الأمين.. والتقيّ النقيّ

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٢٩١).

الورع الذي صدع بالحق فنطق به في وجه «طاغية مصر» يوم أن خرست ألسنة كثير من العلماء خشية البطش والتنكيل، أو نجاة بالنفس من الهلاك والاضطهاد، أو تفاديًا للملاحقة والاستبداد، أو أملاً في رضا الحاكم وذهب السلطان.. ذلكم هو العلاّمة الشيخ «محمد الأودن» الذي رحل عن هذه الدنيا بعد أن أدّى رسالة الدعاة وأمانة العلماء رغم ما جلبه ذلك عليه من فتن ومحن، وسجن وإرهاب، وتنكيل وتعذيب.. فلم تفتر همّته، ولم تضعف عزيمته حتى ذهب إلى ربه راضيًا مرضيًّا ليجد عنده ما قدّمته يداه»[1].

□ يقول الشيخ عبدالحميد كشك في مذكراته عن الشيخ الأودن:

«جيء ذات يوم وفي صيف ١٩٦٥م؛ جئ بأحد العلماء المتخصصين في دراسة الكتاب والسنة، وقد بلغ من الكبر عتيًّا، ووضع في قفص حديدي لما أصاب عظامه من الكسور، فقال قائد الجلاّدين لزبانيته: أدخلوه زنزانة واحبسوه حبسًا انفراديًّا وجوّعوا له كلبًا ـ ومما هو جدير بالذكر أن الكلاب في السجن الحربي كانت تأكل ما لذّ وطاب من الطعام بينما الآدميون لا يجدون فتات الموائد، وكانت الكلاب مدرّبة على نهش لحوم البشر فانظر يرعاك اللَّه.. وتأمل ما هي العزّة والكرامة التي كان يتغنّى بها زعيم البلاد؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ ونفّذ الزبانية الأمر وجيء بالشيخ وقد بلغ الوهن منه ما بلغ واشتعل الرأس شيبًا وصار فيه دبيب الشيب فهزم العافية في جسده الناعم، ودخل الزنزانة وهو لا يدري ماذا يراد به ولكن من كان اللَّه معه فمن عليه، ومَن وجد اللَّه فماذا فقد؟.

دخل الشيخ زنزانته وهو يرتل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

---

(١) في التقديم والتعريف بكتاب «كتمان الحق» في آخر صفحة بقلم الشيخ حسن عاشور.

صدقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾، ثم يقرأ: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ واستقبل القبلة وصلّى للّه ركعات والصلاة كهف المؤمن كما أخبر بذلك الصادق المعصوم وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول: «أرحنا بها يا بلال»، وفوجئ الشيخ ببعض الجلاّدين يدخلون معه كلبًا مفزعًا مخيفًا ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وأغلقوا عليهما باب الزنزانة واستمر الشيخ في صلاته فالصلاة روح يسري في قلب المؤمن يصله بالعالم العلوي والعالم الملائكي... وبعد ساعات من وضع الكلب بجانب الشيخ نادى قائد السجن على زبانيته وقال لهم بلسان الصلف والتيه والكبرياء: اذهبوا وانظروا ماذا فعل الكلب بابن الـ.. وذهب الزبانية على أمل أن الكلب قد أكل من الشيخ لحمه وعظمه وبناءً عليه فسوف تُصرف لهم مكافأة مالية وهكذا كانت أحوال الناس وعلاقاتهم: المنفعة... المصلحة... المادة... الكسب الرخيص... الأنانية... حب الذات... النفاق... الكذب... الخيانة... أنا والطوفان من بعدي... «أُنجُ سعد فقد هلك سعيد» ونظروا من العين السحرية من باب الزنزانة ليُخرجوا الكلب ويغسلوا الدم ولكن كانت المفاجأة تنخلع لها القلوب وتنعقد لها الألسنة دهشة وعجبًا، لقد وجدوا الشيخ ساجدًا للّه تعالى مستغرقًا في نور الجلال والجمال والكمال عليه كوكبة تحفّها السكينة والوقار ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

نعم..

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نــم فالمخــاوف كلهــن أمــانُ

وجدوا الشيخ ساجدًا والكلب يحرسه كأنهما كانا على معرفة قديمة وصداقة أصيلة!! إنه الإيمان إذا تمكّنت بشاشته من شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكنًا والملح الأُجاج عذبًا سلسبيلا، إنه اليقين في اللَّه والاعتصام بحبله المتين... إنه صدق النية والإخلاص... إنها لغة «لاسلكي القلوب» لا يفهمها إلا من صفا قلبه وقوي يقينه... إنه هذا الإيمان يحرّك الجبال ويُسيّر العوالم.

إن للَّه عبادًا فطنا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمّا علموا أنها ليست لحيٍّ سكنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

لقد رجع الزبانية إلى سيدهم وقد انعقدت على رءوسهم هالات ضخمة من الدهشة، فما كان منه إلاَّ أن قابل ذلك بالسباب والشتائم وقال لهم: ارجعوا فحرّضوا الكلب لينهش لحم هذا الـ... وفعلوا ذلك، ولكن دون جدوى فالكلب وفيّ لأولياء اللَّه الصالحين، والوفاء قيمة عليا له في القلوب المؤمنة مكانة عظمى بينما بنو الإنسان حرموا هذا القدر العظيم من هذا الخُلُق العظيم ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٣-٩٦].

يا رب ما أعظمك! ما أكرمك! ما أرحمك! ما أجملك! كل شيء قائم بك، وكل شيء خاشع لك، أنت قوة كل ضعيف، وعزّ كل ذليل، وغنى كل فقير، ومفزع كل ملهوف، من تكلّم سمعتَ نطقَه، ومن سكت علمت سرّه، ومن عاش فعليك رزقه، ومن مات فإليك منقلبه، يا عظيمًا يُرجى لكل عظيم.

يا مَن يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت الرقيب لكل ما يُتوقَّعُ

لقد شكا الزبانية إلى سيدهم صمود الكلب وثبوته واصراره على موقفه من الشيخ فقال لهم ـ وقد ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ـ إذًا فأخرجوا الكلب حتى لا يُصاب من رائحة الزنزانة بشيء يؤذيه، ونسي هذا أو تناسى أن للقلوب دولة لا يملك مفاتحها إلا اللَّه، لقد ظلّ الشيخ في هذا السجن عامًا خرج بعده مسافرًا إلى مملكة الحجاز حيث عاش بها متنقلاً بين الحرمين الشريفين، وأراد ربك أن يختاره إلى جواره هناك وأن يدفن بأرض الطهر ومنازل الوحي ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾[1] .

❑ يقول صاحب الفضيلة الشيخ محمد محمد الأودن في تقديمه لكتاب «كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء»:ـ

«العلماء. . . وفي مقدمتهم خرّيجو الأزهر ـ الذين درسوا كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسول اللَّه ﷺ ، وآمنوا بأن للمسلمين شرعة ومنهاجًا يكفر من جحدهما وفرّط فيهما. . . يعلمون تمام العلم أنهم مسئولون عن الفساد في الأرض بكتمان الحق والجهاد في سبيله.

وغني عن البيان أن العلماء في الأمة بمثابة القلوب في الأجساد. . . إذا قوي نبضها صحّ الجسد، وإذا ضعف انهارت الأعضاء، ووهنت عزيمتها، واستسلمت للموت جميعًا. .

ومبادئ الإسلام وأصوله التي تلقّنها العلماء، وأنفقوا زهرة العمر في

---

(١) «قصة أيامي. . . مذكرات الشيخ كشك» للشيخ عبد الحميد كشك ص(١٣٧ ـ ١٤٠) المختار الإسلامي ومذهب أهل السنة أنهم لا يقطعون لأحد بدخول الجنة أو النار إلا من عيّنه الشارع ولكن حسن الظن بالودود الكريم أنه لا يخيّب رجاء أوليائه وحسن ظنهم به.

تحصيلها تفرض عليهم بطبيعتها أن يكونوا دعاة لها، رافعين لواء تبليغها... وإلا كان المفرّطون منهم كبعض علماء بني إسرائيل الذين قال اللَّه فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

فإن هم لم يقوموا بذلك ـ وهم أهله وأصحاب الكلمة فيه ـ فمن ذا الذي يقوم بالدعوة به؟!! أم يقوم به المتعلمون تعلّمًا مدنيًّا... وهم الذين حيل بينهم وبين تعلّم الدين في مدارسهم لكي يجهلوه، وينسلخوا من آدابه، ويصيروا على الرغم منهم حربًا عليه فيستغني بهم أعداء الدين، ويكيدون للإسلام على أيديهم، وبموافقة شعورهم الذي صاغوه بدل شعورهم الديني الإسلامي؟!!.

وعند ذلك يتم لأعداء الأزهر مأربهم القديم... من جعل هذا التراث الخالد جسمًا لا روح فيه، وصورة زائفة لا حقيقة لها، ودار طعام وشراب... لا دار نضال وكفاح لتحقيق المثل العُليا للفضائل الإنسانية التي يريد شياطين الباطل انطماس معالمها وآثارها!!

وهذا الكتاب ـ الذي أخرجه مؤلفه مخلصًا لوجه الحق ـ لم يأت بشيء غامض عن حقيقة الرسالة التي حملها أهل العلم، وورثوها عن رسول اللَّه ﷺ وقد أعطوا ربهم ميثاقهم أن يبيّنوها للناس ولا يكتموها.. فإن العلماء خلفًا عن سلف يعرفون واجبهم الخطير، فوصلوا ليلهم بنهارهم سعيًا وراء الحق الذي وضعه المولى أمانة بين أيديهم، ليقوموا به، ويدعو إليه، ويحفظوه في الناس.

وإنما أراد المؤلف بكتابه البنَّاء الجامع لرسالة العلم أن يذكّر به من يريد اللَّه بهم الخير من علمائنا الكرام، وأن يعالج أسباب التساؤل على ألسنة الناس عن أمر فساد الزمان، ونضوب معين الحق والعدالة والرحمة في القلوب، لكي يعلموا أن من وراء ذلك كله مسئولية علماء الأمة الإسلامية

في شتى أقطارها ـ وفي مقدمتهم علماء الأزهر الشريف ـ قبل مسئولية ملوكها وأمرائها وحكّامها، بل مضافة إلى مسئولية ملوكها وأمرائها وحكّامها.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾ عسى اللّه أن يلين بهذا الكتاب قلوبًا، ويفتح به آذانًا وبصائر»[1] اهـ.

* * *

(١) مقدمة كتاب «اكتمان الحق» ص(٨ ـ ٩) بقلم الشيخ الأردن.

*** شيخ وعّاظ مصر : ورجل العامة الشيخ عبدالحميد كشك أسد المنابر :**

حين صمت الجميع تكلّم هو ـ رحمه اللَّه ـ بلسان الصدق. . . في وقت علا فيه النفاق هدر الليث ووصف هذه الأيام فقال في مذكراته «قصة أيامي»:ـ

«أيام بلا شمس وليالٍ بلا قمر، تلك التي صار المعروف فيها منكرًا، والمنكر فيها معروفًا، والتي صار شعارها:

صوموا ولا تتكلّموا إن الكلام محرمُ
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النُوّمُ
إن قيل إن نهاركُم ليلٌ فقولوا مظلمُ
أو قيل هذا شهدكم مرٌّ فقولوا علقمُ

نعم لقد أصبح الشعار للمجتمع «نافقْ أو وافقْ وإلا ففارقْ». وضاعت النصيحة كما ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحوّلت الأمة إلى أشباح تتحرّك، ومَنْ قيل عنه إنه صاحب مبدأ أو يدعو إلى مبدأ، فليس مكانه بين الناس، إنما يُعزَل بعيدًا عنهم هناك وراء القضبان ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ وكم يقف الإنسان عاجبًا مشدوهًا من شدة العجب عندما يقرأ قول اللَّه تعالى على لسان نبيه صالح وهو يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾ إنها ذروة المأساة وقمة الملهاة، ألا يحب الناس الناصحين حتى يقول الناصح الأمين:

نصحتُ فلم أفلح وغشّوا فأفلحوا فأوقعني نصحي بدار هوان

أصبحت سماء مصر ملبدة بغيوم النفاق والظلم، فهذا صاحب قلم يسيل مداده سُمًّا ناقعًا يريد أن ينافق صلاح نصر فيكتب عنه قائلاً: «إنه الرجل الذي تكلؤنا عينه بالليل ونحن نيام»، ثم يستطرد قائلاً: «إنه الرجل

الذي بلغ من دقة رقابته أنه يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور»، هل هذه العبارة في حاجة إلى تعليق؟!.. لقد بلغ النفاق مداه عندما وقف أحد الشعراء ينافق عبدالناصر فيقول:

بشراى إن صلاح الدين قد عادَ ... وأصبحت هذه الأيام أعيادا

أجمالُ ما لك من بين الأنام فتى ... في الشرق والغرب مِمَّن ينطق الضادَ

لو كان يُعبد من بين الأنام فتى ... كُنّا لشخصك دون الناس عُبّادا

وهذا يذكرني بذلك المعتوه[1] الذي دخل على الحاكم ذات يوم في سالف العصر فقال له:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهّارُ

إن النفاق شجرة خبيثة مرّة المذاق اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فحق علينا قول اللَّه تبارك اسمه ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾.

أمرناهم بالمعروف والعدل والإحسان فاستكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًّا كبيرًا.

وفرق كبير بين أن يقول اللَّه تعالى: ﴿فَفَسَقُوا﴾ وبين أن يقول: أن يفسقوا.. ثم تأملّ كيف جاء العطف بالفاء في «ففسقوا»، وهي تفيد الترتيب والتعقيب. ولم يأت بثم التي تفيد الترتيب والتراخي، مما يعطيك لمحة قرآنية عميقة بأن هؤلاء القوم المفسدين قد بلغ من جرأتهم أنهم فسقوا عقب الأمر مباشرة استهزاءً واستكباراً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق.

وفي قراءة في تلك الآية: ﴿أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ فتشديد الميم في أمَّرنا أي جعلنا أمراءها مترفيها ومفسديها. وقد جاء في حيثيات الحكم على أصحاب

(١) هو ابن هانئ الشاعر يمدح المعز لدين اللَّه الفاطمي.

الشمال قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، وجاء في دعاء الصالحين: اللَّهم ولِّ أمورنا خيارنا ولا تُوَلِّ أمورنا شرارنا.

كان الإمام ابن الجوزي يقول: إني لأظلّ أتقلّب في فراشي طول الليل أبحث عن كلمة أرضي بها الحاكم ولا أُغضب بها اللَّه فلا أجد»[1].

● وقد أخبر النبي ﷺ عن خطر النفاق فقال: «**أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**»[2].

«إن الخطايا ينادي بعضها على بعض» فإذا أُخرست الألسن واستبدّ الحاكم، وصار الذئب راعيًا، والخصم العنيد قاضيًا، فكان الظلم والاضطهاد الذي ينادي على القتل والتشريد والسجون والمعتقلات.

عندما يولي ربيع الحرية مدبرًا، يحل محله لظى الاستبداد، فإذا انتكست القيم، واهتزت المعايير، وانقلبت الحقائق، طفا على وجه الماء هذا الغثاء... إنهم أصحاب القلوب المظلمة، والأفئدة المتحجّرة.

إذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ ... وعيَّر قسًّا بالفهاهة باقلُ
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائلُ
وطاولت الأرضُ السماء سفاهةً ... وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادلُ
فيا موت زرْ إن الحياة مريرة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازلُ

◻ يقول الشيخ عبدالحميد كشك ـ رحمه اللَّه ـ في مذكراته ص(٢٢٦):

«إن العالم يجب أن يكون كما قال اللَّه تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ**

---

(١) «قصة أيامي» ص(١٣٠، ١٣١، ١٣٢).

(٢) صحيح: رواه ابن عدي عن عمر، وابن حبان والبزار والطبراني في «الكبير» عن عمران، وكذا رواه أحمد والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» ص(١٢٨)، و«صحيح الجامع» (٢٣٩).

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وكما قال جل شأنه: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾**.

وتاريخ الإسلام مليء بمواقف العلماء من الأمراء. قال عمر بن عبدالعزيز ذات يوم للحسن البصري: عظنا يا تقي الدين وأوجز فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين: صم عن الدنيا وأفطر على الموت، وأعدّ الزاد لليلة صبحها يوم القيامة».

* وهكذا وقف أهل الدعوة موقف الناصحين الأمناء يوجِّهون وينصحون لا يبتغون من وراء ذلك كرسيًّا زائلاً أو منصبًا فانيًا، إنما كانوا كما قال اللَّه تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** هؤلاء هم أصحاب الرسالات، لم يبيعوا آخرتهم بدنياهم، ولم يبيعوها بدنيا غيرهم، لم يسعوا ولم يلهثوا وراء الشهرة والكراسي المزورة، إنما باتوا على الطوى وقالوا: «نحن في سعادة، لو علمت بها الملوك لجالدتنا عليها بالسيوف»... ويوم يتردّد العالم على باب الأمير فإنه متهم في دينه، ويوم يصير هواه تبعًا لهوى الحكّام يحل ويحرّم إرضاءً لأهوائهم، فإنه قد وقع فريسة للشيطان بل صار أستاذًا له.

* قال تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾**.

إذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ ... وعيَّر قسًّا بالفهاهة باقلُ
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائلُ

فلا تصاحبْ غنيًّا تستعزّ به — وكن عفيفًا وعظّمْ حرمة الدين
واسترزق اللَّه مما في خزائنه — فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن باللَّه عن دنيا الملوك — كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

* الشيخ كشك والإعلام:

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «ما أشد غضب الذين هاجت عقارب البغضاء في صدورهم فصدوا عن سبيل اللَّه بعدما باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم. . . ما أشدّ غضبهم على أهل الحق وما أكثر أذاهم للذين يؤدون الدعوة إلى اللَّه على أنها رسالة يبتغون بها وجه اللَّه مصداقًا لقوله جل شأنه ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾.

* ومصداقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾.

ذات يوم صائف شديد القيظ كأن شمسه أشرقت من بين الرمال لا من بين السحب ذهبت إلى ديوان الوزارة للتحقيق بناءً على استدعاء وصلني وكان على رأس الدعوة شيخ فصيح اللسان ولكن قلبه لم يكن كفصاحة لسانه بل كان يخشى على كرسيه، ومررت عليه في الوزارة قبل أن أدخل على السيد المحقق وهو وكيل الوزارة مررت على الشيخ بصفته ممثلاً للدعوة وعرضت عليه أن يحضر هذا التحقيق ليكون حكمًا بيني وبين هذا الإنسان الذي لا يعرف للعلم كرامة ولا للعلماء احترامًا ولكن الشيخ اعتذر عن الحضور بلباقة وذلك حتى يُجامل الوكيل حرصًا على كرسيه، وهو الذي كثيراً ما سمعناه يصرخ على المنابر ويصيح كالأسد الصهور مناديًا بأعلى صوته قائلاً: «إن الفضيلة تُذبح. . . إن الإسلام يُحارب. . . إن الباطل يُعربد

في عرصات الدنيا» الكلام سهل والبلاغه مواتية والبيان والبديع... والفصاحة والمعاني، كلها بين يديه... ولكن إذا نزل أحدهم ميدان التجربة اصفرّ وجهه وجلاً، وفرّ من الميدان فراره من الأسد.

مهما يكن من شيء فقد دخلت على المحقق وقد أحضر معه شيخين من شيوخ الأوقاف لهما مكانة في إدارة الدعوة وكان السؤال هذه المرة: لماذا تهاجم الإعلام؟ وقلت: «إن الإسلام لا يعرف الهجوم؛ لأن الهجوم من صفة الباطل لكن الإسلام يعرف الدعوة إلى الحق وتصحيح المفاهيم المنحرفة، ولقد انحرف الإعلام عن سبيل الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين، فبدلاً من أن يكون عامل بناء صار معول هدم، وهو سلاح له خطره، حتى قال أحدهم: «أعطني شاشة أُغيِّر بها شعبًا»، وكان كارل ماركس يقول: «لأنسين الناس اللَّه بالمسرح». ولو كان في عصره الإعلام المرئي لكان أشد خطرًا وأبعد أثرًا في الفساد والإفساد.

فأي شيء في الدفاع عن الحق؟ أو عندما يرفع أهل الباطل أصواتهم نستمع وننصت، فإذا ما انبرى لهم أهل الحق يُؤذون ويُستجوبون؟!

أمِن العدل أنهم يردون الـ ـماء صفواً وأن يُكدَّر ورْدي؟!
أمِن الحق أنهم يطلقون الـ أسد منهم وأن تقيّد أسدى؟!

وما إن فرغت من الإجابة حتى رأيت السيد المحقق يثور ويفور ويتوهج ويتأجج كأنه لديغ نهشته الثعابين أو لدغته العقارب فقلت له: أرجو أن تُغير أسلوبك في التفاهم فلست عبدًا لك، ولا لغيرك، إنما عبوديتي للَّه وحده لا شريك له، ولا أسمح لك أن تضرب على المكتب بيديك، لأنني لست متهمًا وأنت البريء، ولست منحرفًا وأنت المستقيم، فأنا على حق؛ لذلك فإنني لا أخشاك، وسوف أتركك عما قليل، فاقض ما أنت قاض فالحكم للَّه العليّ الكبير!

ونزلت هذه الكلمات عليه كأنها الصواعق خاصة وأن المكان كان به عدد غير قليل من العاملين بالوزارة فرجع إلى صوابه، بعدما علم أنه سيُقابل بكل ما يقول بردّ حاسم، نظر السيد المحقق إلى الشيخين اللذين استدعاهما لحضور هذا اللقاء الغاضب وقال لأحدهما: ما رأي فضيلتكم في هذا الكلام الذي سمعته؟ وكان يظن أن الرجل سيجامله ويؤيده ويصفه بالحكمة والحزم لكن الرجل بحق كان على مستوى المسئولية أمام اللَّه فقال له: ما كان ينبغي أن يأخذ التحقيق دور الخصومة بينك وبين هذا الإمام الذي يدعو إلى اللَّه على بصيرة!!

فبهت وخفت صوته وخبأ جبروته فتوجه بالسؤال إلى الشيخ الثاني يستشيره الرأي فقال له الشيخ: ومن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إذا لم يكن الدعاة إلى اللَّه هكذا؟!. ثم قال له: إن الرجل لم يتجاوز حدود الرسالة ثم ساق له الحديث النبوي الشريف: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ اللَّه عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم**».

واستطرد قائلاً: لو وضعنا الأمور في نصابها وسمّينا الأشياء بأسمائها لقدّمنا لهذا الإمام الشكر جزاء ما حمل عنا هذا العبء في الدعوة؛ فإن الخير يجب أن يُقابل بالخير، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان!!

ثم قام الشيخان وعانقاني ودعواَ اللَّه لي بالتوفيق والسداد، وشعر ذلك المحقق بانطفاء في قلبه وكأنه يجلس على الأشواك والحصى، تظله سحابة دكناء ونجم محترق!!»[1].

*** استدعاء بسبب القذافي:**

تحت هذا العنوان في مذكراته كتب الشيخ كشك ـ رحمه اللَّه ـ:

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٩ ـ ٢٣٢).

«كان الخلاف محتدمًا بين حكومتي مصر وليبيا، وكان بالطبع خلافًا سياسيًّا، وقد حدث أن حاكم ليبيا تعرّض للإسلام في أمور كان لا بد من الردّ عليها، ودفع به ذلك الجموح أو الجنوح إلى أن ينكر الاستدلال بالسنة النبوية الشريفة، ولقد سمعته بأذنيْ رأسي عن طريق الإذاعة يقول هذا الكلام الذي فيه استهانة بسنة خير الأنام، بل لقد قال كلامًا لا يليق بصاحب الرسالة العصماء... وكان لا بد أن يقول المنبر كلمته؛ ليردّ الحق إلى نصابه، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

وألقيت خطبة بيّنت فيها مكانة السنّة من القرآن الكريم، وأنها بمثابة المذكرة التفسيرية لآيات الكتاب، كما أنها تأتي مؤكدة لما فيه من معان، كما تأتي مفصلة لما فيه من مطلق... وكان ذلك كله بتوفيق من اللَّه وفضله، لكن الأمر الذي لم أكن أتوقعه أن يصلني استدعاء كالعادة، وذهبت لأقف على حقيقة هذا الموضوع فكان الاستجواب خاصًّا بمهاجمة القذافي: لماذا تُهاجم العقيد؟ فقلت: وأيّ شيء في هذا؟ إنه ليس هجومًا كما تدّعون، وإنما هو دفاع عن الحق. لقد كان الأوْلى بهذا السؤال أن يُوَجّه إلى إعلامكم بمختلف قنواته مقروءًا أو مرئيًّا أو مسموعًا أو معروضًا... قالوا: ولكن تلك قنوات شرعية؟ قلت: بل قل قنوات قانونية، أما القنوات الشرعية فهي المنبر الذي ينطق بلسان الإسلام[1] .

وعجبتُ

أحرامٌ على بلابله الدوحُ حلالٌ للطير من كل جنس

أإذا قال غيري تردّدون قوله بشتى اللغات، فإذا انطلق الإسلام ونطقه الحق وقوله الصدق يوضع في قفص الاتهام، ويُكبَّل بالقيود والأغلال؟ ما

(١) «قصة أيامي» ص(٢٣٣ - ٢٣٤).

لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون؟ أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين.

لكنني علمت أنها سياسة الذئب، مع الحمل، ورددت قول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أمِن العدل أنهم يردون الـ ـماء صفواً وأن يُكدَّر ورْدي؟!
أمِن الحق أنهم يطلقون الـ أسد منهم وأن تُقَيَّدَ أُسْدِى؟!

☐ يقول الشيخ كشك ـ رحمه اللَّه ـ:

«لقد كان لعمر بن عبدالعزيز مستشار خاص هو عمر بن مهاجر قال له أمير المؤمنين: إذا رأيتني ضللت الطريق، فخذ بمجامع ثوبي وهزّني وقل لي: اتق اللَّه يا عمر فإنك ستموت... هكذا تكون علاقة العالم بالأمير.. علاقة نصح وإرشاد، وتواص بالحق، وتواصٍ بالصبر، فإذا ما حلّ النفاق محل النصيحة فكبّر على هذا المجتمع أربع تكبيرات لوفاته»[1].

☐ ويقول عن نفاق من نافق الحكّام:

«من بين علماء الأزهر من قال عنه: والذي نفسي بيده لو أنّ لي شيئًا من الأمر لرفعت هذا الرجل «يقصد به السادات» إلى قمة لا يُسأل عما يفعل. وقد ردّ عليه الشيخ عاشور فيما سمّوه بمجلس الشعب، وقال له: هذا كفر يا مولانا! فقال له الشيخ الوزير: أنا أعرف باللَّه منك.

ويوم وقعت النكسة وهي في الحقيقة هزيمة ووكسة، قام أحد أعضاء مجلس الأمة يرقص فرحًا وابتهاجًا بسلامة الرئيس كما غُصّت شوارع القاهرة بالمصفقين والهتّافين والراقصين المطالبين ببقاء الزعيم بطل الهزائم... كانوا يرقصون وهم المهزومون، وكان الناس في إسرائيل يعلنون الحداد ويصلّون

(١) «قصة أيامي» ص(٢٣٨).

على قتلاهم، فاعجب معي لشعب منهزم يرقص، وشعب منتصر يندب قتلاه!!... إنه الفرق بالإحساس بالمسئولية واللامبالاة. لقد طفح النفاق، وكثر المنافقون، وحملة القماقم... حتى وقف أحد المدرسين الذين كان السادات تلميذًا عندهم يقول في أحد المحافل أمام سيده السادات «إن في خلق السماوات والسادات لآيات لأولي الألباب» ثم أضاف قائلاً: لقد منح اللَّه سيدة مصر الأولى نصف الجمال، وقسّم النصف الآخر على نساء العالمين.

وجاء اليوم الذي قدّم فيه أحد أعضاء مجلس الشعب اقتراحًا بأن يُطلق على السادات لقب «سادس الخلفاء الراشدين»، وقال له أحد كبار المسئولين في الولايات المتحدة في خطاب ألقاه في أحد المؤتمرات: «إن اللَّه خلق السموات والأرض في ستة أيام اختص منها يومًا خلق فيه المسيح بن مريم وأنور السادات»... ولكن صاحبنا هذا كان أشد جنونًا من المتحدث فقد قال للوفد الذي كان يرافقه في تلك السفرة: «انشروا هذا الكلام في الصحف المصرية عندما نعود»، ولكن شاء اللَّه ألا يُنشر هذا الكلام في مصر حتى لا يُصاب الناس بصدمة تتعلّق بالعقيدة، وهي أغلى ما يملكه المسلم ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[1].

□ وقال الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ: «توالت الاستدعاءات، فكلما خطبت خطبة يوم الجمعة، جاء الاستدعاء يوم السبت، وكان التحقيق يوم الاثنين... هكذا من كل أسبوع، واختلفت أنواع التحقيق وتعددت نماذجه، فمرة تكون التهمة الموجّهة إليّ أنني أثير الفتنة الطائفية؛ لأن المسجد يقع في

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٠ ـ ٢٢١).

منطقة دير الملاك وهي إحدى قلاع الصليب. وسألت: ما هو الكلام الذي أثار الفتنة في الخطبة؟ وقال المحقق وكان يعمل وكيلاً لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة: إنك تتعمّد ذكر الآيات التي تتحدث عن النصارى. قلت: أليست قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة؟ وذكَّرني هذا الموقف بموقف أهل العناد من صاحب الرسالة وقد طلبوا منه أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، فحزن الرسول لذلك، فأنزل اللَّه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

وأخيراً قال لي السيد المحقق بعبقريته الفذّة وفهمه العميق وبصيرته النافذة: عليك أن تصعد المنبر، ولكي تريحنا ونريحك اجعل موضوع خطبتك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم انزل وصل بالمصلين... وقلت له: لو كان ذلك كذلك، لوجّهتم إليّ نفس التهمة وهي إثارة الفتنة الطائفية، ولقلتم في مذكرة الاتهام: إنه يقرأ سورة الإخلاص ويقصد بها التعريض بالنصارى المثلثين... وإذن لا جدوى من هذا التوجيه، فاللغة بيننا هي لغة الذئب الذي قال للحَمَل: عكّرت عليّ الماء.

وماذا يصنع أهل الحق بقوم لبسوا جلد النمر، وقلبوا ظهر المجن، ولكن لا بد أن تسير القافلة والذئاب تعوي. وهل يضر السحاب نبح الكلاب. إن كلمة الحق أقوى من كيد الكائدين واللَّه أشد بأسًا وأشد تنكيلا»[١].

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٥).

* بذكر عمر أنت تُعَرِّض بالحكّام!!!

◘ قال الشيخ كشك ـ رحمه اللَّه ـ:

«لم أكن أتوقّع أن يصل بهم الإسفاف إلى هذا الحدّ، في سلسلة الاستدعاءات ذهبت إلى المحقق نفسه، وإذا التهمة الموجهة هذه المرة يُقال فيها: إنك تتحدث كثيرًا عن عمر بن الخطاب. قلت: وأي شيء في هذا؟ قال المحقق الحصيف الأريب: إنك تقصد بذلك التعريض بالحكام؟ قلت: إذن فلا داعي إلى أن أذكر شيئًا عن عدالة الإسلام، وأن أضرب صفحًا عن ذكر حياة رسول اللَّه ﷺ وأصحابه فإنّ في ذكرهم تعريضًا بالحكّام كما تزعمون ولماذا تفهمون هذا الفهم؟ ولو كان فيه تعريض أو تصريح أليس الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر من مبادئ الإسلام؟ وما وظيفة العالم إذا لم يكن ناصحًا ومرشدًا؟»[1] .

* الشيخ عبدالحميد كشك وشيخ الأزهر في أيّامه:

◘ قال الشيخ عبدالحميد في مذكراته ص(٢٣٨ ـ ٢٤٠):

«وجّه شيخ الأزهر دعوة إلى رجال الدعوة الإسلامية للبحث في طرق الدعوة، ووضع منهج للدعاة، وكنتُ واحدًا من الذين وُجِّهت إليهم الدعوة، وكان مكان اللقاء في إدارة الأزهر وانعقد الاجتماع بعد صلاة الظهر... وبعد أن انتهى الاجتماع وهممت بالانصراف، أخذ شيخ الأزهر بيدي إلى مكتبه وقال لي: لماذا أغضبت الرئيس[2] منك؟ قلت له: لا أدري وأريد أن توضح الأمر لي، فقال: لماذا لم تذهب إلى الاجتماع الذي دعاك إليه في الإسماعيلية في رمضان؟ فقلت له: لأن اللَّه أراد ألا أحضر. وشرحت له

(١) «قصة أيامي» ص(٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) يعني: السادات.

كيف نسيت أن أفتح الخطاب حتى نسيت الموعد المضروب.

ثم سألت الشيخ: وما الذي أعلم فضيلتكم أنه غاضب مني؟ قال: لقد كنت أجلس عن يمينه وقد سأل وزير الإعلام وقال له: ألم يحضر؟ فقال له الوزير: نعم لم يحضر. فهزّ الرئيس رأسه غضبًا. قلت له: يا فضيلة الشيخ ولماذا لم تحاول أن تقول كلمة تُطفئ بها غضب القلوب؟ فقال: إنك تستطيع أن تقدم الآن اعتذار عما حدث. فقلتُ له: وهل أخطأتُ حتى أعتذر؟

فقال: ألا تعلم أننا نعيش في ظل الرئيس ورعايته؟ فقلت له بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ وألقيت السلام وانصرفت وأنا أردّد آية الكرسي التي اشتملت على الجلال والكمال والجمال ووصف اللَّه بالحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. ووصفه بالعليّ العظيم. فهذا هو الذي نعيش في رعايته وعنايته وخيره ورزقه. يرحم اللَّه شيخ الأزهر فقد لحق بالدار الآخرة وعلم أن ما عند اللَّه خير وأبقى. ولكن أذلَّ الحرص أعناق الرجال».

*** الشيخ كشك وجعفر نميري:**

□ قال الشيخ كشك: «وقف السادات يخطب في الخامس من سبتمبر (١٩٨١م) وقد فقد صوابه وطاش لبه، وكأنه أُصيب بالسعار فأنشب أنيابه ومخالبه فأوعد وهدّد وأرغى وأزبد، وحمل على الجماعات الدينية، وخص الإخوان المسلمين بنصيب الأسد، كما سفّه كبار الدعاة الإسلاميين، فرمى هذا بالجنون وذاك بالبذاءة، وذلك بأنه «مْرمي كالكلب» وبقى أن يقول: ما علمت لكم من إله غيري أو أن يقول: أنا ربكم الأعلى. كما خصّني في بيان من بياناته بتهمة كاذبة خاطئة، ذكر فيها أن الرئيس السوداني جعفر النميري قد شكاني إليه، وأنني أهاجمه، وماذا يحدث لو صحّ هذا؟ أهناك أحد فوق مستوى التوجيه؟ أليس من عادة الأمراء والصالحين أن يسألوا

العلماء المخلصين النصح؟

ألم يقل أحد الناس لعمر بن الخطاب: اتق اللَّه يا أمير المؤمنين؛ فنهره أحد الجالسين فقال الفاروق ﷺ: لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها؟

ألم يقل عمر ﷺ ذات يوم: رحم اللَّه امرأً أهدى إليّ عيوبي؟، ألم يقل اللَّه لنبيه ومصطفاه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾؟ ألم يقل خليفته أبو بكر ﷺ بعدما بويع بالخلافة: يا أيها الناس لقد وُلّيت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. أطيعوني ما أطعتُ اللَّه فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. الصدق أمانة والكذب خيانة... القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

إن تعجب فاعجب لأمر هؤلاء الذين يتأججون نارًا إذا قيل لهم اتقوا اللَّه في الرعية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

*** يوم التحقيق:**

تحت هذا العنوان يذكر الشيخ عبدالحميد في قصة أيامه ص(٢٥٨،

(١) «قصة أيامي» ص(٢٥٦ - ٢٥٧).

٢٥٩): «دخلت على المحقق ووجه أسئلته، وكان أكثرها يدور حول الخطب، ومن هذه الأسئلة التي ما زلت أذكرها هذا السؤال الخالد: لماذا تهاجم نيللي؟ وكأن نيللي هذه قد أصبحت ذاتها مصونة لا تُمَس!! ومن أرادها بسوء قصمه اللَّه، وكأنها كنانة اللَّه في أرضه أو مبعوثة العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية السيدة المصونة والجوهرة المكنونة!!

قلت: إنما كنت أطالب تأخير فوازيرها حتى نصلّي القيام، فقد صرفت الناس عن صلاة القيام في رمضان، ثم قلت: لقد صارت كالهلال نصوم لفوازيرها ونفطر لفوازيرها.

وتوالت الأسئلة:

❑ ماذا كنت تقصد بقولك: «على الذين يتمثلون بعمر أن يحذو حذوه؟ قلت: وأي شيء في هذا؟ ثم أي تهمة في تلك الكلمة؟ أليس الدين كما أخبر الصادق المعصوم: النصيحة؟ قالوا: لمن؟ قال: للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

❑ وسُئلت: لماذا تُهاجم عيد الأم؟

قلت: لأنه بدعة وفدت علينا من باريس، فليس في الإسلام ما يُسمّى عيداً إلا عيد الفطر، وعيد الأضحى، فحرام علينا أن نظهر البر بالأم يومًا واحداً، ونعقّها ثلاثمائة وأربعة وستين يومًا.

❑ قال: لماذا تهاجم الكرة؟

قلت: لأنها تحوّلت إلى رياضة مذمومة وأصبح ضررها كالخمر والميسر توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر اللَّه وعن الصلاة.

❑ وسُئلت: لماذا تهاجم الإعلام؟

قلت: لأنه أصبح يهدم ولا يبني، ويبدّد ولا يصون ويورث ضعف

الوازع الديني والتفسخ الأخلاقي، والانحلال الاجتماعي، والناس على دين إعلامهم. وقد قيل: أعطني شاشة أغيّر بها شعبًا، فهل مثل هذا الإعلام الذي يدور حول فيلم أو مسرحية، أو مسلسل، أو فوازير وقد سرت السموم الناقعات في خلاياه، هل مثل هذا يبني النفوس القوية المتصفة بالصدق المتحلية بالأمانة؟ لقد استطاع الإعلام أن يُنسيَ الناس أن شهر رمضان شهر القرآن والصيام والبر والنصر والقدر والقيام وبدر، وهكذا كانت الأسئلة وهكذا أجبت.

وكان الإيمان دائمًا يضع نصب عيوننا ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.

لقد منعوا هذا الصوت أن يهدر على المنابر ولكنهم لم يمنعوه أن يموت كما يريد.. كان يسأل ربه أن يموت في سجوده.. ومات الشيخ يوم الجمعة وهو يصلي قبل الجمعة.. مات في سجوده وبقي اسمه يترحم الملايين عليه إذا ذكروه وهم يلعنون الظالمين وبقي الإسلام.

فكم زالت رياضٌ من رُباها ... وكم بادت نخيل في البوادي
ولكن نخلة الإسلام تنمو ... على مرّ العواصف والعوادي
ومجدك في حمى الإسلام باق ... بقاء الشمس والسبع الشداد

* وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾.

إمام العصر وسيد علمائه الشيخ عبدالعزيز بن باز

مناقب الإمام الشيخ ابن باز لا تُحصى من صدع بالحق ونشر للعلم ودعوة للتوحيد والسنة وتحذير من البدع والمحدثات وزهد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإطعام للطعام وتهجد وعبادة كان له فيها قصب السبق..

وأجمع على محبته القاصي والداني.

* **خطاب وكتاب:**

في العام ١٣٩٣هـ استقبلت الجامعة الإسلامية رئيسها الأعلى المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز أثناء زيارته الثانية لها، وفي المظلة الكبرى أمام المباني الإدارية، وقف الشيخ يحييه بكلمة ضافية، جامعة، أوجز فيها تاريخ الجامعة منذ نشأتها حتى يومها ذاك، وعرض لأطوارها المختلفة، وجنسيات طلابها، وعدد خريجيها، ومصايرهم بعد التخرج، حيث انطلقوا يحققون رسالتها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي... فأبرز بذلك أهمية هذه المؤسسة وآثارها البعيدة في تركيز معاني الإسلام، والوقوف بوجه الزحوف المعادية له من الشرق والغرب... ثم عرج من هناك على واجب حكام المسلمين نحو الإسلام في حمايته وتنفيذ شريعته.

وما أروع تلك اللفتة المباركة التي ركز عليها الشيخ عندما عرض لأهمية الإعلام الحديث في تبليغ الدعوة وإبراز محاسنها للسامعين والناظرين والقارئين، وراح يذكر الملوك والأمراء الذين معه بمسئوليتهم الضخمة في هذا الصدد، ولم يكتمهم ملاحظاته الصريحة حول واجب صون الإعلام السعودي من الانجراف في المزالق التي سبق إليها الآخرون، الذين لا يستشعرون أي مسئولية نحو الإسلام.

كان الشيخ يتدفق بهذه المعاني في حرارة توحي إلى السامعين أن يؤدي أمانة ويبرئ ذمة، وكأنما انتصب في ضميره مشهد الحشر حيث يسأل كل إنسان عما عمل، وتكون مسئولية العلماء أضخم المسئوليات... ولقد كان لأسلوب الشيخ ساعتئذ أروع الأثر في القلوب، إذ سلك إلى غرضه أحكم المسالك فجمع بين اللطف والقوة، وقدم مواعظه ونصائحه ملفوفة بظروف من نور.

وكنت ألاحظ وجه الملك الراحل ـ غفر اللَّه له ـ وهو يصغي بانتباه عميق إلى كلمات الشيخ، فألمح عليه انطباعات الرضى والقبول. ولا غرابة في ذلك فقد كان الملك فيصل ـ فيما نعلم ـ على يقين من فضائل الشيخ وعظيم إخلاصه للحق. وكان الملك كبير التقدير لكل نصيحة مخلصة، رحمه اللَّه.

تلك هي ذكرياتي عن الخطاب... أما الكتاب فله ذكرى أخرى.

وكان ذلك يوم قرئ على الشيخ في إحدى الصحف نبأ حدث أهمه كثيرًا، إذ خشي أن يجرّ وراءه ما لا تحمد عقباه.

وعلى دأبه في الشورى عرض الموضوع على مجلس الجامعة فلم يخرج عن توقعاته. واستقر الرأي على أن يرفع إلى المقامات العليا ما ينبغي تذكيرهم به. في مثل هذه الحال.

وفي اجتماع تالٍ أطلع الشيخ المجلس على النص الذي أعده. وكان على جانب من الصراحة كبير، إذ أوضح فيه الشيخ كل الذيول التي يتصورها، وذكر أولي الأمر بموقعهم من عالم الإسلام، ومسئوليتهم نحوه.

وحقًّا لقد أدهشتني تلك الصراحة فلم أتمالك أن قلت: «الحمد للَّه الذي حفظ للإسلام من يقول مثل هذا الكلام».

وما هي سوى أيام حتى وردت الردود من الجهات العليا، وقد كان كل منها قطعة نفيسة من أدب مؤمني الحكام في مخاطبة الأعلام من علماء الإسلام[1].

*** واجب العلماء:**

◘ يقول الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عن مسئولية أهل العلم بإزاء هذا الجيل: «إذا وُجد جماعة من العلماء المخلصين المستعدين

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب.

لحمل ما عسى أن يصيبهم من الأذى كالضرب والسجن والنفي زيادة على السبّ والشتم وعداوة الناس، وقد لا يصيبهم شيء من ذلك، فإنهم يستطيعون أن يجذبوا كثيرًا من الناس إلى الإسلام الصحيح، ولا تستطيع الدعوات المعادية للإسلام أن تقف في طريقهم، ولا أن تعوق تقدمهم إلى بلوغ غايتهم المنشودة»[١].

*** الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر ورفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق:**

كم كانت للشيخ الجليل جاد الحق شيخ الأزهر من أيادٍ بيضاء ومواقف جليلة في الذّب عن الإسلام وشريعته، ومن هذه المواقف رده على رفعت المحجوب وهو منشور في أخبار اليوم ١٩٨٥/٢/٢٣م في الصفحة السابعة. . . ننقل منه ما نصّه بالحرف الواحد للذكرى والذكرى تنفع المؤمنين:

«إن لجان مجلس الشعب ظلت نحو خمس سنوات تعمل في جميع الفروع القانونية لتقدّم تشريعًا إسلاميًا مأخوذًا من فقه المذاهب الإسلامية ميسرة أحكامه للجميع مع ملاحظة ظروف العصر وتغيراته وانتهت هذه اللجان من إعداد هذه المشروعات وقدّمتها لمجلس الشعب».

وقال فضيلته: «لا ينبغي أن تُحجب هذه المشروعات بوصف أنها لم تُقدّم للمجلس بالطرق المنصوص عليها في الدستور فإن هذا الطريق يملكه كل أعضاء مجلس الشعب. . . وإذا كنا نتقدم بمشروعات القوانين العادية وبتعديلاتها ونسرع في إنفاذها وتقريرها من يوم صدورها فمن باب أولى أن نسارع أو أن يتقدم نوّابنا أو بعضهم باسمه بهذه المشروعات لتأخذ الصفة الدستورية، وإن كان الدستور لا يقف أمام الشريعة. . . إن مجلس الشعب

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/ ٢٢٧) ـ دار الاعتصام.

وكيل عن الشعب وإنه إذا لم يأخذ نفسه بإصدار هذه القوانين بحيث لا يقتصر على مجرد المناقشة في شأنها... فإنه يكون قد خالف موكله وهو الشعب، ولا أقول قد خانه، فإني أنزه مجلس الشعب عن أن يخون شعبه، إنها أمانة ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾.

بعد هذا ردّ فضيلته جزاه اللَّه خيراً على من يقول: «إن الشعب غير مهيأ لحكم الشريعة» فقال بالحرف: «نحن مهيأون لها تمامًا، يكفي أن تنزل إلى الشارع اليوم لتسمع رغبة الناس في الأخذ بها بل يرد إلى مكتبي بالأزهر العديد من الكتابات من أفراد الشعب يلحون ويطلبون ويستعجلون ويستفسرون عن الأسباب الداعية إلى تأخر إصدار القوانين المأخوذة من الشريعة ولعلّ مجلس الشعب يجيب على ذلك».

ويعود فضيلته فيبيّن ميزة الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية فيقول: «لا شك أن أصالة الشريعة الإسلامية بأصالة مصدرها، ومصدرها هو اللَّه سبحانه وتعالى فلا يمكن أن تقارن بأي قانون وضعي، بل هي تسمو فوق كل قانون وتاريخ العمل بها مؤيد لذلك... فنحن إذا رجعنا للعصر الأول للإسلام نجد أن الأمن والأمان والسلامة والسلام قد توافر.

كان الأمان ـ أمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ـ أمرًا قائمًا واضحًا ولم يكن هذا بسطوة الشريعة... وإنما بقوة أحكامها وإيمان الناس بعدالتها، إننا نتحايل الآن على كل قانون... بينما شرع اللَّه لا يتحايل عليه أحد؛ لأن الشرع يؤمن به كل مسلم، فحين يُقال للمسلمين: هذا شرع اللَّه وحكمه يخضعون بقلوبهم قبل أن يخضعوا بجوارحهم»[1].

---

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣٥٣).

*** الشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز يعارض بطش عبدالناصر بدُعاة الإسلام:**

رحم الله الدكتور محمد عبدالله دراز، كان عالمًا شجاعًا ذا رجولة وشهامة يحب الحق وأهله، له مواقف باسلة ما أحوجنا اليوم إلى إماطة اللثام عنها والتذكير بها لتكون قدوة وأسوة فقد كان ممن يحيون للمبادئ وحدها، لا تلتوي طباعهم، ولا يقبلون مهادنة الباطل، ولا يقبلون أبدًا، أن يسيروا لحظة مع ألاعيب السياسات، وما تنطوي عليه من مكر وختل واحتيال. . . ومن المواقف التي سجلها له التاريخ بإجلال واكبار ولا يعرفها إلا المقربون منه، ذلك الموقف الشجاع، الرافض للظلم والجبروت والطغيان، الذي رفض فيه التوقيع على بيان أراده عبدالناصر يدين فيه «الإخوان المسلمون» ويصفهم فيه بأنهم خوارج، وتستحل دماؤهم.

وهنا غضب الرجل غضبته لله ودين الله، وأنصار الله. وقال لمن حمل إليه البيان كما حدثني نجله السفير فتحي دراز: «أتريد مني أن أوقع على إدانة أهل الإسلام؟!» وطرد حامل البيان من منزله. . . كان هذا الموقف الشجاع عقب حادث المنشية الشهير وكانت الإذاعة المصرية حريصة على أن تعرض رأي الدكتور دراز في الأحداث الدامية، فكتب الرجل بيانًا صادقًا أمينًا عادلاً ليلقيه بدار الإذاعة بعنوان «الإسلام سلام وأمان».

وقد حدثني نجله أن الشيخ أعد البيان للإذاعة في صباح الأحد ٢١/١١/١٩٥٤م ولكنه لم يذع لأنه أريد حذف ما تحته خط أحمر ولم يوافق الشيخ على حذف شيء منه.

وقد عثرت في أوراق الشيخ على النسخة الأصلية من هذا البيان بخط النسخ، وهالني أن الذي تحته خط أحمر هو الآيات القرآنية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن**

يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ١٣٥]. وقبل هذه الآية خط أحمر تحت هذه العبارة «إن قدسية الدين تأبى لنا أن نتخذ كلمته أداة تفريق، أو انتصاراً متحيزاً لفريق على فريق. إنها تأبى أن تسير في ركاب الحكم، محاباة للرؤساء، كما تأبى أن تسير في ركب الفوضى حماية من طيش السفهاء، فالإسلام عدلٌ ونصفة، يوزع قسطه على الجميع على السواء».

* ووضع خط أحمر تحت قوله: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران: ١٥٩]، ووضع خط أحمر تحت هذه العبارة. «إن الإسلام لم يخول للحاكم نفسه أن يحكم بعلمه، فضلاً عن أن يقضي بظنه».

وسيدرك القارئ العزيز بعد مطالعة هذا الحديث الذي يعد بحق شهادة للتاريخ ترى النور لأول مرة أن الدكتور دراز كما يقول الكاتب الحر الأستاذ محمد عبدالله السمان: «من الكتاب الإسلاميين القلائل الذين لهم عقيدة صادقة فيما يكتبون وفيما يقولون، وفيهم رجولة تجعلهم لا يكتبون ولا يقولون إلا ما يعتقدون بعيدين عن مزالق التزلف ومدارج الرياء»، ونترك للقارئ الذي لن يكون أقل منا تقديراً لرجولة هذا العالم الشجاع يطالع هذه الشهادة التاريخية التي سيسجلها التاريخ بأحرف من نور.

❑ يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ: «الإسلام دين توحيد ووحدة، وسلام وأمان»... هكذا قال كبار العلماء بالأزهر المعمور... مقالة حق وصدق، لو كان لنا أن نضيف إليها شيئًا ما زدنا عليها إلا حرفًا واحدًا، لنقول: إنه توحيد ووحدة وسلام وأمان، وعدالة ونظام». ولكي تكون هذه كلمة حق أُريد بها الحق، نعلن في بدء حديثنا أن قدسية الدين تأبى لنا أن نتخذ كلمته

أداة تفريق، أو انتصارًا متحيزًا لفريق على فريق، إنها تأبى أن تسير في ركاب الحكم محاباة للرؤساء، كما تأبى أن تسير في ركب الفوضى، حماية لطيش السفهاء، فالإسلام عدل ونصفة يوزع قسطه بين الجميع على السواء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ١٣٥]. نقول إن الإسلام سلام وأمان... نعم إنه سلام، من حيث هو إسلام، أليس المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده؟ وأمانٌ بما هو إيمان، أليس المؤمن، من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم؟

الإسلام أمان لأعدائه أفلا يكون أمانًا لأبنائه؟ المسلم، لا يغدر بعدوّه المستأمن المستسلم، فكيف يغدر بأخيه المؤمن المسلم؟

وكذلك نقول إن الإسلام وحدة وتوحيد، وإن دعوته إلى الوحدة، نبتت ونمت في ظل التوحيد: توحيد الرب، وتوحيد النشأة الأولى من أم وأب، ثم توحيد الرحم القربى بين المؤمنين.

أما توحيد الرب، فإن الإسلام لم يهدم به عبادة الأوثان والأصنام المادية فحسب، ولكنه هدم به الأصنام الكبرى، التي في أعماق نفوسنا: أصنام الأهواء والشهوات المضلة، التي تتفرق بها السبل، وتنقطع الحبال التي أمر اللَّه بها أن توصل، حتى يكون انقيادنا لسلطان موحّد، هو سلطان الحق الذي لا يتعدد: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾.

وأما توحيد النشأة الأولى.. فإن الإسلام صنع بالإنسانية أسرة واحدة، محا منها العصبيات كلها، وأبطل فيها التفاخر بالأحساب، والأنساب، والاعتزاز بالأموال والألقاب، وجعل التفاضل بينها بالعمل الصالح وحده..

ثم إنه اختص من بين هذه الأسرة العامة، أسرة هي ألصق رَحمًا، وأقرب رُحْمًا، وتلك هي أسرة المؤمنين، عقد فيما بين أفرادها عقد الأخوة، وجعل بينهم وبين أولي الأمر منهم لُحمة البنوة والأبوة: أبناء بررة قائمون بواجب السمع والطاعة في غير إثم ولا عدوان، وآباء رحماء، ساهرون على مصالح الأمة والدولة حرصًا على أمنها ورغدها، وحماية لحوزتها، تعظيمًا وصيانة لمقدساتها، يستمعون لبثها وشكواها، ويتحسسون أحاسيسها في سرّها ونجواها؟ يبادلونها حبًّا بحب، ويجزونها برًّا ببر، يسوسونها بالحزم في غير عنف وباللين في غير ضعف: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]... هكذا كان الإسلام دين وحدة ورحمة، وسلام وأمان.

ثم هو إلى ذلك كان دين عدالة ونظام... إنه لا يكتب عهد رحمة للظالمين المعتدين، ولا يمنح أمانًا لمن يروع الآمنين... فمن شذ من أبنائه وانحرف، ولم ينجع اللين طبًّا لدائه، وجب أخذه بما اقترف، ولم يكن ذلك نقضًا لوحدة الأمة، ولا نقصًا من أمنها، بل كان ذلك صونًا لوحدتها وأمنها.

«ومن يك حازمًا فليقسُ أحيانًا على من يرحم» لا قسوة العدو المحارب يشفي بها غريزة الانتقام من عدوه، ولكن قسوة الوالد المؤدب يستصلح بها ولده، مقدرًا عقوبته بمقدارها، حاصرًا جريمته في أضيق حدودها، لا يأخذ أحدًا بذنب أخيه، ولا جارًا بجرم جاره، ولكن قصاص مكافئ عادل... من ذا الذي يتولى حفظ هذه الحدود، ومنع هذا الشذوذ الشرود؟ أكلُّ من نبتت في خياله فكرة أن فلانًا بغى أو ظلم، خوّل له الإسلام حق الحكم عليه، ثم خول له تنفيذ ما حكم به؟ يا لها من قضية شنعاء، وجهالة جهلاء!! أنرجع كفارًا يضرب بعضنا رقاب بعض، عن غير هدي ولا بينة؟ أليست تلك هي

الفوضى التي أنقذنا الإسلام منها؟ أفنعود إليها باسمه ونلصق دنسها بثوبه، بل نجعلها عضوًا من جسمه؟.

إن الإسلام لم يخول للحاكم نفسه أن يحكم بعلمه، فضلاً عن أن يقضي بظنه: فكيف يُخول هذا الحق لفرد من عامة الشعب، مجرد من جهاز العدالة الذي وضعه الإسلام شرطًا لإصدار الأحكام، ثم لتنفيذ الأحكام؟ هل أحضر الشاهد والمشهود؟ هل ألقى السؤال وتلقى الجواب؟ هل استمع إلى حوار الاتهام والدفاع؟ ثم أين هو من تحليل المقاصد والبواعث ومن تحديد الأسباب والملابسات، ومن درء الحدود بالتأويلات والشبهات؟.

أيها الناس: إن الإسلام يدعونا إلى كلمة سواء: ألا نعبد إلا اللَّه ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللَّه، والإسلام كل لا يتجزأ، أنؤمن ببعض الكتاب، ونكفر ببعض؟ أنفرق بين أحكام اللَّه، فنأخذ منها وندع، وفقًا لأهوائنا وشهواتنا؟ أنكون كالذين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم تولوا وهم معرضون، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين؟ كلا، إن هذا ليس موقف المؤمنين الصادقين ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [النور: ٥١].

وبعد... فهذا موقف شجاع نسجله للتاريخ، تقديرًا لعالم رجل، أرضى اللَّه والإسلام والحق، هكذا كان محمد عبداللَّه دراز ـ رحمه اللَّه ـ: رجل عزة وكفاح، وكان من المهابة والعزة والكرامة والتجلة، بحيث أصبح من بعض من عناهم أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

كانوا أجل من الملوك جلالة وأعز سلطانًا وأبهى مظهرا

ويبقى محمد عبداللَّه دراز وأمثاله من العلماء العاملين، بسيرهم الظاهرة، ومواقفهم الباسلة في محاربة الظلم والطغيان موضع الأسوة.

ونحن نقدر العلماء الرجال الأوفياء لمبادئ الحق والعدل، الذين خدموا الإسلام ورفعوا رايته، ونصروا دعاته، والذين عاصروا عهد الانقلابين يعلمون جيدًا أن هذا الكلام الذي وجهه الدكتور دراز إلى الرئيس عبدالناصر لم يكن يجرؤ أحد أن يقوله فضلاً عن أن يذيعه على الشعب من دار الإذاعة. ومن هنا كان دور الرقيب من الحذف حتى ولو كان المحذوف وحي السماء المعصوم(١) .

* **ماذا فعلوا بعالم الأزهر الذي عارض الاشتراكية؟!**

❑ قال الدكتور أحمد المجذوب في مقال له بعنوان «مآثر ما يُسمَّى بثورة يوليو»:

يخطئ من يظن أني أدافع، فيما كتبته وأكتبه، عن الإخوان المسلمين؛ فهذا أمر ما يمكن أن أفكر فيه وذلك لسبب بسيط وهو أنني لست محاميًّا كما أنني لست عضوًا في الجماعة ولكني مواطن يحب وطنه ويحب الشعب الذي ينتمي إليه وقبل كل شيء يحب دينه ويستميت في الدفاع عنه مهما كلفه ذلك ثم أخيرًا أنا رجل قانون أحرص على أن ينال كل مواطن حقه ويتمتع بحريته مهما كانت أيديولوجيته كما يقولون. كذلك فإنني وقد بلغت هذه السن أصبحت لا أخاف إلا اللَّه ولا ألتمس إلا رضاه وهو ما كنته وسأكونه إلى أن ألقى اللَّه تعالى. وما كتبته عن الانقلاب المسمى ثورة لم أصطنعه أو أخترعه وإنما رأيته بنفسي أو سمعته من مصادر أثق بها ومن هؤلاء المرحوم الشيخ محمد المدني الذي كان من كبار العلماء كما كان عضوًا فيما كان يسمى باللجنة الجنائية المنبثقة عن مجلس إدارة المركز القومي للبحوث الاجتماعية

(١) مقال: «وثيقة تاريخية لم تنشر: الشيخ دراز يعارض بطش عبدالناصر بالإخوان» بقلم الشيخ أحمد فضيلة ـ جريدة آفاق عربية ص(١٢) العدد ٥٦٩، ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٣هـ ـ ٨ من أغسطس سنة ٢٠٠٢.

والتي كان من أعضائها في ذلك الوقت المرحوم المستشار محمد فتحي والمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة والمرحوم المستشار جلال عثمان وأنا عن المركز. وفي ذات يوم دار الحديث عن عهد عبدالناصر وما حدث فيه من تعذيب وإهدار لحقوق الإنسان وإلغاء لحرياته فتساءل الشيخ أبو زهرة عما إذا كان عبدالناصر قد علم بما كان يحدث أم أن هذا جرى دون علمه فرجح الآخرون أن يكون قد تم دون علمه، وهو ما استفز الشيخ محمد المدني، وكان عالمًا فاضلاً أمينًا عف اللسان صادقًا فقال لهم: أنا لم أكن أرغب في أن أتكلم فقد مات الرجل وأصبح حسابه أمام اللَّه تعالى، ولكن للأمانة وللتاريخ ومن أجل الأجيال القادمة التي لا نريد لها أن تعاني ما عانيناه سأروي لكم ما حدث مع أحد علماء الأزهر الذي كان عبدالناصر نفسه يعرفه حيث تردد لبعض الوقت على الدروس التي كان يلقيها في الأزهر، فقد دسوا عليه من يسأله عن رأيه في الاشتراكية فأجاب الرجل بما لم يرضهم فقرروا اعتقاله وتلقينه درسًا في الطاعة والخضوع للزعيم. وكان الرجل يصحب زميلاً له وصديقًا في نفس الوقت لديه سيارة فكان ينتظره عند مدخل الشارع الفرعي الذي يقع فيه بيته ليحمله إلى الأزهر وفي العودة ينزله من حيث حمله؛ لأنه كان يحب أن يقطع المسافة إلى بيته ماشيًا. وفي ذات يوم أنزله ومضى في طريقه ولكن الشيخ الجليل لم يعد إلى بيته وطال انتظار أسرته له ولكن دون جدوى فاتصلوا بصديقه الذي أكد لهم أنه أنزله عند أول الشارع ورجح أن يكون قد عرج على أناس يقيمون قريبًا منه فقامت الأسرة بالاتصال بكل الأقارب والمعارف كما طافت بأقسام الشرطة وبالمستشفيات ولكنها لم تعثر عليه وذلك لسبب بسيط وهو أن عربة سوداء ذات نوافذ عليها ستائر سوداء كانت قد اختطفته عقب انصراف سيارة صديقه وحملته إلى ما وراء الشمس للتحقيق معه، ولما ذهبت جهود الأسرة لمعرفة مصيره سُدى همس لهم البعض أن ربما يكون قد اختُطف بسبب يرجع إلى ما يقوله في

دروسه.. عندئذٍ اتخذ البحث وجهة أخرى وبالفعل عرفت الأسرة أنه ضيف معزز مكرم لدى الجهة المسئولة عن أمن الثورة ولن يلبث أن يعود إليهم على أن يكفوا عن البحث والثرثرة وإلا! ومضت أيام في إثر أيام وهم ينتظرون إلى أن كان مساء يوم حين ألقت به السيارة السوداء في نفس المكان الذي سبق أن اختُطف منه فنهض الرجل وتحامل على نفسه حتى وصل إلى البيت فطرق الباب فلما فتحوه له انطلق كالصاروخ إلى غرفته فدخلها وأغلق الباب عليه من الداخل وأسرته في حالة من الدهشة والذهول يطرقون عليه الباب فلا يرد، يتوسلون يتضرعون يبكون ولكن بلا جدوى فهو مصر على عدم فتح الباب بينما نحيبه وبكاؤه يقطع نياط قلوبهم فيبكون معه. وظنوا أن ما لأصدقائه الحميمين من تأثير عليه يمكن أن يسهل المهمة فبعثوا إليهم الواحد تلو الآخر ليدعوه للخروج أو تركهم يدخلون ولكن بلا جدوى.

وأخيرًا اتصلوا بشيخ الأزهر وأبلغوه بالأمر فحضر وتوسل إليه فاستجاب وفتح له الباب فدخل وأغلقه عليه وروى له الكارثة التي نزلت به وهي أن زبانية جهنم لما ظنوا أنه يخفي عنهم بيانات أو معلومات هددوه وتوعدوه، وأخيرًا نعم وأخيرًا يا كل أبناء مصر جردوه من ثيابه ووضعوا عصابة على عينيه و... ويالهول مافعلوه: اتوا برجل من جنودهم وجعلوه يهتك عرض العالم الفاضل الذي توسل إليهم أن يقتلوه ولا يهتكوا عرضه، ولكنهم أصروا وهم يقهقهون. سمع شيخ الأزهر هذا الكلام، وهو في ذهول يريد أن يظن أن بالرجل مسًا من جنون ولا يصدق أن الثورة التي جاءت من أجل الشعب ترتكب هذا الجرم البشع، ولكن بكاء الرجل ونحيبه وعذابه جعلاه يصدق ويقول: إن عبدالناصر لا يعلم بالقطع، وأن هذه الجرائم تقع من وراء ظهره ونهض غاضبًا حانقًا وهو يحوقل ويعد الشيخ المسكين بلقاء سريع مع عبدالناصر وسوف يعود إليه بما يشفي غليله من المجرمين.

ويتصل شيخ الأزهر بسكرتارية عبدالناصر ليطلب تحديد موعد لمقابلته،

ولكن سامي شرف يرد عليه قائلاً: إن الريس مشغول ويتكرر الاتصال فيتلقى نفس الرد وأخيرًا قال له: إذا كان لا يستطيع الانتظار حتى يقابله الريس فليقل له ماذا يريد... تصوروا شيخ الأزهر يعجز عن مقابلة عبدالناصر. المهم فوجئ شيخ الأزهر بأحد وزراء الثورة يدعوه لعقد قران ابنته فسأله إن كان الريس سيحضر فأجاب بالإيجاب فوعد بالذهاب لعقد القران حتى ينتهز الفرصة، ويقابل الريس، ويروي له ما حدث ويومها تأخر حضور عبدالناصر ولكن الشيخ أصر على انتظاره وأخيرًا جاء وأحاط به أتباعه وزبانيته فما كان من الشيخ إلا أن اخترق الزحام حتى وصل إليه وهمس له قائلاً: إنه يلتمس منه بشدة أن يمنحه بضع دقائق ليتحدث إليه فأشاح عنه يوجه الحديث إلى آخر فردد عليه طلبه، فقال له في تأفف وقرف: اتصل بسامي شرف، فقال له: إنه فعل عشرات المرات، ولكن بلا جدوى فتعجب من إصراره وأمهله إلى ما بعد عقد القران قائلاً إنه سيمنحه خمس دقائق لا أكثر، وبالفعل انتحى به الشيخ جانبًا وهمس له بما حدث والألم يكاد يقضي عليه، وفجأة انفجر عبدالناصر في الضحك حتى خيل للشيخ أنه سيقع على ظهره بينما هو ينظر إليه مذهولاً يريد أن يسأله هل تضحك! ولكنه لا يجرؤ ويكف الريس عن الضحك، وهو يجفف وجهه بمنديله ويقول للشيخ: أما ولاد شقاي بصحيح! عملوا كده؟

ويقول الشيخ محمد المدني: إن شيخ الأزهر نظر إلى عبدالناصر والدموع تسيل من عينيه، وقد تحشرج صوته وهو يقول له: لقد هتكوا عرضه، فإذا بالريس الهمام يقول له: وماذا كنت تريدهم أن يفعلوا غير هذا مع رجل يناصب الثورة العداء، ولا يكف عن الهجوم على الاشتراكية؟! ولم يدر الرجل ماذا يقول فإذا بعبدالناصر يرمقه شذرًا كأنه يستحثه ليرد فلما لم يفعل؛ لأن شللاً أصاب لسانه أومأ له برأسه، وهو يأمره «اتفضل روح شوف شغلك ومش عايز أسمع كلام من اللي الراجل ده كان بيقوله»، وخرج

الشيخ وهو لا يكاد يرى مواضع قدميه، وقال الشيخ المدني: إنه ظل يدعو اللَّه أن ينتقم من عبدالناصر وزبانيته وأن يذلهم كما أذلوا الناس.

هذا قليل من كثير أنزله عبدالناصر بالناس بغض النظر عن كونهم من الإخوان أو من غيرهم فما كان الشيخ (. . .) الذي هتكوا عرضه وفسقوا به من الإخوان بل كان مجرد عالم له رأي. وللحديث بقية فلن يهدأ لي بال إلا بعد أن أطلعكم على ما أصاب الإنسان في مصر على يد الانقلاب الملعون الذي أسموه ثورة[1].

□ قال الرئيس المصري السابق محمد نجيب: «عبدالناصر ودّى البلد في داهية بل في ستين داهية». . . ثم أخذ يعدّد لي جرائمه:

- أبشع انتهاكات لحقوق الإنسان وكرامته.
- هزائم عسكرية.
- إفلاس مالي.
- إفلاس أخلاقي»[2].

□ وجاء في مقال الصحفي محمود فوزي وعنوانه «ثوار يوليو يتحدثون» في مجلة أكتوبر العدد (٥٦٠) الذي صدر يوم الأحد ١٩ يوليو ١٩٨٧م ص(١٩ ـ ٢٣) في مقابلة مع كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة»، وأعظم رجال العصر الناصري وتقلّد في وقت واحد تسعة مناصب، وكان مشرفًا على الاتحاد القومي ووزيراً للتربية والتعليم ووزير إسكان ووزير إدارة محلية ورئيس المجلس التنفيذي المصري، ورئيس لجنة الطاقة الذرية،

---

(١) من مقال «من مآثر ما يُسمّى بثورة يوليو (٧) للدكتور أحمد المجدوب ـ جريدة آفاق عربية، العدد (٥٦٨) والعدد (٥٦٩) ص(١٣) ـ ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٣هـ، ٨ من أغسطس سنة ٢٠٠٢م.

(٢) من حديث الرئيس محمد نجيب لمحمد إحسان عبدالقدوس كما جاء في كتاب «بشاوات وسوبر بشاوات» ص(٢٢٢).

ورئيس مجلس العلوم، ومجلس رعاية الشباب.

◻ قال كمال الدين حسين:

«قلت لعبدالناصر: فرعون نفسه لم يأخذ سلطاتك ولا حتى اللورد كرومر، لا أحد أخذ سلطات في مصر قبل ذلك بهذا الشكل المجحف»[1].

وقال: «كان هناك ظلم كبير على الإخوان المسلمين عام ١٩٦٥م، وقد تأكدت بنفسي من عمليات التعذيب الرهيبة التي راح ضحيتها الكثيرون، وقد أثّر فيّ هذا الموضوع، وقلت لعبدالناصر: اتق اللَّه... إذا كنت أنا لا أستطيع أن أقول لعبدالناصر لا... فمن يستطيع أن يقولها له؟!

أنا أعتبرت نفسي ضمير هذا الشعب، وقد قلتُ للسادات: ملعون من اللَّه ومن الناس من يتحدّى شعبًا أو يمتهن كرامة أمة»[2].

وقال: «نعم كان عبدالناصر ديكتاتورًا مستبدًا، وهل هذا في حاجة إلى تأكيد، كان عبدالناصر متمسكًا برأيه سواءً كان صحيحًا أو خطأً. وكان يأخذ رأي الناس لكن في النهاية قراره هو الذي ينفّذ، وأبلغ دليل على ذلك هو القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤م والذي يجعل مجلس الشعب أمامه وكأنه لعبة، فبمقتضى هذا القانون كان رئيس الجمهورية يعتقل ويضع الأشخاص في مكان بعيد، أو يفرض حراسة عليهم، حتى ولو كنت مظلومًا فليس من حقك أن تتظلم أمام أي جهة... هذا يكون ديكتاتورًا ففي يده كل السلطات ولا أحد يستطيع أن يحاسبه، هذا هو الديكتاتور وهكذا كان عبدالناصر»[3].

◻ وهذه وثيقة تاريخية حاسمة، وحكم قضاء مصري ونشرت حيثيات حكم محكمة جنوب القاهرة في إحدى قضايا التعذيب جريدة الأحرار في

---

(١) «باشوات وسوبر باشوات» للدكتور حسين مؤنس ص(٤٤١) - الزهراء للإعلام العربي.

(٢) المصدر السابق ص(٣٤٠).

(٣) المصدر السابق ص(٣٤٢).

٣٠ مايو ١٩٨٣م، ١٧ شعبان ١٤٠٣هـ العدد (٢٥٣) وذكره السادات في كتابه «البحث عن الذات» ص(٢٢٢ ـ ٢٢٣):

قالت المحكمة في حيثيات حكمها: «إن الفترة التي جرت فيها أحداث هذه القضية[1] هي أسوأ فترة مرّت بها مصر طيلة تاريخها القديم والحديث، فهي فترة ذُبحت فيها الحريات وديست فيها كل كلمة للإنسان المصري ووُطئت أجساد الناس فيها بالنعال، وأُمِر الرجال فيها بالتسمّي بأسماء النساء ووُضعت ألجمة الخيل في فم رب العائلة وكبير الأسرة، ولُطمت الوجوه والرءوس بالأيدي، كما رُكلت بالأقدام، كما هُتِكت أعراض الرجال أمام بعضهم وجيء بنسائهم أمامهم وهُدِّدوا بهتك أعراضهنّ على مرأى ومسمع منهم، ودُرِّبت الكلاب على مواطأة الرجال».

وفي يوم السبت التالي الموافق ٤ يونيو ١٩٨٣م قالت نفس المحكمة في حيثيات حكم آخر لها «إن المحكمة تُسجِّل في حكمها كما سبق أن سجّلت في حكم سابق للتاريخ معاصرتها لهذه الأحداث التي تقشعرّ لسماعها أبدان كل حرٍّ يدين بالولاء والتقديس للواحد الأحد، ولا يرضى العبودية لغيره، ولا يشرك في أمره أحدًا، مهما تسلط وتجبّر»[2].

◻ وقد أدانت المحكمة العسكرية ـ العليا في حكمها في ٢٢/ ٥/ ١٩٧٦ برئاسة اللواء حسن صادق رئيسها وقتئذ وجاء في أسباب الحكم في قضية التعذيب الكبرى ٣٣١ لسنة ١٩٧٦م في ٢٢/ ٥/ ١٩٧٦م.

«إن المحكمة لتسجل بحق أن الجريمة موضوع هذه الدعوى كانت سبّة في جبين الحكم المصري يندى لها الجبين خزيًا وعارًا، ولعلّ في حكم المحكمة ما يُسدل الستار على حقبة من تاريخ مصر امتهنت فيها وأُهينت

(١) قضية كمشيش بالمنوفية في مايو صيف ١٩٦٦م حتى ١٩٦٨م.

(٢) «باشوات وسوبر باشوات» ص(٢٨٥، ٢٨٦).

كرامة الإنسان.

❑ حقبة من تاريخ كانت فيها السيادة للسياط توصلاً للإرهاب وللإلقاء في غياهب السجون أو تقرّبًا وزلفى للحكام والرؤساء رغبوا هم في ذلك أم رغب فيه فاعلوه.

❑ حقبة من تاريخ مصر ساد فيها الظلام وسُلّط فيه سيف الاعتقال على الرقاب.

❑ حقبة من تاريخ مصر تضاءلت فيها سمعة سجن الباستيل بفرنسا وطغت عليها سمعة السجن الحربي بمصر.

❑ حقبة من تاريخ مصر أعادت للأذهان ذكرى محاكم التفتيش وما كان يجرى فيها من مخازٍ وفظائع.

❑ حقبة من تاريخ مصر تسابق فيها الجلاّدون إلى ابتكار وسائل للتعذيب إرضاءً لشهوة التعذيب في داخلهم حتى لقد أُدخلت التعديلات على «الفلقة» التقليدية، وتم تطويرها لتكون أكثر إيلامًا وأشد تأثيرًا.

حقبة من تاريخ مصر كان فيها السجن الحربي بمثابة التنين الرهيب الذي يخشى كبار القادة مجرد الاقتراب ومعرفة ما يدور فيه أو حتى سماع أخباره إيثارًا للسلامة حتى لقد قال عنه اللواء سليمان مظهر الذي تولّى عضوية محكمة الثورة واشترك في إصدار الحكم فيها قولته المشهورة أمام المحكمة: «إنه آثر الابتعاد عن الشر بل ورفع عقيرته له بالغناء».

❑ حقبة من تاريخ مصر كانت فيها مصر كالنار تأكل بعضها بأمر مَن كان كل هذا؟ ولمصلحة من كان هذا؟ ومن المستفيد من كل هذا؟

أسئلة تطرح نفسها على استحياء تتساءل عمّا تعرف يقينًا إجابته»[1].

(١) «باشوات وسوبر باشوات» للدكتور حسين مؤنس ص(٢٨٨).

* مأساة المستشار علي جريشة:

الذين أهانوا المواطنين وعذّبوهم وأهدروا آدميتهم ليس هناك شك في ارتكابهم هذه الجرائم، فإن حكم المحكمة الذي أصدرته في قضيته المستشار علي جريشة قد قطع الشك باليقين:

ماذا حدث مع مستشار؟

قالت المحكمة: «عذّبوه بوحشية، فأوسعوه ضربًا حتى شوّهوا وجهه واختلطت معالمه واختفت ملامحه حتى عزّ على جاره وصديقه التعرّف عليه إلا بعد التفرّس فيه وإطالة النظر إليه... مزّقوا جسده بالسياط حتى أثخنوه جراحًا... أسالوا دمه حتى استحال قيحًا وصديدًا... أذلوه حسًّا ومعنى حتى أعجزوه عن أن يقف على قدميه وأرغموه أن يزحف على أربع، وكان غاية الهزء والازدراء والتفنّن في القسوة والتعذيب وإلحاق الإهانة والهوان به أن يطلبوا منه أن ينبح كالكلاب. علقوا جسده وألهبوه بالسياط وقذفوه بأقذع وأفحش ألفاظ السباب».

◘ ويسجل الحكم صورة مروّعة لحالة المستشار جريشة، فقد طلبوا منه أن ينزل من زنزانته «للتمام»... وقال الشاهد يصف نزول جريشة للتمام: «إنه شاهد شخصًا ينزل زاحفًا على أربع، ركبتيه وكوعيه وهو يصرخ ويئن أثناء نزوله سلالم السجن الحربي الخرسانية المرهقة للشخص السليم العادي..».

ثم يقول الشاهد: إنه بعد التمام بتسجيل الأسماء صعد نزيل الزنزانة ٤٩ (يقصد جريشة) بنفس الطريقة التي نزل بها زاحفًا على أربع.

كان القصد من تعذيب جريشة بهذه الصورة التي لم تعرفها حتى العصور الوسطى، إلقاء الرعب في قلوب سائر المعتقلين، وكأن الضباط الزبانية يقولون لهم: إننا نفعل كل هذا بقاض فما بالكم أنتم إذا أردنا

تعذيبكم؟!

وسجّلت المحكمة على لسان أحد الشهود بأن شمس بدران قال: «إن أمرًا صدر إليه من الريّس بتعذيب جريشة حتى الموت!».

وقد دمغت المحكمة سلوك الحاكم «بأن التعذيب كان نظام عهد وأسلوب حكم إرهابي كان يهدد كل إنسان حتى نُوّاب رئيس الوزراء»، ثم قالت عن أصحابه «إنه عار على من ارتكبه وخزي له في الدنيا والآخرة».

قالت المحكمة عن خسّة ودناءة ضباط السجن الحربي «كانت هناك سيدات يعلقونهن ويضربونهن، وهددوا المدعي عليه (أي: جريشة) بإحضار زوجته لتعذيبها والاعتداء على عرضها كما فعلوا مع آخرين أحضروا زوجاتهم وأخواتهم وأصهارهم، ومنهم على سبيل المثال الشيخ محمد عبدالمقصود الذي أحضروا زوجته وبناته وأزواجهم وزوجات أولاده، وكذلك المستشار مأمون الهضيبي الذين أحضروا زوج ابنته وأخواته البنات ووالدته»[1].

وهذا ما حدا بأحد المصريين أن يقول ساخرًا وخائفًا مسجّلاً عار تلك الحقبة من تاريخ مصر:

لن يُقال الحق يا ولدي	وفي الحق مراءْ
فاعبد الطاغوت يا ولدي	ودع عنك السماءْ
ودع المصحفَ يا ولدي	إذا الميثاق جاءْ
فبه جاء نبيٌّ	بزّ كل الأنبياءْ
ودع الصدق	فإن الصدق طبع الأغبياءْ
وتعلّمْ لغة القوم	أحاديث الرياءْ
ولتقلْ كل صباح	ولتقلْ كل مساءْ:

(١) «باشوات وسوبر باشوات» ص(٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١).

«كيف كنّا كيف أصبحنا وكيف الأمس ساءْ»
هذه مصرُ وفرعون بها كيف يشاءْ
دولة الزور وقــــد دامتْ فَيَــا مُرّ البقــاءْ

*** الليث الهصور الشيخ محمود عبدالوهاب فايد شيخ الجمعية الشرعية وأستاذ الحديث:**

بطل الإسلام الذي هدر بالحق وصدع به في عهد الملكية وفي عهد الرؤساء الثلاثة لا يشاركه غيره في هذه الجرأة والغيرة على دين اللّه.

❑ كتبت عنه «مجلة التحرير» في العدد (١٨٥) عام ١٩٥٦م بعد تخرجه من كلية أصول الدين بعشر سنوات: «إنه مناكف قديم... كان الأول عند تخرجه في الأزهر، وكان المتبع أن يُدعى الأوائل من الناجحين في كل سنة إلى حفلة يحضرها الملك السابق، ويصافح فيها المتخرجين، وأُعطيتْ الأوامر إلى الجميع بأن ينحنوا عند مصافحته، ولكن الشيخ العنيد أبى أن ينحني، وصافح مولانا وهو منتصب القامة رافع الرأس... وبسبب ذلك صدر الأمر بتعيينه في سوهاج بخلاف ما جرى عليه العرف في تعيين الأولين في القاهرة»:

أجل إنه الشيخ العنيد... الذي طالما جرّ عليه عناده وصراحته الأهوال وهو ثابت على ما يُؤمن أنه الحق، لا يحني لباغٍ رأسًا، ولا يغضّ عن ظالم طرفًا، ومن أجل ذلك كان نصيبه من البلاء في عهد أصحاب (التحرير) أضعاف ما لقيه في ظل الملك الغرّير»[1].

❑ ولنترك المجال للشيخ المجذوب يقص علينا هو والشيخ فايد حديث الصدع بالحق.

*** معركة لا تنسى:**

وهنا يجد الشيخ مجال الحديث متسعًا فيتحفنا بما لذ وطاب عن

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣٥٣).

الأحداث التي عاصرها ولابسها، وقد ركز بوجه خاص على معركته مع الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر السابق، وأحسن في ذلك؛ لأنه يتيح لنا من خلال هذه المعركة أن ندرس الكثير من الأوضاع التي رافقت عهد الإرهاب والكبت، فكان في هذه المعركة متنفس لغير واحد من هؤلاء الذين فرض عليهم الصمت بإزاء الأهوال التي كانت تنيخ على صدور الناس.

كان عنوان المقال الذي افتتحت به المعركة قذيفة ذات رءوس متعددة. إنه «باسم اللَّه واللَّه أكبر، فليستقل شيخ الأزهر» إنه إعلان حرب لا يراد لها أن تخمد إلا باستقالة شيخ الأزهر، ولم يذكر الشيخ أين نشر المقال، ولكن نرجح نشره في مجلة «الاعتصام» التي كانت أحد المنافذ الصغيرة التي تركتها السياسة الثورية متنفسًا لأهل الإسلام.

*** باسم اللَّه واللَّه أكبر.. فليستقل شيخ الأزهر**[1] :

«نكتب هذا المقال ونحن نوقن أن مصر التي حررت من الذل والضعف والعبودية تأبى أن يفرض عليها إنسان أيًّا كان هذا الإنسان حتى رئيس الجمهورية لا يستطيع أن يتولى منصب الرياسة إلا بعد أن يعرض صحيفة أعماله على الأمة وبعد أن ينال رضاها والوزراء لا بقاء لهم إلا إذا حازوا ثقة الشعب ممثلاً في مجلسه.

بهذه الروح رأينًا أن ننصح لأستاذنا الأكبر بأن يستقيل خصوصًا بعد أن أعلن الأزهريون سخطهم عليه في بيان مطبوع وبعد أن استعرضوا صحيفة أعماله فلم يجدوا فيها خيرًا للإسلام أو للأزهر ونحن نأسف إذ يتجاهل فضيلته هذا البيان ويضطرنا إلى هذا الموقف منه خاصة في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الوطن غير أن مصلحة الوطن ـ كما نعتقد ـ توجب أن يكون الأزهر قويًّا ملحوظًا بالعناية حتى يؤدي رسالته تامة في مصر والعالم الإسلامي وهي أيضًا تقضي بأن تكون مصالح الدولة في أتم انسجام وأن

---

(١) نُشر بالاعتصام ربيع أول ١٣٧٦هـ.

يقصي عنها عوامل الضعف ويقدر ما يواجه الوطن من أزمات بقدر ما تكون حاجته أشد إلى القوة وإلي الأقوياء حتى يجد كل ما يحتاج إليه على خير ما يبغي وحتى يمكن له أن يواجه خصومه في قوة وثبات وينجو من الأخطار التي يتعرض لها، ولهذا تكد الدولة في هذه الأونة وتعمل ليل نهار لتستكمل ما بها من نقص في كل مرافقها، وتعالج ما لديها من ضعف في جميع نواحيها، ولتتجه بكل قوتها إلى العدو المتربص بها، فمعذرة إذا نحن كتبنا في قضية الأزهر ورغبنا في أن نعالج النقص فيه بجانب ما كتبناه وما نكتبه في قضية (تأميم القناة) التي تشغلنا جميعًا ورأيي أن الجسم يكون أقدر على المقاومة إذا كانت كل أعضائه سليمة وقوية والأزهر اليوم مصاب بالجمود والشلل في ظل شيخه الحالي فلا بد له من شيخ جديد يعالجه ويداويه ويبعث فيه النشاط والحركة ليكون أقوى على خدمة الوطن وأسرع إلى تلبية رغباته ـ ولا يمكن أن تخدم قضية القنال بتعطيل مصالح الدولة وتعريضها للزوال بل تخدم بإصلاحها وحثها على السير والأخذ بيدها وتقويتها، والسعي لمضاعفة إنتاجها. وهذا هو ما نريده ونبغيه، وندعو إليه ونكتب فيه.

عندما أردت أن أكتب هذه الكلمة ساق القدر إلي عددًا من صحيفة الأهرام صدر يوم ٢٨/٩/١٩٥٤ وفيه عمل خالد ومسعى حميد لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج. رأيت من الإنصاف أن أشير إليه في مستهل هذه الكلمة حتى لا أغبن فضيلته ولا أغمطه حقه. قالت صحيفة الأهرام في ص(٧) «قصد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى وزارة الشئون الاجتماعية وتحدث إلى بعض كبار المسئولين فيها عن بعض العادات والمهن الشاذة التي يحترفها ويعيش عليها آلاف من الناس في القاهرة والمدن الكبرى وسائر أنحاء الريف وذكرت الجريدة أن فضيلته أفاض في بيان خطر (القرداتي وضاربة الودع) وطالب بوضع قانون يحمي المجتمع من هذه الشرور.

هذه المهمـة التي ذهب إليها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج مهمة جليلة يستحق عليها الشكر فقد أثبت فضيلته للعالم أجمع أن له همة عالية، ويقظة دائمة تحول بينه وبين أن يـدع توافه الأمور لأحد من الناس كائنًا من كان فهو لهذا يهتم بصغار المسائل ويشغل فراغه بها، ولا يرضى أن يعهد بها إلى رجل كمدير الوعظ؛ لأن فضيلته يحفظ من الصغر هذا البيت:

ما حك جلدك مثل ظفرك فتـــول أنت جميع أمـرك

نحن لا نجادل في أن واجب الأستاذ الأكبر أن يهتم بكل ما يجري حوله حتى صغار الأمور ولكننا نرى أنه لا يصح بحال ما أن تشغله الصغار عن الكبار إلا إذا كان فضيلته يريد أن يتهرب ويتلهى ويملأ فراغه بشيء ليكتب اسمه في سجل العاملين.

كان في استطاعة الأستاذ الأكبر أن يعهد في حرب القرداتية إلى مدير الوعظ وأن يكل إليه وهو مسئول كبير أن يقابل أمثاله من كبار المسئولين في الوزارة، وأن يتفرغ أستاذنا ـ حفظه اللَّه ـ لما هو أهم رأفة بنفسه وحرصًا على وقته الثمين، وقديمًا قيل: «العظائم للعظام».

كان هناك واجبان في عنق أستاذنا الأكبر على درجة قصوى من الأهمية أحدهما يحتمه عليه كشيخ للإسلام والآخر يوجبه عليه الأزهر كرئيس له آلت أموره إليه ولم نسمع عن فضيلته أنه أدى واجبه في شيء منهما كما أداه بالتمام والكمال مع القرداتية وضاربات الودع، بل لقد لاذ فضيلته بالصمت، وتحصن بالسكوت ولم يأبه لغضب المسلمين عليه بسبب تقصيره «في حق الإسلام» ولم يأبه لغضب الأزهريين عليه بسبب تفريطه في حقوق الأزهر. نعم. لقد ظهرت دعوة الوجوديين في الصحف وأخذ دعاتها ينفثون سمومهم في المجتمع وكتبوا علانية بأسمائهم الصريحة «الدين خرافة، اللَّه أكذوبة،

افتحوا بيوت الدعارة سأعلم ابنتي كيف تكون فاجرة»[١] .

سأعلم ابنتي كيف تكون فاجرة كتبوا هذا وأكثر منه وحضوا على نبذ الأديان عامة ودعوا إلى التحلل الخلقي وتواصوا بالرذائل وتآمروا على الفضائل، فعلوا هذا ولم نسمع أن فضيلته قصد إلى الوزارات ليتحدث إلى كبار المسئولين عن خطر هؤلاء الوجوديين كما فعل فضيلته مع القرداتية وضاربات الودع، لم نسمع أن فضيلته طالب بوضع قانون يحمي المجتمع من خطر هذه المبادئ الهدامة كما طالب فضيلته بوضع قانون يحمي المجتمع خطر هذه المهن الشاذة لا أدري لماذا بدت غيرته وأخذه الحماس ووافته الشجاعة فقام يصارع القرداتية ويؤلب عليهم الجهات الرسمية ثم لماذا انتهى حماسه وخارت قواه ففر من الميدان واختفى من وجه الوجوديين.

لقد كان واجبًا على فضيلته أن يصدر بيانًا يعلن فيه حكم الإسلام على هؤلاء كما فعل مع غيرهم، وكان واجبًا عليه بعد أن أيقظته الحوادث ونبهه المولى وأقام عليه الحجة وهيأ له الفرصة أن يطلب لربه ودينه وأن يسد هذه الثغرات إبراء لذمته وحماية لأمته كان عليه هذا لكن فضيلته لم يفعل ولم يحاول ولم يسمعنا صوته بل على العكس أضاع الفرصة، وقال للناس هذا الكلام المملول الذي اعتاد أن يقوله دائمًا في مناسبة وغير مناسبة، قال لهم: «ليس في الإمكان أبدع مما كان» وتنحى فضيلته عن المعركة التي تدور بين المؤمنين والملحدين ولم يشارك فيها حتى بالنصح فلم ينصح للوجوديين بأن يثوبوا إلى رشدهم، ويعودوا إلى ربهم ولم ينصح لولاة الأمور بمقاومتهم والضرب على أيديهم، وترك قاسم جوده ولم يجبه حين دعاه ـ على صحيفة الجمهورية[٢] بأن يعاون في حل هذه المشكلة، وآثر أن يتبع هذه الحكمة «إن

(١) الجمهورية ـ الجمعة ١٦/٩/١٩٥٥م ص(١٠).

(٢) نقل في الجمهورية ١٦/٩/١٩٥٥ كلامًا في غاية القبح والإلحاد نسبته إلى أسماء صريحة دون مبالاة.

وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» نعم. من ذهب؛ لأنه يأتيه بالمرتب الشهري ويدر عليه مئات الجنيهات.

أي أستاذي الأكبر... عفا اللَّه عنك لم قصرت في أداء هذا الواجب الديني فلم تعلن حكم اللَّه في هؤلاء الملاحدة، ولم تستعد الحكومة على هؤلاء الخوارج الذين خرجوا على الإسلام والمسلمين بل خرجوا على الأديان والمتدينين. لم لا تقول في هؤلاء: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

* ألا تحفظ قول اللَّه تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ لقد أوجب اللَّه علينا ضمانًا للربح أن نقول كلمة الحق ونتواصى بها ونصبر على الأذى من أجلها ودون ذلك يصاب الإنسان بالخسران المبين وينال غضب اللَّه وملائكته والناس أجمعين.

أي أستاذي الأكبر... لقد فاتك هذا الواجب كشيخ للإسلام ووارث للرسول ﷺ، فانظر معي هل أديت واجبك كرئيس للأزهر أو فاتك هذا أيضًا؟ لقد كانت براعة الاستهلال في هذا العام أن توقع - لا شلت يداك - قرارًا بإلغاء بعض المعاهد الثانوية[1] النظامية الناشئة، وأن تفرق - جمع اللَّه

---

(١) في أخبار الجمعة ١٩٥٦/٩/٧م ص(١٥)، وأهل الفيوم يشكون لأن إدارة الأزهر قررت إلغاء القسم الثانوي بمعهد الفيوم وتحويل طلبته إلى القاهرة ويقولون إن هذا القرار بعث الهم والحزن إلى مئات البيوت من أولياء أمور هؤلاء الطلبة، وترك مئات الطلبة حيارى ومنهم من فقد نعمة الإبصار؛ لأنهم واثقون بأن أولياء أمورهم لن يستطعوا الإنفاق عليهم في القاهرة، ومعنى ذلك تشريدهم وضياع ما بذلوه من جهد وضنى في التعليم الابتدائي وهم يستحلفون ولاة الأمور بالقرآن الكريم وبرسالة الأزهر الشريف أن يرجعوا عن هذا

شملك ـ جميع طلابها إلى جهات نائية، دون أن تجد في نفسك إحساسًا بالمتاعب والمشاق التي يتكبدها الطلاب، وجلهم من العجزة والمكفوفين والفقراء والمستضعفين ولا أدري... كيف رضيت نفسك الأمارة بالخير بأن توقع على قرار كهذا تزيل به هذه المعاهد ولم ترض بأن توقع على عريضة استقالة لتزول أنت ـ يا سيدي ـ عنها... لعلك أردت أن تستعجل الخطوة الثانية فمهدت لها بهذا القرار ليتم في عهدك إلغاء المعاهد[1] الدينية ـ كما تم من قبل إلغاء المحاكم الشرعية ـ أو لعلك أردت ـ وقد شاهدت مئات المدارس تبنى كل عام ـ أن تقول فلم يجرؤ قلبك ولم يطاوعك لسانك «تقتير هنا وإسراف هناك» أو لعلك أعجبت بهذا الشاعر الذي يقول:

إذا أنت لم تنفــع فضر فإنما ... يرجى الفتى كيما يضر وينفع

لقد استقال سلفك العظيم فضيلة الخضر حسين ـ بعد أن كتب بحروف من نور على قلب كل أزهري الحكمة المأثورة: «إن لم يزد الأزهر في عهدي فلا ينتقص منه، والأزهر أمانة في يدي يلزمني أن أسلمه كما أخذته».. فماذا فعلت بهذه الأمانة بعد أن آلت إليك؟؟! إن الأزهر يا سيدي له حقوق وخصائص... أما حقوقه فلم ينل منها شيئًا في عهدك على الرغم من أنها حقوق عدالة، فهي لا تخرج عن المساواة بوزارة التربية والتعليم... ومن الظلم البين أن يتخرج أستاذان من معهد واحد أحدهما نابغة تعين في الأزهر والآخر دونه تعين في الوزارة فيكون النابغة ملفوظًا ويكون زميله الأدنى ملحوظًا.. إن الدستور الجديد ضمن تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية،

= القرار... فلعلهم فاعلون»... وما جرى لمعهد الفيوم جرى لمعاهد أخرى في الوجه البحري.

(١) في مجلة التقوى ص(٢) من صفر ١٣٧٦ أنه تم في هذا العام إغلاق كثير من مكاتب تحفيظ القرآن وهي المورد الذي يمد الأزهر بالطلاب فهل تحرك الأستاذ الأكبر؟.

فكيف تفسر لنا تجميد الأزهريين في الوضع الذي كانوا عليه منذ أربع سنوات. . على حين نرى وزارة التربية والتعليم تغدق على أبنائها الدرجات والعلاوات حتى أصبح التلميذ في الوزارة سابقًا لأستاذه في الأزهر. . ثم كيف تفسر لنا هذا المستقبل المظلم الذي ينتظر العالم الأزهري بعد تخرجه؟ توصد في وجهه أبواب المصالح والوزارات فإذا وصل إلى الأزهر وهو والده الذي رباه والذي كان ينتظر منه العطف والتقدير إذا وصل إليه وجد في استقباله هذا الإعلان الطريف ونتطوع بنشره هنا نقلاً عن جريدة الشعب ٥٦/٨/١٥ من غير انتظار أجرة للنشر: «قررت مشيخة الأزهر تعيين مدرسين مؤقتين بالمعاهد الدينية من حملة إجازة التدريس بمكافأة شهرية قدرها خمسة عشر جنيها لمدة سنة قابلة للتجديد».

شكرًا لك يا سيدي. . فقد عز عليك أن تظفر بدرجات[1] تعين فيها مدرسين يسدون حاجة الأزهر فلجأت إلى هذه الحيلة الطريفة، وأخذت بهذه الفتوى اللطيفة وصار التعيين في الأزهر ـ وفي الأزهر وحده على ما أظن ـ بعقد «كونتراتو» قابل للتجديد وقابل للفسخ ولمدة محدودة أقصاها سنة، وتلك بدعة مستحسنة حدثت في عهدكم الميمون ولك الفخر. . . ومن حقك اليوم أن تباهي شيوخ الأزهر السابقين بهذه الأيادي المشكورة، والمناقب المأثورة، والحسنات الكثيرة، وأن تقول لهم في صوت جهوري:

وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

هذه إحدى مآثركم ـ وأعمالكم كلها مآثر ـ والحمد للَّه الذي لا يحمد على مكروه سواه، فاغتنم من الأزهريين على ما قدمت وما ينتظر أن تقدمه لو بقيت دعاء لا ينقطع، وثناء لا ينتهي.

---

(١) في مجلة التحرير ٥٦/٨/٢٨ الصفحة الخامسة ما نصه: «لم تتضمن ميزانية الأزهر هذا العام أية درجة جديدة سوى ٦٥ ألف جنيه لوظائف جديدة بإدارة البعوث الإسلامية».

وبعد... فلا أسألك عن خصائص الأزهر من المكافأت[1] المرصودة التي فقدها الطلاب هذا العام ببركة إخلاصكم ولا عن سن الإحالة الذي نقص خمس سنوات من يمن طالعك، ولا عن جماعة كبار العلماء التي حلت تيمنًا بقدومكم، ولا عن أزمة المدرسين التي استحكمت كل الاستحكام في عهدكم ولا عن أقسام تخصص القضاء الشرعي والتدريس والوعظ التي بارت وزالت في أيامكم... بل لا أسألك تصحيح الوضع الذي جئت عليه فتطلب لنفسك مرسومًا كمديري المصالح الصغيرة بدلاً من قرار مجلس الوزراء الذي تم به تعيينكم... لا أسألك خيرًا لنفسك ولا لغيرك، ولا أطلب منك أن تلج أبواب الوزارات اهتمامًا بالأزهر كما ولجتها من قبل اهتمامًا بالقرداتية.. لكني أسألك بالله أن تضع عن كاهلك هذا الحمل، وأن تكتفي بما نلت من مكاسب، وما أصاب الأزهر من خسائر، وما حل بالمسلمين من ضعف.. أسألك بالله أن تخلو بنفسك، وتتخلص من شياطينك وتستعرض ما وصل إليه الأزهر من سوء وما بلغه من هوان وأنا واثق كل الثقة أن ضميرك الحي لا بد أن يستحثك للاستقالة ويحتمها عليك، ليأتي من بعدك من يقدر على النهوض بالأزهر ويوفيه حقه كاملاً غير منقوص، وأملي ـ وقد لمس العالم ضعفك ـ أن تكون عبرة لمن خلفك، فلا يتكالب الأزهريون على هذا المنصب ولا يسعون إليه في الخفاء، ولا يتقبله منهم إلا صالح مصلح، حازم غيور، عالم متين، قوي أمين، يبلغ الرسالة، ويؤدي الأمانة، يعلن كلمة الإسلام، ويعمل لصالح الأزهر، ويعرف كيف يحافظ على كرامته.. وينتقم الله ممن يطيل محنة الأزهر فيتقبل هذا المنصب

---

(١) في جريدة الشعب ٥٦/٧/٨ ما نصه: «تضمنت الميزانية الجديدة للأزهر إلغاء المكافآت الشهرية التي كانت تصرف لطلبة الأزهر على أن ينفذ ذلك على الطلبة الجدد في العام الدراسي المقبل».

وهو يحس في نفسه العجز عن النهوض بأعبائه، والقيام بواجباته.

هذه نصيحتي لأستاذنا الشيخ عبدالرحمن تاج وهي نصيحة تريحه منا وتريحنا منه.. وقد قصدت بها وجه اللَّه وصلاح حال الأزهر فإني أخشى لو بقي فضيلته أن يفقد الأزهر كل شيء حتى اسمه، وإني لأعيذه باللَّه أن يؤثر لنفسه البقاء وللأزهر الفناء... فليستقل فضيلته على بركة اللَّه، وليحقق أملنا ولو مرة، وهو أمل وقع عليه من قبل عشرات كبار العلماء من أساتذة الكليات في بيان مطبوع، فإن استجاب فضيلته لنا وقدم استقالته على الفور فقد أحسن اللَّه له الخاتمة ورضي عنه.. وإن قال ـ كما تشيع بطانته التي أرقت النيابة من التحقيق ـ «إني باق في منصبي لن أتزحزح ولن أزحزح.. وما أنا بمتزحزح ولا مزحزح، ولا مستجيب لمن يقول تزحزح».. قلنا له وتلونا عليه الآية الكريمة: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ثم تلونا على إخواننا من العلماء الآية التي تليها: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وطلبنا منهم أن يصبروا ويتقوا ويتوكلوا على اللَّه وحده ليتحقق عَجَزُ الآية: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. ولتصدق فيهم الأخرى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣]»[١].

وسرعان ما انتشر دوي القذيفة، فإذا هو يهز الأزهر كله، فيقابله الكثرة من الأزهريين بكل مظاهر الرضى والتأييد، إذ وجدوا فيه تعبيراً عن رأيهم في الموضوع المثار. ومن هنا جاء نقله إلى معهد قنا، ثم وقف راتبه وإحالته إلى

(١) «صيحة الحق» ص(٥٠٤ ـ ٥١١).

مجلس للتأديب، ألف بسرعة من الشيخ الحسيني سلطان وكيل الأزهر رئيسًا، والشيخ عبداللطيف السبكي عضو يمين، ثم تبع ذلك قرار جمهوري من قِبل الرئيس بتعيين الدكتور مصطفى الحفناوي لعضوية اليسار.

ولما انتشر الخبر تطوع بعض المحامين لاحتلال مقاعد الدفاع. ويسمي الشيخ من هؤلاء الأساتذة سليمان العقاد، وعبدالحميد عبدالمقصود، ومحمد عيسى عطية خميس.

* **انتصار:**

وفي اليوم الذي عُين للجلسة الأولى حضر الشيخ مع محاميه، فأصروا على ما كتب، وأثبت في المحضر أن راتبه قد قطع قبل أن يُدان. وطلب المحامون تأجيل الجلسة للاطلاع، ولمس المحامون ما ينتويه رئيس المجلس، فتباحثوا في الأمر وعلموا من الشيخ ما سبق أن كتبه عن هذا الرجل في مقال كشف عواره، وطالب بتعزيره؛ لأنه نسب إلى الرسول ﷺ ما لم يقله. وفي الجلسة التالية أجمع المحامون على مطالبة وكيل الأزهر بالتنحي عن رئاسة المجلس لأسباب لا يريدون الإفصاح عنها حرصًا على كرامته، فرفض مطالبهم إلا بعد إبداء الأسباب، فسجلوا في المحضر نص المقال المشار إليه قائلين: كيف ترأس مجلس تأديب تحاكم فيه رجلاً، طالب بتأديبك لكذبك على رسول اللَّه ﷺ !؟...

وتكهرب الجو وأجلت الجلسة بعد أن سجل المحامون طلبهم في مذكرة خطية. فما كان من فضيلة الوكيل الرئيس إلا أن كتب على ظهر المذكرة حكمًا بفصل الشيخ المتهم قبل انعقاد المجلس! وكان لذلك رد فعل سريع، إذ قابل الدكتور الحفناوي تصرف الرئيس بالاستنكار، ثم أبلغ الخبر رئيس الجمهورية. وشاع النبأ، وأخفقت المحاكمة، وجاء المفاوضون يغرون الشيخ بمختلف العروض مقابل سكوته، فرفض كل عرض، إلا أن يعود مدرسًا كما

كان في معهد منوف، وأن يعود كذلك زملاؤه الذين أيدوه إلى معاهدهم التي نقلوا منها. ولم يلبث المسئولون أن استجابوا لكل هذه المطالب، وخرج الشيخ من المعركة رافع الرأس منتصرًا. وجاء المؤيدون يستقبلونه بالتهاني، وفي مقدمتهم العلامة الدكتور محمد عبداللَّه دراز ـ رحمه اللَّه ـ الذي تلا على الشيخ قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.

*** خلفيات المعركة:**

ووجد شاعر الأزهر ـ كما يسميه الشيخ ـ الدكتور حسن جاد أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية، في هذه الأحاديث روافد صالحات لإنشاء مسرحية شعرية صاغها ونشرها في العدد الرابع من مجلة «السيدات المسلمات» عام ١٣٧٦هـ بعنوان «محكمة المجاذيب» وقد رمز فيها إلى الشيخ فايد باسم «عائد» وإلى الأزهر باسم «المعشر».

❑ يقول الشاعر الدكتور على لسان الوكيل الرئيس في تعليله للحكم الذي أصدره على الشيخ فايد:

من حيث إن (عائداً) قد لام شيخ (المعشرِ)
وأعلن الحق جها رًا ونبا بالمنكر
وراح يزري بالنفا ق وهو ليس بالزري
وضاق بالإلحاد والـ ـمجون في تهورِ
وبعد ما تلاه من دفاعه الموقر
فقد رأينا فصله من المحيط المعشري

❑ ثم يقول على لسان الدكتور الحفناوي المستنكر لذلك الحكم:

أجيبوني أليس الدين حقًّا فكيف جعلتموه هوى مطاعًا

أيفصل من يقول الحق منكم ويكرم من يضيعه ضياعًا

تسابقتم إلى الحكم اعتباطًا ودبرتم نهايته سراعًا

وزوركُمُ فلم نسمع عليه مداولة ولم نسمع دفاعًا

❑ ثم يتبع ذلك على لسان الشيخ فايد بعد رفضه العروض المغرية:

معاذ اللّه لست أريد جاها وليس هوى المناصب من طباعي

فكفوا عن مساومتي بدنيا يباع الحق فيها كالمتاع

يمين اللّه لا ألقي سلاحا ولست بمغمد يومًا يراعي

وقد اشترك في هذه المعركة أكثر من صحيفة، فمجلة التحرير كتبت عنها في العدد ١٨٥ ـ ١٩٨، وجريدة المساء تناولت الموضوع في ٢٦ يناير ١٩٥٧م، أما مجلة السيدات المسلمات فتابعت القضية في أعدادها الأربعة ربيع الآخر ورجب وشعبان ثم رمضان في عام ١٣٧٦هـ، وكذلك شارك في الموضوع مجلتا صوت الإسلام والاعتصام.

ولا جرم أن اجتماع هذه الصحف كلها، وأولئك المحامين الخمسة، على الخوض في هذه القضية إنما يصور، كما أسلفنا، أوضاعًا نفسية كبر ما يحيط بها من الضغط، فهي تبحث عن منفذ تتنفس منه، فما إن وجدته في هذه القضية حتى اتخذت منها وسيلة للتخفيف مما تعانيه. وكانت القضية جديرة بالاهتمام لأنها تمثل عدوانًا على مؤسسة إسلامية استطاعت أن تحتفظ باستقلالها طوال عشرة قرون، حتى جاءها ذلك الحكم يريد تسخيرها لمآربه، ولو أدى ذلك إلى طعن الإسلام في الصميم. ولقد استطاع ذلك الحكم الرهيب أن يحقق غير قليل من النجاح في هذا المعقل الخالد، باستجراره بعض المسئولين فيه إلى الخضوع لأهوائه، فكان لا بد من رد الفعل الذي

ترجم غضب الجمهور المسلم من أهل العلم على ذلك العدوان وعلى الضالعين معه من المسئولين.

وأخيرًا إن في هذه المعركة صورة لا ينبغي أن تنسى من تلك الحقبة التي أُريد بها خنق كل صوت يرتفع بكلمة (لا) ولو أدى ذلك إلى إزهاق الأرواح وإذلال الأمة، ورفع الأبرياء على أعواد المشانق، وشحن السجون بكل كريم من الأطهار الأحرار.

*** كلام دونه السهام:**

والمؤرخ لحياة الشيخ محمود فايد لا يستطيع إغفال شجاعته في مواجهة رئيس المجهورية أثناء أخطر عهوده التي أغلقت الأبصار، وكممت الأفواه، وغلت الأيدي، فلا يجرؤ امرؤ على الإشارة بله الكلمة، إلا إذا كان من المغامرين الذين لا يبالون العواقب، أو المؤمنين الذين لا يرجون لغير ربهم وقارًا.

لقد كشف الرئيس عن نواياه الخفية جميعًا حين أعلن حربه على بقايا النظام الإسلامي في مصر بإلغائه القضاء الشرعي، ومصادرته حقوق الأفراد والجماعات في التملك والكرامة والعدالة وحرية الكلمة... ولم يكن بد للجريح من التأوه، فارتفعت بعض الأصوات الجريئة من أوساط العلماء، تعلن حكم الشريعة في ما يجري من عدوان على مبادئها الأساسية، وتذكّر الرئيس بمسئولياته تجاه الإسلام والشعب الذي يحكمه. وطاش صواب الرجل بإزاء هذه المعارضة، إذ كان يظن ـ ثقة بشهادات من حوله من بطانة الفساد ـ أن الإسلام قد انتهى بمحنة الإخوان المسلمين، فلا موضع لكلمة (لا) أمام كل ما يأتيه وما يذره... وانتهز إحدى المناسبات السياسية فراح يهدد ويوعد، وخص معشر العلماء بدفقة من السباب البليغ. وعلى طريقة الشيوعيين في التهوين من علماء الإسلام، جعل يتهم أصحاب العمائم باستغلال الدين في

سبيل بطونهم وشهواتهم، ولو أدى ذلك بهم إلى بيع الفتاوى بالفراخ... دون أن يفرق في هيجته بين الذين ينافقونه والذين يعارضونه من المشايخ.

وكان مستحيلاً على مثل محمود فايد أن يدفن ثورته في قلبه بإزاء ذلك التهجم الضرير فكتب أهم مقالاته - كما يقول - في نقد ذلك الهذر، وحملت «الاعتصام» ذلك المقال الشافي للصدور في عدد ربيع الأول من عام ١٣٨١هـ.

لقد قدم لمقالته يعرض كلام الرئيس، ثم تجرد للرد عليه بصراحته التي لا يملك عنها انفكاكًا.

قال الشيخ موجهًا كلامه إلى الرجل، الذي نسي، في غمرة الاعتداد بالقوة، مسئوليته كرئيس دولة:

«... هنا أحب أن أقف مع الرئيس وقفة قصيرة، ومن حقي أن أقف معه، فقد حدثنا سيادته عن عمر بن الخطاب، وقد حفظنا عن تاريخ عمر أن امرأة استوقفته فوقف، وأطالت معه الحديث، وكان مما قالت: «لقد كنت من قبل عميراً ثم صرت عمر، ثم أصبحت أمير المومنين، فاتق اللّه وانهج سبيل الحق، فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، فقال رفيقه: كفى يا أمة اللّه، فقد أبكيت أمير المؤمنين. فنهره عمر وقال: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها»، وليسمح لي سيادة الرئيس أن أناقشه، وأرجو ألا أتهم بأني أجير للرجعية، فقد كنت، وأنا من أصحاب العمائم، من أرباب الأقلام المتواضعة، التي لم تدخر وسعًا في محاربة الفساد، في وقت اشتد فيه الضغط واستفحل فيه الاستبداد والإرهاب، وكان نفر من الجيش ومن الجيش وحده هو الذي يحمي حمى الفاروق، وكان نفر من الجيش ومن الجيش وحده هو الذي يأكل على مائدة ولي عهده الطفل والقاهرة تحترق... فهل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم، وبجميع اللغات، ومن

رئيس الجمهورية العربية نفسه، مثل هذا الكلام!

لقد فاتك أن تعقب بأن كثيراً من ذوي العمائم كان لهم مواقف كريمة وغيرة مشكورة، وإحساس مرهف... وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل... ومن فضل اللَّه أن شعبنا فاضل واع ذكي أريب، يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.

وختامًا يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم ورفع قدرهم وخلد ذكرهم، فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾، ويكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

*** مناقشة تحليلية:**

وإذا لم يكن بد من التعقيب على هذا البيان المبين فسأكتفي بتوجيه النظر إلى ناحيتين اثنتين منه. أما الأولى فالشجاعة التي تدفع صاحبها إلى المغامرة برأسه في سبيل الحق، الذي أخذ اللَّه العهد على أولي العلم بنصرته... وبخاصة في ظل تسلط يحاسب على الخلجة، ويقتل على الهمسة، ويسجن كبار الرجال من صالحي العلماء مع الكلاب المفترسة في السجن الحربي... ولعمر الحق إن البطل الذي يقتحم صفوف العدو الكمي، ليس أحق بالتقدير من مؤمن يقف أمام سلطان فتاك ليقذف بوجهه كلمة الحق صريحة مجلجلة. ورحم اللَّه شوقيًا الذي يقول:

إن الشجاعة في الرجال مراتب ... وأجلهن شجاعة الآراءِ

وأما الثانية ففي تلك الغمزات الجارحات التي يرمي بها مقاتل خصمه فلا يخطئها. أمعن النظر معي في هذه العبارات:

كان نفر من الجيش، والجيش وحده، هو الذي يحمي حمى الفاروق.

وكان نفر من الجيش، والجيش وحده، هو الذي يأكل على مائدة ولي عهده الطفل، والقاهرة تحترق.

وإنك لتعرف بعضهم... ولبعضهم عليك فضل.

إن شعبنا شعب فاضل ذكي... يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.

يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم و..

ويكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر «**العلماء ورثة الأنبياء**».

إن هنا لقذائف دونها صواريخ سام وهي تطارد فرائسها بقيادة الرادار.

*** وباء الطغيان:**

ولعمر اللَّه لا أستطيع أن أتصور مدى خيانة الأمة لأمانة اللَّه، لو لم يقيض لها من يحمل عنها عبء التصدي لذلك الطغيان الجارف، فيقول لأصحابه مثل هذه الكلمات التي من شأنها أن تنهنه من سكرة الغرور، وتقيم على المغرورين حجة اللَّه!..

إن الطغيان السياسي كالوباء الزاحف، يبدأ صغيرًا محدودًا، فإذا حوصر بالمحصنات الرادعات تقلص وتلاشى، أما إذا أهمل شأنه وفسح له سبيل التكاثر لم يقف أثره عند حد، ومضى يدمر كل شيء يصادفه، ثم لا يلبث أن تتغلغل عدواه إلى ما حوله ثم ما بعده إلى غير نهاية... وهذا ما حدث للطغيان الكمالي، يوم أقدم الدونمي أتاتورك على تقويض الخلافة ولم يجد قوة تردعه، ولما اطمأن إلى سلامة الطريق انطلق يهدم كل قائم في بناء الإسلام، حتى كاد يأتي عليه من القواعد في تركية المسلمة... ولم يقف شره عند حدود تركية، بل أخذ يتدفق إلى كل مكان من بلاد الإسلام يجد فيه استجابة من المضلَّلين والمضلِّلين، وليست هذه الفتن ترسل شرورها هنا

وهناك في ربوع الإسلام سوى بعض آثار السكوت على عدوان ذلك الطاغية الدونمي على حرمات الإسلام، وما أظن مؤرخًا حصيفًا يدقق النظر في العلاقة بين هذه الانفجارات الهدامة في ديار المسلمين إلا واجدًا ارتباطها الوثيق بتلك المحنة الكبرى، محنة تقويض الخلافة والعدوان على معالم الإسلام في دولة الخلافة. وهكذا تسري عدوى الوباء، وباء الانتقاض على نظام الإسلام من ثورة إلى ثورة، ومن بلد إلى بلد. وليس مقتل علماء الإسلام حرقًا وهم أحياء في مقديشو بأيدي عصابة الماركسيين في الصومال عام ١٣٩٤هـ إلا واحدة من ثمرات الطغيان الذي ساد أكبر بلد عربي، فمهد ولايزال يمهد الطريق لكل محنة يتعرض لها الإسلام وأهله في الشرق العربي وما حوله. ومن هنا كان لهذه القلة من أحرار مصر الذين نصروا اللَّه بأقلامهم في حدود طاقتهم، فضل الرائد الذي يتقدم القافلة نحو الطريق القويم، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً.

*** نكسات الزيات:**

ثم إن هذه المواجهة بين الرئيس والشيخ لم تكن الوحيدة والأخيرة، وإن كانت أبرز المواجهات وأصرحها، فكل مقالة كتبها بعد تكشف حقيقة المتسلطين، كانت سهامًا مسددة إليهم، وإن لم تذكرهم بأسمائهم؛ لأنه لم يخط سطرًا منها إلا في نصرة الإسلام، وكل انتصار لهذا الدين إنما هو هجوم غير مباشر على أعدائه الهدامين.

ولعل غضب الشيخ على الأستاذ أحمد حسن الزيات ـ في عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣ من مجلة الاعتصام ـ لا تنزل عن هذا المستوى الذي طالعناه في حواره للرئيس، بل إنها لامتداد لمضامينه؛ لأنها منصبة على سياسة الرئيس نفسها.

لقد ناء عاتق الأستاذ الزيات تحت أعباء الشيخوخة، فنسي ما ملأ به

رسالته الطيبة الذكر من دعوة إلى الخير والفضائل والدين، بل نسي ما رزأه الحكم من ثروة لا تقدر بمال حين انتزع منه تلك المجلة، التي استمرت سنين طويلة مطمح أبصار الأحرار من عشاق البلاغة والأخلاق. . . وكان ذلك، ويا للأسف، منذ أقامه ذلك الحكم رئيسًا لتحرير مجلة الأزهر.

أجل، لقد نسي الزيات الشيخ مآثر الزيات الكهل، فسلك إلى مرضاة المتسلطين كل سبيل، حتى لم يتورع أن يتخلى لهم عن دينه، فيصف الوحدة التي ارتجلت ما بين مصر وسورية بأنها خير وأبقى من الوحدة التي بناها محمد رسول اللَّه ﷺ. . . فكان على كل حر أن يضج من الشتيمة، ويتصدى لهذا الخرفِ المنحرف ليرده إلى الجادة.

وما كان مثل هذا الحدث ليفوت قلم الشيخ محمود، الذي هو أبدًا بالمرصاد لكل متعرض لمعقل الإسلام. وهكذا انطلق يفند ترهات الزيات، ويجلو لعينيه الحق الذي عميتا عنه.

وطبيعي أن الموقف من الحساسية بحيث لا يمكّن من الفصل بين تجديف الخرف المتزلف وسياسة الرئيس المتزلف إليه؛ لأن الموضوع قائم على المقارنة بين سياسة نبوية مخططة من فوق سبع سموات، وسياسة مرسومة في موسكو وواشنطن، ومدعومة بالمهرجين والهتافين والمرتزقة ممن لا يعرفون من حقائق الوحي نقيرًا ولا قطميرًا.

ولم يكن الشيخ بجاهل ما يُعرِّض له نفسه من عواقب هذا المواقف، بل لا مندوحة له من أن يوطن نفسه لمواجهة أسوأ الاحتمالات.

*** نصان منافقان:**

القنابل التي أطلقها الشيخ في وجه الزيات كثيرة وهائلة ومحرقة، ولايغني الاجتزاء ببعض منها عن بعض. . . وقد أعاد نشرها كاملة في كتابه الأخير «الحق» فليراجعها القارئ هناك إذا شاء. أما هنا فنكتفي من المعركة

التي استغرقت خمسًا وأربعين صفحة من الكتاب، بالفقرات التالية التي يكشف بها الشيخ عن غريزة النفاق في أعماق الزيات.

في أخريات أيام فاروق وبالضبط في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢م كتب الزيات في العدد ٩ من مجلة الأزهر ما نصه:

«بسم اللَّه جل اسمه، وعز حكمه... منزل كتابه هدى، ومرسل رسوله رحمة، وبهدي صاحب الرسالة محمد صلوات اللَّه عليه... لسان الوحي، ومنهاج الشرع، ومعجزة البلاغة... وبعطف صاحب الجلالة الفاروق... ناصر الإسلام، ومؤيد العروبة، وحامي الأزهر، أعز اللَّه نصره، وجمل بالعلوم والآداب عصره...».

يقول الشيخ: هذا نص ما افتتح به الأديب مجلة الأزهر قبل طرد فاروق بشهرين... فننشر إلى جانبه ما افتتح به عدد يوليو من مجلة الأزهر سنة ١٩٦٠م وهو يشيع فاروق نفسه:

«كان ملكًا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو، وكان آية من آيات إبليس في الجرأة على دين اللَّه، وعلى حرم الناس... بلغ من جرأته على اللَّه أنه كان - كما حدثني أحد بطانته - إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام فصلاها من غير غسل ولا وضوء، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد، وكان يقول: إن أخوف ما أخافه أن يغلبني الضحك وأنا أتابع الإمام في هذه الحركات العجيبة!... وبلغ من جرأته على المحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتل الزوج ويسرق الدولة ويسفه الحق، ويأخذ الرشا... ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى...».

وما أحسب ردًا على مثل مفتريات الزيات أقتل ولا أصمى من المقارنة بين هذين النصين من كتابات الزيات في التملق للطاغيتين... أما لماذا كل هذا النفاق... فيقول الشيخ: لقد عاش الزيات هكذا طوال حياته، يكتب ما

يروج، وينشر ما يجلب له النعمة والعافية... وحسبه أنه ظفر في عهد فاروق بلقب «صاحب العزة» وظفر في هذا العهد بأكرم «جائزة»... وقد أصاب الأستاذ أحمد حسين في كلامه عن موقف المترجم من نفاق الزيات إذ قال: «وقاد الشيخ الحملة، وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين... لم يجامل ولم يلاين وإنما وصل إلى حد الهجوم السافر والتحدي لرئيس الدولة نفسه».

*** ونصان مؤمنان:**

وقد سبق أن عرضنا لبعض ما كتبه الشيخ في نقد الظلمة، ونسمح لأنفسنا أن نعرض هنا أيضًا أنموذجين آخرين مما كتبه في كلا العهدين لنرى الفرق بين ما يكتبه أهل الإيمان لوجه الحق، والمتاجرين بالأقلام ابتغاء الرزق.

من مقال نشره الشيخ في عدد «الاعتصام» لشهر إبريل قبل خروج فاروق يقول في وصف واقع المسلمين: «ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم، همهم أن تسلم لهم، ولو على أيدي الغاصبين، يسالمون عداهم، ويذلون رعاياهم، يجمعون المال من دم الفلاحين وعرق الكادحين، لينفقوه على ملذاتهم، ويبعثروه على شهواتهم، طورًا ينثرونه على موائد القمار ودور اللهو وكئوس الشراب، وحينًا يبذلونه في مخاصرة النساء، وسماع الغناء، وما تتطلبه الليالي الحمراء... والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم، أو يزجي النصح إليهم، فجزاؤه السجن، وإن شئت فقل الإعدام».

وفي «الاعتصام» نفسها يعقب على خطاب الرئيس عبدالناصر الذي ألقاه في الذكرى التاسعة للثورة، وقد جمع الكثير من الغث والسمين، والوعد والوعيد.

يقول الشيخ: «في خطاب الرئيس... فقرات تسترعي النظر، وتثير الانتباه... فقرات تتسم بالصراحة التي تدعو إلى الإعجاب والإكبار... فقرات ينبغي أن نقف عندها، ونتأمل فيها، فهي جديرة بالتفكير

والتقدير. .».

وبعد أن يعرض الشيخ لبعض مآثر الإسلام في العدالة تذكيراً له بما غاب عنه، يتابع: «تلك صورة جميلة تجعلنا ننكر باسم الإسلام يا سيادة الرئيس هذه الأموال الباهظة التي تنفق في غير موضعها، هذه المكافآت السخية التي تصرف من مال الدولة على الممثلين والممثلات، والراقصين والراقصات، والمغنين والمغنيات. . . قلتَ يا سيادة الرئيس إنك تريد أن تطهر المجتمع من عوامل الحقد والأنانية والفساد والبغضاء. . . ومقتضى هذا المنطق أن تقلم أظافر أولئك المترفين، وتقص أجنحة هؤلاء الذين لا يزالون يعيشون في عالم المريخ، فيثيرون الحقد في نفوس المحرومين، إذ يطلون عليهم من قصور فخمة ويمرون عليهم في عربات ضخمة، تنطلق ـ من فرط السكر ـ بسرعة جنونية تكاد تعصف بهم وتودي بحياتهم».

أجل. . . إنهما نصان يرسمان الصورة المثلى لحملة الأقلام النظيفة التي تتوقع حساب اللَّه على كل نبسة تقولها أو تكتبها، وبهذه الأقلام تفخر الأمم، وتسمو الهمم، وشتان بين هؤلاء المؤمنين، وأولئك المذبذبين، الذي يصورهم قول الحريري على لسان أحدهم:

أنا الذي تعرفه يا حارثُ   حدث ملوك فكهُ منافثُ
أعمل ما لا تعمل المثالث   طوراً أخو جدٍّ وطوراً عابث
ومخلبي في كل صيد ضابث

وما كان أحوج صاحب «مجتمع الكفاية والعدل. . .» أن يسمع مثل هذا النقد الحار يذكره بواقع (مجتمعه) على لسان القليلين أمثال محمود فايد. . . جزاهم اللَّه عن المظلومين والمحرومين والمضطهدين خير ما يستحقه الأحرار والمجاهدون.

* بعد النكبة :

والحديث عن الأحداث التي عاركها الشيخ سيظل أبتر ما لم يتناول بعض مواقفه التي أعقبت نكبة عام ١٩٦٧م.

كانت تلك الهزيمة مبدأ تحول جديد في حياة مصر، فعلى الرغم من كل التظاهرات التي اصطنعتها مراكز القوى في القاهرة وبيروت وغيرهما، لاستبقاء الرئيس المحطم في مركز القيادة... لم تستطع منع الألسن من الكلام في هذا الموضوع، فانطلقت تعبر عن سخطها على المسئولين عن الكارثة، وتعلن نقدها للعهد كله. وتحركت المراكز الثقافية للإسهام في تحديد التبعات، واستعراض الوسائل الفضلى لمعالجة الواقع الرهيب. وفي إحدى المناسبات المتصلة بموضوع الساعة دعي الشيخ للمحاضرة في جامعة القاهرة وجمعية المحافظة على القرآن، وبصراحته المألوفة مضى في تحديد أبعاد الهزيمة، وتعيين مسئولية الرئيس (...) عنها. ولم يرق ذلك بقية مراكز القوة، التي ما تزال تحيط بالرئيس لدفع النقمة عن نفسها، بوصفها الشريك الأكبر في هذه المسئولية.. فوجدت من مصلحتها تجميد نشاط الشيخ. وهكذا صدر القرار بإحالته إلى الاستيداع، وقد قام بتبليغه ذلك القرار وكيل الأزهر، الذي سارع إلى استخدام الهاتف في ذلك التبليغ، بسبب عطلة يوم رأس السنة الهجرية، وتم تبليغ معهد القاهرة ـ الذي يعمل فيه الشيخ ـ بذلك القرار هاتفيًا أيضًا.

وكان ذلك بمثابة إنذار للشيخ بأنه تحت المراقبة السياسية. وهكذا لزم منزله في رعاية المخابرات التي جعلت ترصد كل حركة منه.

يقول الشيخ: لقد كانت هذه العزلة فرصة ربانية تفرغت فيها لتحقيق بعض الكتب وإنجاز بعض المؤلفات، مما عاد عليه برزق أوسع بكثير من الذي قطع عنه.

وقدم لزيارته أثناء هذه الخلوة المرصودة وكيل الأزهر يومئذ، وشيخه الأكبر هذه الأيام، الدكتور عبدالحليم محمود، ومعه مستشار رئيس الجمهورية الفريق عبدالرحمن أمين، والوزير العراقي السابق اللواء محمود شيث خطاب. وتذاكروا فيما بينهم في وضع الشيخ، ثم اقترحوا عليه أن يقدم التماسًا بالعودة، فامتنع وأصر.

ويروي الفريق عبدالرحمن أمين بمحضر من إدارة الجمعية الشرعية أن الرئيس سأله بعيد صلاة عيد الفطر: «ألا يزال محمود فايد عضواً في الجمعية الشرعية؟» فيجيب بالإيجاب، ثم يذكر الشيخ بخير، فما كان من سيادة الرئيس إلا أن أشاح بوجهه استنكاراً لذلك الإطراء، ثم سارع إلى مغادرة المسجد وهو يقول متهكمًا: كلهم كذابون وأنت الصادق!».

ولا حاجة إلى التساؤل عن هؤلاء الكذابين الذين تشير إليهم عبارة الرئيس... إنهم بطانة السوء الذين يتوقف بقاؤهم في مراكز التأثير على استبعاد كل عنصر يتوسمون فيه أي ظاهرة من الخير أو الدعوة إلى الخير... وهو واقع يؤكد ما ذهبنا إليه في تعقيبنا على اعترافات توفيق الحكيم التي نشرها بعنوان «عودة الوعي» فناقشناها بالمقال الذي نشرته مجلة «المجتمع» الكويتية تحت عنوان «طغيان فرد أم طغيان عهد».

* أين المعتبرون:

وهناك حادثة يحسن ألا يفوتنا ذكرها هنا، ويصفها الشيخ بأنها من الوقائع العجيبة التي مرت به، ذلك أن دولة شيوعية ـ لم يسمها ـ بعثت بفرقة راقصة للترفيه عن المصريين في رمضان ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ورأى المنحرفون أن يعدّ لها مكان في ميدان الجيش لتحيي الخامس والعشرين من رمضان.

وفي حفل عام أقامته الجمعية الشرعية في ذكرى بدر تكلم الشيخ فايد

حول هذه الصفاقة فكان مما قاله: «أخزى اللَّه هؤلاء السفهاء... لقد بلغ بهم السخف أن يحيوا رمضان بالمنكرات... وفي أي مكان؟... في ميدان الحسين بين مسجده وبين إدارة الأزهر ومشيخة الطرق الصوفية!... يا لها من إهانة متعمدة توجه لعمَّار هذه المؤسسات الإسلامية!... يا لها من إهانة توجه إلى شهر القرآن!...».

وكان أحد المسئولين حاضرًا ذلك الحفل فأبلغ النبأ السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية فأصدر أمره بمنع الفرقة من تنفيذ ذلك المنكر.

وقد أثبتنا خبر هذه الرقاعة لما تحمله من خصائص العقلية المادية، التي لا ترى أقدر من الفجور على تحطيم الهمم... وقد أصبحت طابع الجيل الضائع الذي غسل قلبه من معاني القيم الإسلامية، فلا ينظر ولا يسمع ولا يحس إلا من خلال جوارح الكافرين... وقد ذكرنا في أحد كتبنا الأربعين ألف صورة من رسوم الراقصات والمغنيات التي وزعت... قبيل «الزحف لتحرير فلسطين» عام ١٩٦٧م...!، ووعدت الجريدة المصرية ناشرة الخبر أن هناك مئة وستين ألف صورة أخرى لبقية الرقعاء ستوزع على أولئك المحاربين في خنادق القتال!... ثم كانت النتيجة تلك الهزيمة التي مرغت بالهوان جباه العرب والمسلمين جميعًا إلا فرق المنتفعين.

وما أدري لماذا تذكرني هذه السخافات بمنظر تينك الصورتين الأخريين، اللتين جاءني بهما ولدي أثناء حرب رمضان ١٣٩٣هـ على صفحات إحدى الصحف المصرية، وهما تعرضان طيارين مصريين، وقد هما بدخول الطائرة، وبدا جليًّا على خوذة كل منهما «لا إله إلا اللَّه».

إن جيش فريد الأطرش وعبدالوهاب وأم كلثوم وعبدالحليم حافظ وتحية كاريوكا لم يسجل في حربه تلك سوى مآثر الانهيار الذي وزعه خلال ساعات بين أسير في قيود اليهود، وشريد على رمال البيد.

أما جيش «لا إله إلا اللَّه» فقد مسح العار ـ خلال ساعات ـ عن جباه كل العرب والمسلمين بفضل اللَّه رب العالمين.

ولكن. . . أين الذين يفقهون ويعتبرون!

*** فيتو ثوري:**

ولا يفوتنا أن نذكر من الأعمال الأخرى التي شغل بها عن مهنته الأساسية في مصر، تعيينه رائدًا دينيًّا لمدينة البعوث، فكانت فرصة طيبة لروابط حية توثقت بينه وبين الطلاب الوافدين إلى الأزهر من أنحاء العالم الإسلامي، وأذكر أني التقيت ذات يوم خريجًا سوريًّا منهم، ولما استوضحته عن أقوى مشايخه أثرًا في نفسه لم يتردد في تسمية الشيخ محمود فايد. ولم يكن هذا الخريج ليعلم أن الشيخ زميل لي عزيز في الجامعة الإسلامية.

ولقد رضي ولاة الأمر في الأزهر عن نشاط الشيخ في عمله الجديد، ولم يحجبوا عنه تقديرهم، إلا أن السياسة لم تلبث أن أبدت قلقها من ذلك النشاط، وطلبت من وكيل الأزهر تنحيته. وبعد مطال طويل اضطر الوكيل إلى مصارحة الشيخ بالفيتو الذي أُشهر عليه، فلم يسع الشيخ إلا قبول الواقع، فقدم استقالته لفوره.

ولعل أكرم تعزية نالها الشيخ إثر استبعاده عن تلك الريادة خطاب وكيل الأزهر يومذاك ـ الدكتور محمد ماضي ـ الذي يقول له فيه: «لا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أقدم لكم شكر الأزهر وتقديره لجهودكم المثمرة التي بذلتموها لصالح طلاب البعوث الإسلامية ولصالح رسالة الأزهر، وهي رسالة الإسلام، في الفترة التي قمتم فيها بأعباء هذه المهمة. . . كما نخطر فضيلتكم بأننا قد قررنا أن توضع صورة من خطابنا هذا في ملف خدمتكم. . .».

ولا جرم أنها لفتة كريمة من الدكتور ماضي تنم عن ارتفاعه فوق أهواء السياسة.

*** في مجلس الشعب:**

ونختم هذه الطائفة من صور النشاط الذي عرف عن المترجَم بالإشارة إلى تلك الصراحة المدوية التي أرسلها في مجلس الشعب المصري صيف العام ١٣٩٣هـ.

لقد دعي يومئذ للمشاركة في البحوث المثارة حول الأوضاع الجديدة بمصر، وفي إحدى الجلسات الحافلة ألقى الشيخ كلمته التي استغرقت عدة صفحات، صرح فيها بكل ما يراه، وأكد على وجوب مناجزة إسرائيل قبل أن تستكمل قدراتها المرسومة، التي يستحيل معها على العرب مواجهتها عسكريًّا.

وكأن القدر كان يجري على لسان الشيخ ما يدور في رءوس المخططين لحرب رمضان، التي ما لبثت أن شبت فاكتسحت، بمعونة اللَّه، خط بارليف. وقد نوه الأستاذ محمود أبو وافية بكلمة الشيخ تلك في مقال نشرته الأهرام يوم ٥/٢/٧٤ وقال في زيارة عجلي للمدينة المنورة: إن الرئيس السادات، اطلع على كلمة الشيخ فأيدها في حينها وعلق عليها بقوله: «هذه أصرح كلمة»[1] اهـ.

*** مع الأسد الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ رحمه اللَّه ـ:**

◻ يقول الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه القيم «صيحة الحق»: «النصيحة هي قوام الإسلام ودعامته، عليها يعتمد، وإليها يستند وبها يسود وينتشر وحين يكون النصح خالصًا للَّه، ومستوعبًا للكبير والصغير، والحاكم والمحكوم، وكل أفراد الأمة على اختلاف درجاتهم، وأوضاعهم وحالاتهم، يكون مثمرًا ومفيدًا، يحقق الخير والصلاح والسعادة،

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/٣٥٦ ـ ٣٧٣).

والهداية والتماسك والقوة والوئام والانسجام ويقي الأمة والدولة كل منافذ الشر والفساد والشقاوة والغواية والتحلل والضعف.

إن الإسلام لا يريد من المسلم أن يكون صالحًا فقط، بل يريد منه أن يكون صالحًا ومصلحًا، وبهذا ينجو من الخسران. وقد قال تعالى في سورة قصيرة يقول عنها الإمام الشافعي ﷺ: «إن في القرآن سورة لو عمل بها الناس لكفتهم، فيه سورة العصر».

وصدق الإمام فيما قال: فهذه السورة على قصرها، تبين أن نجاة الإنسان من الخسران تتطلب الإيمان بكل ما أوجب اللَّه الإيمان به، وتتطلب العمل الصالح بكل أنواعه، وتتطلب أيضًا التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتواصي تفاعل من جانبين فهو يوصي ويوصى وهذا يدفع عن الإنسان الغرور، فلا يخدع نفسه بأن يحسب أنه دائمًا على صواب، ولا يتمادى في الخطيئة ويحسب أنه أكبر من أن ينصح، بل يفهمون جميعًا أنهم معرضون للخطأ والصواب، والطاعة والمعصية، وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول: **«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»** رواه الترمذي وابن ماجه.

والحق كلمة جامعة تشمل كل ألوان البر والخير، وكل ما أوجب اللَّه العمل به، وكل الحقوق التي قررها اللَّه في كتابه، وبينها الرسول ﷺ.

والسورة تدعو إلى التواصي بالصبر، فالصبر يحتاج إليه الدعاة بل هو ضروري لهم لا يمكن أن يستمروا أو ينجحوا بدونه، فعلى الدعاة إلى اللَّه أن يتوقعوا الشر من أهل الشر، والأذى من أهل الأذى فلا بد أن يتسلحوا بالصبر كما تسلح به الرسول والمصلحون من قبل، لهذا قرن اللَّه الأمر بالدعوة بالأمر بالصبر كما هنا في هذه السورة، وكما جاء في وصايا لقمان ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]. وقد اشتهر بين الناس «اللي يقول الحق يندق».

لقد أنزل اللَّه الكتب وأرسل الرسل، وأخذ العهد على العلماء أن يبينوا للناس وحذرهم من التقصير فتحل بهم لعنة اللَّه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩][1] .

*** ومن مواقف الشيخ المبارك ـ رحمه اللَّه ـ نسوق هذه المواقف لآلئ ودرر في جبين الأيام:**

١ ـ مع السادات: ـ «التعصب للدين أوْلى وأجدى من التعصب للوطن»:

في صحيفة الجمهورية الصادرة يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٣٧٤هـ العدد (٧٣) عنوان كُتب بالخط العريض (أنور السادات يقول: التعصب الديني لا يقبله الخلق ولا الدين، فلنتعصّب من أجل وطننا فقط) وتحت هذا العنوان تحدثت الجريدة عن السيد أنور السادات فقالت إنه وزير الدولة وسكرتير المؤتمر الإسلامي فرد عليه الشيخ محمود فايد على الفور في مقال نُشر جاء فيه: «لقد قال السيد أنور السادات «التعصب الديني لا يقبله الدين» فمْن أين له هذا يا تُرى؟ وأي دليل عليه من الكتاب أو السنة أو الأدلة المعتبرة. لست أدري أعنده دليل في ذلك أم هو البعث الجديد[2] الذي جاء به المبعوث الجديد؟!!!

إننا نحن في شهر المحرم وذكرى الهجرة ماثلة في أذهاننا ومنها نعلم أن الرسول ﷺ فارق وطنه الحبيب إليه لكنه ظل مستمسكًا بدينه متعصبًا له يدعو إليه ويتحمل الأذى في سبيله حتى عاد فاتحًا لبلاده باسم الدعوة الإسلامية لا باسم الفكرة الوطنية وأعتقد أن أسلافنا الأوائل الذين فتحوا

---

(١) «صيحة الحق» ص(٨ ـ ٩) ـ الناشر دار القلم والكتاب.

(٢) كان أنور السادات يكتب مقالاته تحت عنوان «بعث جديد».

العالم وبلّغوا رسالة الإسلام السمحة لم يكن يخطر لهم ببال هذا الحدث العجيب»[1].

وقال: «وإذا كان السيد أنور يخاف على وحدة الأمة المصرية من أن تصاب بأذى أو تمسّ بسوء فمن الواجب أيضًا أن يخشى على وحدة الأمة الإسلامية من أن تصاب بأذى وتمس بسوء ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

◘ إن التعصب يا سيد أنور مطلوب للدين، وحسبك أن تقرأ قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وهنا حقيقة يجب أن تُعلم هي أن المسلمين لا يدينون بفكرة الوطن القائم على الحدود الجغرافية ولكن يدينون بفكرة الوطن القائم على العقيدة الإسلامية.

◘ الإسلام يا سكرتير المجلس الإسلامي دين واقعي يسع في أرضه المخالفين له ويضمن لهم في جواره حياة كريمة لا ظلم فيها ولا ضيم، ثم نقل بالنص قول الشيخ رشيد رضا من المجلد الثامن من «المنار» ص(٨٨):ـ «إنما البدع الغريب والأمر العجيب الذي لم يُعرف له نظير في أمة من الأمم هو ما نراه في هذا العصر من تصدى أناس لدعوى نصر الدين والزعامة فيه وحفظه على أهله وهم لم يقرءوا كتابه ولو قرءوه ما فهموه، ولم يتلقوا سنته ولو سمعوها لما وعوها، ولم ينظروا في عقائده ولو نظروا فيها لما عقلوها،

---

(١) «صيحة الحق» ص(١٥).

ولم يعرفوا معظم أحكامه وما يعرفونه منها لا يعملون به، أعجب من هذا وأغرب أنهم بلغوا من الوقاحة والتهجم أن صاروا يعارضون حملة القرآن وأنصار السنة وعرفاء الشريعة وحجج العقائد وحكماء الأحكام ويجادلونهم في اللَّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وقد حلّوا رابطة الدين ودعواْ إلى رابطة أخرى يسمونها «الوطنية» يفرّقون بها بين المؤمنين، وقد جرّأهم على ذلك كله جهل العامة، وقلّة الذين يميّزون بين العلماء العاملين والأدعياء الجاهلين، ولو كان هؤلاء على شيء من الإيمان لاستحوا من اللَّه تعالى أن يدعوا هذه الدعاوى التي يكذبهم بها كتابه، كما تكذبهم سيرة السابقين الأولين، لكنهم لا همّ لهم إلا العامة التي يبغون عندها الرزق والاستعلاء في الأرض، وهم في مأمن من فهمها معنى الإيمان وصفات أهله لأنهم يحولون بينها وبين كل من يوجه وجهها إلى كتاب اللَّه تعالى الهادي إلى ذلك»اهـ. كلام الشيخ رشيد رضا.

☐ ومن كلام الشيخ محمود فايد في هذا المقال لأنور السادات:

«كيف تطلب منا أن نتعصّب للطين ولا نتعصب للدين؟! كيف تطلب منا أن نتعصب لدعوة الأرض ولا نتعصب لدعوة السماء؟! كيف تطلب منا أن نتعصب لوحي الشيطان ولا نتعصب لوحي الرحمن؟!

ألا فاسمعها كلمة مدوية أشهد اللَّه عليها وملائكته ومن بلغه هذا المقال... اسمعها كلمة مدوية أدخرها عند اللَّه، عسى أن أنال بركتها عند الموت وفي حنايا القبر ويوم البعث واللقاء...

اسمعها وليسمعها كل مسلم... تعصّبوا لدينكم وتمسكوا به كل التمسك، وبلغوه للناس ما وسعكم البلاغ.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٧].

*** الانتصار للإسلام:**

□ يقول الشيخ محمود فايد: «بعد كتابة هذا الرد على السيد أنور السادات استدعاني لمقابلته وعرض عليّ أن أكون أحد محرري جريدة الجمهورية فرفضت في حوار لا داعي لذكره، ثم بعد ذلك عثرت على خطبة للإمام المراغي، ولعلّ أصرح ما قيل في التعصب للإسلام هو ما جاء على لسان الإمام محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر، فقد قال من فوق منبر الأزهر في خطبة رسمية نشرتها الصحف وزيّنت به جيدها مجلة الأزهر المجلد التاسع ص(٨٠٧) وفيها يقول بالحرف ما نصه: «المسلم الذي لا يعترف بأن الدين حق كله وخير كله ويقول: إن بعض قواعده ضارة بالمجتمع أو ضارة بالمدنية أو السياسة مسلم مرتد عن دين اللَّه لا يقبل اللَّه منه صلاة ولا صومًا. وهذا حكم اللَّه أجاهر به من هذا المعهد ليكون المسلم على ذكر منه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦] إضعاف سلطان الدين على النفوس، والتفريق بين قواعده، وانتزاع سلطانه على الحياة الاجتماعية يضعف نفس المسلم، ويُبعده عن دينه، ويضعف خُلُقه، ويجعله أهلاً للذلة والاستكانة، والمؤمن محكوم

له بالعزة من اللَّه ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

أولئك الذين يحاولون إبعاد الدين عن الحياة الاجتماعية، ويحاولون إخفاء شعائره ومظاهره هم في الواقع أعداء للإسلام، لكن هؤلاء الأعداء مهرة في الدعوة إلى دينهم كما أنهم مهرة في السياسة ظلوا خلف الستر وقدّموا تلاميذهم من المسلمين، وفتلوا لهم في الذروة والغارب واستعانوا بإبليس وجنده، وسوسوا لهم ونفخوا في خياشيمهم وقالوا لهم: هل ندلكم على شجرة الخلد ومُلك لا يبلي، كونوا أبطال المدنية وقادة الإصلاح في الأمم، لكن ذلك لا يكون إلا إذا جاهرتم بأن الدين غير صالح للمدنية، وأن نظمه بعيدة عن الإصلاح الاجتماعي، وأن الأمم المتمدينة لا تحترم من يستمسك بالدين فجاهَرُوا بهذا دون استحياء، وما أولئك المساكين إلا مطايا ذُلّلتْ وسُخِّرت ورُوِّضت، وما أصواتهم إلا صدى لمعلّميهم ومروّضيهم وفاتنيهم. هؤلاء إما غير مسلم يدعو إلى دينه عن طريق الخديعة والمكر أو مسلم مرتد أو ملحد، واللَّه لا يرضى عن هؤلاء جميعهم، فإما أن تُرْضوهم وتُغضبوا اللَّه وإما أن تُغضبوهم وتُرضوا اللَّه»، ثم قال فضيلته: «أيها المسلمون كونوا كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. ولا تخشواْ أحداً في إظهار شعائر الإسلام والانتصار للإسلام فاللَّه هو الأحق بالخشية وحده، والمسلم المتعصب لدينه مفيد للجماعة الإنسانية بخُلُقه وقوة إيمانه وهو سلم لإخوانه في الوطن، ولكل من له معهم عهد، فهو محرم عليه أن يعتدي على هؤلاء في أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، لكنه مع هذا شديد الاحتفاظ بقوميته وعزته وحقوقه يأبى الضيم ولا يطيق الذل» اهـ. هذا صوت الأزهر صدر منه ودوّى في جنبات العالم صريحًا فصيحًا»[1].

(١) «صيحة الحق» ص(١١ ـ ٢٧).

*** «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين» قول يتجاهل حقيقة الإسلام:**

لما نظرت جريدة «الأخبار أول مارس ١٩٧٩م في مطلعها العنوان الكبير (الرئيس السادات يتحدث إلى أساتذة جامعة الإسكندرية - «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين» ردّ عليه الشيخ محمود عبدالوهاب فايد في مجلة الاعتصام ربيع الآخر ١٣٩٩، ونشره في كتابه «صيحة الحق» ص(٣٤ - ٥٠).

□ وقال فيما قال: «والآن نبدأ فيما أردنا الحديث فيه... قال رئيس الجمهورية: «لا دين في السياسة» ما معنى هذا؟ لقد حاولت أن أفهم هذه العبارة فاستعصى عليّ الفهم - هل يريد رئيس المجهورية - أن السياسة التي يريد أن ينتهجها سياسة بعيدة عن الدين لا شأن لها به، ولا ارتباط لها بتعاليمه وتتنافى معه... يعني سياسة لا دينية... إن كان يريد هذا فأنا أختلف معه كل الاختلاف... إن السياسة الصحيحة الناجحة لا تكون بمعزل عن القيم والأخلاق، والقيم والأخلاق أصلهما ومنبعهما من الدين.

قال رئيس الجمهورية: «لا سياسة في الدين».

أي دين يعنيه رئيس الجمهورية؟ إن كان يريد المسيحية فهذا صحيح... ولكن بالنسبة للديانة الإسلامية فإن الأمر يختلف كل الاختلاف... بل المسلمون جميعًا وعلى رأسهم علماؤهم قديمًا وحديثًا يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة، هداية وسياسة، عقيدة وحكم، عبادة ومعاملة، تهذيب وأخلاق، قيم روحية وإنسانية ودولية، آمن بهذا المسلمون واستقر في أذهانهم، لم يجهله أحد من العوام، بل اعترف به خصوم الإسلام...»[1].

* * *

---

(١) «صيحة الحق» ص(٣٤ - ٥٠).

*** لا... للحزب اليساري: هذا هو واجب العلماء في توجيه النصح للحكام:**

لما قال السادات في افتتاح مجلس الشعب يوم ١٩ من ذي القعدة سنة ١٣٩٦ الموافق ١١ من نوفمبر سنة ١٩٧٦م: «استئنافًا للمسيرة التي عاهدت اللَّه والشعب عليها نحو الديمقراطية السليمة فقد اتخذت قرارًا... هذا القرار هو أن تتحول التنظيمات السياسية الثلاثة ابتداءً من اليوم إلى أحزاب» أي حزب يمين، وحزب يسار ماركسي، وحزب وسط... ونشر هذا في أهرام الجمعة ١٢/١١/١٩٧٦م صفحة ٢ عمود ٨ وصفحة ٩ عمود ١، ٥.

وقال أيضًا: لا تقوم الأحزاب على أسس دينية.

وقال: «إن الصراع بين الأحزاب أمر طبيعي ومن حق كل حزب أن يمارس حركته لكي يصل يومًا إلى تسلم الحكم».

وردّ عليه الشيخ محمود فايد في مقال جريء نشر في الاعتصام محرم ١٣٩٧ فقال: «**﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [أبراهيم: ٥٢].

ليس هناك أحد من الناس يتعالى على النصح أو يستغني عنه... وفي القرآن يقول اللَّه تعالى لداود وهو نبي معصوم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾** [ص: ٢٦].

ورسولنا العظيم ﷺ على الرغم مما ميّزه اللَّه به من نبوة، وما امتنّ به عليه من مواهب كان يشجع أصحابه على نصحه... ويوم وقف عمر رضي الله عنه مهدئًا اليهودي الذي طالب النبي ﷺ بدَيْن له مغلظًا في طلبه صرخ النبي ﷺ في وجهه وقال: «**أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج... يا عمر**

تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي».

وهكذا أكّد النبي ﷺ بالقول والفعل رغبته في النصح وأظهر حرصه عليه، وأبدى استعداده لتقبّله، ولو ساقه إليه أحد أتباعه الذين اهتدوا من قبل على يديه.

□ والترابط بين الحاكم والمحكوم يوجب التناصح بينهما ليقوم الارتباط على أساس متين، وعلى دعائم من الإخلاص والوفاء والعدل والحق والخير والصفاء فيتولد الحب وينمو ويرسخ ويقوى.

وإذا كان اللَّه تعالى قد أوجب على الحاكم أن يعمل لصالح رعيته ويحفظها ويحميها فقد أوجب أيضًا على العالم أن يعمل للحفاظ على الحاكم والمحكوم معًا.

وليس هناك أخون من عالم أكرمه اللَّه بالعلم وفقّهه في الدين، ويرى أمته تتعرّض للخطر فلا يحاول دفعه، ويجاري هوى الحاكم ولا ينصح له، ويُقرّه على الخطأ تزلّفًا وتقربًا ويغلو في مدحه رغبًا ورهبًا، لقد أوجب اللَّه على العلماء أن ينصحوا، لا أن يمدحوا، وأن الواجب على العالم أن يقوم بمهمة النصح ابتغاء مرضات اللَّه، وحرصًا على الصالح العام، فإن هو سكت وأخفى ما يعتقد أنه في صالح الدولة والأمة إيثارًا للعافية أو رغبة في مغنم، إنْ سلك هذا المسلك كان آثمًا في حق نفسه ووطنه وأمته، واستحق غضب اللَّه والناس أجمعين.

□ إن التقاعس عن نصح الحُكّام إعلانًا عن فرط الثقة فيهم، أو طمعًا في إنعامهم، أو خوفًا من انتقامهم، يؤدي بالأمة والوطن إلى الهلاك وسوء المصير، وقد رأينا بأعيننا نتيجه ذلك في مصر من عهد ليس ببعيد.

□ رفض جمال عبدالناصر أن يناقش أو يراجع باسم الدين، ووضع المتحمِّسين للإسلام في السجون والمعتقلات، وأذاقهم ألوان البلاء وصنوف

العذاب.. ثم أعلن على الملأ استخفافه بعلماء الدين وعمائمهم فأرهبهم وأرهب الناصحين ونتيجة لذلك بدأ نجمه في الأفول وحظه في الذبول، وكان جزاؤه من اللَّه جزاء من حرم الأمة أمنها ورخاءها.

واستمر في خطته، وأرهب الذين من حوله، فكان يتخذ القرار صوابًا أو خطأً فيعرضه عليهم فلا يسمع منهم إلا الثناء العاطر والتأييد الحار ثم يذهب مختالاً إلى مجلس الأمة ليشنف سمعه بألحانه الموسيقية تصفيقًا وهتافًا، وليمتع طرفه بمشاهدة المتمايلين المعجبين حتى في أحلك الظروف رقصًا وطربًا، وكان من جرّاء ذلك أن ازدادت الأحوال سوءًا واستولت إسرائيل على جزء من أرض مصر وتركت له الباقي يحكمه مَهُدّدًا حيران يشاركه في حكمه الروس. ومن عجب أن تحتل إسرائيل في عهده وعمرها مماثل لعمر الثورة أضعاف مساحتها من أرض مصر فضلاً عما التهمته من أراضي العرب المجاورة، وأن تغنم آنئذ أعظم غُنم في أقصر وقت وبأقل ثمن في حين أن تعداد اليهود كلهم في إسرائيل لا يبلغ نصف تعداد القاهرة وحدها.

وانتهى عبدالناصر ولقي ربه.. ولكن بعد أن تسلّم اليهود منه أرض مصر وسلاحها ووصلوا إلى القناة.

انتهى عبدالناصر ولقي ربه، ولكن بعد أن أغرق بلاده في الديون، وتجرّع كئوس الذل من اليهود ومن الروس معًا، وبعد أن ترك لمن يتولى بعده تركة عفنة منتنة في كل المرافق والمجالات»[1] .

❑ وقال أيضًا في هذه المقالة:

«أقول ما معنى تحويل التنظيمات إلى أحزاب، وألاّ تقوم الأحزاب على

---

(١) «صيحة الحق» ص(٥١ ـ ٥٣).

أُسس دينية ـ هل معناه أن الأحزاب الثلاثة المصرح بها أحزاب لا دينية، إذن فمن الواجب على فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود، وفضيلة وزير الأزهر الشيخ محمد متولي الشعراوي وأعضاء مجمع البحوث، ومدير الوعظ ورجاله أن يدرسوا هذه الحقيقة ويتباحثوا هذا الوضع الجديد ويُبصّروا الأمة بما يمكن أن ينتج عنه بالنسبة لدينها الرسمي المعتمد في الدستور، وإذا كان الشيوعيون يجتمعون ويتدارسون، ويكتبون في الصحف، ويقابلون المسئولين لبيان وجهات نظرهم فأولى بذلك علماء الإسلام الذين ائتمنهم اللَّه على دينه قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٧].

وإذا كان حزب الوسط الحاكم لا يقوم على أساس ديني، فما معنى حديث رجاله عن الدين أيام المعارك الانتخابية؟

هل معنى هذا أنهم يريدون أن تستروح الأمة نسيم الدين من النافذة لا أن يكون أساسًا يُبنى عليه المجتمع، فإذا أحسّ الحكام من الحزب بأن النسيم قد يتحول إلى عاصفة يُخشى على أشخاصهم منها بادروا بإغلاق النافذة، ومنعوا هذا التيار حفاظًا على أنفسهم وعلى صحتهم فهم يفتحون النافذة ويغلقونها حسب الظروف والأهواء.

□ إن الجو الإسلامي ـ وأقولها في أسًى ومرارة ـ لم تستمتع به الأمة استمتاعًا صحيحًا كاملاً حتى الآن، ولو استمتعت به لوجدت من يُحاسب المسئولين على كل صغيرة وكبيرة كما يقضي بذلك الإسلام، ولو أن الحكّام تربّى عندهم هذا الشعور، الشعور بمحاسبة المحكومين لهم لامتنعوا عن الإقدام على أية خطوة يفاجئون بها الأمة وتعرضها لكارثة يصعب تداركها. لقد نُكبت مصر بالانحلال والاحتلال وبديون باهظة جلبت لها الذل والعار والهوان يوم غابت عنها روح الإسلام، هذه الروح التي جعلت واحدًا من

الرعية يقول لحاكم المسلمين عمر الذي هابه العالم والذي حكم مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام بكل ما فيها من دول يقول مُقاطعًا له وهو يخطب، مُحاسبًا له على ثوب رآه عليه: «من أين لك هذا الثوب؟»،

لا أدري ونحن نُعبِّد الطريق لحزب اليسار الماركسي، ونضع أمامه سُلّم الحكم ليصعد عليه درجة درجة، لا أدري هل ذلك عن اقتناع منا بأن تسهيل ارتداد العدو عن أرضنا مرهون بتسهيل ارتدادنا عن ديننا؟ هل ذلك عن اقتناع منا بأن تيسير طرق التخلص من ديوننا مرهون بتيسير طرق التخلص من ديننا؟!

□ والتصريح بقيام حزب يساري ماركسي ملحد يقوم بنشاط وصراع ليصل إلى الحكم متجاهلاً دين اللَّه بل معلنًا عليه حربه منكرٌ كبير، وشر مستطير يجب التحرر منه والنهي عنه؛ لأنه يحاد اللَّه ورسوله، ويؤدي إلى انقسام الأمة وإشعال نار الفتنة، ويُعرّض المسلمين لأن تُستباح دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، وتستحل حرماتهم، وتُهان مقدساتهم، ويفتنوا في دينهم، ولنا في البلاد التي ابتليت بالماركسية وما حلّ بها من بلاء، وما أصابها على يدها من شقاء عظة مؤثرة، وعبرة بالغة.

انقض الماركسيون على المسلمين فجأة، ونكّلوا بهم وأجاعوهم وشرّدوهم، وأراقوا دماءهم، واستباحوا أعراضهم، ونهبوا ديارهم وأموالهم، وخرّبوا مساجدهم، ونشروا بينهم الإلحاد والفساد، وضيّقوا عليهم حتى كادوا ينقرضون.

تم هذا في القرم والتركستان، ثم كاد يتحقق ـ لولا لطف اللَّه في أندونيسيا والسودان، وأُبرم حبله، وأُحكمت عقدته، واستحكم خطره في عدن وفي الصومال.

هذه بعض نتائج الحكم الشيوعي، آثار مجرمة، وأعمال محرّمة، فهو

شرٌّ يؤدي إلى شر، وهو حرام وذريعة إلى الحرام.. حرام ظهارة وبطانة، سدى ولحمة، وسيلة وغاية، وما كان كذلك فإقراره حرام، ومهادنته حرام. والتصريح به حرام وأشد حرمة، والسكوت على المنكر منكر فكيف بإباحته؟ إنني أسأل الذين يصرّحون به أهو خيرٌ فنقرّه أم شرٌّ فننكره؟!»[١].

❑ وقال أيضًا: «يا سيادة الرئيس: في دولة العلم والإيمان أُبيح للماركسية أن تخترق الحجاب وتقتحم الأبواب وواجب الحاكم المسلم صيانة عقائد المسلمين حتى لا تكون فتنة في الأرض.

وأُعيذ باللَّه رئيس الجمهورية أن يفتح علينا باب فتنة، وأن يرضى لأمتنا المسلمة أن تنقلب على أعقابها، وتنزل إلى الدرك الأسفل فتتلقى تعاليم ماركس بالترحاب وتزدري شريعة رب الأرباب قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢٢]»[٢].

❑ وقبل ذلك ينقل بالحرف ما جاء في تفسير ابن كثير عند قول اللَّه تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣].

---

(١) «صيحة الحق» ص(٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧).
(٢) المصدر السابق ص(٦٣، ٦٤).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٧٤) طبعة المنار، (٢/ ٦٧) طبعة الحلبي، (٣/ ٢٢) طبعة الشعب.

وكان الشيخ محمود فايد كما قال: «لقد وقفنا وحدنا ننكر آنئذ بكل قوة وحزم قيام حزب يساري في مصر بلد الإسلام والأزهر»[١] .

رسالة ودية لرئيس الجمهورية المصرية حول أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية

سيادة الرئيس، لقد أقسمت باللَّه العظيم عقب توليك على احترام الدستور وصيانته ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٢] [الواقعة: ٧٦]. وقد نصت مادته الثانية على أن الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وهذا يوجب عليك ألا تدخر وسعًا في سبيل تطبيق هذه المادة، وليس في الشريعة الإسلامية إلا ما يحقق الخير للراعي والرعية، وحسبنا أن نستمع إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يشمل كل الناس على اختلاف أديانهم بعدله، وحذر من أن يمسهم ظلم في ظله، ويقول في حزم وحسم **«دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ليس دونها حجاب»** أخرجه أحمد عن أنس «ترهيب» (٣/ ١٨٨).

سيادة الرئيس وفقك اللَّه حتى تبر بقسمك، وتكون بالالتزام والانضباط قدوة صالحة لشعبك، وأمدك بحاشية صالحة تذكرك إذا نسيت، وتعينك إذا ذكرت،

سيادة الرئيس، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته،

أما بعد،

لقد جربت مصر جميع الأدوية والقوانين المستوردة والمحلية البعيدة عن

---

(١) «صيحة الحق» ص(٨١).

(٢) غفر اللَّه للشيخ.. القسم باللَّه عظيم أي عظيم ولكن على ماذا القسم.. نحافظ على ما يوافق ديننا.. وما يخالفه فيه ننبذه ولا نقبله.

شرع اللَّه، فما ازدادت إلا ضعفًا وهوانًا، فلم يعد جسمها العليل قادرًا على أن يتحمل مزيدًا من العلل والانتكاسات، وقد عبرت الأمة منذ وقت طويل وفي كل فرصة سنحت لها عن رغبتها في استعمال العلاج الرباني، والقانون الإلهي الذي يحميها من الانحراف والفساد والرذيلة، ويضمن لها الحرية والكرامة، والعزة والقوة، والسلام والأمان، والعدل والمساواة، والرخاء والاستقرار، والخير والفضيلة والتماسك والحب والألفة.

وكثيرًا ما استنجدت الأمة بالأزهر وإمامه الأكبر، وللذكرى نسوق بعض ما نشر في صحفنا عندما ألفت لجنة لإصدار دستور جديد سنة ١٩٧١م.

بعثت الأمة بوابل من البرقيات إلى شيخ الأزهر تستنجد به، ونكتفي بتسجيل هذه البرقية التي بعث بها فضيلته إلى رئيس لجنة الدستور. فهي غنية عن التعليق، ونصها بالحرف الواحد كما نشر في جميع الصحف يوم ٩ ربيع الآخر ١٣٩١هـ - ٢ يونيه ١٩٧١م:

«باسم الإسلام الذي جاء بأحكم دستور حقق عزة العرب ومجد الإنسانية، وباسم الشعب الذي أمطرنا وابلاً من البرقيات والخطابات يعبر عن رغبته الأكيدة المنبعثة من تدين المصريين منذ أقدم العصور، وباسمي، واسم جميع العلماء والعاملين بالأزهر الذين حفظوا تراث الإسلام ونشروا هدايته، باسم هؤلاء جميعًا نرجو ملحين في الرجاء أن ينص في الدستور على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام الذي وسع الناس جميعًا بعدله وإنصافه وسماحته، وأن تستمد منه القوانين والتشريعات التي تنظم حياتنا».

نعم، لقد أبدت الأمة رغبتها صريحة مدوية في أن تصبغ حياتها، وتصاغ قوانينها بالصبغة والصياغة الإسلامية، وعادت الحكومة إلى الشعب من جديد تتعرف على رغبته فأكد لها الشعب بالإجماع حرصه على أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي لجميع القوانين، وأذعنت الحكومة

لرأي الشعب فضمنت الدستور هذا النص، وألفت لجان متعددة لإعادة صوغ القوانين، وبادر الأزهر ـ آنئذ ـ بأداء واجبه، وقام بإنجازها، ثم حملها الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وذهب إلى مجلس الشعب، وقال كلمته المأثورة المشهورة:

«لقد انتقلت المسئولية من عنق الأزهر إلى عنق ممثلي الشعب».

ومن هذا اليوم نلحظ تراخيًا في إصدار هذه القوانين، وتأجيلاً للنظر فيها وإقرارها من أسبوع إلى أسبوع، ومن شهر إلى شهر، ومن عام إلى عام حتى انتهت الدورة والقوانين مدرجة في المكاتب لا تجد من يطلقها من الإسار، أو ينفض عنها الغبار ونسي هؤلاء أن اللَّه واحد قهار لا يفلت من قبضته معارض لشرعه، أو معوق[1] لتنفيذ حكمه، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء: ٥٩-٦٣].

---

(١) كان على رأس المعوّقين الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق.

* وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١].

❑ قال عميد كلية حقوق جامعة أثينا في مؤتمر الحقوقيين:

«إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ، إذ أنه استطاع رغم أميته أن يأتي للعالم بتشريع سنكون نحن الغربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة».

❑ وقال أدموند يورك:

«القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقي وأعظم قضاء علمي وأعظم تشريع عادل لم يسبق قط للعالم إيجاد مثيله».

هذه شهادات تشهد بفضل الشريعة الإسلامية، وتنوه بأثرها البليغ في إصلاح الأمة والدولة.

شهد الأنام بفضلها حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

يا سيادة الرئيس،

هل يجوز بعد هذا أن نعارض اللَّه، ونتراخى في تنفيذ شرعه، أو نعمل على تعطيل أحكامه، أو نؤثر حكم الإنسان على حكم الرحمن؟!

هل يجوز بعد هذا أن نعارض الأمة التي طالبت ولا تزال تطالب بأن نعود إلى شرع اللَّه عسى أن ننال رضاه، ويرفع عنا الضر، ويكشف عنا

الغمة. . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤ - ٢٧].

☐ يا سيادة الرئيس:

أنقل لك، وأضع تحت بصرك، وتحت بصر كل مسلم هذا النص من تفسير الإمام الحافظ بن كثير المتوفى عام ٧٧٤هـ عند قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

☐ قال - رحمه اللَّه - ما نصه في ص(١٣٧) ج(٣) طبعة المنار، ص(٦٧) ج(٢) طبعة الحلبي، ص(١٢٢) ج(٣) طبعة الشعب:

«ينكر تعالى على من خرج عن حكم اللَّه المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللَّه، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن مليكهم جنكيز خان الذي وضع لهم «الياسق» وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية. .

وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم اللَّه ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير».

قرأ هذا شبابنا فتأثروا به، ولا عجب فكلام ابن كثير ناصع الدلالة، قوي التأثير يصرخ في وجوه المؤمنين يحضهم على نبذ كل قانون يخالف قانون اللَّه، ويحضهم على حمايته بكل ما أوتوا من قوة.

سيادة الرئيس،

من قلب مخلص مشفق أكتب إليك هذا الخطاب، سائلاً اللَّه تعالى أن يوفقك ويحفظك ويرعاك، ويدفعني إلى كتابته:

أولاً: أن نتحاشي أسباب اللعنة وما يسخط اللَّه قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٩].

* وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٤].

● وقال ﷺ: «**من التمس رضا اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس**» رواه ابن حبان.

ثانيًا: أن ننأى عن أسباب الخسران.. قال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

ثالثًا: أن نتقي أسباب الهلاك التي دلت عليها هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

● وعن أبي سعيد قال ﷺ: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه**»، قالوا: يا رسول اللَّه، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمرًا للَّه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول اللَّه عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى**» أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٢٨).

● وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فإنه لا يقرب من أجل أو يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم**» أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٠)، »[1].

* للَّه درك من عالم رباني، آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر صادع بالحق:

□ من أقوال الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ رحمه اللَّه ـ:

«نحن علماء الأزهر، ونحن الشيوخ الذين آذنت شمسنا بالمغيب أولى من الشباب بأن نستمسك بديننا، وندعو إلى العمل به، والتحاكم إليه، والتضحية من أجله.

(١) «صيحة الحق» ص(١١٨ ـ ١٢٦).

إنه ليس بمعقول ولا مقبول أن تقتصر مهمة الأزهر والمتخرّجين منه والمتصدرين فيه اليوم على وعظ المساجين دون السجّانين، وعلى وعظ المحكومين دون الحاكمين»(١) .

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن كل مسلم مسئول عن تطبيق شريعة الإسلام، مسئول عن تطبيقها على نفسه وعلى أسرته بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

❑ ومسئول عن تطبيقها في مجتمعه وأمته بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

● ومسئولية الحاكم أقوى وأشمل قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها**» أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر.

وقال عثمان ﷺ: «إن اللَّه ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن»، المسئوليات متعددة ومتفاوتة، والإسلام لا يرضى من المسلم بأن يكون صالحًا فقط، بل يطلب منه أن يكون صالحًا ومصلحًا، وبالصلاح والإصلاح ينجو من الخسران قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

(١) المصدر السابق ص(١٢٨).

[المائدة: ١٠٥]. فما نفى اللّه الضرر إلا عند تحقق الاهتداء، والاهتداء لايتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، على ضوء هذا نقول: إن المحكوم مسئول عن الحاكم والحاكم مسئول عن المحكوم، وقد فهم هذا أبو بكر ﷺ، فقد قال في أول خطبة له بعد أن تولى أمور المسلمين: «يا أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني، الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أطعت اللّه ورسوله فإذا عصيت اللّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

هذه الأسس التي نبّه إليها أبو بكر الصديق ﷺ ينبني عليها صلاح الأمة، وصلاح الدولة، إنها تدعو إلى اليقظة واليقظة البالغة، يقظة الحاكم ويقظة المحكوم، كل منهما يراقب الآخر وينبهه إلى خطئه، ويدله على انحرافه، ويأخذ بيده إلى الطريق القويم، وحينئذ تعيش الأمة في نعيم وأمان، وتبقى الدولة في استقرار وسلام»[1] .

□ وقال ـ رحمه اللّه ـ صادعًا بالحق ـ وهو أستاذ الحديث وله العلم الجم بالجرح والتعديل:ـ

«في عهد الرئيس جمال لم يأمن رجل شريف على نفسه أو ماله أو عرضه، فقد أطلق يده يتصرف كما يشاء، وفتح أبواب السجون المظلمة يعذب فيها الأبرياء، وينتهك أعراض النساء، وارتكب من المخازي ما يخجل منه الشيطان كما يقول بعض الكتّاب الفضلاء، ولم ينج منه رئيس أو مرءوس، لم ينج منه اللواء محمد نجيب الذي فجرّ الثورة، بل لقي منه هوانًا، وتجرّع من كئوس الذل ألوانًا.

---

(١) «صيحة الحق» ص(١٤١، ١٤٢).

مات جمال بعد أن أرهب الشرفاء، وأطلق يد المفسدين تعذب الأبرياء، وبعد أن اقترفت يده الآثمة مذبحة القضاء، وبعد أن سلّم أرض مصر لليهود والروس المفسدين الأخسّاء، وبعد أن بدّد مال الدولة وأرهقها بالديون الباهظة وقد كانت قبل الثورة تدين إنجلترا بنحو أربعمائة مليون جنيه إسترليني، لقد كانت لسياسته هذه عواقب وخيمة أثّرت على الجيل الذي وُلد بعد الثورة»[1].

☐ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «نرجع إلى التاريخ الإسلامي أيام طهره ونقائه، وتوهجه وصفائه لنسترشد به، ونستنير بضوئه:

جاءت عمر رضي الله عنه «برود» من اليمن ففرّقها على الناس بردًا بردًا ثم صعد المنبر وعليه حلة منها «أي بردان» فقال: اسمعوا رحمكم اللَّه، فقام إليه سلمان رضي الله عنه فقال: «واللَّه لا نسمع، واللَّه لا نسمع، فقال: ولم يا أبا عبداللَّه؟ فقال: يا عمر، تفضّلت علينا بالدنيا، فرّقت علينا بردًا بردًا، وخرجت تخطب في حلة منها. فقال: أين عبداللَّه بن عمر؟ فقال: ها أنا يا أمير المؤمنين. قال: لِمَن أحد هذين البردين اللذيْن عليّ؟ قال: لي، فقال لسلمان: عجلت عليّ يا أبا عبداللَّه، إني كنت غسلت ثوبي الخَلِق، فاستعرت ثوب عبداللَّه، قال سلمان: أمّا الآن فقل نسمع ونُطيع، «الرياض النضرة» (٢/ ٧٤)، وابن الجوزي بنحوه ص(١٢٧)»[2].

* للّه درك ما أجرأك من ليث:

☐ قال ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «صيحة الحق» ص(١٥٢، ١٥٣):

«نسأل الذين كُتِب لهم التصرف في أموال الدولة كيف ساغ لكم أن تحرموا أسرة الرئيس محمد نجيب من الخزانة التي تغرفون منها بلا حساب

(١) «صيحة الحق» ص(١٤٤).

(٢) «صيحة الحق» ص(١٥٠).

لأسرة الرئيس جمال والرئيس السادات، أهو الحكم بالهوى؟ أم هو الرغبة في إرضاء شيعة الرئيسين؟!! إن أسرة جمال عبدالناصر لديها من الأموال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، وسلوا الصحف الأجنبية عن ثروة منى عبدالناصر وأشرف مروان، وكلاهما كان من أفقر عباد اللَّه فهبطت عليهما الثروة فجأة، سلوا جريدة (الفاينانشيال تايمز) وقد نقلته عنها جريدة الوفد يوم ٢٥/١٢/١٤٠٤هـ ـ ٢ سبتمبر ١٩٨٤ بالصفحة الأولى والعاشرة.

وأسرة السادات يحدثكم عنها عصمت السادات، ورشاد عثمان وقضاياهما محفوظة لكل إنسان، وجارية على كل لسان.

فكيف ساغ لكم يا حكام مصر الحكماء والعقلاء أن تفيضوا على الأغنياء وتحرموا الفقراء؟! وكيف ساغ لكم يا سادة أن تعطوا الأسرتين قصوراً وأموالاً تساوي مليارات من خزانة شعب فقير مدين لدول أجنبية بما يساوي قرابة سبعة عشر مليار دولار طبقًا لتصريحاتكم، ومن فمكم ندينكم.

إن هذه الديون بفوائدها تكبِّل الشعب، وتسمح للدائنين بأن يضيِّقوا عليه الخناق، فلا يجد في المستقبل ما يعينه على ضرورات الحياة، وكفى أن الشعب كله يقف طوابير أمام المخابز والجمعيات الاستهلاكية، فهل يجوز لكم أيها العقلاء الحكماء أن تستقطعوا من خزانة هذا الشعب المطحون بما تضيفونه إلى ثروة آل فاروق؟!! لا أقول غفر اللَّه لكم، فإن اللَّه لا يغفر لمن يظلمون الناس حتى يردوا إليهم ظلامتهم، ولكني أقول: عاملكم اللَّه بمثل ما تُعاملون به شعبكم، وعاملكم اللَّه بما أنتم أهل له» اهـ.

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ ص(١٥٤) في كتابه «صيحة الحق»:ـ

«إن الذين يرفضون الإسلام يرفضونه لأنه دين لا يلهي المحكومين ولا يخدّرهم، بل يفتح عيونهم، ويبصرهم بحقوقهم، ويشجعهم على المطالبة بها، ومساءلة الحكام عنها.

إن الذين يرفضون الإسلام يرفضونه؛ لأنه يجعل الحاكم والمحكومين على سواء أمام قانون السماء، ظهره كظهورهم، وماله كأموالهم، وعرضه كأعراضهم، لا فرق بينه وبينهم، وهم يريدون أن يتحكّموا في الناس وأقدارهم وأموالهم دون سؤال أو عقاب».

*** يا سيادة الريس: بحكم منصبك فإني أذكرك والذكرى تنفع المؤمنين:**

كتب الشيخ محمود عبدالوهاب فايد هذه الرسالة الودية إلى رئيس الجمهورية ونشرها في مجلة الاعتصام ربيع أول وربيع الثاني عام ١٤٠٧هـ وذكر فيها إلحاح الأمة في المطالبة بتطبيق شرع اللَّه، ورغبتها الخالصة الصادقة في إصدار القوانين التي تم إعدادها بشهادة شيخ الأزهر ـ نزولاً على حكم اللَّه.

□ يقول الشيخ: «ثم حذرت المسئولين من تجاهل شريعة اللَّه، وإهمال وصايا رسول اللَّه، والاستجابة لنصيحة أمريكية، أو صليبية، أو علمانية، أو شيوعية فتصيبنا فتنة، ونبتلى في حياتنا وأرزاقنا ومعايشنا ومصائرنا، وذكرتهم بقول اللَّه سبحانه: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣]، وبقوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه: ١٢٤]. وقد مرّ عام ولم يبد من ولاة الأمور أي تحرّك جدّي في سبيل مرضاة اللَّه، وتحقيق رغبة الشعب، وتطبيق نصّ الدستور فماذا جرّ ذلك علينا؟!!!

نتيجة لهذا الموقف وقعت الواقعة، وتحقق ما حذّرنا اللَّه منه ـ تأديبًا لنا، وعقابًا على إهمالنا فهل من معتبر.

نعم لقد أطلّت المحن والفتن بعنقها، غلاء فاحش يقصم الظهور، وأزمة طاحنة تطوّق أعناق الأمة تزداد يومًا بعد يوم، تنذر بسوء المصير لأجيالنا، بل

وللأجيال القادمة من بعدنا»[١] .

☐ وقال الشيخ: «أيُلامُ الشاب وهو يريد أن يعيش عيشة الطهر والعفاف في ظلال شريعة اللَّه آمنًا على نفسه وعرضه وماله؟

أيُلام الشاب وهو يرى نيران الشرور تشتعل وتشتد وتنتقل من بيت إلى بيت فيطلب من الحكومة أن تحميه وتحمي المجتمع فتسارع إلى إطفاء جذوة الفساد حذرًا من أن تدمّر البلاد والعباد؟!.

إن الشباب اليوم يشاهد مظاهر الاستهتار بالدين، ومظاهر الاستهتار بنزاهة الحُكم، يشاهد الذين يُعارضون أحكام اللَّه ويخرجون على تعاليمه، ويشاهد في حسرة بالغة مظاهر الاستبداد، والفساد، واستغلال النفوذ، وانتشار الرشوة والاختلاس والتهريب والمحاباة، يشاهد مظاهر الإسراف الحكومي التي تتجلى في مخصصات الحكام ومن ينتسبون إليهم أحياءً وأمواتًا، وتتجلى في النفقات الباهظة التي تُصرف في الحفلات داخل الدولة وخارجها وبدون ضرورة، في الوقت الذي ينام فيه كثير من الشعب في المقابر أو على الرصيف ويقفون طوابير في الشوارع ليحصلوا على الرغيف، وفي الوقت الذي تستدين فيه الدولة لتوفر لقمة العيش التي تمسك رمق الأمة، وفي الوقت نفسه تضع الأغلال في أعناقها وأيديها وأقدامها!!»[٢].

*** الشيخ محمود فايد يدخل عش الدبابير:**

وفي جرأة العالم الذي لا يخشى في اللَّه لومة لائم يقول الشيخ:

«إن قرار الاتهام الذي أذاعه النائب العام رسميًّا ضد كبار ضباط الشرطة ومساعديهم الذين اشتركوا في تعذيب المواطنين في السجون بعد

---

(١) «صيحة الحق» ص(١٥٩، ١٦٠).

(٢) «صيحة الحق» ص(١٦٥، ١٦٦).

القبض عليهم يشين الدولة، ويلطخ وجهها بالعار، ويسيء إلى سمعتها، ويوجب على أولي الأمر أن يسارعوا على الأقل بنقلهم إلى مواقع أخرى لا يكون لهم فيها شوكة ولا يُخشى منهم أذى.

□ إن المصريين الذين يعيشون في الخارج ستحمر وجوههم خجلاً ويتعيرون حينما يقرءون ويقرأ العالم عنهم وفي صحفهم قرار النائب العام الذي أعلنه يوم الخميس ١١ سبتمبر ونشرته الصحف يوم ١٢ سبتمبر ١٩٨٦ بإحالة ٤١ ضابطًا و٤ مساعدي شرطة للمحاكمة أمام محكمة الجنايات لمعاقبتهم بالأشغال الشاقة والسجن، وذلك لقيامهم بتعذيب متهمين من الجماعات الإسلامية تعذيبًا وحشيًّا ثبت بشهادة الشهود، وأكّدته تقارير الطب الشرعي.

هل بلغ الرئيس ما أذيع من انحراف بعض رجال حكومته كما بلغه ما وقع من انحراف من بعض أبناء أمته؟.

لقد أثبت قرار الاتهام أن بعض رجال الأمن في حكومته لا يؤمنون بحقوق الإنسان ولا بالمواثيق الدولية، ولا بالقوانين المحلية، ويعتبرون هذا منكرًا من القول وزُورًا، ويُحيّون المتهمين أو المشتبه فيهم بعصا في «الدبر» وضغط على «الخصيتين» وكيّ بالكهرباء، وتعليق من الأرجل، وضرب بالسياط، وقلع للأظافر، ونتف للشعر، واعتداءات عليهم أو على أهليهم بصورة فاضحة يستنكرها كل من لديه ذرة من شرف أو بقية من آدمية»[1].

□ ثم قال الشيخ: «التاريخ يذكرنا أن ما فعله جمال عبدالناصر من تعذيب للبرآء والتنكيل بالمواطنين واعتداء على آدمية الإنسان في مصر قد هيّأ الفرصة لإسرائيل أن تُعلن الحرب وأن تغتصب الأرض وأن تأسر الجيش وأن

(١) «صيحة الحق» ص(١٦٧، ١٦٨).

تغنم السلاح وأن تقيم أهرامات من جماجم المصريين في السابع والستين.

والتاريخ يؤكد أن جمال عبدالناصر نفذ المخطط الأمريكي في المنطقة بمناوأة الإسلام وضرب المسلمين ومحاربة الدعاة وتعامل مع الخطة الأمريكية المرسومة، القائمة على أن الصراع سيظل محتدمًا بين الحضارة الإسلامية، والحضارة المسيحية ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام.

هذا على الصعيد الأمريكي، أما على الصعيد الروسي فقد منحت روسيا جمال عبدالناصر أعظم وسام روسي، بعد أن احتفلت مصر بذكرى «لينين» على المستوى الرسمي والشعبي في الشهر الذي تحتفل فيه الدولة بالمولد النبوي الشريف الذي جعلته مصر عيدًا دينيًا رسميًا، ثم دفعت بعد ذلك بعملائها في كل المرافق، ينشرون الفساد والإلحاد!

إن هذا الأسلوب، أسلوب تعذيب السجناء والمعتقلين اتبع من قبل - حذو النعل بالنعل - في عهد عبدالناصر، فماذا كانت نتائجه؟ أنت أول من يعرف النتائج، ولكني أذكرك به - وعلى الرغم مني - فالذكرى تنفع المؤمنين.

في جريدة الجمهورية، وهي ليست من صحف المعارضة يوم الخميس ٢١/٨/١٩٨٦ صفحة ٩ العمود الأخير ما نصه:

«اعتقل عبدالناصر في ليلة واحدة ٣٠ ألف مواطن وأعلن ذلك أمام الجماهير، وصفق الحاضرون دون وعي، وقضى معظم المعتقلين ٥ سنوات أو أكثر بين جدران المعتقلات، وخرجوا جميعًا من المرضى والمشوهين نفسيًا وجسميًا، مع أن الجريمة كانت مجرد شبهة، بل امتد الأمر أكثر من ذلك، وأصبحت حربًا على الأديان، وصدرت التعليمات بعدم ترقية المسلم الذي يرتاد المساجد أو يحتفظ بمصحف في مكتبه!!».

وتقول إحدى محاكم الجنايات سنة ١٩٧٨م عن فترة حكم جمال

عبدالناصر بعد أن سردت جرائمه الفاضحة، ومآسيه المخزية المبكية:

«إنها أسوأ فترة شهدتها مصر في تاريخها القديم والحديث».

لقد وأد جمال عبدالناصر حرية الشعب وأضاع كرامته وشهامته ونخوته، وملأ القلوب بالذل والرعب بما نشره من جواسيس، وبما فتحه من سجون، وبما أقامه من مراكز تعذيب، فأصبح الوالد لا يثق في ولده، والزوج لا يثق في زوجته، والقريب لا يثق في قريبه، والصديق لا يثق في صديقه، واطمأنت إسرائيل بأن الشعب في حالة احتضار، ويتهيأ للموت فلا يرفع رأسًا، ولا تسمع له ركزًا ولا همسًا، فاغتنمت الفرصة، وشنت الحرب، واحتلت الأرض، وأسرت الجيش، وغنمت السلاح، وأقامت معارض من جماجم المصريين!!. كما جاء في الجمهورية بتاريخ ٢٦/٤/١٩٦٨.

وهكذا ضربت إسرائيل ضربتها، وأدركت بغيتها، واضطر الزعيم العسكري، والقائد الأعلى الحربي أن يطلب في تواضع ومهانة وبإلحاح من مجلس الأمن أن يوقف القتال بعد أن وصلت إسرائيل إلى قناة السويس في ستة أيام أو كما تقول في ست ساعات، واستجاب له مجلس الأمن فقرر وقف إطلاق النار، وتنفس الزعيم الصعداء، وزال عنه الكرب والعناء، ورقص بعض أشياعه طربًا لسلامته، وأعلنوا ابتهاجهم باستمرار سلطته، ولتذهب «سيناء» إلى إسرائيل، فما هي ـ كما يقول الصحفي حسنين هيكل ـ إلا حبات رمال، وليبق جمال متربعًا فوق جماجم الرجال فهو موضع الرجاء ومنتهى الآمال، ولا عجيب فبقاؤه بقاء لهم ـ وإن اكتوت مصر بنير الاحتلال ـ وزواله إيذان لهم بالضياع والزوال!!

لقد سلم جمال أرض الوطن، وسلم الجيش، وسلم السلاح لأعدائنا، وبقي ثمنه، وبقيت تكاليف شحنه دينًا في عنقنا، ولا نزال نعاني من وطأة

الديون التي فتحها علينا وجلبها إلينا، خصوصًا بعد أن باع رصيدنا من الذهب في حرب اليمن كما قال مدير مخابراته «صلاح نصر» في مذكراته، وهكذا أصبحنا مدينين في عهده بآلاف الملايين بعد أن كنا دائنين ـ قبل الثورة ـ لإنجلترا بنحو أربعمائة مليون جنيه إسترليني والمليون الآن بمائة مليون أو يزيد!!.

وهكذا انتهى بنا الحال في عهد الزعيم، فبعد أسبوع واحد من الحرب، وفجأة على حين غرة فقدنا أرض الوطن، وفقدنا الاستقلال، وفقدنا السلاح والرجال، وفقدنا الشرف والمال، وأصبحت مصر مهينة ذليلة، جزء من أرضها العزيزة تحتله إسرائيل، والباقي يتحكم فيه الروس بجيشهم وخبرائهم والديون تتراكم وتتفاقم، والأمة يمتطي الرئيس وأشياعه ظهرها، ويلتهمون خيرها، ويهددونها بزبانية السجون والمعتقلات.. حتى القضاة ـ وهو في أحط مواقف الضعف والهوان ـ تمتد يده الآثمة إليهم، ويفرط في العدوان عليهم، فصح فيه المثل «أسد عليَّ وفي الحروب نعامة»، ولكن لا عجب، فالشيء من معدنه لا يستغرب!!..

□ لقد مات الرجل بعد أن أضاع الاستقلال والمال والرجال، وجلب الاحتلال، احتلال أصغر دولة وأحقر دولة لأرضه.

□ مات بعد أن عطل القناة التي كان يتباهى بتأميمها، ومن عجب أن يأمر بتخريب مال الدولة فيأمر بتفجير أعظم باخرة تمتلكها في مياهها، باخرة مكة، وكانت معدة لأن تحمل ألفين وخمسمائة من الحجاج المصريين بأمتعتهم.

□ مات الرجل ولم يحرر من أرضه شبراً، بل لم يحرر ذرة.

□ مات الرجل وهو عسكري، فهزم في أخص خصائصه، وفيما هو أحق وأولى بمعرفته.

❑ مات الرجل الذي كان يصرخ في وجوه المصريين، بل في وجوه العرب قائلاً: خلقت فيكم العزة.

❑ مات الرجل وقد جلب لنفسه ولوطنه وللعرب ذلاً لم يسجله التاريخ لغيره من قبل!!

وهكذا تنتهي حياة كل من طغى وتجبر، وأخذه الغرور فنسي أن اللَّه أكبر.

لقد مات جمال ومصر ترسف في الأغلال، وتعاني من مذلة الاحتلال والانحلال والاختلال، ولم تستطع أن تتحرر إلا بعد رحيله، وبعد أن أطلق الحكام الحريات، وأخلوا المعتقلات، وبعد أن نشروا العدل والأمان، ورفعوا شعار العلم والإيمان، لم تتذوق مصر طعم النصر إلا بعد أن رجع الشعب وقادته إلى اللَّه، واهتدوا بهداه، وأنابوا إليه، وتوكلوا عليه، وبعد أن تعرضوا لنفحاته في رمضان، وبعد أن جعلوا كلمة السر هي (بدر) مستحضرين ذكرياتها، وما ورد في القرآن بشأنها، وبعد أن دوى صوتهم بالتكبير في أرض المعركة وسمائها، بعدئذ ذاقوا حلاوة النصر، وأيدهم اللَّه بروح من عنده.

* قال تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [آل عمران: ١٢٦].

* وقال تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

هذا ما قلته، وسأظل أقوله، ولم تجد مقالتي أذنًا صاغية، ولا قلوبًا واعية، فحكمنا جمال حسب هواه، وتجاهل وصايا اللَّه عز وجل، وانخدع

وخدعنا بمبادئ استوردها من الشرق أو من الغرب، ومنح الثقة بلا حدود لدول كبرى منّته، وغرته، وسار بنا حينًا في ركاب أمريكا واستجاب لتوجيهاتها في البعد عن الإسلام، والتنكيل بالمسلمين، وظل يصادقها حتى غدرت به، وبعدئذ تحول إلى روسيا، واستجاب لها أيضًا في مخاصمة الإسلام والمسلمين، وفي المولد النبوي حملته على أن يحتفل بذكرى (لينين) على المستوى الرسمي والشعبي، ومنحته على ذلك أعظم وسام روسي، وأخيرًا نصحته فخدعته وكبلته حتى يسرت لإسرائيل احتلال أرضه، وأسر رجاله، واغتنام سلاحه وماله ودفعت عملاءها ينشرون الإلحاد، ويعيثون في الأرض الفساد، ولولا لطف اللَّه لحكموا العباد والبلاد!!

لقد سار جمال عبدالناصر في ركاب أمريكا حينًا، وفي ركاب روسيا حينًا، وتجاهل الإسلام، ونكل بأبنائه، واستهزأ بعلمائه، وشغله هذا عن التفكير في مستقبل وطنه.

□ سيادة الرئيس: هذه دروس فيها عظة وعبرة، لقد نعمنا بالاستقلال فترة وجيزة من الوقت، وعلا صوتنا في زهو وكبرياء، وأمل العرب أن نقودهم إلى التحرير، ونخلصهم من براثن المستعمرين والصهيونية، ولكن إهمالنا لدين اللَّه، وتقاعسنا عن تنفيذ تعاليمه ووصاياه، والبطش بالمسلمين، والتنكيل بعباده المؤمنين، كل ذلك جلب للعباد والبلاد مقت اللَّه وغضبه، وسخطه وعقابه، فضاع منا في أيام، بل في ساعات كل ما كسبناه، بل مكن لأخس الأعداء من أرضنا وجيشنا وسلاحنا وأموالنا، ولا نزال نعالج آثار هذه المحنة، وحتى الآن لم نتخلص من عارها ولا من أخطارها.

يقولون في الأمثال «السعيد من وعظ بغيره»، فاتق اللَّه، وطبق تعاليمه وقوانينه ووصاياه، واحذر أن تستجيب لمن يشير عليك من المصريين أو غيرهم بأن تتبع سياسة جمال في البطش والقهر والتعذيب فتجلب لشعبك وبلدك

الذل والضياع كما جلب، وتستوجب غضب اللَّه كما استوجب، وتندم حيث لا ينفع الندم وتقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝٢٧ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

☐ سيادة الرئيس: اجعل حكمك يتسم بسمات الحرية في غير مأثم، والقوة في غير بطش، والأمان واليقظة في غير استرخاء، والعدالة في غير إرهاب!!، طبق تعاليم الإسلام السمحة تهتد بنور اللَّه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

☐ سيادة الرئيس: كن صلبًا في قرارك، وانظر إلى إسرائيل بجوارك، ولا تأمن فالدهر قُلبٌ والأيام دول قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

* وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

☐ سيادة الرئيس: «إن مصر - والحمد للَّه - بخير، وهي غنية بثرواتها المعدنية والبشرية، وغنية برجالها الأكفاء والأطهار الذين برزوا في كل مجال تحتاجه مصر، وعرفوا مع ذلك بالاستقامة والتدين والخلق الفاضل، وعمق الخبرة، وطهارة اليد، ونقاء السمعة، والتفاني في أداء الواجب والاهتمام بمصلحة الوطن والمواطنين، ولم ينقص من قدرهم أنهم لم يدخلوا حلبة السياسة ولم تشاهدهم الأعين في الساحة.

ألا ترى البحر يعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قعره الدرر

وأمثال هؤلاء لا يخفون على مثل رئيس الجمهورية، ولا يتخلفون عن خدمة الوطن إذا ما دعوا، فاستعن بهؤلاء في إنقاذ الوطن، ورفع شأنه، ورعاية مصالحه، وأطلق يدهم في إصلاح الأوضاع المتردية، ومعالجة شئون الوطن المتهاوية، وفي الأصحاء ما يغني عن المرضى، وفي الأقوياء ما يغني عن الضعفاء، وفي الأطهار ما يغني عمن بدت منه الروائح التي تزكم الأنوف!!.

❑ سيادة الرئيس: ملاحظة عابرة أسوقها إليك، ومعذرة، فقد تعودت الصراحة مع كل الذين سبقوك ممن تولوا على أرض مصر ملوكًا أو رؤساء، وقد عشت طول حياتي وفيًّا لديني ولوطني ولولاة الأمور أخلص في النصح، وأعشق الحرية، قانعًا بفضل اللَّه عليَّ، أعز نفسي، ولا أحني رأسي، أقول كل ما أضمره، وأظهره ولا أستره.

❑ سيادة الرئيس: لقد قلت هذا العام في ذكرى ٢٣ يولية «سوف يسجل التاريخ أحداثه الجسام بمداد لا يفنى، ويحمي حقائقه من حملات التزييف والتشويه والافتراء» هذا قولك، وهو قول حق وصدق، لكنك قلت في نفس الخطاب: «كانت ثورة الثالث والعشرين من يولية عام ١٩٥٢م بقيادة وزعامة جمال عبد الناصر» وقلت أيضًا: «قامت جمهورية مصر وعلى رأسها مصري من صميم تراب هذا الوطن جمال عبدالناصر» لا أدري كيف يصح هذا، والمعروف والثابت واقعيًا وتشهد به الأمة والعالم كله أن الذي قاد الثورة، وأعلن عن اسمه من أول لحظة، وعرض روحه للخطر هو «اللواء محمد نجيب» وهو أول رئيس للجمهورية، وقد بايعه جمال عبدالناصر، وأخذ له البيعة من الشعب، وبايعه المصريون جميعًا في المساجد، أما جمال فقد اغتصبها من نجيب، ولم يتلق البيعة من أحد، ولهذا لم يبارك اللَّه في رياسته، وانتهت إلى ما انتهت إليه من احتلال وانحلال، وفقدان الأرض

والجيش والسلاح والمال،

□ سيادة الرئيس: أليس من حق نجيب وفاء له ـ والوفاء من شيم الكرام ـ أن نذكره بالخير، وندعو له بالرحمة على ما قدم لوطنه وشعبه، وعلى ما تحمل من غدر وهوان من صحبه في بلده، ودعك من أبنائه فلا أحب لهم إلا أن يعيشوا كما عاش أبوهم في شظف من العيش يتنازل عن جزء من مرتبه دون أن تمتد يده بحق أو بغير حق إلى خزانة الدولة في حياة أو ممات، وختامًا أسأل اللَّه لك يا سيادة الرئيس أن يقويك بالحق، ويقوي الحق بك، ويجعل عهدك بالصلاح والعدل والرخاء زاخرًا، وبالسعادة والحرية والقوة زاهرًا، ويجعل وطنك بتطبيق شريعة اللَّه عامرًا والسلام عليكم ورحمة اللَّه»[1].

رسالة ودّية إلى رئيس الجمهورية: «لا يجوز لمصر الإسلامية أن تقيم تماثيل لحكّامها السابقين خصوصًا إذا كانت مُكبّلة بالديون»[2]:

لقد جاء في رسالة الشيخ الرباني القوّال بالحق:

إني عشت طول حياتي وفي كل العهود لا أطوي صدري على غش، أمقت الخيانة فلا أرضى أن أخون أحدًا من الناس، حاكمًا أو محكومًا، كبيرًا أو صغيرًا، وكتمان النصح لمن يوشك أن يقع في خطأ أو خطيئة مع العلم بذلك خيانة للنفس، وخيانة للغير، ونعوذ باللَّه من الخيانة، فإنها مغضبة للرب، مهلكة للعبد، مضيعة للأمة والدولة.

□ سيادة الرئيس: أكتب هذه الرسالة إليك بسبب ما اقترحته من إقامة تمثالين، أحدهما لجمال عبدالناصر، والآخر لأنور السادات، ودعوتك إلى

(١) «صيحة الحق» ص(١٧١، ١٧٨).

(٢) نُشرت بالاعتصام ربيع الآخر ١٤٠٩هـ ـ وأوردها الشيخ بتمامها في كتابه «صيحة الحق» ص(١٩٥ ـ ٢٠٥).

التبرع وإسهامك شخصيًا بألف جنيه لتنفيذ هذا الاقتراح كما نشرت صحيفة الأخبار في الصفحة الأولى العمود الأخير يوم الأربعاء ١٤٠٩/٣/٢٩هـ الموافق ١٩٨٨/١١/٩م.

ورأيي الذي أراه وأسترشد فيه بنور اللَّه، وبنور الإسلام أن هذا قرار خاطئ خصوصًا في هذه الظروف التي بلغت فيها معاناة الشعب في الغذاء والكساء، في التعليم والدواء، في السكن والإيواء حدًا لم يسبق له مثيل، وصارت الغالبية العظمى ـ وأنا واحد منهم ـ تعجز عن الوفاء بضروريات الحياة، وأصبح كل منا يحدث نفسه في اليقظة والنوم من شدة الهموم وضغط الأفكار!!.

□ سيادة الرئيس: إن هذا الشعب المصري جاع وضاع، وأكبر دليل على هذا ما نشرته صحيفة الأخبار نفسها في اليوم التالي الخميس بالصفحة الثالثة العمود الأول قالت: «بسبب الزيادة المطردة في عدد السكان نشأت أزمة الإسكان في مصر، واضطر بعض الناس إلى السكنى في القبور».

● وإني أذكرك بقول الرسول ﷺ: **«إن اللَّه سائل كل راع عما استرعاه، حَفِظَ أم ضَيَّع»** رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس، وبقوله ﷺ: **«كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»** أخرجه أبو داود عن عبداللَّه بن عمرو.

خير لك وللأمة يا سيادة الرئيس أن تهتم بما يسألك اللَّه عنه، وبما يسعف المسكين والمحروم، خير لك وللأمة أن تنفق هذه المبالغ في توفير ضرورات الحياة ولو لبعض المحتاجين من خبز وزيت، وفول وعدس، ومسكن اضطراري يقيهم شر الحر والبرد، ويواري عوراتهم.

● لقد قال الرسول ﷺ: **«خير الناس من ينفع الناس»** رواه الطبراني.

□ سيادة الرئيس: أسأل اللَّه تعالى أن يوفقك لتكون قدوة صالحة في

الاقتصاد، وضغط المصروفات، وترشيد الإنفاق، والحفاظ على المال الخاص والعام، فلا يصرف قرش فضلاً عن جنيه إلا فيما هو ضروري جداً.

إن الدولة مدينة بما يعادل مائة ألف جنيه، وفي الشهور الأخيرة كنت يا سيادة الرئيس مشغولاً جداً، ترحل من دولة إلى دولة، تحاول فك القيود والأغلال التي وضعها في أعناقنا صندوق النقد الدولي، وأصارحك يا سيادة الرئيس أن الحكومات التي قامت بعد الثورة تحمل عبء هذه الديون، فقد كنا قبلها ندين بريطانيا العظمى بنحو أربعمائة مليون جنية إسترليني، وكنا نجد مطالب الحياة من غذاء وكساء، ودواء بقروش وملاليم، وكنا نمر في الشوارع فنجد لافتات كتب عليها «فيلا للإيجار» «شقة للإيجار» «غرفة للإيجار» «محل للإيجار» أما بعد الثورة المباركة فأصبح الشعب لا يجد حتى مقبرة للإيجار!!

◻ سيادة الرئيس: إنك أدرى من غيرك بوطأة الديون وأخطارها، فكان أولى بك أن تقود الأمة والحكومة في العمل الجدي للخلاص من هذه الديون، بدلاً من أن تقودها في عمل يستهلك مالها، ويستنفد طاقتها، وأحمد اللَّه عز وجل أن وفقني فدفعت في سداد الديون ٩/ ١/ ١٩٨٦م مثل ما دفعته الآن - يا سيادة الرئيس - لإقامة تمثالين، سيقول بعض الناس: وما قيمة ألف في سداد ملايين الملايين، وأقول: قد حفظنا في الأمثال «إن رحلة المليون ميل تبدأ بخطوة»، وإذا صح العزم، وصدقت النيات، اقتنعت الأمة بخطة جادة محكمة، ووقفنا في وجه الخونة والمرتشين، وحاربنا السرف والفساد، أمكن السداد، وتحقق المراد.

◻ سيادة الرئيس: إن الإسلام يدعو إلى الحفاظ على المال العام والخاص، وينهى عن صرفه في غير ما أباحه اللَّه، وليس مما أباحه اللَّه إقامة التماثيل، وأنقل لك ما قاله علماؤنا الأجلاء: قال العلامة مفتي الجمهورية

السابق الشيخ حسنين مخلوف في الفتاوى الشرعية (/ ١٨٦، ١٨٧):

«تصوير الشيء حيوانًا كان أو غير حيوان قد يكون بصنع جسم على مثاله وهيئته، ويسمى الواحد تمثالاً والجمع تماثيل، وقد يكون برقم صورته، ونقشها على ورق، أو ثوب، أو ستر، أو حائط ونحوها، وتسمى صورة، ومنه الصور الفوتوغرافية المعروفة، فإن كان التصوير لما ليس له روح كالأشجار والبحار والسفن والأبنية ونحوها حل صنعها، واتخاذها مجسمة وغير مجسمة، وإن كان لما له روح كالإنسان والحيوان فإن كانت الصورة مجسمة وهي التي لها ظل كالتماثيل المعروفة حرم صنعها واتخاذها بالإجماع، وورد استثناء لعب البنات منها فرخص لهن فيها وعليه جواز صنع العرائس المتخذة من القماش والقطن أو من الجبس أو الخشب أو الكاوتشوك أو الحلوى وغيرها من لعب الأطفال».

وفي مجلة المنار (١١/ ٣٨٠) قال الشيخ رشيد رضا: «حرم الإسلام نصب التماثيل كما في حديث علي كرم اللَّه وجهه في صحيح مسلم «لا تدع تمثالاً إلا طمسته».

وفي مجلة الأزهر سنة ١٣٥٩ ص(١٦٣) قالت لجنة الفتوى ما نصه: «أجمع الفقهاء على حرمة تصوير الحيوان مجسمًا كاملاً، وقد استثنى بعض العلماء من الصور المحرمة التماثيل الصغيرة التي يتخذها الأطفال لعبة لهم استنادًا لما ورد في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي، وفي فتح الباري أخرج أبو عوانة وغيره عن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات وهن اللعب»، ثم قالت: «إذا كان الغرض من التصوير كما قيل إحياء ذكرى العاملين بتصوير أشخاصهم، وبعث النفوس إلى الاقتداء بهم، فإنه قد ينجم عنه بتطاول الزمن ما لا يحمد عقباه في عقيدة التوحيد، فقد صح عن ابن عباس

في أوثان قوم نوح قال: «كان ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت» أخرجه البخاري ثم قالت: «إن تماثيل العظماء التي تقام في الميادين تقتضي نفقات طائلة لو أنها أنفقت باسم هؤلاء العظماء في أعمال البر والصدقات الجارية لكان أجدى وأنفع في تخليد ذكراهم».

❑ سيادة الرئيس: هذا ما قاله علماؤنا الأجلاء في حكم التماثيل، قالوا: إنها غير مباحة وأقول: لو تخيلنا أنها مباحة ما جاز لنا أن نقدم الميت على الحي بما لا نفع لأحد فيه، وما جاز لنا أن ننفق المال الخاص أو العام في مباح ونضيع الواجب في وقت اشتدت فيه حاجة الناس إلى ضرورات الحياة ـ كما أسلفنا ـ إن تشاريع الإسلام حكيمة، وتعاليمه رحيمة، وقد كرَّم الإنسان أيًّا كان هذا الإنسان حتى لو كان على غير دين الإسلام، فلا يسمح بأن تنفق على تمثال ونسد آذاننا على أنين المرضى، وصراخ الجائعين، وسكان القبور، وقد كان من الممكن أن ننشئ باسم من يراد تكريمه مستشفى، أو مدرسة، أو مأوى للمعوقين، أو ملجأ للمحتاجين.

إن الإسلام يحارب الترف، ويحارب السرف في كل شأن من شئون الحياة، حتى في الماء، فقد مَرَّ النبي ﷺ على سعد وهو يتوضأ فقال: **«ما هذا السرف يا سعد»**؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: **«نعم، وإن كنت على نهر جار»** أخرجه أحمد في مسنده، وإذا كان يحارب السرف في الماء فكيف في الأموال التي جعلها اللَّه قيامًا للناس؟!!

إن اللَّه يكره إضاعة المال، وسيحاسبنا عليه، ويسألنا عنه، قال ﷺ: **«إن اللَّه تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا**

تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقـوا، وأن تناصحوا من ولاه اللَّه أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

● وقال ﷺ : «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**» رواه البزار والطبراني.

❑ سيادة الرئيس:

● يقول الرسول ﷺ : «**إذا أراد اللَّه بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يُذكره وإن ذكر لم يُعِنه**» رواه أبو داود عن عائشة، فاختر مستشاريك يا سيادة الرئيس من ذوي الحنكة السياسية، والغيرة الدينية، واتق اللَّه، واعتصم به، وتوكل عليه، وخذ حذرك من الناصريين والساداتيين الذين يحيطون بك، ويحاصرونك، فهؤلاء مشغولون بأنفسهم وزعمائهم الذين أورثوهم المال والسلطان، لا يفكرون في مصلحة الأمة، ولا يهمهم إلا أنفسهم، إن هؤلاء الناصريين والساداتيين لن يمنعوك من اللَّه، ولكن اللَّه يمنعك منهم، فاحرص على مرضاته، وضع نصب عينيك قول الرسول ﷺ : «**من التمس رضا اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه، وأرضى عنه النـاس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس**» أخرجه ابن حبان عن عائشة.

❑ سيادة الرئيس: إن جمال عبدالناصر الذي تقترح إقامة تمثال له انتهك حقوق الإنسان، واشتهر عهده بالاعتقالات، والتعذيب حتى الموت، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وسلب الحريات، وتجنيد الساقطات، وظلم الأخيار، والاعتماد على الأشرار، وقد عاقبه اللَّه فأنهى عهده بمأساة ومخزاة،

فسلب منه السلطة، وأشرك معه في حكم البلاد اليهود والروس، وسلم الأرض والجيش والسلاح لإسرائيل، وبقي ثمن السلاح دينًا في عنقنا، واستصرخ مجلس الأمن لإيقاف القتال، وباع قبل ذلك رصيد العملة الذهبي في حرب اليمن، وكان هذا إعلانًا من اللَّه عن غضبه عليه، وعلى الذين أعانوه، وعلى الذين هادنوه، وأعجب من هذا أنه لم يتعظ، ولم يغير من سلوكه، ولم يتراجع عن ظلمه، فقام بمذبحة القضاء بعد هزيمته المروعة لئلا ينقض له حكم ولئلا تنكشف مخازيه، ولكن اللَّه سلط عليه من حوله فقضوا عليه، وبعدئذ هتك اللَّه ستره بعد موته، وعقب دفنه، فتدفقت المجاري في قبره، كما يعرف الخاص والعام، إن مثل هذا الذي وقع من جمال وقع من ستالين في روسيا، وعلى الرغم من أن ستالين انتهت حياته بعد نصر رائع ضد هتلر فإن شعبه لم يغفر له جرائمه، وانتهاكه لحقوق الإنسان، فحطم تماثيله، ونبش قبره، ورمى به في مكان مهجور، ولا بد للشعوب أن تستيقظ مهما طال الرقاد!!.

وكما كانت نهاية جمال مأساوية كانت نهاية السادات، بعد أن عاد إلى نهج سلفه، كانت نهايته أليمة، وخاتمته وخيمة، فاعتبروا يا أولي الأبصار!!.

❐ سيادة الرئيس: ليست هذه شهادتي وحدي، بل إنها شهادة كل من عاش مع الشعوب بضمير حي، شهادة التاريخ، ويكفي أن أنقل لك شهادة الرجل الذي أقمت له مهرجانًا لفوزه بجائزة نوبل، وقلت في تكريمه كما نشرت الأخبار يوم الثلاثاء ٨/ ١١/ ١٩٨٨ ص(٣): «نكرم هذا القلم الخلاق من أقلام مصر» وقلت فيه: «كان محللاً نافذ البصيرة، ناقدًا حي الضمير، بل كان أحيانًا محتجًّا شديد البأس، ومُدينًا للسلبيات والأخطاء والتجاوزات أقوى إدانة، ولقد عَرَّى الانحرافات والانتكاسات في شجاعة فائقة في عهود كانت تلك التعرية تحتاج إلى قدر كبير من الإيمان بالوطن، والتعاطف مع

الشعب، والوقوف إلى جانب الحق» ماذا قال نجيب محفوظ[1] الذي كرمته، قال في مجلة المصور كما نقلت جريدة الأحرار يوم الاثنين ٢٠/٣/١٤٠٩هـ الموافق ٣١/١٠/١٩٨٨م بالصفحة الأخيرة والعمود الأخير:

«المصيبة الوحيدة في حكم عبدالناصر والتي كانت وبالاً عليه هي تأجيل الديمقراطية، لقد طلب من المصريين اعتزال السياسة فتحول المصري من كائن فعال منتم إلى سلبي متفرج، وحتى الآن لا نستطيع أن نضعه على مسرح الحياة السياسية، وهذه مصيبة كبرى، والأكثر من ذلك أنه سلب من داخل المواطن شجاعته وإحساسه بالأمان، وهذا شيء فظيع، ووسط هذا الظلام ظهر الفساد، إن الديكتاتورية هي التي صفت عهد عبدالناصر، وهي التي انتهت بنا إلى ٥ يونيو وقضت على آمالنا وعلى عبدالناصر نفسه».

ولا أنسى ما قاله لي الأستاذ الكبير أحمد حسين تغمده اللَّه بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته، قال لي وقد كان يشفق عليَّ مما أكتبه تعقيبًا على تصرفات جمال عبدالناصر في أقواله وأفعاله مما جمع بعضه في كتاب «وبالحق صدعنا في وجه الطغيان» قال: «إن جريمة عبدالناصر التي لم يسبقه فيها أحد أنه خنث الشعب وليته أنثه».

ثم ترحم أحمد حسين على عهود سابقة كان لا يلقى فيها الناقد ما كان يلاقيه في عهد جمال.

□ سيادة الرئيس: آمل أن تتقوى باللَّه وبطاعته على نفسك، وعلى من حولك من الناصريين والساداتيين، وأن تقصر جهودك على مصلحة شعبك المظلوم المكلوم المحروم، وأن تكون أمامه مثلاً صالحًا، على وضع المال في موضعه، وفيما هو أصلح وأنفع، وقديمًا قيل: «الرجوع إلى الحق خير من

---

(١) للشيخ ـ رحمه اللَّه ـ ردّ قوي على نجيب محفوظ وروايته «أولاد حارتنا» أو «موت الإله».

التمادي في الباطل» وفي الحديث يروى عن النبي ﷺ: «أيما عبد جاءته موعظة من اللَّه في دينه فإنها نعمة من اللَّه سيقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من اللَّه عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد اللَّه عليه بها سخطًا» أخرجه البيهقي، أعاذنا اللَّه وإياك من سخطه، آمل أن تقف مع شعبك المحروم المظلوم، تسانده ويساندك، وتتعاون معه ويتعاون معك، وتتعقب الذين أهانوه ونهبوه، وترد له منهم ما سلبوه، وإني أصارحك أن الحراسة المشددة، والتدابير المحكمة تحول بينك وبين معرفة نبض الشعب، فالذين تلتقي بهم من العامة تم بحثهم وفحصهم، ولو قدر لك أن تعس بليل كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعرفت الحقيقة، ولكي تقترب منها أنقل لك هاتين الصورتين:

١ - في مطلع عامنا الدراسي وقبل كوبري السواح في الأميرية وعند إشارات المرور كان التلاميذ يهجمون على السيارات كل منهم يقول: (يا عم أعطني ثمن كراسة)، ولا بأس عليهم أن يتعلموا التسول في مطلع حياتهم للفاقة التي أمسكت بتلابيب آبائهم نتيجة الغلاء الفاحش، ووقف المنحة دون إنذار سابق!!.

٢ - في مجلة اللواء الإسلامي التي يصدرها الحزب الوطني نشر يوم الخميس ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٩هـ في الصفحة الأولى بآخر عمود أن علماء الإسلام أفتوا في الندوة التي أقيمت (بأن الموظفين الذين لا يكفيهم مرتبهم يستحقون الزكاة)، وفي هذا دلالة لا تخفى على لبيب، فقد كان الموظف قبل الثورة محسودًا، وكان المثل المشهور «إن فاتك الميري تمرغ في ترابه» فأصبح الآن في أسوأ حال، عديم الجاه والمال، ولم يعد أمامه إلا أن يرتشي، أو يختلس، أو يتقبل الصدقات.

❑ سيادة الرئيس: بقي علي أن أدلك على عمل خيري أجدى وأنفع من إقامة التماثيل تنال به رضا اللَّه عز وجل، وتكسب به دعوات الأطفال، ففي

قريتنا (دمنكة) مركز دسوق معهد ديني ابتدائي أوشك على السقوط فهدمناه وشرعنا في بنائه، ولما يكتمل، وأصبح الأطفال مهددين في الشتاء والمطر والوحل بأن يرحلوا إلى مدرسة في قرية شمالاً وأخرى جنوبًا، فاسحب يا سيدي هذا المبلغ الذي تبرعت به وتعال معي إلى القرية لتدفعه بنفسك، ولتسعد القرية والمحافظة بمشاهدتك، وستكون مناسبة سعيدة، وذكرى مجيدة، ووفاء بالقسم الذي أديته بأن تحترم الدستور، وتلتزم بدين اللَّه وشريعته، وتحرص على مصلحة الشعب وراحته.

حفظك اللَّه ورعاك، وسدد خطاك، وجعلك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»[1] .

* الشيخ محمود فايد ونجيب محفوظ:

◻ قال الشيخ فايد في كتابه «صيحة الحق» ص(٢٦٠):

«ليس بمعقول أن نستنكر رواية «سلمان رشدي» «آيات شيطانية» ونروّج لرواية «أولاد حارتنا»، وكلتا الروايتيْن حرب على تعاليم الإسلام، وما فيهما من تهجّم وخروج على الأصول الدينية يستدعي التحقيق مع كلا المؤلفين، فإن تابا توبة حقيقية؛ وأعلنا تراجعهما، وقاوما نشرهما فليس لنا عليهما من سبيل وإلاّ حوكما وطبق حكم اللَّه.

ونحيل إلى أن نجيب محفوظ استسلم لحكم الأزهر على روايته، ولكن على الأزهر أن يبذل معه جهدًا آخر حتى يأخذ بيده إلى الطريق السليم».

* الشيخ فايد ووزير التعليم:

◻ يقول ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه القيم «صيحة الحق» ص(٢٦١):

---

(١) نشر في مجلة «الاعتصام» ربيع الآخر ١٤٠٩هـ. وفي كتاب «صيحة الحق» ص(٢٠٦ ـ ٢١٥).

«لي كلمة خاصة أوجهها إلى وزير التربية والتعليم، كفانا ما حلّ بنا من مقت وغضب نتيجة تجاهلنا لشرع اللَّه، ولا أظن الوزير يقبل أن يحذف «لقمان يعلّم ابنه» وهي وصايا لقمان لابنه في القرآن، ويستبقى «جحا يعلّم ابنه»، لا أظنه يقبل أن يحذف من المقرر شخصية «صلاح الدين» البطل الإسلامي ومحرر القدس، ويقرر شخصية «والت ديزني» أمير الصور المتحركة؟!!!!».

*** الشيخ محمود عبدالوهاب فايد والمحجوب:**

ومن على فراش المرض انبرى الليث الشيخ محمود فايد يردّ على المناوئين لشرع اللَّه فكتب مقالاً نشر في الاعتصام عدد رمضان وشوال ١٤٠٥هـ ـ يونية ويوليه سنة ١٩٨٥ تحت عنوان «الأمة بعقلائها تناشد زعيمها أن يخلصها من المناوئين لشرع اللَّه».

وقال: «يا سيد رفعت: من العار علينا في مصر ألا نطبق شريعة اللَّه ونحن بلد الأزهر الذي يمثل أكثر من ألف مليون مسلم.

من العار علينا في مصر أن يُؤخذ رأينا في شريعة اللَّه واللَّه تعالى أدرى بمصالحنا وحاجتنا وليس رفعت المحجوب».

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «لم يعد خافيًا على أحد أن الصراع بين من يريد تطبيق الإسلام وبين الحكام المعاصرين صراع جاد حاد، فالذين بهرتهم النظم الأجنبية: غربية أو شرقية يعارضون تطبيق الشريعة الإسلامية، ذلك لأنهم لم يدرسوها ولم يفهموها، ولم يوجهوا عنايتهم إليها، وقديمًا قيل: «من جهل شيئًا عاداه»، وصدق اللَّه العظيم: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ [يونس: ٣٩] والذين درسوها، وفهموها، وآمنوا بها يطالبون بالإسراع في تطبيقها، استجابة لدواعي الإيمان، وتمشيًا مع ما تقتضيه فطرة الإنسان، وتلبية لحاجة المجتمع، ومراعاةً لظروفه، ومعالجة لأمراضه التي استشرت

وتفاقمت ولم يعد قادرًا على علاجها إلا اللَّه عز وجل، وقد أصبح هذا المطلب مطلبًا شعبيًّا اضطرت جميع الأحزاب حتى حزب «التجمع اليساري» إلى أن تسجله في مطلع مناهجها، استرضاءً للشعب، وأملاً في كسب أصوات المواطنين. ونزولاً على رغبة الشعب أُلِّفت لجان متخصصة تضم صفوة الخبراء والفقهاء والقانونيين والاقتصاديين، والأساتذة الجهابذة، ورجال الفكر وعلماء الشريعة ليقوموا بصياغة قوانين جديدة توائم روح العصر وتتفق مع ما شرعه اللَّه، وتنسجم مع عقيدة الشعب وظروفه لتكون الاستجابة تامة وعامة، ومن أعماق القلوب، فلا يقع تحايل في التهرب منها، ولينعم الشعب في ظلالها بالأمان والاستقرار، والحب والعدل، والخير والرخاء، وفرغت هذه اللجان ـ بعد نحو خمس سنوات من العمل المتواصل ـ من إعداد كل القوانين وصياغتها، وانتهت من مراجعتها مراجعة دقيقة، ثم رفعتها إلى رئيس مجلس الشعب الأسبق الدكتور صوفي أبو طالب، وقام هو برفعها مع ما أرفق بها من تقارير إلى الأزهر ليراجعها مجمع البحوث الإسلامية مراجعة نهائية كما شهد بذلك الأستاذ عبدالمغني سعيد أحمد أحد وكلاء الوزارات وأحد المشاركين في إعدادها[1] .

وبادر الأزهر بمراجعتها وأعادها إلى مجلس الشعب في تقرير عنها، كما أكّد ذلك مكتب الإمام الأكبر في بيان أصدره، وكما اعترف بذلك الأستاذ عبدالمغني سعيد في كلمة له[2] .

إذن فالقوانين تمّ إعدادها ومراجعتها، وهي جاهزة لا ينقصها إلا أن يعتمدها مجلس الشعب، وحق المجلس إنما هو في أن يتأكد من أنها مطابقة

---

(١) انظر جريدة الوفد أول جمادى الآخر سنة ١٤٠٥ الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٨٥ الصفحة الرابعة.

(٢) نشرت كلمته جريدة الوفد ٢٢ جمادى الآخرة الموافق ١٤ مارس بالصفحة الرابعة.

تمامًا للشريعة، فإذا ثبت له ذلك فليس له خيار في أن يعتمدها، فالمولى يقول في كتابه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

* وقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

بعد هذا المجهود الذي اشترك فيه أعظم رجالات مصر، واستغرق وقتًا طويلاً وأنفق عليه الكثير من مال الدولة، كان من اللازم على «رفعت المحجوب» رئيس مجلس الشعب أن يحيّي الذين قاموا به ويشكر لهم ما بذلوه من جهد، ويتابع السير، ويواصل الخطى حتى يتم للشعب بجميع هيئاته تحقيق مطلبه السامي المقدس، ولكن المحجوب مع الأسف أنكر هذا الجهد، وتنكّر لمن قاموا به وزعم أنه لا توجد لديه مشروعات قوانين، وانبرى للرد عليه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أعانه اللَّه وثبته فأدلى بحديث قيم هادئ رصين وضع فيه النقط على الحروف، ونُشِر في أخبار اليوم ٢٣/٢/١٩٨٥ في الصفحة السابعة.

هذا هو الإمام الأكبر وضع النقاط على الحروف حينما انبرى للرد على افتراءات المحجوب هل قرأ المحجوب هذا الدرس؟ هل فهمه؟ هل وعاه؟ هل تأثر به؟ هل وجد كلام شيخ الأزهر الهادئ المؤيد بالدليل طريقًا إلى قلبه وإلى قلوب نفر على شاكلته؟!! لا . . . ولا أدري لماذا يخطر على قلبي في

تفسير هذا الموقف قول اللَّه تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. ماذا صنع المحجوب الذي جيء به من وراء الأمة فلم يجد عناءً في مقابلتها، ولم تلتق به لتثبت رغباتها؟! ماذا صنع؟ لقد قام بحركة لم يخف هدفها على أحد، أعلن آنئذ تأجيل نظر تطبيق الشريعة إلى «مايو» عسى أن تهدأ الأعصاب الثائرة، ويتفادى هذه الصواريخ التي أطلقها شيخ الأزهر «يكون مجلس الشعب قد خالف موكله وهو الشعب ولا أقول خانه فإني أنزه مجلس الشعب أن يخون شعبه» وعسى أن يتفاهم مع نفر على شاكلته لتمييع القضية وتمطيطها... ويشاء اللَّه أن تضغط الأحداث فيقع من الجرائم ما لا عهد لمصر به، ويشتد الهلع، ويتفاقم الفزع، ويصرخ الشعب ويولول ويطالب من جديد ويستحث ولاة الأمور على الإسراع بتطبيق شريعة اللَّه عسى أن ينعموا برضاه ويفوزوا بهداه... وفي هذه المرة تنضم حملة الأقلام النظيفة، وينضم قضاة مصر إلى العلماء وإلى الأمة يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية، والإسراع في تنفيذ الأحكام الإلهية.

وفي جريدة الأخبار الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٤ مايو سنة ١٩٨٥ في الصفحة الثالثة العمود الأول كتب جلال الدين الحمامصي تحت عنوان: «هل هم ـ أي الأمريكان ـ ولاة أمورنا؟ ومن منحهم هذه الولاية ما يفيد أن الأمريكان مهتمون بهذه القضية اهتمامًا بالغًا وهم مبتهجون بأساليب المحجوب الخفية، ونجاحه في تأجيل نظر القوانين الإسلامية».

وهكذا انكشف الغطاء وزال الخفاء وعرف الناس من يعمل بوحي من الرحمن ومن يعمل بوحي من الشيطان... ومن حظي برضا اللَّه، ومن حظي برضا الأمريكان... وفي الختام نسوق هذه الآيات:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ١٩ - ٢٧].

* وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢٧].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٢ - ١٧].

* وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦].

* قذائف الحق:

كانت للشيخ محمود عبدالوهاب فايد صولات وجولات تصدى فيها للدفاع عن الإسلام منها.

❑ رده على مقالات نائب رئيس حزب الوفد الجديد الدكتور وحيد رأفت حول قضية الدين والوطنية نشر بمجلة الاعتصام ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٤٠٦هـ ـ يونية ويولية ١٩٨٦م.

❑ ومنها رده على الغزالي حرب فيما كتبه عن الردة وقوله بعدم قتل المرتد بأن أئمة المذاهب الأربعة على العمل بالسنة ومن أجل هذا أخذوا بالأحاديث التي وردت في قتل المرتد وورد هذا المقال بمجلة الاعتصام شوال ١٣٩٧هـ ـ ديسمبر سنة ١٩٧٧م.

❑ ثم رده على خلف اللَّه وأمينة السعيد بمقال نشر في الاعتصام جمادى الأولى سنة ١٣٨٤هـ بعنوان «أتدعون إلى التجديد أم إلى التبديد؟!!».

❑ ورده على عبدالستار الطويلة تحت عنوان «بل الإسلام دين ودولة»[١].

* وقفته مع الدكتور البهي:

كتب الشيخ في مجلة الاعتصام مقالاً بعنوان «المساجد في عهدين» وفي ختام كلمته قال: «وبعد... فهل آن لنا أن نهتم بالمساجد، ونوليها عنايتنا حتى يمكن لها أن تضطلع برسالتها، وتقوم بدور إيجابي في خدمة وبناء الدولة أرجو ذلك، وإن كنتُ قد صُدِمت في هذا الأمل حين وجدت ابن الأزهر ووزيره الدكتور البهي قضى ليلة الجمعة متهجداً في محراب الفن مع الكاسيات العاريات والمغنيات في حفل ساهر[٢]، أقيم لمعونة فلذاتنا أبناء

(١) «صيحة الحق» ص(٢٦٣ ـ ٢٧٧).

(٢) حضر الحفل بتكليف من الرئيس جمال، وكان من واجبه أن يعتذر ولو أدى ذلك إلى استقالته.

الجزائر، ونسي ما أدلى به من قبل في حديث صحفي أن الإسلام يطلب الزينة للزوج فقط لقوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ تُراه غض بصره عن الآية الكريمة؟ أم تراه ـ وهو الذي يدرس الإسلام من المصحف ـ عثر على دليل بالإباحة لا يعلمه علماء الأزهر؟ أم تراه اهتدى بقول الشاعر الظريف:

فياله من عمل صالح   يرفعه اللَّه إلى أسفل

لقد كنت أودّ أن يرأس وزير الأزهر حفلات المساجد لا حفلات المسارح» ـ رحمه اللَّه وغفر له ـ.

□ ثم يتصدى الشيخ محمود عبدالوهاب فايد لقضية الربا ويرد على الذين يبيحون ما حرّمه المفتون السابقون والإمام الأكبر الشيخ جاد الحق ومجمع البحوث ومجامع الفقه في العالم الإسلامي وذلك في مقالات نُشرت بالاعتصام وذلك في ربيع الآخر ١٤١٠هـ.

وقال: «بإباحة المفتي لشهادات الاستثمار فإنه بذلك قد منح البنوك الربوية ـ في مسلكها الشيطاني الخبيث شهادة صُنِعت في مطابخ السلطة وطبعتها وأعدتها وطرحتها للتداول بين المسلمين في مصر دار الإفتاء»[1].

وقال: «المفتي الذي أباح شهادات الاستثمار لم يستطع طوال تاريخه الوظيفي أن يفك أسر قانون واحد من القوانين الإسلامية التي حبسها الحكام في زنزانة مجلس الشعب. . . تشكو إلى اللَّه سجّانيها»[2].

□ ووقف مع المحرّض لهذه الفتاوي الدكتور عبدالمنعم النمر بمقال نشر بالاعتصام في جمادى الأولى سنة ١٤١٠هـ وقال:

«فإني أرفض بإباء وأنفة وحميّة إسلامية أن أكون مطيّة لليهود يعبرون

(١، ٢) «صيحة الحق» ص(٤٣٧).

عليها إلى غرضهم في نشر نظمهم الربوية، وتثبيت أوتادها والترويج لها في عالمنا الإسلامي»[١] .

*** وقفة جريئة للشيخ مع بيان كبار العلماء سنة ١٩٨٩م :**

□ ثم تصدى ـ رحمه اللَّه ـ لبيان كبار العلماء الذي شارك في إعداده الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد الطيب النجار والدكتور عبدالمنعم النمر والشيخ عبداللَّه المشد والدكتور يوسف القرضاوي، وتلاه في صحن الأزهر بين آلاف المستمعين الشيخ محمد متولي الشعراوي يوم الأحد أول يناير سنة ١٩٨٩م.

قال الشيخ فايد في رده:

إن هدفنا جميعًا هو إطفاء الفتنة، وتهدئة الخواطر، وإعادة الصفاء والألفة والثقة بين الشباب والحكومة، والعلاج في الاستمساك بالشرع، والتحاكم إليه، وقد نبهنا اللَّه تعالى لهذا وهو أصدق القائلين فقال: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣].

إن لجوء الحكومة إلى الأزهر وعلمائه أعاد إلى الذاكرة مواقف قديمة كان الأزهر فيها قاعدة للانطلاق ضد المفسدين والظالمين، وضد الملحدين والمارقين، وضد الخونة والمستعمرين، وكان علماء الأزهر هم القادة الذين يرجى على يدهم الخلاص، كانوا سفراء بين الشعب والحكومة، ولهم الكلمة الفاصلة، والوساطة المقبولة، ولا ننسى موقف «الشيخ أحمد الدردير» ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حين لجأ الأهالي إليه شاكين ما حلَّ بهم من جور، فانتفض الشيخ للأمر، وتزعم ثورة ضد الظالمين أفزعتهم، وحملتهم على أن يستجيبوا للشيخ ونصائحه، ويكفوا عن المظالم، ويحسنوا إلى الشعب،

---

(١) «صيحة الحق» ص(٤٥٦).

وكذلك وقف الشيخ الشرقاوي شيخ الأزهر ومعه العلماء ضد الولاة يدافعون عن حقوق الشعب حتى أذعن الحكام لهم وكان من القرارات التي وافقوا عليها:

١ ـ ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها الشعب.

٢ ـ أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.

٣ ـ ألا تمتد يد ذي سلطان إلى فرد إلا بالحق والشرع، انظر «الأزهر في ١٢ عامًا» ص(٢٠، ٢١).

نعم إن ما جرى من الحكومة يعرب عن تقديرها له، واعترافها بمكانته، ومكانة علمائه، وفضلهم، وأثرهم في المحيط المصري والعربي والإسلامي والعالمي، ولهذا لاذوا بشيوخه، وهرعوا إلى جنباته، وارتضوا حكم رجاله، ويرحم اللَّه شوقي إذ يقول:

واخشع مليًّا واقض حق أئمة	طلعوا به زهرًا وماجوا أبحرًا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانًا وأفخم مظهرًا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرمُ الأمان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر في الشريعة ذاخر	ويريكه الخلق العظيم غضنفرًا

نعم هكذا كان الأزهر، وهكذا ينبغي أن يكون.

لقد استبشرت خيرًا وقلت في نفسي: إن هؤلاء وافتهم فرصة ذهبية تاريخية قل أن يجود الزمان بمثلها، فالشعب والحكومة كلاهما ينتظر منهم الكلمة الفاصلة، فيما تموج فيه الدولة من أحداث، وما يقع فيها من جرائم، وما يحدث فيها من فتن، وما تتعرض له من أخطار، فواجب عليهم أن يدرسوا كل قضايا الساعة، وكل أوزار الحكم، ويفحصوا أمور الدولة من جميع الجوانب، وبعد الدراسة المتأنية العميقة التي تشخص الأمراض يضعون العلاج في كلمة فاصلة مفصلة، واضحة موضحة في كل ما ألم بالدولة

والأمة، حدث هذا وصدر البيان، وفي رأيي أنه لم يكن مشبعًا ولا مقنعًا، وأنه اكتفى بفض الاشتباك بين الشباب والحكومة دون أن يتوغل في معرفة الأسباب، ويعمل على إزالتها ضمانًا للمستقبل، لقد صيغ البيان بأسلوب موجز اختيرت كلماته، وروجعت بدقة وعناية قبل قراءته، بل قبل الإعلان عنه، وهو يذكرنا بما كنا ندرسه في الأزهر من (متون) لا يستوعب الطالب معانيها إلا بعد مطالعة ما كتب عليها من (شروح)، وما كتب على الشروح من (حواشي) وما كتب على الحواشي من (تقريرات) مثال ذلك في البيان:

(وثقتنا كبيرة في دولتنا أن تزداد حرصًا على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وتدعيم الفضائل والقيم الدينية والخلقية).

فهؤلاء الذين كتبوا البيان يشهدون للدولة ـ أي رجالها ـ بأنها حريصة على إحقاق الحق. . . إلخ، ولكنهم يطالبون منها زيادة الحرص، وهذه شهادة سجلها للدولة سبعة من كبار الشيوخ وخيارهم، وهم يؤمنون بأن اللَّه سائلهم عنها، وشهادة اثنين تكفي في نظر الشرع، فكيف بسبعة من جلة العلماء؟!!!.

ومن المعروف أن كلمة (الحق) كلمة جامعة لكل ما يستحسنه الشرع، ويعود بالخير على الفرد، أو الأمة، أو الدولة، بعكس (الباطل) فهو يعني ما ينكره الشرع، ويسيء إلى الفرد، أو الأمة، أو الدولة، ومشايخنا الأكابر ـ حفظهم اللَّه ـ استغنوا بالإجمال عن التفصيل إبراء للذمة أمام اللَّه، وأمام الأمة، ولا أدري كيف نصنف هذه الوقائع، وفي أي خانة نضعها، أفي خانة الحق، أم في خانة الباطل؟!!.

لا أدري هل إقامة تماثيل للحكام الذي طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وظلموا العباد ولا تزال الدولة والأمة تقاسي العناء والغلاء والبلاء نتيجة سياستهم الخرقاء، أهذا من الحق الذي يجب أن تزداد الدولة حرصًا عليه، أم من الباطل الذي يجب إبطاله والإقلاع عنه، والتوبة منه؟!.

لا أدري أيكون اعتقال النساء والأطفال والأبرياء على الرغم من تبرئتهم في ساحة القضاء أيكون هذا من الحق أم من الباطل؟!.

لا أدري أيكون عرض الأفلام الهابطة، وإذاعة الروايات الساقطة التي تعلم الشباب العنف والجنس والرذيلة وتفسد أخلاقهم، أيكون ذلك من الحق أم من الباطل؟!.

لا أدري أيكون مكافحة الجماعات الإسلامية الذين برأهم القضاء مما نسب إليهم من عنف بعادل إمام ومسرحية الواد سيد الشغال أيكون ذلك من الحق أم من الباطل، لقد فاز عادل إمام بزفة إعلامية لا مثيل لها، فاقت الزفة التي ظفرتم في الأزهر بها، ودامت زفته أيامًا وليالي في حمى السلطة وترفها وسرفها وصلفها مع الاعتذار للخزانة المدينة لا أدري أيكون تكريم نجيب محفوظ لفوزه بجائزة نوبل على المستوى الرسمي والشعبي بإيعاز من أجهزة الدولة على الرغم مما في روايته التي فاز بها من تهجم على اللَّه ورسله وكتبه ثم إهمال الشيخ الغزالي بعد فوزه بجائزة فيصل في خدمة الإسلام أيكون ذلك من الحق أم من الباطل؟!.

أسئلة كثيرة وكثيرة جدًّا يتعطش شعبنا إلى معرفة إجابتها ولا نجد في البيان ما يعين الشباب على فهم الجواب؟!.

وبصراحة أقول: إن البيان يحتاج إلى شرح وحواش وتقريرات، وعلى الذين صاغوه أن يسارعوا بذلك ليكون بيانهم مشبعًا مقنعًا، كافيًا شافيًا تنتفع به الحكومة، وينتفع به الشعب!!.

ومهمة الأطباء أن يصفوا دواء لكل داء، وأن يرشدوا المرضى إلى ما يتعاطونه، وإلى ما يتحاشونه، وفي اعتقادي أن الذين وضعوا البيان أحسوا أيضًا بقصوره، وأنه يحتاج إلى إضافة ليكون مستساغ الطعم لدى الشعب، فطالب الشيخ الشعراوي قبل أن يقرأ البيان من الصحيفة التي في يده، طالب

باعتماد مشروعات القوانين الإسلامية التي وضعت على الرفوف، وطالب الشيخ محمد الطيب النجار بأن تتجنب الدولة العنف في تعاملها مع الشباب، وتسارع بالإفراج عن المعتقلين.

وأرى أن هذه المطالب هي أهم المطالب، وبها تنتهي الفتنة، ويستتب الأمن، وتسعد الأمة والدولة، وكان من الواجب أن توضع في صلب البيان لتبرز في صورة مطالب أجمع عليها العلماء، لا صورة مطالب فردية، وليكون لها من القوة ما يحمل الحكومة على سرعة الاستجابة لها، وما يحمل الشباب على حسن الظن بعلمائهم، والثقة بهم، والانقياد لهم، وأيضًا ليغلقوا الباب في وجه أجهزة الإعلام المغرضة التي تحاول أن تشوه صورتهم أمام الأمة، وتبرزهم بأنهم مع الحكومة، وضد الشباب على طول الخط!!.

*** لقد تضمن البيان أمورًا ثلاثة على جانب كبير من الأهمية:**

١ ـ استنكار تكفير الدولة وأفراد الأمة، ولا يختلف حكيم منصف مع الشيوخ في أن المسارعة إلى التكفير دون تثبت يعتبر عملاً مستنكرًا شرعًا ويؤدي إلى فساد عظيم، ودولتنا والحمد للَّه تسجل في دستورها هذا المبدأ العظيم: (الإسلام دين الدولة الرسمي، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر لقوانينها)، والشعب كذلك أكد هذا وأجمع عليه في الاستفتاء وطالب ولا يزال يطالب في إلحاح بالإسراع في التطبيق.

٢ ـ الدفاع الحر عن ولاة الأمور، والمديح الوافر، والثناء العاطر على المسئولين، والاعتذار عن إرجائهم للقوانين الإسلامية التي أنجزت بأنهم في انتظار الوقت المناسب، وفي هذا يقول البيان بالحرف:

«ونحن نعتقد في إيمان المسئولين بمصر بأنهم لا يردون على اللَّه حكمًا، ولا ينكرون للإسلام مبدأ، وأنهم يعملون على أن تبلغ الدعوة الإسلامية

مداها تحقيقًا وتطبيقًا، لكن انتظار الوقت المناسب هو الذي يدعو إلى التريث».

وهذا ـ فيما أظن ـ هو الذي دعا الشيخ الشعراوي ورفاقه إلى أن ينفوا عن أنفسهم أن يكونوا من علماء السلطة أو في خدمة الشرطة!!.

ومعنى ما قاله أصحاب الفضيلة أن الشباب مطالب بأن يحذو حذو العلماء الثقات فيعطى للحكومة ثقته وولاءه ـ كما فعلوا ـ وعليه ألا يستعجل تطبيق الشريعة الإسلامية، ويطمئن إلى أنه إذا جاء الوقت المناسب فستبادر الحكومة بتطبيقها فورًا!!.

وهنا أجدني مضطرًا إلى أن أوجه هذا السؤال إلى مشايخنا الأكابر خصوصًا إلى الشيخ الشعراوي: لماذا دعا الحكومة إلى إخراج مشروعات القوانين الإسلامية الموضوعة على الرفوف، أليس الأولى ـ وهو يتبنى هذا المبدأ ـ أن يترك الحكومة ـ وهو واثق فيها مُثْنٍ عليها ـ اختيار الوقت المناسب، أم أنه يختلف معها في الوقت ويرى بأنه قد حان الآن؟!!.

إذن فليعذر الشباب المسلم إذا طالب ـ كما يطالب فضيلته ـ بالإسراع في تطبيقها ليضمن لنفسه عيشة راضية مرضية، وحياة طيبة آمنة مستقرة في ظلال شريعة اللَّه الجامعة لكل خير، المانعة لكل شر، ومن حق الشباب عليه أن يساندهم، ويشكر لهم حرصهم، ورغبتهم في الاحتكام إلى الإسلام، والتزام الدولة بتعاليمه، ويحمد لهم ما يتحملونه في سبيل الدعوة من أذى مادي ومعنوي في أنفسهم وأهليهم، وأموالهم، وأعراضهم، وتشويه سمعتهم، فنالوا من الدعوة كل غرم، ولم ينالوا منها أي غنم إلا رضا اللَّه عز وجل، وكفى به مغنمًا، وكفى باللَّه وليًا ونصيرًا.

٣ ـ الأمر الثالث: الذي تضمنه البيان هو أن مسئولية تغيير المنكر باليد تقع على عاتق من له ولاية في حدود ولايته حتى لا يؤدي إلى شيوع

الفوضى، أو الوقوع فيما هو أشد ضرراً، وأعظم خطراً، وهذا كلام سليم يتفق عليه الفقهاء الحكماء ولا يختلف أحد فيه، والله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وتطبيقًا لهذا يجب فتح الأبواب للدعاة ليقاوموا الشر بالوعظ في المساجد، والنوادي، والأماكن العامة، وهذا يستلزم إلغاء القوانين التي تعترض الدعاة، وتهددهم بالعقاب، وتحول دون هذا الواجب ومهمة العلماء لا تقتصر على وعظ المحكومين، بل تتطلب وعظهم».

وهنا يذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ عن أجهزة الإعلام الرسمية جرائم ومنكرات مذهلة لا يجوز السكوت عنها ثم يعقب بقوله:

«مشكلات كثيرة، وجرائم خطيرة متنوعة، منها ما يتعلق بنظام الحكم القائم، وكلها تحتاج إلى بحث ومراجعة ومعالجة، ولا يجوز أن نغلق أعيننا، أو نتهرب منها!!.

يجب أن يثبت العلماء حضورهم في الساحة، ويبذلوا جهودهم الصادقة والمتواصلة في علاج ما يعرض من مشكلات، ويتعرفوا على أسبابها، ليستأصلوا جذورها، ويجتثوا بذورها، ولا يكفي سبعة من العلماء ولا سبعون، بل لا بد أن نجند كل العلماء الصادقين الغيورين، ونضع كل إمكانيات الدولة في خدمتهم، لا بد من إقامة مجلس دائم، نشيط يقظ، لا ينتظر دعوة من أحد، بل يقوم بواجبه على الفور نحو ما يقع، وما يجد من أحداث تعرض سلامة الوطن والمواطنين للأخطار، يتعمق في البحث والفحص والعلاج على ضوء شريعة الله، ويتخذ القرارات، ويتابع التنفيذ، وتبدو عليه مظاهر الحياة والحركة.

لقد كان من اللازم على العلماء الذين طلب منهم أن يبدو رأيهم أن يثبتوا حضورهم في كل ما يجري على أرض الوطن، ويوضحوا حكم اللَّه في كل هذه الأحداث ولو لم يطلب منهم، فالعلماء مطالبون بتغيير المنكرات، إن لم يكن باليد فباللسان والبيان، كان من اللازم أن يطالبوا بإعدام جالبي المخدرات، ومغتصبي الفتيات، وإنزال عقوبة قطاع الطريق على من يسرقون بالإكراه، ولا أظن الفرصة قد أفلتت من أيديهم، فلا يزال الخطر قائمًا، والأمر موكول إلى ضمائرهم، فلينهضوا بما أوجبه اللَّه تعالى عليهم، وما تنتظره الأمة منهم، وليصلوا حاضرهم بالأزهر بماضيه العريق!!.

*** أيها العلماء:**

لو قمتم بواجبكم في الدعوة على الوجه الأكمل، وصدعتم بالحق، وتحملتم كما كان يتحمل الرسول ﷺ في التبليغ ما وجد الشباب ـ الذين تتهمونه بالجهل والتطرف ـ سبيلاً إلى ما يقوم به، أو ما ينسب إليه، ولأغلقتم باب الفتنة، ونلتم رضا اللَّه والحكومة والأمة، وإلا فماذا يصنع الطالب الجامعي إذا رأى أمه ـ تغتصب أمامه وأمام أبيه، هل يصبر حتى يغيثه بوليس النجدة، أو حتى يتداركه أصحاب الفضيلة وورثة الأنبياء بموعظة بليغة مؤثرة، إن ما يتكون لديه من عقد نفسية تجعله يسارع بالانضمام إلى من يبشره بأن لديه علاج كل داء!!.

إن الفساد تعاظم وتفاقم، ولكي نقضي عليه يجب أن تهتم الدولة بنشر الثقافة والتربية الإسلامية في المدارس، وفي جميع أجهزة الإعلام ويجب أن نبادر بتطبيق شريعة اللَّه وقوانينه، ويجب أن يحرص العلماء والحكام على الانضباط في القول والفعل، وعلى أن يكونوا صورة طيبة، وقدوة صالحة، ومثلاً عليًا تجذب إليهم كل من رآهم، أو سمع عنهم، ويجب أن يتعاون العلماء والحكام والشعب وجميع الأجهزة المسئولة على البر والتقوى لا على

الإثم والعدوان، ويجب عندما نختلف في الرأي أن نلتزم بآداب الحوار، ونتجادل بالتي هي أحسن، فبهذا نعمل على نشر الخير والفضيلة وإزالة الشر والفساد والجهل والرذيلة وبهذا ندعم الدولة، ونقوي الصلة بين أفراد الأمة، ونوثق الروابط بين الشعب والحكومة، ونعيش في سعادة وأمن واستقرار.

*** أيها العلماء:**

إن الأمر جد، وليس بالهزل، فعلينا أن نرتفع إلى مستوى الأحداث، ونتكتل لدرء الأخطار عن الوطن والأمة، بخطة مدروسة، وليس يكفي أن نلقي بيانًا خاطفًا في مظاهرة إعلامية موجهة، بل لا بد من علاج حاسم نستمده من شرع اللَّه ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وفقنا اللَّه جميعًا لخدمة الدين والوطن، واللَّه تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل[١].

*** للّه درك من إمام:**

بعد أن طوّفنا في بستان شيخنا الجليل بقية السلف الشيخ محمود عبدالوهاب فايد... لا يستطيع القلم مهما أوتي من لسن وفصاحة ومهما سطر القلم فلن يوفي ذلكم الإمام الرباني الصادق حقه... وسّع اللَّه نزله وأكرم مدخله وأظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورزقه الفردوس الأعلى ومتّعه بالنظر إلى وجهه الكريم جزاء ما ذبّ عن دين اللَّه وصدع بالحق في وقت صمت فيه الجميع سقى اللَّه أعظمه التي عزّ عليها أن تلين قناة الدين.

---

(١) مجلة الاعتصام، العدد ١٠، يناير ١٩٨٩م، وكتاب «صيحة الحق» للمؤلف ص(٤١١ - ٤٢٧).

*** أحمد حسن الزيَّات ينافق عبدالناصر فيقول «الوحدة الناصرية أبقى وأنمى من الوحدة المحمدية» فيرد عليه ليث الإسلام محمود فايد بمقالين:**

كتب الشيخ محمود فايد تحت عنوان:

الوحدة المحمدية

خير وأبقى من الوحدة الناصرية

رد على مقال أحمد حسن الزيات بمجلة الأزهر

[نشرت في الاعتصام عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣هـ الموافق أغسطس عام ١٩٦٣م في حياة عبدالناصر]

في مجلة الأزهر شهر المحرم سنة ١٣٨٣هـ كتب مديرها ورئيس تحريرها [أحمد حسن الزيات] مقالاً تحت عنوان: (أمة التوحيد تتوحد) وقد جاء فيه ما نصه (ص٤ ـ س ٧ ـ ١٨):

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول.. وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان.. والسلطان يعتريه الوهن فيزول.. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم.. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل.. وألا تستبد فتطغى.. وألا تحكم فتتحكم.. والأثرة والطماعية، والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم».

هذا نص ما كتبه الزيات في مجلة تنطق بلسان الأزهر وتحمل عنوانه، وتتكلم باسم علماء الإسلام.. ولو قرأنا هذا في مجلة «روز اليوسف» لقلنا: «الشيء من معدنه لا يستغرب»، ولكن الذي يحز في النفس أن ينشر مثل

هذا الضلال في مجلة الأزهر، وأن يكون الكاتب والناشر مديرها ورئيس تحريرها، وأن يُستدعى الزيات من خارج الأزهر بعد أن تجاوز سن المحالين على المعاش من أبنائه ليقبض على مثل هذا المقال الهدام مائة جنيه من نفس خزانة الأزهر.. وأشد من هذا وأنكى أن يباع مثل هذا الهراء للناس على أنه دين خالص، وعلم مصفى.. رحم اللَّه الشاعر الذي يقول:

ولو كان همًّا واحداً لاحتملته ولكنه همٌّ وثانٍ وثالثُ

*** مناقشة الزيات في مقاله:**

□ يقول الزيات:

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت عن العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول.

ماذا يقصد الزيات بهذا؟ أيقصد أن يصرف الناس على رسالة محمد ﷺ، وأن يوجه أنظارهم إلى جهة أخرى يقيمون عليها وحدتهم، ويجدون لديها من وسائل الهناءة والسعادة ما لا يجدونه لدى رسول اللَّه ﷺ؟! وهل يؤمن معي بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

* وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

* وقوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

لقد أنقذت الرسالة المحمدية العرب من الضلالة، وعلمتهم بعد جهالة، وأزالت عن قلوبهم العماية والغواية، وأبعدت عنهم خرافات الجاهلية، وأباطيل الوثنية، وحررتهم من العبودية، وألّفت بين قلوبهم كما يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

*** يا أستاذ زيات:**

إن محمدًا ﷺ أُوحي إليه، وما جاء به هو من قِبَل اللَّه.. ولقد كان يقول كما علمه المولى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩]، أفترى أن ما جاء به البشر أحكم مما جاء به رب البشر؟! صدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

*** يا أستاذ زيات:**

إن الوحدة المحمدية التي تزعم أنها قامت على أساس قد يضعف ثم ينهار هي الوحدة التي أشاد اللَّه بها، ونوه بذكرها في هذه الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن هذه الوحدة المحمدية قامت على أساس من تعاليم الإسلام.. والإسلام ليس عقيدة فحسب ـ كما حسبت ـ بل هو عقيدة وشريعة.. ونظام كامل.. ومنهاج واف للناس في كل نواحي الحياة.. عقيدة توثق العلاقة بين العبد والرب.. وشريعة توثق العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض.. عقيدة

تملأ القلب أمنًا وإيمانًا.. وشريعة تملأ الكون سلامًا وإسلامًا، ومحبة ووئامًا.. لقد تذوق العرب طعم الوحدة، وأحسوا بحلاوتها، وشعروا بلذتها بعد أن شايعوا النبي محمدًا ﷺ، واتبعوا النور الذي أُنزل معه فآمنوا بأن ربهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، ودينهم واحد، وقبلتهم واحدة.. فاجتمعوا على وحدة العقيدة، ووحدة العبادة»[1].

* **ثم كتب بعد كلام طويل رائع:**

الزيات ينافق طول حياته:

«طبيعة النفاق يبدو أنها متأصلة في الأستاذ الزيات.. نما عليها وشب، وشاخ فيها.. ونضع أمام القراء عينة مما كتب وهو الأديب الذي يقول: «الأدب رسالة يوجه ولا يوجه».

في أخريات أيام فاروق وبالضبط في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ كتب الأديب الكبير في مجلة الأزهر مجلد ٢٣ جزء ٩ ص٧ ما نصه:

«باسم اللَّه جل اسمه، وعز حكمه.. منزل كتابه هدى، ومرسل رسوله رحمة، وبهدي صاحب الرسالة محمد صلوات اللَّه عليه.. لسان الوحي، ومنهاج الشرع، ومعجزة البلاغ.. وبعطف صاحب الجلالة الفاروق.. ناصر الإسلام، ومؤيد العروبة، وحامي الأزهر، أعز اللَّه نصره، وجمل بالعلوم والآداب عصره».

هذا نص ما افتتح به الأديب الزيات مجلة الأزهر قبل طرد فاروق بشهرين.. وننشر إلى جانب ذلك ما افتتح به مجلة الأزهر في يوليه سنة ١٩٦٠ مجلد ٣٢ جزء ٢:

---

(١) المرجع السابق (ص٥٧ ـ ٥٩).

«كان ملكًا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو، وكان آية من آيات إبليس في الجرأة على دين اللَّه، وعلى حرم الناس.. بلغ من جرأته على اللَّه أنه كان كما حدثني أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام فصلاها من غير غسل ولا وضوء، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد، وكان يقول: إن أخوف ما أخافه أن يغلبني الضحك وأنا أتابع الإمام في هذه الحركات العجيبة.. وبلغ من جرأته على المحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتل الزوج، ويسرق الدولة ويسفه الحق، ويأخذ الرشا.. ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى (!!)».

هكذا تجرأ الزيات على فاروق بعد طرده.. وقد كان يدبج له المدائح في عهده.. وهكذا يكتب عنه جليس بطانته، وأنيس حاشيته.

نعم.. لقد عاش الزيات هكذا طول حياته يكتب ما يروج، وينشر ما يجلب له النعمة والعافية.. وحسبه أنه ظفر في عهد فاروق بلقب (صاحب العزة) وظفر في هذا العهد بأكرم جائزة.. وفي مجلة الأزهر لا زال (يستأثر فيستغل) فيقبض منها مائة جنيه ليخرج عدد ذي القعدة ضمن ذي الحجة، وليصدر عدد محرم في شهر صفر، وليكتب فيها كلامًا إنشائيًا يمجه كل من كان له ذوق سليم»[1].

* **رفقًا بأنفسكم وبالأمة:**

لا نخاف على رسول اللَّه ﷺ من استهانة بعض الكتاب بوحدته التي جاء بها.. ولكنا نخاف على الأمة إذا هي انحدرت إلى هذا المستوى.

لقد بلغ رسول اللَّه ﷺ مكانًا عاليًا لم يبلغه نبي.. فضلاً عن أن يناله ولي أو غير ولي.

---

(١) المصدر السابق (ص٧٧ ـ ٧٨).

كيف ترقى رقيك الأنبيـــاء يا سماء ما طاولتها ســماء
لم يســاووك في علاك وقــد حال سنا منك دونهــم وسـناء

□ إن رسول اللَّه ﷺ في غنى عنا وعن دفاعنا جميعًا بما حباه اللَّه من مكانة عالية، ومنزلة سامية.. وإذا كُنتُ قد بادرت بالرد على الأستاذ الزيات.. فذلك لاعتقادي أني أدافع عن الأزهر ومجلته وسمعته ورسالته.. بل لاعتقادي أني أدافع عن وجودي ووجود المسلمين الذين وجدوا العزة والكرامة، والهناءة والسعادة، والقوة والغنى، والحضارة والمدنية، والمساواة والحرية، والعدالة الاجتماعية في مبادئ الوحدة المحمدية التي جاء بها سيد البشرية صلوات اللَّه وسلامه عليه.. وما ضر الرسول ﷺ أن يأتي أحد الكتاب ينتقص مما جاء به أو يستهين بمبادئه:

ما ضر شمس الضحا في الأفق طالعة ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

□ إن محمدًا ﷺ لا يزال اسمه يدوي على المنابر والمآذن في مشارق الأرض ومغاربها، آناء الليل وأطراف النهار.. وحسبه أن اللَّه رفع ذكره، وطيب نشره، وخلد أثره، وجعل له لسان صدق في الآخرين، وفي أفواه الملايين.. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ - ٤].

*** نص العريضة التي قدمتها للدكتور محمود حب اللَّه أمين مجمع البحوث الإسلامية:**

بعد نشر مقال الزيات قدمت عريضة إلى فضيلة الدكتور «محمود حب اللَّه» أمين مجمع البحوث الإسلامية وهو المسئول الأول عن مجلة الأزهر.. وهذا نصها:

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمود حب اللَّه.

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.. وبعد..

فقد نشرت مجلة الأزهر في عددها الصادر في شهر المحرم سنة ١٣٨٣هـ مقالاً لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات تحت عنوان: «أمة التوحيد تتوحد» وفي هذا المقال وردت العبارة التالية (ص٤ عمود ١ سطر ٧ ـ ١٨) ونصها بالحرف:

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة.. لأنها قامت على العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة.. لأنها قامت على السلطان.. والسلطان يعتريه الوهن فيزول.. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم.. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل، وألا تستبد فتطغى، وألا تحكم فتتحكم.. والأثرة والطماعية والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم».

◻ هذا نص عبارته.. ولنا عليها مآخذ:

١ ـ أنها تدل صراحة ودون ريب على أن الأساس الذي بنى عليه الرسول ﷺ وحدة الأمة أساس ضعيف لا يضمن لها البقاء، ولا يقوى على الصمود.

٢ ـ تتضمن أن الدين الذي جاء به الرسول ﷺ قد خلا من المقومات والضمانات التي تضمن للوحدة ألا تستأثر فتستغل، وألا تستبد فتطغى، وألا تحكم فتتحكم.. وهذا دون شك بعيد عن الصواب، وكتاب اللّه الخالد، وسنة نبيه الكريم ﷺ، وعلوم الأزهر وكتبه تشهد بأن الإسلام دين اللّه، وشريعته صالحة لكل زمان ومكان.. ففيها كل عناصر الخير، ومقومات السعادة، وما يحتاج إليه البشر لصلاح دنياهم وأخراهم.

٣ ـ تتضمن انتقاص الرسالة، والتعاليم التي جاء بها الرسول ﷺ لكي يطهر القلوب، ويصلح النفوس، ويوثق الروابط بين اللّه والناس، وبين الناس بعضهم مع بعض.

ومعلوم أن الرسول ﷺ مبلغ عن ربه.. فقد كان يقول كما في القرآن الكريم: ﴿**إن اتبع إلا ما يوحى إلي**﴾ فالانتقاص من شأن الرسالة انتقاص من شأن المرسل.. ونعوذ باللّه من هذا.

*** يا صاحب الفضيلة:**

إن مجلة الأزهر تحمل في صدرها عنوان الأزهر وكرامته.. وهذا الذي نشره مدير المجلة ورئيس تحريرها يشين الأزهر، ويتنافى مع الأهداف النبيلة التي من أجلها أنشئت المجلة، ويسجل على الأزهريين قصورهم وتقصيرهم في خدمة الدين والدفاع عنه.

إن هذه السقطة الواضحة الفاضحة سيلتقطها المستشرقون، ورجال التبشير، وأرباب الديانات الأخرى في الداخل والخارج، لينالوا من الإسلام ويكيدوا له، وسيتلقفها خصوم الدولة ليشنعوا على علماء الأزهر، ويسيئوا إلى مكانة الجمهورية العربية في نفوس المسلمين.

*** لهذا أقترح:**

ـ التحقيق مع كاتب المقالة، واتخاذ ما يلزم لتوقي الوقوع في مثل هذا الخطأ.

ـ مصادرة الصحيفة، ونزع مقال الأستاذ الزيات.. ليكون البدء بمقال الإمام الأكبر (في مطلع العام الهجري) وهو ما كان ينبغي أن يراعى أثناء الطبع، وبعد نزع المقال لا مانع من إعادتها إلى باعة الصحف.

ـ أن يتحمل الأزهريون ما ينجم عن ذلك من خسائر مادية دون رجوع

على الخزانة.. وإني أعلن أني على أتم استعداد لدفع قسط كبير تقربًا إلى اللَّه ورسوله.

ـ معالجة الأستاذ الزيات لخطئه في العدد التالي، والإسراع بطبعه مع نشر كلمة لفضيلة الإمام الأكبر ترد إلى المسلمين ثقتهم في الأزهر، وتقوي إيمانهم بالدين.

ـ تدوين محضر رسمي تاريخي يشهد بأن الأزهر أدى رسالته وواجبه، ولم يسكت على هذه الزلة المنكرة.

❑ هذا رأيي.. وإني ليشاركني شعور الألم من هذه الزلة جميع علماء الأزهر.. بل عامة المسلمين.

وختامًا أسأل اللَّه تعالى أن يوفقكم وشيخ الأزهر ووزيره لخدمة العلم والدين.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

محمود عبدالوهاب فايد.

* * *

❑ وقد أرسلت برقية إلى الرئيس (جمال) ويؤسفني أن أقول: إنه لم يصنع شيئًا.. بل كان الرد إعادة مجلة «الرسالة» إلى «الزيات» ليتقاضى على إصدارها مئات الجنيهات بعد أن أغلقها تهربًا من الضرائب ـ كما قيل ـ.

نص البرقية التي أرسلها إلى رئيس الجمهورية (جمال عبدالناصر)

السيد رئيس الجمهورية.. القاهرة.

من قلب مخلص أنبهكم لخطر المقارنة بين الوحدة المحمدية والناصرية المنشورة بمجلة الأزهر عدد المحرم، راجيًا مصادرة الصحيفة، ومحاسبة الزيات

على إساءته للرسول ﷺ وللأزهر.

محمود عبدالوهاب فايد.
المدرس بمعهد القاهرة

الإثنين ٣ صفر سنة١٣٨٣هـ
الموافق ٢٤ يونية سنة ١٩٦٣م

* * *

مع الزيات.. مرة أخرى

من لم يحترم الرسول ﷺ فلا حرمة له

نشرت بمجلة الاعتصام في عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٣هـ - الموافق: سبتمبر سنة ١٩٦٣م

لم يكن في نيتي أن أكتب عن الزيات بعد ما كتبته عنه في العدد السابق.. غير أن الحقائق المؤسفة التي سمعتها عنه، والهراء الذي قرأته له.. دفعني كل ذلك إلى الكتابة عنه مرة أخرى.. ردعًا له بعد أن خان البيت الذي نَمَّاه، والأزهر الذي آواه.. حضرت جزءًا من التحقيق الشفوي الذي قام به أمين مجمع البحوث الإسلامية في مقال الزيات.. فهالني أن أسمع أن مصحح المجلة نبه الزيات لخطئه وضلاله قبل طبع مقاله.. ولكنه أبى واستكبر، وعاند وأصر، وأخذته العزة بالإثم، فاستبقى هذه الفقرة الخطيرة المثيرة:

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة.. لأنها قامت على العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة.. لأنها قامت على السلطان.. والسلطان يعتريه الوهن فيزول.. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم».

أصر الزيات على نشر هذه الفقرة، وأعرض عن نصح الناصحين له، وتجاهل القيم الإسلامية، وتطاول على الحضرة النبوية، واعتدى - مع سبق الإصرار والترصد - على الأزهر ورسالته، وأساء بقصد الاستغلال إلى مجلته وكرامته. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

لقد أراد الزيات أن يحظى بالمال الوفير، والمرتب الكبير، فكتب يعلن عن نفاقه مبديًا سوأته، كاشفًا عورته.. وأقام البرهان - بتجاهله لنصح الناصحين - على أنه ليس في قلبه للَّه خشية، ولا في نفسه لرسوله هيبة، وأنه على شيخوخته لا يزال تائهًا في ضلالاته، حائرًا في ظلماته، لا يحرك قلمه إلا رنين الدينار والدرهم، ولا يغذي خياله إلا بريق المرتب والمغنم!!

نشر الزيات ثيابه القذرة على مرأى من الناس، وفوق مئذنة الأزهر، فثار الأزهريون، وهاجت الأمة، وارتفعت أصوات الشعب تطالب بتنحيته، وأصدرت جبهة العلماء بيانًا حكمت فيه بإلحاده وردَّته، وشنت المجلات الدينية الحرة - أمثال «الاعتصام» و«لواء الإسلام» و«العشيرة المحمدية» حملتها عليه، ووجهت سهام نقدها إليه، وخشي الزيات أن يستجيب الحكام لرغبة الأمة فحنى قامته، وطأطأ هامته، وطلع على الناس بإيضاح وبيان عسى أن تهدأ النفوس الهائجة.. ولكن البيان الذي أصدره - على الرغم من أنه أشير عليه بتعديله ثلاث مرات - كان بيانًا متهافتًا يفضح صاحبه، ويخزي كاتبه، ولننظر في بيانه، ولنقرأ مقاله من عنوانه: «وحدة.. لا وحدتان»:

❑ يا زيات.. لقد ذكرت في مقالك المسموم المشئوم ثلاث وحدات، وجعلت لكل وحدة خصائص ومميزات، وحكمت عليها بأحكام متغايرة

متباعدة.. فكيف يمكن أن تكون الثلاث أو الاثنتان واحدة.

جعلوا الثلاثة واحداً لو أنصفوا لم يجعلوا العدد الكثير قليلا

لقد قلت في مقالك: إن وحدة محمد ﷺ قامت على العقيدة.. والعقيدة قد يطرأ عليها الضعف والفناء.. أما الوحدة الناصرية فقد حكمت عليها أيها الأديب الملهم بالبقاء والنماء.. أيمكن بعد هذا أن تكون الوحدتان وحدة؟.. إن قلت: إن الوحدة الناصرية ترجع إلى وحدة النبي محمد ﷺ.. فالوحدة الناصرية إذن بحكم منطقك مهما تدم قد تضعف أو تحول.. وإن قلت: إن وحدة النبي محمد ﷺ ترجع إلى الوحدة الناصرية فقد جعلت التابع متبوعًا، والمتبوع تابعًا، وذلك ـ لعمر الحق ـ غاية الضلال.. بل غاية الخبال.

لقد كان مقالك شؤمًا على الوحدة.. فلم تكد تفرغ من كتابته حتى تعثرت وتعسرت، ووجدت نفسك في حرج وأنت تعالج خطأك فقلت لتستر موقفك: «الوحدة الناصرية المقترحة» خشية أن يبدو تهافتك في دعوى بقائها ونمائها أن الوحدة وهي مطمع الأنظار، وملتقى الأفكار، وهدف كل مسلم غيور، وغاية كل عربي مخلص لا تقوم بملق المتملقين ونفاق المنافقين.. ولكنها ستقوم وتدوم، وتتحقق وتتوثق بجهود المؤمنين، وجهاد المخلصين، وكسح المضللين.. لقد كتب الزيات ما كتب طمعًا في الربح الحرام، وغاب عنه وهو الأديب الكبير ما ورد في الأمثال «تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها»، وعاد بعد أن تعالت أصوات الأمة بالاستنكار يخاتل ويخادع، ويلتوى هذا الالتواء الذي ضحكت منه العامة، وسخرت منه الخاصة، راح يلقي التهمة على الإيجاز الذي أدى إلى هذه الجملة، وقد كانت أمامه فرصة ليطنب ويوضح فكرته يوم نُبِّه إلى ذلك قبل الطبع.. فلو كان في قلبه لرسول اللَّه ﷺ مهابة لرجع عن ضلاله، وأصلح من مقاله.. ولكنه بدافع

النفاق أبى وأصر، وآذى رسول اللَّه ﷺ من فوق منارة الأزهر.. فليسمع قول اللَّه تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦١-٦٣].

* وليسمع قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٨-١٢].

□ يا زيات.. لقد حكم اللَّه على أمثالك بالخزي العظيم، والعذاب الأليم.. فلتهنأ إلى حين في مجلة الأزهر بمائة جنيه تقبضها من خزانته على الرغم من أنوف الأزهريين.. ولتهنأ إلى حين في مجلة الرسالة بمئات الجنيهات تقبضها من خزانة الدولة على الرغم من أنوف أبناء الدولة المؤمنين.. ولتهنأ إلى حين بحرية الرأي قَدْحًا في وحدة خير الأنام.. على الرغم من أن دين الدولة هو الإسلام.. ولتهنأ إلى حين بالاشتراكية في الرزق تسوق إليك من عملك الجديد مئات الجنيهات بعد مقالك المشئوم بأسبوعين على الرغم من أنوف العاملين المخلصين الذين يظفرون بجنيهين علاوة كل سنتين.

ليسمح لي الزيات أن أستعير منه وإليه.. فأقول: «إنه اندس - في مجلة الأزهر - اندساس الإثم في الضمير، والداء في البدن.. فكان في الوحدة مظهر تفريق، وفي النهضة مصدر تعويق، وفي العقيدة مثار شبهة..

وحسبه أن مجلة الأزهر صارت في عهده (مذلة) بعد أن كانت (مجلة)»[1] .

❏ ثم ختم مقاله بالرد على ما قاله الزيات من إطراء العهد الناصري فقال:

لقد غالى في إطراء هذا العهد حتى انتقص الوحدة المحمدية، وأقحم الرسول ﷺ في المقارنة دون أدب ولا روية.. وما فعل ذلك عن إخلاص وإيمان.. بل جريًا وراء الذهب الرنان.. تمامًا كما صنع أيام فاروق قبل طرده.. وإلى أواخر عهده.. وهكذا الزيات طول حياته ينافق بغية القوت، ويكتب بقلم نقش عليه هذا المثل «طالب القوت ما تعدى».

يا زيات.. إن الرئيس عبدالناصر لو أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ ـ بنص الحديث ـ مُدَّ أحَدٍ من أصحاب النبي ﷺ ولا نصيفه، فكيف له يا جهول أن يبلغ مبلغ الرسول؟!.

ألا فلتسمح لي أيها الزيات وقد استضفتك اليوم على مائدة الاعتصام أن أقدم لك فاكهتك، وأسوق إليك هديتك: ««إن الكفر خير من النفاق.. وإن العداوة أفضل من الخديعة.. وإن الصراحة على كل حال عظمة، وإن المراءاة على أي وجه حقارة».

* وخير ما نختتم به هذه الكلمة قول اللَّه تعالى: ﴿إِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

* وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ

---

(١) المصدر السابق (ص٨٠ ـ ٨٨).

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩]»[١]

ا.هـ.

*** عبدالناصر يسخر من علماء الأزهر فيردّ عليه الشيخ محمود فايد:**

في خطاب عبدالناصر الذي ألقاه في الذكرى التاسعة لثورة ٢٣ يوليو قال عبدالناصر:

«طبعًا بعده كده يمكن بعض المشايخ بقى يروحوا طبعًا كل واحد يخبط ديك رومي أو خروف عند الإقطاعيين ويطلع يدي فتوى أن الملكية لا يمكن لأحد أن يقرب لها.. طبعًا هو ما بيفكرش إلا في جوز الفراخ اللي بيروح يخطبه في العشوة، أو في الديك الرومي.. يعني اللي قال هذا الكلام كان أجير للرجعية، للإقطاع وللرأسمالية والعِمَّة كانوا بيحاولوا في هذا الوقت أن يضحكوا علينا بها».

□ فرد عليه الشيخ محمود فايد في مقال بعنوان: «فقرات تسترعي النظر وتثير الانتباه في خطاب الرئيس عبدالناصر الذي ألقاه في الذكرى التاسعة لثورة يوليو «نشر في مجلة الاعتصام بعددها الصادر في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ ـ الموافق شهر أغسطس سنة ١٩٦١م، قال الشيخ فايد:

«هنا أحب أن أقف مع الرئيس وقفة قصيرة.. ومن حقي أن أقف معه.. فقد حدثنا سيادته عن عمر بن الخطاب.. وقد حفظنا من تاريخ عمر أن امرأة استوقفته فوقف وأطالت معه الحديث، وكان مما قالت: «لقد كنتَ من قبل عُمَيْرًا ثم صرت عمر، ثم أصبحت أمير المؤمنين، فاتق الله وانهج سبيل الحق» فبكى عمر حتى اخضَلَّت لحيته فقال رفيقه: كفى يا أمةَ الله فقد أبكيت أمير المؤمنين.. فنهره عمر وقال: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا

---

(١) المصدر السابق (ص٨٩ ـ ٩٠).

خير فينا إذا لم نتقبلها».

□ ليسمح لي سيادة الرئيس أن أناقشه.. وأرجو ألا أُتهم بأني أجير للرجعية.. فقد كنت من أرباب الأقلام المتواضعة التي حاربت الفساد، وقبل أن يخرج فاروق، وفي شهر أبريل بالضبط كتبت ولا أملك من السلاح سوى إيماني وقلمي.. كتبت في هذه المجلة المتواضعة «الاعتصام» تحت عنوان: «ضعف المسلمين اليوم» مقالة جاء فيها:

«ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم.. همهم أن تسلم لهم ولو على أيدي الغاصبين.. يسالمون عِداهم، ويذلون رعاياهم، يجمعون المال من دم الفلاحين، وعرق الكادحين لينفقوه على ملذاتهم، ويبعثروه على شهواتهم.. طورًا ينثرونه على موائد القمار، ودور اللهو، وكئوس الشراب.. وحينًا يبذلونه في مخاصرة النساء، وسماع الغناء، وما تتطلبه الليالي الحمراء.. والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم، أو يزجي النصح إليهم فجزاؤه السجن.. وإن شئت فقل: الإعدام. وحسبنا اللّه ونعم الوكيل».

هذا ما قلته [وأنا من ذوي العمائم] في وقت اشتد فيه الضغط، وكثر فيه الفساد والاستبداد والإرهاب[1]. فهل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم وبجميع اللغات ـ ومن رئيس الجمهورية العربية ـ مثل هذا الكلام الذي تناثر رذاذه فصرنا نخشى منه على عمائمنا؟!! لقد فاتك أن تعقب بأن كثيرًا من ذوي العمائم كان لهم مواقف كريمة، وغيرة مشكورة، وإحساس مرهف، وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل.

وإذا قلنا: إن بعض الذين تحدثوا عن احترام الإسلام للملكية الفردية قد

---

(١) في الأصل «وكان رجال من الجيش ومن الجيش وحده هم الذين يحمون حمى الفاروق، وكان رجال من الجيش ومن الجيش وحده هم الذين يأكلون على مائدة ولي العهد الطفل والقاهرة تحترق».

أخطأوا في التطبيق، فقد كان من الممكن أن تكتفي بردهم إلى الصواب بالحجة، ومجادلتهم بالحكمة، ومناقشتهم بالتي هي أحسن حتى لا يضعف صوت العلماء عندما يفرض عليهم الدين أن يعلنوا كلمة اللَّه ضد الشيوعيين، والمستعمرين، والمفسدين.. إذ يكون في مقدور هؤلاء آنئذ أن يتهموهم بأنهم أكلة الفراخ، وأكلة الرومي.

لقد دعوتنا يا سيادة الرئيس إلى التسامح، وتناسي الماضي، منعًا لإثارة النفوس.. وقد خشيت وأنا أسمع هذا الكلام على نفسي، ووضعت مرارًا يدي أتحسس هذه العمامة، وأتعرف أين موقعها على رأسي؟!.

ومن فضل اللَّه أن شعبنا شعب فاضل واع، متدين ذكي أريب، يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.. يا سيادة الرئيس.. هذه كلمة عتب وقديمًا قال الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

☐ وختامًا.. يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم، ورفع قدرهم، وخلد ذكرهم.. فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

● يكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» أخرجه أبو داود»ا. هـ.

عيد.. بأية حال عدت يا عيد

«نشر هذا المقال في عدد الاعتصام الصادر في
ذي الحجة عام ١٣٨٨ الموافق مارس عام ١٩٦٩»

☐ ويأتي العيد الأكبر فيذكرنا بقول المتنبي:

عيد بأيه حال عدت يا عيد بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدًا دونها بيد

يجيء العيد وبيننا وبين أهلنا في العريش.. وسيناء.. وفي الضفة الغربية.. وفي مرتفعات الجولان.. وفي الأراضي التي احتلتها اليهود.. بيننا وبين هؤلاء عدو خبيث.. دنيء خسيس.. فرق الأهل، ومزق الشمل، وأراق الدماء، ونكل بالأبرياء، واعتدى على الأطفال والكهول والنساء، واستباح الحرمات، وانتهك المقدسات.. ولا يزال يرغي ويزبد، وينذر ويهدد، ولا زلنا نسمع أنات أهلينا المستضعفين، وصرخات إخواننا المنكوبين، وننظر حولنا فلا نجد إلا ما يقض المضجع، ويضرم الفؤاد، ويُطَيِّر عن العين الرقاد.

ومع هذا فكل من هنا مشغول.. مشغول بأمره عن أمر غيره، لا يفكر إلا في نفسه، ولا يهتم إلا بشخصه.. كل من هنا يلقى المسئولية كلها، ويلقي العبء كله على الجيش وعلى الحكومة.. كأنه لا مسئولية على طوائف الشعب وأفراد الأمة.. هكذا يشعرون.. أو هكذا يتعلمون.

كل من تلقاه يبدو على وجهه سمات الحيرة، وتطالع في جبينه أمارات القلق.

كل من في هذا الوطن الذي جار عليه اليهود يعيش قلقًا مضطربًا، لا يطمئن على نفس، ولا على أهل، ولا على مال.. فالخطر ماثل أمام أعينهم، يحيط بهم من كل جانب، ويحدق بهم من كل ناحية، ويهددهم في كل لحظة.

ومع أننا نشعر جميعًا بالخطر، وندرك سر البلاء، ومصدر الشقاء، يحلو لكثير منا أن ينام، ويلذ له أن يلهو، ويبحث عن وسائل السمر، وفرق الرقص.. إمعانًا في الاستهتار، وعدم المبالاة.. هل تبلدت أحاسيسنا؟! هل تحجرت مشاعرنا؟! هل عقمت أفكارنا؟! هل نحن في حاجة إلى ملاه تخدرنا، ومراقص تلهينا؟! أو في حاجة إلى وعي يبصرنا وسلاح يحمينا؟!

إن من أوجب الواجبات علينا ـ خصوصًا في أيامنا الحالكة ـ أن نستيقظ فلا ننام، ونَجِدَّ فلا نلهو، ونتسلح بالدين وبالوعي وبكل أنواع الأسلحة الحديثة.. إن من أوجب الواجبات على علماء الدين، وأرباب الفكر، وحملة الأقلام والقائمين على أجهزة الإعلام أن يبصروا الأمة بالخطر، ويبعثوا فيها روح القتال والاستبسال، ويحاربوا بالقول وبالفعل كل ما يثير الفتنة، ويقتل النخوة، ويثبط العزيمة، ويضعف الهمة، وينيم الأمة.

ما هذه الصور الخليعة التي تنشر؟! ما هذه الأغاني البذيئة التي تسمع؟! ما هذه السموم التي تعلن عنها الصحف وأجهزة الإعلام؟! ما هذه الرذائل؟! ما هذه المنكرات؟! أما آن لنا أن نفيق من سكرتنا، ونتسيقظ من نومتنا؟! أما آن لنا أن ندرك سر نكبتنا؟! أما آن لنا أن نسأل لنفهم: «لماذا لم يستطع جيشنا بأسلحته الوفيرة أن يبقى في سيناء ـ وهي أرضنا ـ عشرين يومًا؟ واستطاع العدو أن يبقى فيها على الرغم منا عشرين شهرًا قابلة للمزيد[1] ؟!.

❑ سؤال يجب أن يسأله كل منا لنفسه، وأن يوجهه لغيره.. سؤال يجب أن نعرف جوابه الصريح الصحيح.. فإذا عرفنا الجواب، أدركنا الأسباب، وفهمنا أسرار ضعفنا وجب علينا أن نسارع إلى تفاديها، ونبادر بتلافيها.

في عام ١٩٤٨ ضاعت قطعة من فلسطين بسبب الأسلحة الفاسدة، وخَوَر نفر من الحكام.. ومن أجل هذا قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م.

في عام ١٩٦٧ ضاعت فلسطين كلها.. وضاع معها جزء من مصر..

---

(١) كان هذا يوم كتابة هذا المقال. وقد مضى إلى اليوم تسع سنوات، ونحمد اللَّه على هذا النصر الجزئي الذي حققناه في رمضان سنة ١٩٧٣ بعد أن عدنا إلى الدين، وبعد أن طردنا خبراء الروس، وتوكلنا على اللَّه معتمدين على أنفسنا، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لاسترجاع كل أرض العروبة وأرض الإسلام.. آمين.

والأردن.. وسوريا والأسلحة جيدة متوافرة.

في عام ١٩٤٨ استطعنا بأسلحتنا الفاسدة أن ندق أبواب تل أبيب لأن القلوب كانت صالحة.

في عام ١٩٦٧ استطاع العدو أن يصل إلى القناة، ويحرز أعظم كسب في أقصر وقت وبأقل ثمن، ويغنم أسلحتنا الصالحة لأن القلوب كانت فاسدة.

إننا في هذه الأيام أحوج ما نكون إلى إصلاح شامل يرتكز إلى عقيدة دينية، ونأخذ من اليهود عبرة.. فقد استطاعوا تحت لواء الدين أن يتكتلوا، ويظفروا، ويجذبوا العالم إليهم.. على الرغم من أن تعدادهم في إسرائيل مليونان.. أي نصف تعداد القاهرة.. وتعدادهم في دول العالم ستة عشر مليونًا.. أي نصف تعداد الجمهورية العربية وحدها.

لقد أشاعوا في العالم بدعة الفصل بين الدين والدولة.. لكنهم أعلنوا ولا يزالون يعلنون في كل مناسبة أن دولتهم قائمة على التوراة.. التوراة التي بين أيديهم ويؤمنون بها.. اختاروا لدولتهم اسم «إسرائيل» وهو اسم نبي من أنبياء اللَّه.. به يتعلقون.. اختاروا لدولتهم لافتة دينية تستميل القلوب، وتجذب المال والرجال.

ولا تمر فترة حتى يصرح الصهيونيون بأسانيدهم الدينية في احتلال الأراضي التي وقعت في أيديهم.. لقد أعلنوا للعالم أن إسرائيل لها مطالب إقليمية دينية في أجزاء من الأراضي التي احتلتها.. لأن دولتهم تقوم على ثلاث مقومات: ١ ـ التوراة. ٢ ـ الشعب اليهودي. ٣ ـ أرض الميعاد.

وقالوا: إن الدين الذي أبقى على الآباء والأجداد هو الذي يُبقي على الأبناء والأحفاد.. وتمشيًا مع هذا المبدأ وضعوا خطة لتربية أبنائهم تقوم على إلزام الطفل بتعلم العبرية في سن الثامنة، وقراءة التوراة بها في سن الثانية

عشرة، ودراسة التلمود وحفظ حكمه في سن الرابعة عشرة.. على هذا أقاموا دولتهم، وربوا ناشئتهم، يقول «هيرمان ووك» في كتابه «هذا ربي».

سألني ابن جوريون: كيف يمكن لليهود أن يقاوموا العناء في العالم كله؟ فأجبت عن طريق الدين.. فقال ابن جوريون: أجل هذا هو الطريقُ الوحيد.

إن اليهود لا ينسون أن يرفعوا شعار الدين في كل مناسبة.. ولما دخلوا بيت المقدس قالوا: الآن ثأرنا لأجدادنا في خيبر.. وزحفوا نحو حائط المبكى على بطونهم يبكون، وأسرع قائدهم (ديان) يقبله ويبلله بدمعِ عينه [الواحدة] بعد ساعات من استيلائه عليه، وكان على رأسهم جميعًا حاخامهم الأكبر يرفع التوراة بين يديه.

إن الحاخام هنالك هو الذي يوجه السياسة بلسانه ويده، بقلمه وخطبه.. وهو في إسرائيل له مكانة مرموقة.. فإذا ما سار على قدميه في أي شارع من شوارع إسرائيل يتوقف المرور فيه.. فلا يمكن لسيارة أن تمر أمامه.. وليس هذا التقدير للحاخام الأكبر وحده.. بل لكل حاخام يعيش في إسرائيل.. كما نشرت ذلك الأهرام في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ص١ع٥.

إن التوراة تؤدي دورًا كبيرًا في صراع اليهود معنا.. في كتاب «المعتدون اليهود» (ص٥):

«لقد وجدنا اليهود الذين وقعوا في الأسر ومع كل منهم نسخة من هذه التوراة.. وكأنها سلاح من أسلحتهم في المعركة.. ومن الخطأ الفادح أن نعتبرها مجرد كتاب للبركة، أو نظام للعبادة.. ولكنها منهاج عمل بالنسبة لهم».

لقد وقف الإسرائيلي في المعركة ومعه سلاحان.. سلاح التوراة..

وسلاح المدفع.

ووقف العربي في المعركة.. فماذا كان معه؟ أكتفي بنقل هذا الخبر.. وقد نشر في العامود الثالث من الصفحة الأخيرة بجريدة الأهرام أول يونيه ١٩٦٧ أي قبل الحرب بأربعة أيام ونصه:

«وضع مجدي العمروسي مدير صوت الفن جميع الإمكانيات تحت تصرف إدارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة، كما بدأ في طبع ٤٠ ألف صورة كارت بوستال عليها صورة عبدالوهاب و٤٠ ألفًا عليها صورة عبدالحليم حافظ، و٤٠ ألفًا عليها صورة نجاة الصغيرة، و٤٠ ألفًا عليها صورة شادية.. على كل منها إهداء من صاحبتها.. سترسل من الغد إلى جنودنا الرابضين في الجبهة».

وفوق هذا الخبر أغنية لأم كلثوم وصور مختلفة لها في استديو ٣٥.

هذا ما نشر.. لقد اعتمدنا على الفن كل الاعتماد.. وفي يوم المعركة اختفى صوت الدين بين جلبة المغنيات والمغنين.

إن لدينا أجهزة دينية كان من الممكن أن تخدم الدولة والأمة، وتؤدي دورًا كبيرًا قبل المعركة وأثناءها وبعدها.. لكنا مع الأسف أهملناها.. فلم تقم بجهد يقنع الأمة، ويروي ظمأها، ويقوي أبناءها، ويرهب أعداءها.. لدينا الأزهر، والمعاهد، والكليات الأزهرية، ولدينا المساجد الدينية.. لكن دورها في الصراع الأخير مع العدو كان خافتًا باهتًا لا يتناسب مع مكانتها، ولا مع خطر المعارك التي كتب على الأمة أن تخوضها».

*** عبدالناصر والشيخ عاشور والشيخ محمود فايد:**

عندما نصح الشيخ عاشور عضو مجلس الشعب السابق في عهد عبدالناصر.. عندما نصح الأمة وحمّل الحكام مسئولية الاستخفاف بالدين، وقال عبدالرحمن النجار في بيانه: «إن عاشور لا يحمل شهادة» بإيعاز من

عبدالعزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف، كتب الشيخ محمود فايد مقالاً في مجلة الاعتصام عدد شوال سنة ١٣٨٨ الموافق يناير ١٩٦٩ تحت عنوان «مسئولية العلماء والأمراء» قال فيه:

«وإذا انحرف الأمراء، وظلموا العباد، ونشروا الفساد وجب على العلماء أن ينصحوا للَّه ورسوله، ويتخذوا كل وسيلة لإنقاذ السفينة.. فإن آثروا دنياهم، واشتغلوا بها عن أخراهم، ولم يرقبوا مولاهم - حرمهم اللَّه لذة الدنيا، ومنعهم نعيم الآخرة، وغضب على الأمة بأجمعها، وأنزل بها عذابه، وأذاقها عقابه، وسلط عليها من يذلها ولا يرحمها.. قال ﷺ: **«لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليسلِّطَنَّ اللَّه عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»** أخرجه البزار والطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة.

إن من اللازم على العلماء أن يبلغوا أحكام اللَّه ولا يكتموها، وينشروا تعاليم اللَّه ولا يخفوها.. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٩].. عليهم أن يبذلوا جهدهم في النصح، ويقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحتملوا الشدائد التي يلاقونها.. فمن قبل أوذي خير عباد اللَّه.. وهو رسول اللَّه ﷺ، وسخر منه المجرمون.. فلم يضعف، ولم يتراجع.. بل ازداد صلابة في الحق، وثباتًا على المبدأ، واستمر في طريقه حتى كتب اللَّه له النصر، ومكن له من خصومه، وأصبح اسمه مقرونًا بالتمجيد، وظل حتى عصرنا هذا يدوي على المنابر والمآذن في كل دول العالم شرقًا وغربًا، جنوبًا وشمالاً.. فما من دولة إلا وفيها مسلمون يعتنقون دينه، ويمجدون تعاليمه.. لقد ظلت ذكرى رسول اللَّه ﷺ بعد مماته باقية، وآثاره خالدة، وتعاليمه حية تعلن عن قوتها وصلاحيتها لكل

زمان ومكان».

❑ من كلام الشيخ محمود فايد الذي ارتجله أمام مجلس الشعب في يوم الخميس الموافق ١٦ أغسطس عام ١٩٧٣م:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

السيد/ رئيس اللجنة، الإخوة المشتركون معنا في لجنة الاستماع.. إليكم أوجه أبلغ التحية.

من أخيكم محمود عبدالوهاب فايد من رجال الأزهر الشريف والمعار للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

*** أيها الإخوة:**

لقد حضرت اليوم وأنا أعلم أن الكلمة الحرة الصريحة لبنة في بناء الوطن.. وأنا أعلم أيضًا أننا أحوج ما نكون إلى مراجعة شاملة في جميع شئوننا الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعسكرية، والإعلامية.. ذلك لأن الظروف التي نعيشها ظروف عصيبة والمرحلة التي نجتازها مرحلة رهيبة.. لقد قامت ثورة ٢٣ يولية من أبناء الشعب الذين عاشوا آلامه وآماله، ورحب الشعب بهم لأنم من صميم القاعدة الشعبية.. فآمل أن يعالجوا آلامه، وأن يحققوا آماله.. ولكن ماذا جرى؟.

*** لا بد أن نأخذ العبرة، ونقتبس العظة:**

لقد كانت بيدنا ـ يوم تسلمت الثورة الحكم ـ غزة وسيناء والعريش كانت بيدنا سنة ١٩٥٢م.. وفي عام ١٩٦٧ م خرجت من يدنا غزة وسيناء والعريش واحتلتها إسرائيل.. كنا ـ كما قال الأخ القيسوني ـ دائنين بالأرصدة الإسترلينية بمبلغ (٣٥٠) مليون جنيه باعتراف انجلترا.. أو ٥٠٠ خمسمائة

مليون جنيه كما كنا نقول.. والآن أصبحنا مدينين بـ ٠٠٠٠ انقلبنا من دائنين إلى مدينين.. كنا نطالب بجلاء القوات الإنجليزية.. فأصبحنا الآن نطالب بجلاء القوات الإسرائيلية.. كانت مصانعنا في سيناء تحت إدارتنا، ولحسابنا.. فأصبحت تعمل تحت إدارة إسرائيل ولحسابها.. نعم لقد حرمنا من أرض سيناء ودخلِهَا وثرواتها بعد أن كانت في حوزتنا، وأصبحت الآن وأصبح دخلها يشارك في بناء قوة إسرائيل، واقتصادها، والدفاع عنها، والتوسعة عليها.. هذه حالة مزعجة[1] تحتاج إلى أن نفكر.. ما الذي جرى وحدث؟!!!.

◻ وأقول بصراحة: إننا استبعدنا الدين في هذه المرحلة كلها.. فترة قصيرة نعمنا فيها بروح دينية، ثم بعد ذلك قفزت مراكز القوة إلى السلطة، وتحكمت فينا، وملأت البلاد إرهابًا وفسادًا واستبدادًا.

فإذا بنا نرى الحالة كما نرى.

رأينا أوضاعنا قد انقلبت.. فبعد أن كنا نأمل الخير أصبحنا نخشى

---

(١) صرح بهذا أخيرًا الرئيس أنور السادات في مجلس الشعب يوم الأحد ١٤ مارس ١٩٧٦ نشرت الأخبار يوم الإثنين ١٥ مارس (ص٩) ما نصه:
«ترك لي عبدالناصر وهو كما تعلمون أخي وصديقي.. ترك لي تركة كلكم تعلمون ما هي هذه التركة.. موقف خارجي ممزق مع جميع العالم، ممزق مع الأمة العربية، ممزق مع أمريكا، ممزق مع غرب أوربا، ممزق مع دول كثيرة جدًا في هذا العالم.. ويكفي أمتنا العربية اللي هي عيلتنا تمزقًا آدي الموقف السياسي.. ترك موقف عسكري.. إسرائيل على ضفة القناة، والروس جاي كلامي عنهم ورره الويل.. حقيقي لم يكن له غير الروس.. لأنه بعد ما انقطعت خيوطه مع كل هذا العالم ما كانش باقي غير الروس.. الموقف العسكري هزيمة.. مرارة.. ألم.. الموقف الاقتصادي احنا في موقف اقتصادي لا نحسد عليه.. موقف صعب جدًا.. بذكر المجتمعون هنا أنني قلت لهم أنا عايز أقول لكم حقيقة هي أن الاقتصاد المصري تحت الصفر في أكتوبر ١٩٧٣ وأنا أشبهه برجل كامل.. ولكن كل دمه نزف من شرايينه».

الشر، ونتوجس خيفة مما يراد بنا.. هذا يتطلب منا أن نفكر كثيرًا لنسترد أرضنا، ونتوقى الأخطار والأشرار.. ما العلاج؟ وماذا يجب علينا في هذه الظروف؟.

◻ وأقول لكم بكل صراحة: إنه يجب أن نعيد للدين كرامته، وسلطته.

إنه لا يجوز بأي حالة من الأحوال أن نستبعد الدين خوفًا من هؤلاء القائلين: إن الدولة يجب أن تكون علمانية.. ولا يصح أبدًا أن تكون دولة دينية.. هؤلاء لا يجوز أن نستمع لقولهم.

تصفيق..

إنني أقول لكم بصراحة: إن ما حدث سنة ٦٧م ليس نكسة.. ولا هزيمة.. بل خيانة للدولة وإنه ليعجبني من السيد نائب الرئيس حسين الشافعي أن صرح بهذا..

وكان يعجبني أكثر لو أن صحح هذا يوم كان الرئيس الراحل موجودًا، وأن يقول له: لا.. إنها ليست نكسة ولا هزيمة.. وإنما هي خيانة.. لقد قالها اليوم، وكان بودي أن يقولها بالأمس.. لقد كان شعبنا يقال له: إنها نكسة فيردد الجميع بعد ذلك.. نكسة.. نكسة.. أذكر أنني يوم قيلت هذه الكلمة كتبت وقلت:

«لقد هزم الحكام.. ولم يهزم الشعب.. سلمت الأرض والجيش والسلاح لأعدائنا».

تصفيق..

نعم.. قلت هذا وكتبته.. وإذا بي أرى الرقيب يشطبها، وأخذت وقتًا طويلاً معه وهو يقول لي: إني أشطبها حرصًا على حياتك أنت!!.

قلت له: أي حياة بقيت؟ إنها حياة ذليلة مهينة.. لقد ضاع أكثر من (١٨) ألف جندي فلم لا يزيدون أيضًا جنديًا واحدًا وهو «محمود فايد»

ويقتل كما قتل هؤلاء؟. فليمت، وليغدر به كما غدر بهم.

قلت: له هذا.. ولكنه أبى ورفض، وقال: إن كنت مستعداً لتضحي بحياتك فلست مستعداً أنا لأضحي بحياتي.

نعم، قال المسئولون في مصر أولاً: إنها نكسة.. ثم قالوا: قد هزمنا في معركة.. وأخيرًا قال نائب الرئيس: إنها خيانة.. وأنا أقول: حقيقة إنها خيانة.

استبعدنا الدين لماذا؟ إن إسرائيل أيها الإخوة قامت على أساس ديني.. إن اسمها نفسه اسم ديني: [إسرائيل] اسم لسيدنا يعقوب.. كذلك عَلَمُها عليه نجمة تسمى [نجمة داود]!!.

قامت إسرائيل فجعلت عنوانها عنوانًا دينيًا لأنها تريد أن تستغل الدين، وتستغل اسم (يعقوب) نبي اللَّه الذي يشترك في احترامه وتعظيمه المسلمون واليهود والنصارى.. أرادت بهذا الاسم أن تستدر عطف الناس جميعًا، وألا يَلْعَن اسمها أحد.. أنا شخصيًا لا أستطيع أن ألعن (إسرائيل) إلا إذا قلت أو قصدت (إسرائيل) الدولة.

إسرائيل قامت على أساس ديني، ونظرية دينية، ولا تزال تدعو وتستخدم الدين في جميع معاركها حينما دخلت في سيناء.. هل تعرفون ماذا جرى أيها الإخوة؟!.

جرى أن هؤلاء الجنود اليهود كانوا مرهقين غاية الإرهاق.. ولو أن أي قوة عسكرية قامت عليهم، ودخلت عليهم واللَّه لما استطاعوا أن يقاوموها طويلاً، ولفروا أمامها.. ولقد حدثني رجل أثق به بأنه طلب أن يكلف الجيش أو فرقة منه بمحاربة اليهود في سيناء.. وقد كانت هناك بعض الفرص لاحتمال النصر، وعودة الأرض، فقال المسئولون: لا.. إننا أعطينا كلمة لمجلس الأمن فلا نتراجع!! تراجعوا على أرضنا.. ولم يتراجعوا في كلمتهم

التي قالوها في مجلس الأمن.. لم يتهيبوا الأمة، وسلموا أرضنا، وتهيبوا مجلس الأمن مع إسرائيل التي تتحدى علنًا كل قراراته، وتعلن أنها لا تلتزم إلا بما فيه مصلحتها.. إن هذه معارك حربية والحرب خدعة.. إننا أمام مستقبل أمة.. فكان يجب أن نحافظ عليه، ونرعاه ونهتم به، لقد كان الجيش اليهودي في غاية الإرهاق، وكان لا يستطيع أن يقعد في رمال سيناء حيث لا استعدادات ولا مظلات ولا مخابئ.. فالجيش اليهودي مضطرب.. مرتبك.. يتململ من شدة الحرارة ومن سوء الطقس، هل تعرفون ماذا جرى؟

ذهب موشى ديان إلى الحاخام، وقال له: الجيش مضطرب في سيناء بسبب سوء الأحوال الجوية.. فقال له الحاخام: سأذهب بنفسي.. وذهب الحاخام إلى الجنود وقال: هنا الجنة.. من يمت هنا دخل الجنة.. عندئذ تحمس الجنود للبقاء، وتسمرت أقدامهم في سيناء.. نعم لقد استعملوا الدين.. استخدموه ولم يهملوه في المعركة.. إذن يجب علينا أن نستعمل سلاح الدين.. فالدين لا يجوز أن نهمله.. فديننا أيها الإخوة ما هو؟ هل هو دين نتعير من أن ننطق به؟ ونأتي به على ألسنتنا؟ ونسير على نهجه في حياتنا؟ لا.. إن ديننا أيها الإخوة دين قويم يعمل للدنيا والآخرة.. وإذا أردنا العلم فهو يدعونا إلى العلم، وبأوسع ما تتحمله هذه الكلمة من معنى.. فلا مبرر لما يطالب به العلمانيون.. لماذا؟»[1].

* العلماء الرجال:

بقلم الأستاذ محمد عبدالله السمان

◻ ما أكثر العلماء.. علماء الدين.. ولكن ما أقل العلماء الرجال..

---

(١) «عالم أزهري حر» (ص ٢٠ ـ ٢٤).

ويبدو أن العلماء الرجال أصبحوا اليوم كالحقيقة حين كان يبحث عنها أحد الفلاسفة في وضح النهار وبيده مصباح مضيء.. والعلماء.. علماء الدين.. الذين بلغوا من الكثرة بمكان هم فقط حملة مؤهلات لا أكثر ولا أقل.. أما العلماء الذين بلغوا من الندرة بمكان أيضًا هم العلماء الرجال ذوو العقائد والمبادئ والضمائر.. وذوو النفوس العالية العَفَّة الذين يتمثل فيهم قول البارودي ـ رحمه اللَّه ـ:

خُلِقْتُ عيوفًا لا أرى لابن حرة ... عليَّ يداً أغضي له حين يغضب

❑ والعالم الجليل أخي فضيلة الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ بلا أدنى مجاملة هو في غنى عنها ـ من هؤلاء العلماء القلائل الذين يبحث عنهم الإسلام المغلوب على أمره وسط التحديات التي تحيط به من كل جانب، وتهب عليه من الشرق المادي الملحد، والغرب الصليبي المتعصب على السواء.. وتبحث عنهم قضايا الإسلام، وقضايا المسلمين التي قل أن تجد اليوم من يأخذ بيدها!!.

❑ لقد عرفت أخي الشيخ «فايد» بقلبي قبل أن أعرفه بعقلي.. عرفته بقلبي مؤمنًا عميق الإيمان.. إنسانًا بكل ما تحمل كلمة الإنسانية من معنى.. فأحببته.. وعرفته شجاعًا تنبع شجاعته من إيمانه.. قويًا يستمد قوته من عقيدته.. فازددت حبًا له!!.

❑ عَرَف «الشيخ فايد» طريقه إلى «مجلة الاعتصام».. فعرف مكانه الصحيح اللائق به، وسعد بالاعتصام وسعدت به، وكان لمقالاته الجريئة القوية أثرها الطيب في نفوس القراء، وتأثيرها العنيف على أعناق الطواغيت التي نكبت مصر بها، وأقضت مضاجع الشراذم المتآمرة على الإسلام التي تسللت إلى مصر بأفكارها وسمومها في غيبة «الدعوة الإسلامية» الممتحنة..

❑ وواجه الشيخ فايد الطواغيت وهي في فورة طغيانها، فلم يَحْنِ لها رأسه.. وأحنى غيره من العلماء رءوسهم دون أن يواجهوا الطواغيت لكيلا

تواجههم الطواغيت.. والذين تزلفوا إلى الطواغيت من العلماء ـ حتى في وهنها وهزيمتها ـ كنا نسقطهم من الحساب.. والذين تزلفوا إلى الطواغيت بعد أن هلكت.. بل يوم أن هلكت.. لم نسقطهم من الحساب لأنهم كانوا في نظرنا بلا اعتبار حتى يحاسبوا!!.

☐ والعجيب أن الذين مالأوا الطواغيت في قوتها وفي ضعفها في انتصاراتها الزائفة، وفي هزائمها الحقيقة هم اليوم أطول الناس لسانًا على الطواغيت بعد هلاكها.. بينما الذين لم يجودوا على هذه الطواغيت في حياتها بكلمة تزلف واحدة، بل واجهوها بإيمانهم هم اليوم أقل الناس نهشًا في أعراض هذه الطواغيت.. لأنها في نظرهم أصبحت أهون من أن يشهروا عليها لسانًا!!.

☐ وبعد.. فلعلي لم أقل غير الحق بالنسبة لأخي الشيخ فايد.. بل الحق إنني لم أوفه حقه كما ينبغي تاركًا لكتابه الذي بين يدي القارئ المسلم اليوم ليستكمل عني ما قصرت فيه!!.

والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل..[1] محمد عبدالله السمان ـ القاهرة.

*** فقرات من مقال الزعيم أحمد حسين:**

في «مجلة الاعتصام» عدد رمضان ١٣٩٥هـ

☐ قال الأستاذ أحمد حسين:

في عهد الظلام. قاد الشيخ محمود فايد الحملة ضدهم وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين.

«في الفترة التي ساد الظلام والطغيان في الجزء الأكبر منها.. حيث كان

(١) وبالحق صدعنا في وجه الطغيان عالم أزهري حر يواجه السلطان الجائر بقلمه.. وقلبه ولسانه لمحمود عبدالوهاب فايد (ص١٧ ـ ١٨) دار الاعتصام.

الرجل قد يخرج من بيته فلا يعود إليه، ولا يعرف آله وذووه أين ذهب.. ثم طلب منهم أن يكفوا عن البحث عنه.

في هذا الجو المخيف الخانق الذي أرهب أشجع الشجعان، وجعلهم لا يتكلمون إلا همسًا إن هم تكلموا.

في هذا الوقت بالذات فتحت مجلة الاعتصام صدرها للشيخ محمود فايد الأستاذ بالأزهر، وعضو الجمعية الشرعية البارز، لكي يتعقب كل ما كانت الأمة المسلمة تراه ضارًا بدينها وكيانها..

ولما كنت في ذلك الوقت محتفظًا بصحتي فقد كنت من قرائها المواظبين، بعد أن بدأ ما تنشره من مقالات للشيخ محمود فايد يلفت الأنظار، ويتسامع بها الناس!!.

فطالعنا مقالات دبجتها يراعة الشيخ المؤمن (محمود فايد) تتعقب الدستور الجديد الذي صيغ للبلاد، ويقف أمام الكلمات المشبوهة، والصيغ التي أريد بها صبغ البلاد بالصبغة الحمراء.

وعندما فتحت البلاء على مصاريعها أمام الروس، وألوف ممن سموهم بالخبراء.. وقد كشفوا لنا أخيرًا عن هول ما جرى وقتئذ، وكيف دُعِيَ الروس ليكونوا قادة أسلحتنا.

ومرة أخرى كانت الاعتصام بالمرصاد، وامتلأت صفحاتها بمقالات الشيخ فايد تحذر.. وتنذر.. وتتعقب.. وهي في هذا كانت الصوت الوحيد الذي ارتفع.

وحدث في إحدى المرات أن انطلق رئيس الدولة ـ على أسلوبه في الحديث ـ فراح يطعن في المشايخ بدون أي تحرز أو تحرج فكان مما قاله:

«الشيخ من دول يرقع وزة ويروح فاقع فتوى». وهذا كلام لا يمكن بحال أن نخاطب به الدنيا كلها.. والمهم أن هذا كلام قيل وسمعته الملايين.. وليس إلا صوت الاعتصام من ارتفع بالاعتراض والاحتجاج..

فكتب الشيخ محمود يوجه الحديث مباشرة لرئيس الدولة.. وراح يسائله: لمصلحة من يقال هذا الكلام على فرض صحته؟.

ولفت نظر رئيس الدولة أنه في حاجة لتحقيق أي خير لمصر لهؤلاء المشايخ.. فما كان يصح بحال من الأحوال أن يؤذيهم هذا الإيذاء!!.

وحدث أن سقط رجل[1] اعتبر في وقتٍ ما أحد زعماء الأدب في مصر.. وضاعف في خطورة سقطته أنها جاءت على صفحات «مجلة الأزهر» وحتى هذه الساعة التي أخط فيها هذه الكلمات لا أرى فيها تعليلاً لهذه السقطة.. فوصفُ الرجُل بالنفاق لا يكفي لتفسيرها.. لقد كانت شيئًا أكبر من النفاق، وتلتبس بالكفر.. والتعليل الوحيد لهذه السقطة هو أن الشيطان أجرى على قلمه هذه العبارات الناطقة بالكفر ليكون في كتابتها ونشرها على صفحات «مجلة الأزهر» ابتلاء وامتحان من اللَّه للمسلمين.. وكان من الممكن أن يخيب المسلمون في الامتحان ويستحقون بذلك أن يحل بهم غضب اللَّه.. لولا أن قامت «مجلة الاعتصام» بواجبها فتحولت صفحاتها إلى شعلة من الغضب لدين اللَّه عز وجل ولرسول اللَّه ﷺ.. وتوالت برقيات الاحتجاج على ما قيل، وقاد «الشيخ محمود فايد» الحملة، وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين.. وفي هذه المرة لم يجامل، ولم يلاين.. وإنما وصل إلى حد الهجوم السافر، والتحدي لرئيس الدولة نفسه.

وقبل أن أروي ما قاله الشيخ محمود فايد الذي أحفظه عن ظهر قلب برغم مرضي ومرور ما يقرب من اثنتى عشرة سنة على كتابته يجب أن أشير إلى ما قاله هذا الكاتب في سقطته..

◘ قال الرجل تعليقًا على ما تم من وحدة بين مصر وسوريا ما معناه:

«إن الوحدة التي أقامها سيدنا محمد والوحدة التي أقامها صلاح الدين قد انفرط عقدهما.. أما الوحدة الناصرية فباقية خالدة!!».

---

(١) هو الأستاذ «أحمد حسن الزيات».

فهاجم الشيخ محمود فايد كاتب هذه العبارات بكلمات تتعداه إلى رئيس الدولة وتتحداه.. وما زلت أحفظ مما قاله:

«إن الرئيس لو أنفق مثل أحد ذهبًا لما وصل إلى مُد أحد صحابة رسول اللَّه ﷺ فكيف بالرسول يا جهول!!».

وكان من الممكن أن يطيح ذلك كله بأسرة الاعتصام.. فضلاً عن الكاتب.. لولا أن صَدَقَ اللَّه وعده فدافع عن الذين آمنوا.. فقد حدث أن كل سفراء الدول الإسلامية احتجوا أن يقال هذا الكلام، ووجدت الدولة نفسها في مأزق فلم تجد أمامها إلا مجلة الاعتصام ترسلها إلى السفراء وتقول لهم: «رجل أخطأ ومجلة الاعتصام ردت عليه»[1].

أحمد حسين

*** شهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه:**

بقلم الزعيم أحمد حسين

فرغت لتوي من إعداد مقال بهذا العنوان بعثت به إلى مجلة «الاعتصام» ومحور المقال هو الحديث عن الرجل الذي قام برفع الحرج عن المسلمين في المدة من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ولولاه لأثم المسلمون جميعًا.. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقط الحرج عن الباقين.

وأشهد.. لقد قام عنا الشيخ محمود فايد بهذا الواجب.. فحيث دخلنا جميعًا في الشقوق لسبب أو لآخر وجد محمود فايد في مجلة «الاعتصام» ميدانًا ينافح فيه عن الدين ورجاله، وقد تمنيت على أصحاب مجلة «الاعتصام» أن ينشروا هذه الصفحات المطوية لتظل نبراسًا على مدى

---

(١) المصدر السابق (ص١١ ـ ١٦).

الأيام للمجاهدين والمصلحين، وكيف أن كلمة الحق لم تعدم نصيرًا لها يتحدى الطاغية في ذروة جبروته غير هيَّابٍ ولا وجل.. ولم أكن أدري أن اللَّه سبحانه وتعالى قد آذن بتحقيق أمنيتي.. فلم أكد أفرغ من كتابة المقال حتى بشرني المبشر بأن مقالات أخي وحبيبي وحبيب الملايين «الشيخ محمود فايد» سوف تجمع في كتاب، وأنني مدعوٌّ لأن أقدم الكتاب ببضع سطور.. ولقد أشرت في مقالي السابق إلى بعض المعاني التي تقال في هذا الصدد.. ولذلك أكتفى هنا بذكر ما لم أقله هناك.

*** اللَّه يضرب الكافرين:**

❑ قلت: إن الشيخ محمود فايد غضب للَّه عز وجل، ولرسوله ﷺ عندما زلت قدما رجل اعتبر في يوم من زعماء الأدب في مصر فإذا به يسقط سقطة كبرى فيقارن بين عملٍ قام به سيدنا ونبينا محمد ﷺ.. وآخر قام به جمال عبدالناصر.. ورجَّحَ مَا قام به «جمال عبدالناصر» وزعم أن الوحدة التي أقامها بين (مصر وسوريا) أخلد وأدوم.. فكان أن رد «الشيخ محمود فايد» رده الذي احتفت به السموات والأرض.. لأنه لم يقف عند حد الرجل الذي سقط.. وإنما تعداه إلى الممدوح نفسه فوضعه في مكانه الصحيح.. وهو أنه لو أنفق ملء أحدٍ ذهبًا لما وصل إلى «مُدّ أحد الصحابة» وسيرى القارئ هذه الملحمة في حينها.

*** كرامة للشيخ محمود فايد:**

وفي مقالي لمجلة «الاعتصام» بينت آية اللَّه الكبرى.. وكيف دافع عن الذين آمنوا.. ولكني أذكر هنا كرامة خصَّ بها اللَّه سبحانه وتعالى عبده الشيخ محمود فايد.. وهو ما يجعلني أحبُّه الحبَّ كله، وأقدمه على نفسي، وعلى كل من عرفت.

فقد وقع الشيخ محمود في يد الزبانية من رجال السجن الحربي.. أي واللَّه.. السجن الحربي وهو في عنفوانه عندما كانت الناس تقتل من

التعذيب، وكانت الكلاب تنهش لحم المسجونين، والأعراض تهتك، وحيث كان ضرب مائة جلدة هو لونًا من ألوان التحية والود.. وسط هذا الجو وقع الشيخ محمود فايد بعد أن قال ما قال، وكتب ما كتب.. فإذا به يستغيث بربه فأغاثه.. فلم يَبِتْ سوى ليلة واحدة في السجن الحربي، خرج بعدها معززًا مكرمًا تحفه المهابة والجلال.. وما قولك في أنهم ساوموه على أن يكتب ضد الإخوان المسلمين فرفض.. ولست في حِلٍّ من ذكر تفاصيل ما حدث.. وعسى أن لا يكون لديه مانع أن يروي ذكرياته عن هذا الحادث.. أما بالنسبة لي فالأمر في نظري كرامة مما يكرم بها اللَّه أولياءه الصالحين.. وقديمًا قال اللَّه عز وجل: ﴿ **لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس: ٦٢].

وحسبي أن أشير إلى ما جعلته عنوانًا لأحد الفقرات من أن اللَّه عز وجل ضرب الذين كفروا.. وكانت ضربته أن قصم ظهر هذه الوحدة التي زعموا أنها أدوم وأخلد.

وبعد..

فما كانت غضبة محمود فايد إلى اللَّه ودين اللَّه.. لم يكن طالب شهرة أو منصب مما يسعى له السياسيون فيجازفون ببعض المواقف، بدليل أنه يعمل في خدمة دين اللَّه الآن وبعيدًا عن الأضواء بعد أن انزاحت الغمة، وسقطت عصابات الشيطان.. فهو يعيش الآن بجوار رسول اللَّه ﷺ في المدينة المنورة.. حيث يقوم بالتدريس في جامعاتها لمئات الطلاب الذين جاءوا من كل فج عميق ليكونوا في الغد مصابيح الهدى لأقوامهم، وما أسعدهم بجوار الرسول العظيم ﷺ وتلقيهم العلم على يد الشيخ محمد فايد.. ليتني بصحتي إذن لكنت معهم فأفوز فوزًا كبيرًا».

أحمد حسين

٣٦ حي الروضة ـ القاهرة

٧/ ٧/ ١٩٧٥م ـ ١٣٩٥هـ

شيخ الحديث ومحدث الزمان
الشيخ ناصر الدين الألباني

إمام الحديث في هذا العصر بلا منازع.

□ يقول الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ـ حفظه اللَّه ـ:

«لقد ذب ناصر الدين عن السنة خمسين عامًا تحريف الغالين وانتحال المبطلين، حتى أصبح حديث رسول اللَّه ﷺ والدفاع عنه جزءًا من حياته ودمه الذي يجري في عروقه، فحورب كثيرًا من أقرانه، ومن متعصبة زمانه فزجّ في السجن مرتين بسبب العداوة والبغضاء وكان دائمًا يردد مقولة يوسف عليه السلام في كتاب اللَّه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ الآية [يوسف: ٣٣].

وقد كان من نعم اللَّه على الشيخ ناصر أثناء سجنه أن دعا المسجونين إلى ما كان يدعو إليه خارج السجن، وهو الكتاب والسنة ونبذ الابتداع في الدين والانقياد لقول اللَّه عز وجل، وقول رسوله ﷺ، وترك التقليد، فاستجاب لدعوته خلق كثير منهم، وحث الناس في السجن على صلاة الجماعة والجمعة وهذه أول مرة تقام صلاة الجمعة في القلعة من بعد سجن ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ.

واستفاد الشيخ من سجنه أنه ألف فيه مختصره على صحيح مسلم بن الحجاج ـ رحمه اللَّه ـ وهو غير اختصار مسلم للمنذري الذي حقق أحاديثه الشيخ»[1] ويذكر فضيلة الشيخ الألباني المشكلات التي يتصل بعضها برقاب

(١) للشيخ ـ رحمه اللَّه ـ ردّ قوي على نجيب محفوظ وروايته «أولاد حارتنا» أو «موت الإله».

بعض من آثار دعوته إلى الكتاب والسنة الصحيحة:

«فمرة يدعوه وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن، ليبلغه طلب مفتي أدلب منع الشيخ من دخول تلك البلد، وإبعاده عن منطقة الحسكة، ومرة أخرى يتلقى دعوة من الشرطة بوجوب مواجهة سماحة مفتي دمشق، فلم يسعه سوى التوجه إليه، وإذا مكتب سماحته حافل بالمشايخ الذي حُشدوا لهذه الغاية، وأثير بعض النقاش إلا أنه لم يستمر طويلاً إذ لم يكن من خطة القوم استمراره، واكتفى سماحته بأن وجه إلى الشيخ تهمة إثارة الفتنة!! وتحت التهديد اضطر الشيخ إلى توقيع تعهد بألا يقدم على الخطابة في الناس... وكان ذلك تعهّد غير ذي موضوع بالنسبة إلى الشيخ؛ لأنه غير ذي صلة بالخطابة أصلاً. ويختم الشيخ الألباني عرضه المؤسف بهذا الخبر الغريب، وهو أن نقمة الخصوم قد تجاوزت حدود المضايقات إلى إباحة الدم، وذلك بما أذيع عن فضيلة رئيس رابطة العلماء من أنه أفتى بقتله!!»[1].

«وقد أتاح له السجن الاتصال بمن لولا ضرورات السجن لما فكّروا يومًا بلقائه، فضلاً عن الدخول معهم في حوار عدّل الكثير عن أفكارهم عن الشيخ وعن السلفية»[2].

□ يقول الشيخ محمد المجذوب في كتابه ص(٢٩٨ ـ ٣٠٠):

«وطبيعي أن حركة ينهض بها ذو علم لإحياء السنة والدعوة إليها لا بد أن تثير غضب المخالفين لها أيًّا ما كانوا، وهكذا انداحت مساحة المعارك هذه حتى تجاوزت سورية إلى مختلف الأقطار الإسلامية.

وأنا هنا أعلن دون تردد أني بجانب الشيخ، أنافح عن دعوته للرجوع

(١) «الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه» للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني ص(٢٨ ـ ٢٩) ـ الدار السلفية.

(٢) «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

إلى الكتاب والسنة وفهمهما على منهج السلف ثقة مني بأن هذا المسلك إحياء للتفكير الإسلامي الحر، وإزالة للجمود الذي ران على عقول كثير من المسلمين وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

قالوا ألا كلمة في الشيخ تنصفه … فقد طغى الجور حتى في الموازينِ
شُنَّت عليه حروب لا يسوّغها … عقل يرى الحق في ظل البراهينِ
فقلت: فوق ثنائي ما يبلِّغه … محدث الشام عن خير النبيينِ
وردّه الجيل للوحي الجليل يدٌ … ما إن يكابر فيها غير مفتونِ
وحسبه أنه هزّ العقول وقد … باتت من الحجر والتقليد في هُون
فأصبحت ذات وعيٍ ليس يعجزهُ … التمييز ما بين مفروض ومسنونِ
والدين سرٌّ من الرحمن بيَّنَه … رسولهُ، وسواهُ محضُ تخمينِ
والجامدون حيارى ليس في يدهم … إلا رواية مجروحٍ لموهونِ
فما عسى أن يقول الشعر في رجل … يدعوه حتى عِداهُ: ناصرَ الدين!
وأي ضيرٍ إذا فردٌ تجاهله … وقد فشا فضله بين الملايين!

* * *

سجن الشيخ الألباني عام ١٩٦٧م لمدة شهر فقط، ثم سجن بعد ذلك نحو ستة أشهر.

❑ يقول الشيخ الألباني: «إنه هو الذي سُجِن في سبيل التوحيد».

❑ لقد خاف أصحاب السلطان من الإسلام نفسه إذ هم واثقون أن كل كلام للألباني في الإسلام الصحيح هو تشهير بحكمهم وتسفيه لأحلامهم، وقد جرّبوا أن يستكشفوا سريرة الشيخ في هذا المضمار عندما سألوه رأيه في النظام القائم فأعلن خصومته له بسبب مخالفته لحكم اللَّه. فكان جوابهم

على ذلك استبقاءه في المعتقل بعد أن كانوا على وشك الإفراج عنه[١] .

وخرج الشيخ من سجنه وانتشر علمه وذهب ساجنوه إلى مزابل التاريخ إن المحبوس من حبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه، والأسير فعلاً أسير الآخرة لا الدنيا، فأسير الدنيا يومًا من الأيام تفك قيوده وتفصم كبوله، أما الآخرة فهناك السلاسل والأغلال والقيود والأنكال ﴿**لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾.

● عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجن في جهنم يُسمَّى بُولُس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»[٢] .

* * *

(١) انظر «رجال ومفكرون عرفتهم» (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥١١٢)، و«صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٠).

* **فضيلة الشيخ المجاهد محمد أبو زهرة ودفاعه عن قضايا الإسلام:**

◻ قال عنه الشيخ محمد الغزالي أنه إمام وثيق في فقهه.. دقيق في علمه.. وإن الرجل الذي رمق بازدراء الساسة المستبدين، وأدار وجهه عنهم مستغنيًا متأبّيًا ينبغي أن يكون أسوة حسنة لعلماء هذا العصر.. إن بقي منهم أحد!!

إنني واحد من كثيرين تتلمذوا على الشيخ محمد أبو زهرة وصاحبوه في جهاده الطويل.. نجحت مؤامرات الصمت المتعمد في طيّ اسمه.. ولكن هل تقدر هذه المؤامرات على طيّ مؤلفاته العامرة، وكتبه الحافلة بالخير الكثير.

إن الجهود تبذل لردم منابع الثقافة الإسلامية الصحيحة وملء الأجواء بالكتابات التافهة والسامة؟!!

على أن هذه الجهود ستلحقها الهزيمة آخر الأمر، ويبقى الإسلام، وما كُتب من أجله إن شاء الله»[1].

◻ ويقول عنه الدكتور محمد كامل البنا رئيس تحرير مجلة لواء الإسلام سابقًا:

«لقد عرفت الشيخ أبا زهرة سنين طويلة، واختلطت به وخَبَرته عن كثب في أثناء رياستي لتحرير مجلة (لواء الإسلام) قرابة ثلث قرن من الزمن، فرأيت فيه شدة في الحق، وقوة في إبداء الرأي، وشجاعة في التصميم على ما يقول.. كان شديد الغضب حقًّا، بل وعنيف الثورة عندما يحس أن رأيًا يسيء إلى الدين أو العقيدة، أو يتعارض مع إجماع المسلمين»[2].

---

(١) «قمم إسلامية» أبو زهرة إمام عصره الجزء الأول حياته وأثره العلمي لأبي بكر عبدالرازق (١/ ١٠ ـ ١١) ـ دار الاعتصام.

(٢) «أبو زهرة وقضايا العصر» لأبي بكر عبدالرازق (٣/ ٥) ـ دار الاعتصام.

❑ كان مفروضًا أن يلي أكبر المناصب الدينية، ولكن رفضه للزلفى وكراهته للملق أبعده عن تلك المناصب التي يختار لها غالبًا من يحسنون الصمت عند وقوع الكبائر، وربما يبكي غيره لهذا الحرمان، أو هذا التضييق، ولكنه ما أحس شيئًا من الخسار أصابه، أو من الدنيا فاته، فكبرياء الرجل العلمية جعلته فوق كل هذه المناوشات!

*** همس.. وليته ما همس!**

حدث أن اشترك الشيخ الإمام «أبو زهرة» في مناقشة رسالة الدكتوراه لأحد المسئولين الذي كان يشغل منصب المتحدث الرسمي للرئيس الراحل «جمال عبدالناصر» وكان من الحاضرين أثناء مناقشة تلك الرسالة أول رئيس لجمهورية مصر العربية اللواء «محمد نجيب» (أطال اللَّه في عمره)، وكان موضوع تلك الرسالة عن فلسطين، وبدأ الإمام أبو زهرة النقاش وقبل أن يحتدم النقاش طلب من الرئيس «المتقاعد» محمد نجيب أن يتفضل بمغادرة القاعة حفاظًا على سلامة موقفه الحساس، خاصة وأنه كان صديقًا شخصيًا للإمام «أبو زهرة» وظل الشيخ الإمام يحاور الباحث ما يقارب الثلاث ساعات. بين له فيها أن رسالته عبارة عن بعض التقارير الخاصة بالشئون العربية لرئاسة الجمهورية وأنه ـ أي الباحث ـ لم يكلف نفسه فيها حتى بجهد ترتيب الصفحات.. أو الموضوعات.. أو حتى إصلاح الأخطاء اللغوية الفادحة.. وأراد أحد الحاضرين أن يبسط من هول الموقف فهمس في أذن الإمام أن صاحب الرسالة مسئول كبير.. «الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية».. وليته ما همس!! فلقد كانت الغضبة المضرية لأبي زهرة، وصاح فيه قائلاً: «.. متحدث رسمي.. أو ممثل شخصي لرئيس الجمهورية.. تلك مسميات تستخدم في مكتب رئيس الجمهورية لا تهمنا في شيء.. ولا دخل لنا بها.. ولا مكان لها هنا.. هو هنا طالب علم فقط،

فإما طالب.. أو لا طالب!!».

ونكتفي بهذا القدر..![1].

*** رسالة إلى الحاكم:**

في بداية عهد السادات وبعد تخلصه من مراكز القوى، ومحاولة خدعة جماهير الأمة واستقطابها، بألفاظه ووعوده البراقة، وبما كان يجريه من لقاءات، حيث التقى بجميع طوائف الأمة. وخصَّ رجال الأزهر بالذهاب إليهم.. فاستقبلوه استقبالاً طيبًا.. ما عدا الشيخ الإمام «أبو زهرة» فقد أبدى بعض تحفظاته، وتحدث إليه بلغته التي عهدت فيه قائلاً: «.. إن كنت مخلصًا في قصدك الذي حضرت من أجله لرجال الأزهر فهذا شيء طيب، يحمد لك، وإياك رسالة مني خطية، اقرأها إن كنت تريد فلاحًا وسيرًا على الدرب الصحيح، فاستلمها منه وأعطاها لسكرتيره.. فغضب الإمام «أبو زهرة» وقال: يا أنور.. تلك الرسالة خاصة بك أنت، وبها مقومات الحاكم العادل، الذي يرعى حق أمته، وحق اللَّه عليه، فإن كنت تريد فلاحًا فتدبر ما فيها. ونطلب العون لك من اللَّه بقدر إخلاصك لدينك ووطنك»[2].

☐ وفي وقت خرست فيه كل الألسنة في عهد عبدالناصر كان أبو زهرة ـ رحمه اللَّه ـ يبدأ محاضراته باستعراض للمشكلات الاجتماعية والسياسية الدائرة على الساحة خاصة المحظور منها والمدرج ممتلئ عن آخره بالطلبة يقض ـ رحمه اللَّه ـ مضاجع المناوئين للإسلام[3].

---

(١) «أبو زهرة إمام عصره» لأبي بكر عبدالرازق (١/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٣) انظر المصدر السابق (١/ ٥١).

وحقيقة الشجاعة عنده في القول هي النطق بالحق، حيث يقتله الإخفاء، وإعلانه حيث يلجلج الباطل.

* **الشجاعة عند أبي زهرة:**

«منطق الشجاعة عند الشيخ الإمام «أبو زهرة» يتحدد في منطلقات ثلاثة: شجاعة مرفوضة، وشجاعة واجبة، وشجاعة حسنة مستحبة.

أولها: شجاعة مرفوضة:

الشجاعة، وما نعبر عنها أيضًا بالصراحة، منها ما يكون كشفًا للأستار التي يضر المجتمع كشفها، كإعلان ما استتر من الرذائل، والكشف عن المخبوء من النقائص، فإن ذلك يضر ولا يفيد، ويشيع الشر، ويحرض على الرذيلة، وقريب من ذلك اغتياب الناس ولو كان صدقًا، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾. وسئل الرسول الكريم ﷺ عن الغيبة فقال: «**ذكر أخاك بما يكره**»، فقال السائل: ولو كان صدقًا، فقال ﷺ: «**إن كان صدقًا فقد اغتبته، وإن كان كذبًا فقد بهته!**».

ثانيها: شجاعة واجبة:

وما يكون في ذكره إثبات حق في مجلس الفقهاء، وهذا واجب دينًا على كل من عاين على أنه فرض عين، فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾.

ثالثها: شجاعة حسنة مستحبة:

الأمر الثالث: النطق بالحق لأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإرشاد الخلق إلى الحق، ونقد ما يؤدي إلى الضياع، وتأييد ما فيه مصلحة العباد، ودفع لجاجة أهل الباطل، وهذا بلا ريب من الشجاعة التي تطلق عليها مجازًا

الصراحة، وأولئك هم الذين يقول اللَّه فيهم: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

*** صبره على المحن:**

عندما غضب السلطان على الشيخ الإمام «أبو زهرة» وأمر بأن يعتقل في بيته لا يراه أحد.. ولا يرى هو أحدًا. قطع علاقاته بكل الصحف والمجلات التي يجد فيها متنفسًا، منعه من إلقاء محاضراته.. أو لقاءاته مع تلامذته وأصدقائه.. عظم هذا الموقف على نفس أحد تلامذته وأصدقائه المقربين فعرض عليه أن يخاطب السلطان في أمره.. ويعرض عليه أن «الشيخ أبو زهرة» ليس له طموحات سياسية.. أو أي تطلع لأي مركز قيادي.. وهو لا يستحق ما يفعل فيه بدون ذنب ارتكبه ولكن الإمام رفض في إباء وشمم وثار على صديق عمره وغضب منه غضبًا شديدًا قائلاً له: أن كرامة علمة «أبو زهرة» لا يخضعان لأي بشر مهما كانت صفته. وعبر عن محنته هذه في مقدمة آخر كتبه «المعجزة الكبرى» بقوله:

«نحمد اللَّه سبحانه وتعالى على ما اختبرنا به، لقد اختبرنا اللَّه تعالى في أول كتاب نكتبه عن القرآن الكريم، فانقطعنا عن الصحف السيارة التي نخاطب المسلمين من فوق منبرها، وقُطِعنا عن المجلات العلمية التي نوجه الفكر الإسلامي عن طريقها، وعن كل طرق الإعلام فلا نصل إليها، وكان الهم الأكبر أن يقطعنا عن دروسنا وعن المحاضرات العامة ولكنَّ «القرآن الكريم» آنسنا في وحدتنا، وأزال غربتنا، وكان العزاء النفسي والجلاء الروحي، واختبرنا اللَّه تعالى بالضر، كما اختبر نبيه أيوب، إذ قال: ﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ وأنه وإن تشابه المرض فإنه يختلف المقام، فهذا نبي يوحى إليه ونحن من الأتباع، ونرجو أن نكون من الأبرار من أتباع النبيين، لزمنا المرض المقعد نحو شهرين فكان ألم الابتعاد عن القرآن أكبر من

ألم المرض المحض، ولقد مَنَّ اللَّه علينا بالشفاء، فخرجنا من الداء العقام، وما منعنا وعثاء المرض فعدنا إلى القرآن نقتبس من نوره ونعبق من عرفه، فهو أنس المستوحش، وسمير المستغرب فآنسنا بعد طول الغياب، ومنحنا اللَّه تعالى به العافية، فوفقنا لأن نقطع كل ما أردنا عرضه في مدة المرض، وكنا في مجموع ما بلينا من طول المدة أصحاء في أبداننا؛ لأنه سلمت نفوسنا من السقام بفضل القرآن»[١] .

واختبرنا اللَّه تعالى من بعد.. بهمٍّ واصب، بأن أصاب رفيقة حياتي كسر أقعدها وأقعدني بالغم الشديد، والكرب البعيد الأثر العميق في النفس، ولكن أنس القرآن خفف همِّي وكشف غمِّي؛ لأنه ملأها إيمانًا بقضاء اللَّه وقدره، ووضع في نفوسنا الصبر الجميل، من غير أنين ولا ضجر، ولكن برضا لما أراد، وهو اللطيف الخبير[٢] .

□ حُظِر على مجلة لواء الإسلام أن تنشر له تفسيرًا أو فتوى.. وظل - رحمه اللَّه - منتصب القامة عزيز الجانب، ما اكترث لموقف جمال عبدالناصر منه، ولا لضيقه به.

وظل في مجالسه كلها ينقد أخطاء المجتمع والحكم أيضًا.. ويوجه ويحق الحق ويبطل الباطل. وهناك القضايا الاجتماعية والتشريعية التي يعتبر المحامي الأول فيها بلا منازع، والتي كنَّا نمشي في أثره وهو يدافع عنها: هي قضايا الأسرة، ومحاولة أعداء الإسلام تنصير قوانينها وقضايا المعاملات المالية، ومحاولة جعل البنوك الربوية دعامة الاقتصاد الإسلامي، هذا بجانب مواقفه الشجاعة من قضية الشورى[٣] .

---

(١) «المعجزة الكبرى» لأبي زهرة.

(٢) «أبو زهرة إمام عصره» (١/ ٥٥ - ٥٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٩٢).

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يوصي تلاميذه دائمًا بقوله: «كونوا يا بنيّ مع الحق دائمًا، وأخلصوا للَّه دائمًا، ولا تمالقوا أحدًا في حق، ولا تكونوا على ضعيف أبدًا».

وهو الذي أعلن بصدق المؤمن رأي الإسلام واضحًا جليًا في العديد من القضايا الوطنية الهامة والخطيرة، متصديًا بكل العنف للقضايا التي نبش عنها المنحرفون فكريًّا ـ صنائع مدارس الاستشراق وعرّى كل سوءاتهم معلنًا رأيه الحر من فوق أعلى المنابر وأخطرها. حيث الجمع الهائل من علماء المسلمين القادمين من كل دول العالم الإسلامي، منبر مجمع البحوث الإسلامية، والملتقى الإسلامي بالجزائر، ومنبر الجامعة العربية في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي! ولم يَدَعْ مجالاً أو مكانًا استطاع أن يصل إليه إلا بلغه[(١)] .

* أبو زهرة وواقع الأمة الإسلامية:

◘ يقول ـ رحمه اللَّه ـ: «سبب انتكاسة الأمة الإسلامية وأيضًا أشدّ ما ابتلي به المسلمون في هذه الأيام أمران:

◘ **الأمر الأول**: وجود طائفة من أبناء الأمة تعتقد أن الخير في فرنسا وانجلترا وأمريكا وغيرها من تلك الدول الصليبية التي تنهش لحم المسلمين، ولا تكف عن الضرب والأذى في كل حين وإن هؤلاء يؤمنون بالمدنية الأوربية أكثر من إيمانهم باللَّه ويؤمنون بالحضارة المادية أيضًا.

◘ **الأمر الثاني**: الذي ابتلي به المسلمون في هذا الزمان: اليأس، والضعف، وخور العزائم، وانحلال الإرادة، فلا عزيمة تمضي، ولا إرادة تبرم ولا رأي يجتمع ولا فكرة تتوحد ﴿**تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى**﴾ قد فرقهم

(١) المصدر السابق (١/ ١٩٣).

الفكر وفرقهم الهوى وفرقهم الكبراء.

ولعل هذين الأمرين كانا سببًا في أن خرت الأقاليم الإسلامية صريعة تحت سلطان النفوذ الأوربي، وأن فَقَدَ المسلمون الثقة بأنفسهم، وأن صاروا نهبًا مقسومًا لكل غالب، وأن استخذوا ودينهم دين العلو، وأن ذُلوا ودينهم دين العزة، وأن ضعفوا واستكانوا ودينهم دين القوة والجهاد.

◻ ويقول الإمام «أبو زهرة» ولكي تعود إلى الأمة الإسلامية ثقتها بنفسها، وعزتها وكرامتها، وتكون بحق خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لا بد من الاستمساك بكتاب اللَّه، والعودة إلى شريعة القرآن التي عندما غفل عنها المسلمون ضاعوا، وأهملوها ذهبت عزتهم، وضعفت كلمتهم وصار أمرهم سددًا بددًا لا جامعة تجمعهم، ولا رابطة تربطهم وهزمت الأخلاق، واستبيحت المحرمات، وتحكمت الأهواء، فصار الشُّحُّ مطاعًا والهوى متبعًا، وأصبح بأسهم بينهم شديدًا، وقلوبهم شتى، وتقطعوا شيعًا وأحزابًا، ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ كأن اللَّه سبحانه وتعالى لم ينزل على نبيه الكريم: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ فما جمعنا شملنا ولا عَبدْنَا حق العبادة ربنا، وتوزعتنا الأرض، فارتبط كل بأقليمه، كأنه لا يعرف وحدة سواه، ونسي أن المسلمين تجمعهم كلمة اللَّه، وشريعته التي نزلت على خاتم النبيين محمد ﷺ، وبذلك التوزع ذهبت النخوة، وماتت العزة الإسلامية، ورضينا بالذل مقامًا، وبالهون من المنازل حظًا وقسمًا، ونسينا قول اللَّه تعالى: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ وصرنا معشر المسلمين هدفًا تصوب إليه السهام، وغرضًا يُنال، ونهبًا مقسومًا بين الذين لا يريدون بالإسلام إلا خبالاً، ولا يرجون للمسلمين وقارًا، بل صرنا نستغل والغلة لغيرنا، ونعمل والثمرة لأعدائنا، ونسعى في الأرض التي ارتبطنا بها وليس السعي لنا بل نتائجه لغيرنا، وكأن اللَّه

سخرنا عبيدًا أو عسفاء[١] لهم، ونسينا قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

*** أصبحنا نحل ما حرم اللَّه!**

◻ لقد صار أمرنا ليس بأيدينا، وولايتنا بأيدي غيرنا، يوجهون في بلادنا السياسة، ويتحكمون في أسواقنا الاقتصادية، ما يحلونه نستحله، ولو أكد القرآن الكريم تحريمه، وما يحرمونه نحرمه، ولو كان في القرآن إباحته، نحل بأمرهم ما حرم اللَّه، ونحرم بأمرهم ما أحل اللَّه، يستنصر الكثير منا بهم، ويجعلون الولاية لهم، وبين أيدينا قول اللَّه تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

* وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

◻ وفي ألم وحسرة يفصح الإمام عما يختلج بصدره من ألم دفين لما صار إليه حال المسلمين فيقول: هذا ما آل إليه أمرنا، أو بالأحرى بعض ما آل إليه أمرنا عندما تركنا شريعة القرآن فقد نسينا صدر تاريخنا، وتنكرنا لماضينا، ورضينا بحاضرنا، وقبلنا أن نكون في كل شيء تابعين ومن قبل كنا متبوعين، حتى خواطرنا سمحنا لغير المسلمين أن يتحكموا فيها، فسرنا لا نفكر إلا بتفكيرهم ولا نتخيل إلا بأخيلتهم، وكأننا لم يكن لنا في الماضي

---

(١) جمع عسيف وهو العامل الأجير الذي يعمل لغيره.

حضارة إسلامية قائمة، ساست العالم، أو ما وصلت إليه هدايته بالقسطاس المستقيم.

◻ وبعد أن بيَّن حال المسلمين المؤسفة والمخزية عندما تركوا العمل بالشريعة الإسلامية ونسوا كتابهم وسنة نبيهم الكريم، انتقل فضيلته إلى بيان محاسن الشريعة الإسلامية، وما أسبغته على المسلمين من فضل وعزة وازدهار عندما تمسكوا بها ورفعوا راياتها خفاقة ثم قال: ولكن لما هجرها المسلمون، وأقاموا بعض القرآن وأهملوا بعضه ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ وأخذوه متفرقًا، ولم يأخذوه كلاً لا يقبل التجزئة، وحُكْمًا عامًا لا يقبل التخصيص، وشرعًا عادلاً لا يقبل التفرق. لَّما فعلوا ذلك آلُوا إلى ذلك المآل، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم[1] .

*** أبو زهرة يدعو إلى الجهاد لتحرير الجزائر ويقول: تحرير الجزائر تحرير للأمة الإسلامية[2] :**

◻ وينتقل الإمام «أبو زهرة» من الدعوة إلى التمسك بشريعة القرآن والعمل بأحكامها إلى استنفار المسلمين في كل بقاع الأرض للعمل على الوقوف صفًا واحدًا من أجل مساعدة شقيقتهم الجزائر المسلمة التي تعاني من ذل وقهر الاستعمار الفرنسي أخس شعوب أهل الأرض ويؤكد أيضًا على أن المنطلق إلى الجهاد والتضحية من أجل الوطن أساسه التمسك بشريعة اللَّه.. شريعة القرآن.. فيقول:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأنفسكم وألسنتكم**

(١) المصدر السابق (١/١٩٦ ـ ١٩٩).
(٢) «مجلة لواء الإسلام» ـ العدد الثالث ـ السنة العاشرة (ص١٦٥)، و«أبو زهرة إمام عصره» (١/٢٠٥ ـ ٢٠٩).

وأموالكم» وهذا أمر عام خالد إلى يوم القيامة، ولذا قال ﷺ في حديث آخر: «**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**».

وإن الجهاد أصبح الآن أوجب الواجبات على المسلمين، على كل مسلم قادر على حمل السلاح أن ينتضي سيفه ويتقدم للجهاد، وعلى كل ذي مال أن يقدم ما يستطيع أن يعاون به جند اللَّه ولقد قال تعالى: ﴿**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾، وإن هذا ينطبق علينا اليوم نحن المسلمين تمام الانطباق، فإننا إن لم ننفق في سبيل اللَّه تعالى لأولئك الذين امتشقوا السلاح، وهم يجاهدون بالصبر ولا مال معهم، ولا مأوى يأوون إليه، وليس لهم من القوة إلا إيمان صادق، وعزم ثابت وإرادة وثيقة، وقوة نفس، إننا إن لم ننفق عليهم أصابتنا التهلكة، وافتَرَسَنَا أولئك الأعداء فريسة بعد فريسة، وأخذونا لقمة بعد لقمة، والتهمونا طعم بعد طعم.

وعلى ذوي الأقلام والألسنة أن يكشفوا خبايا النيات الصليبية، والمستور من الخبائث الفرنسية، وأن يعلنوا حقيقتهم وحقيقة من يمالئونهم، ويروِّجون لهم بين المسلمين ويلقون في روع الناس أنهم أحرار، وما هم إلا أنذال فهم الذين يتحدث ماضيهم بالخزي والعار، ويتحدث حاضرهم بالإسفاف والصغار، ألم يستضعفوا أمام الإنجليز في الماضي ويسلموا لهم قائدهم الذي كان رمز مجدهم يسومونه في «سانت هيلانة» سوء المهانة والمذلة؟! وألم يستسلموا للألمان استسلام الخانع الذليل المهين الذي يرضى بالهوان بدل العزة، ويخضعوا للحكم الألماني بضع سنين لم يرتفع لهم فيها صوت؟ وها هم أولاء اليوم يلقون بنصف مليون من شبيبتهم في الجزائر أمام عشرين ألفًا، ويستعيرون الأسلحة من أمريكا وانجلترا لدك الأرض دكًا؛ لأن قومًا قالوا: نحن أحرارٌ في بلادنا، وأننا إن لم ننل الحرية اختيارًا فسننالها انتزاعًا، ننتزعها بإرادة لا تعرف الضعف، فإن الحرية هي معنى الإنسانية، وخير أن نعيش

كالإنسان ونحن نسير إلى ميدان القتال من أن نعيش آمنين في ظل من الخنوع كما رضي الفرنسيون تحت حكم الانجليز، وتحت حكم الألمان.

*** الإبادة الكاملة لأحياء المسلمين:**

◘ هذا واجب المسلمين، وهو يوم النفير، لا يصح لأحد أن يتقاعس عن واجبه، ويقول ماذا أصنع أو ماذا نَصنع. إن هذا يوم الجزائر وغدا يوم تونس. ومن بعدهما ليبيا، وهكذا يفنون الجماعات الإسلامية قبيلاً بعد قبيل، وكل ينتظره دوره، وهم في غفلة ساهون يرتعون ويلعبون، وكأن الأمر لا يهمهم في شيء، وكأنها ليست الذراري والنساء المسلمات يسبين، وتهتك أعراضهن، ويفنى رجالهن.

ولقد وصف الذين شاهدوا وعاينوا وخرجوا من حر السيوف، ونيران المدافع إبادة المسلمين ودك القرى والمدائن فقالوا: إن الأنذال من قواد الفرنسيس، وكلهم كذلك، يقسمون الأراضي التي يسكنها المسلمون إلى مربعات محدودة، ويجيئون إلى كل مربع بأكمله، فيحيطون به إحاطة الدائرة بقطرها حتى إذا أحكموا الالتفاف، أرسلوا صواعق النيران من الأرض والسماء فالمدافع تقصف والطائرات تلقى النيران من السماء، حتى إذا لم يبق في المربع حي، فلم يعد فيه ديار ولا نافخ نار، اتجهوا إلى مربع آخر.

*** هذه أُمتكم أمة واحدة:**

◘ فهل لمسلم أن يسكت عن هذه الشرور، ويترك إخوانه في هذه الإبادة؟ إنها إذن الحالقة لكل خير، وإنه الموت الذليل، وإنه الفناء العتيد، وإن أشد ما تصاب به النفس أن تقطع أجزاؤها، فلا تحس بألم، وتستأصل منهم قطع متجاورات، فلا يشعرون بألم القطع، ولقد فقد المسلمون الإحساس بالأخوة العامة التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ﴾ وفقدوا معنى الوحدة فلا يدركون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ولقد تضافرت الآلام واشتدت فعسى أن تكون منبهة للغافل، موقظة للنائم، شاحذة للعزائم، وللهمم.

◘ وإن أشد ما ابتلي به المسلمون في هذه الأيام أمران (أحدهما) وجود طائفة منهم تعتقد الخير في فرنسا وانجلترا وأمريكا، وغيرها من تلك الدول الصليبية التي تنهش لحوم المسلمين ولا تني عن الضرب والأذى في كل حين، وإن هؤلاء يؤمنون بالمدنيَّة الأوربية أكثر من إيمانهم باللَّه، ويؤمنون بالحضارة المادية ولا يؤمنون بشيء سواها من الحياة، كل مظهر حسِّي يستولى عليهم، وكل بريق مادي يأخذهم، وليس لهم من الإسلام إلا اسمه، وليس لهم من التدين إن كان إلا رسمه، وأولئك يوهنون أحكام الإسلام، ويعظمون ما عند الأوربيين أيًا كان، فقد استرقت أوربا وأمريكا نفوسهم، ولو زال نصف الرقعة الإسلامية من الأرض ما بكوا، وإن أصيب جزء من فرنسا أو انجلترا أو أمريكا بأذى شقوا الجيوب، ولطموا الخدود..!!

◘ ولو كان هذا الصنف من الناس هينًا عند الناس، كما هو مهين في ذاته لهان الأمر ولسهل الخطب ولكن مع الأسف لهم بين الناس قيادة فكرية وصلوا إليها في غفلة من الزمان وقد فسدت فيه مقاييس التقدير، واضطربت موازين القيم الخلقية والعلمية، وصارت السطوة لأجهر الأصوات، وإن كان صاحبه أجوف لا ينطوي على شيء.

هذا الصنف من الناس ما رأى حماسة دينية إلا أطفأها، ولا إقدامًا على عمل إلا ثبطه، وإننا لنرجو أن يسكت اللَّه تعالى هؤلاء، وأن يجعلهم كحقيقتهم لا يؤبه لهم في شيء، ولا يلتفت إليهم في قول، فإنه إذا خفت صوتهم علا صوت الحق ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

❑ **والأمر الثاني**: الذي ابتلي به المسلمون في هذا الزمان اليأس والضعف وخور العزائم وانحلال الإرادة، فلا عزيمة تمضي، ولا إرادة تبرم، ولا رأي يجتمع، ولا فكرة توحد ﴿**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**﴾ قد فرقهم الفكر، وفرقهم الهوى، وفرقهم الكبراء ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

❑ وإن هذين الأمرين كانا سببًا في الماضي في أن خرت الأقاليم الإسلامية صريعة تحت سلطان النفوذ الأوربي، وأن فقد المسلمون الثقة بأنفسهم، وأن صاروا نهبًا مقسومًا لكل غالب، وأن استخذوا ودينهم دين العلو، وأن ذلوا ودينهم دين العزة، وأن ضعفوا واستكانوا ودينهم دين القوة والجهاد.

تلك حالنا إن نبتت نابتة قوة خَذَّلها عبيد النصارى بدعايتهم الذليلة، وإن اشتعلت للحق نار أطفئوها بتخذيلهم المزري، وأهل الإيمان في حيرة بين ضعف الضعفاء واستخذاء الأقوياء، وإلحاد الملحدين، وضلال الضالين، حتى صار المسلمون طعمة للآكلين.

وإن الأمر في الجزائر واضح بين: توحش غاشم همجي، يتحكم في أحرار، ولكن نجد المخذِّلين مع ذلك لا يتكلمون ويترددون، وإن اضطروا لكلمة الحق قالوها لكيلا ينكشف أمرهم وينفضح مستورهم، وليجدوا مساغًا لزيف القول يرددونه في الوقت المناسب. ولما شاعت وذاعت تلك المظالم الفرنسية، ولم يُحرْ أحدٌ عنها جوابًا، لعبت فرنسا لعبة لتوجد لهؤلاء الضالين المضلين كلامًا يقولونه ويسوغونه، ذلك أن نائب رئيس وزرائهم قد استقال للمذابح في الجزائر!! بخ بخ!! كأن مذابح الجزائر بنت اليوم، وكأنها لم تكن منذ أكثر من شهر، وكأنها لم تكن لها مثيل في مراكش من قبل. وأشاعت الصحف التي تمالئ فرنسا في مصر أن ثمة أزمة فرنسية بسبب تلك المذابح. ولقد كذبتهم الحوادث، فإن المذابح ما زالت مستمرة، وعملية الإبادة

ما زالت قائمة على قدم وساق، والجزارون ما زالوا آخذين بالمدى يقومون بعملية الذبح على أقبح وجه رآه تاريخ الإنسانية. وإن حوادث التتار في الماضي لأقرب إلى الإنسانية من تلك الهمجية؛ لأن أولئك كانوا رجالاً ففيهم بطولة ومروءه وشجاعة، وأما الفرنسيس فشيء آخر، لا إنسانية، ولا رجولة ولا مروءة، ولا شجاعة ولا أي شيء مما يعلو به ابن الإنسان.

*** إنه حب الدنيا.. وحب الشهوات!!**

◻ وإنا لنسمع بين وقت وآخر: ماذا نصنع مع هؤلاء الأقوياء؟ تلك كلمة قالها الضعفاء من المسلمين، وقالها الأقوياء وقالها الأغنياء، وقالها ذوو الألسنة والأقلام، ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾ ماذا يصنع أكثر من خمسمائة مليون أو زهاء ستمائة مليون لإنقاذ تسعة ملايين من أجبن دولة رآها التاريخ.. إنهم يصنعون لها العجائب إن أرادوا وأجابوا داعي الإيمان في قلوبهم، ولكن الأمر فيهم أنهم استناموا إلى الراحة، وآثروا الاطمئنان من الخذلان، على النفير مع العزة. لقد تنبأ بذلك خليفة رسول اللَّه ﷺ عندما قال: «**واللَّه لتألمن من النوم على الصوف الأذربي كما يتألم أحدكم من النوم على حسك السعدان**» إنه التنعم المزري الذي يشجعه فينا الذين يريدون بنا الذل والهوان، إنه حب الدنيا وحب الشهوات.

◻ ويسترسل الإمام «أبو زهرة» في استنفار المسلمين للأخذ بيد شقيقتهم الجزائر فيقول:

◻ **أيها المسلمون**: أين الأموال التي تخرج من باطن الأرض الإسلامية لتتحول إلى ذهب في أيدي الكبراء، أأرسل أحد من هؤلاء طائفة من تلك الأموال كي يشتري بها أولئك المجاهدون سلاحًا يذودون به عن حياضهم، ويحمون حمى الإسلام؟! ولماذا لا تذهب كتائب الفدائيين لتلقي الذعر في

صفوف الأنذال من جند فرنسا؟! ولماذا لا تذهب كتائب من المجاهدين الأحرار تعمل في الصفوف؟ ولماذا لم ترسل الحجاز والعراق وباكستان وإيران وغيرها كتائب. إن الأمر أمر الإسلام كله، لا أمر الجزائر، إنها بلاد الإسلام تقتطع قطعة قطعة، بل أين الأطباء الذين يذهبون ليداووا كلوم الجرحى، أين أطباء الهلال الأحمر! اللَّهم لا حول ولا قوة إلا باللَّه.

*** الجهاد.. الجهاد!!**

إن الجهاد نية واحتساب، وليس أموالاً، ولا مادة، وإنه ليروى في ذلك عن أنس بن مالك خادم رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «جاء رجل إلى عمر يقول له: يا أمير المؤمنين، احملني فإني أريد الجهاد. فقال عمر لرجل: خذ بيده فأدخله بيت المال يأخذ منه ما شاء، فدخل الرجل. فإذا ببيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ ما لي في هذا حاجة، إنما أردت زادًا وراحلة.. فردوه إلى عمر. فأمر بزاد وراحلة. وجعل يعد له الراحلة بنفسه. فلما ركب رفع الرجل يده يحمد اللَّه ويثني عليه بما هو أهله؛ لأنه مكنه من الجهاد، وسار عمر يمشي خلفه يتمنى أن يدعو له، فالتفت إليه الرجل وقال: اللَّهم فاجزه خيرًا».

تلك هي النية المحتسبة، وإنها لو وجدت عند كتيبة إسلامية لأزالت الجبال من مواضعها إننا نعتقد أن سلائل أمثال هذا الرجل ما زالوا في المسلمين، فلقد قال النبي ﷺ: «**لا يزال قوم من أمتي يقاتلون عن أمر اللَّه، يزيغ اللَّه بهم قلوب أقوام وينصرهم عليهم، حتى يأتي أمر اللَّه والخيل معقود في نواصيها الخير**».

وإن هذا الزمن هو الذي يجب أن يظهر فيه أولئك الأقوام، ألا فليظهروا وليجيئوا من أقصى الصين أو باكستان أو أي بلد إسلامي حتى

يصلوا إلى أرض الجزائر ويعلموا الفرنسيين ونصراءهم أن في القلوب إيمانًا، وأن أمة القرآن ما زالت تحمل السيف كما تحمل القرآن، وأن هذه السياحة التي يسيحون بها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب هي جهاد الإسلام، فقد قال عليه السلام: «**سياحة أمتي الجهاد في سبيل اللَّه**» اهـ.

*** أبو زهرة عدو الشيوعية والاشتراكية العلمية ـ والشيوعيين:**

◘ قال ـ رحمه اللَّه ـ: «الشيوعيون يجدون أن مذهبهم لا يسكن إلا في نفوس فارغة من الدين والخُلُق، فكان عملهم الأول هو تفريغ النفوس من الدين والخُلُق حتى إذا فرغت أسكنوها ذلك المذهب المادي الرخيص!!.

ولذلك أقول وأصرّ على ما أقول: إن الإباحية التي تهدم الدين والخُلُق قنطرة الشيوعية، ولا يمكن أن تسكن الشيوعية في قلب مؤمن»[1].

◘ قال الفقيه الشجاع أبو زهرة هذا في عصر قال فيه عبدالناصر أثناء انعقاد اللجنة التحضيرية «للمؤتمر الوطني» للقوى الشعبية عام ١٩٦١ بالحرف الواحد: «ليكن لنا في مجتمعنا الجديد مسجد حرام هو «البناء الاشتراكي» فلنقل للناس جميعًا.. هذا هو مسجدنا الحرام!!! من دخله فهو آمن!!!»[2].

وكان ذلك بداية دعوة صريحة للاشتراكية العلمية المنحرفة، والتي حمل لواء الدعوة إليها عدد من الكتاب والصحفيين الذين عرف عنهم التبعية لكل عهد..! والجري وراء ما يقربهم من السلطان أيًّا كان.. لتطويعه وتضليله ولتنفيذ مآربهم من خلاله..

ولعل أهم ما يميز هؤلاء أنهم عبارة عن مخلفات زمان مضى.! ورثوا من سبقهم من عملاء... ودعاة هدم لكل ما هو شامخ من يوم أن شق

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (٣/ ١٣٣).
(٢) المصدر السابق (ص١٣٤).

الاستعمار الاستشراقي طريقه بين صفوف أمتنا.. وهدفهم واحد، وهو أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية والسيطرة الغربية، كل الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، ولكي يتم بهذه الغلبة انهيار الكيان الكبير الشامخ، الذي بناه أجدادنا في قرون سالفة وصححوا به فساد الحياة البشرية في كل نواحيها الإنسانية والأدبية، والأخلاقية، والعملية، والفكرية، وردوها إلى طريق مستقيم.

*** وجاء في تخاريف وأكاذيب الميثاق الذي اخترعه عبدالناصر:**

«إن الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وصولاً ثوريًّا إلى التقدم لم يكن افتراضًا قائمًا على الانتقاء الاختياري، وإنما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية، فرضها الواقع، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير كما أكَّدَ الميثاق: أن الصراع الطبقي لا يمكن تجاهله وإنكاره».

ويقول الميثاق أيضًا: «إن الاشتراكية العلمية، هي الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم. وأن أي منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود.. ويوجد في الميثاق أيضًا: «ضرورة سيطرة الشعب على أدوات الإنتاج.. وتوجيهها طبقًا لخطة محددة، كما يدافع بشدة عن التأميم وأثره في ضرب المبادرة الفردية.. إلخ..!!».

وهذا ترديد للأفكار الماركسية وقد تصدى أبو زهرة البطل وفند أوهام الشيوعيين وأبطل ادعاءاتهم وردّ ـ رحمه اللَّه ـ على من يقولون إن الإسلام وهو غض كان يدعو إلى الاشتراكية بالقول والعمل، وأن ما تركه محمد كان كله يساريًا وأنه لم يطبق إلا في حياته، وبعض حياة الراشدين من بعده، وكان تعبيرهم في هذا ينقصه الذوق، وتنقصه اللياقة في القول، فوصفوا دعوة محمد بأنها يسارية، ووصفوا الراشدين بأنهم يساريون، وكان يمكن أن

يعبروا بغير هذا التعبير، محافظة على مقام الرسالة، ومقام الصديقين من أصحابه الحواريين، ولكنهم لم تستقم قلوبهم، فأنى تستقيم ألسنتهم؟ ورحم اللَّه تعالى أبا بكر الصديق ﷺ، إذ يقول: «استقامت ألسنتكم لو استقامت قلوبكم».

* لا يؤخذ الدين إلا من قلب تقي:

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«أعرف أن ناسًا من الذين يتجرون بالقول، بل بالدين يموهون ويلفون لفهم باسم الدين، ويعتقد بعض الناس أنهم من أهل العلم به؛ لأنهم يتزيون بزيه، ويلهجون بذكر آي القرآن من غير أن يعنوا بفهم مغازيها، وبأحاديث رسول اللَّه ﷺ من غير أن يتعرفوا غاياتها ومراميها أو يتعرفوها ويعرفوها، ثم يلووا بها عن مقاصدها ليًا، لهوى متسلط عليهم، ولكن الدين لا يؤخذ إلا من قلب تقي، وعقل ذكي، وفكر مستقيم، وإخلاص، ولذلك يرفض الناس كل إلحاد في دين اللَّه، أو تحريف للكلم عن مواضعه أو انحراف في فهم مقاصده، ويتجهون إلى حقائقه اتجاهًا مستقيمًا، لا عوج فيه، وكل دعوات هؤلاء في هباء، كصرخة في واد، لا يتردد صداها، إلا للذين صرخوها، ولا يسمعها إلا الذين أصدروها، ويحسبون أن لهم مستمعًا، ولا سميع ولا مجيب[1] .

* الشيخ أبو زهرة يؤدب لويس عوض:

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ رادًا على لويس عوض:

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٩).

- **الحقائق عندنا لا تضيرها الأحجار:**

في مصر كاتب ليس بمسلم يكتب في صحيفة الأهرام ويكتب كلامًا غير بين، لا يتضح فيه مقصده ولكن يحوم حول مصطلحات أفرنجية، وعبارات لا يتحدد مدلولها، ولا يتميز موضوعها، وأوضحها ما يلمز فيه الإسلام، ويوهن شأنه، ولا نجاريه فنرد الحجر من حيث جاء لأننا نخشى على زجاجه، والحقائق عندنا لا تضيرها الأحجار، وراميها كناطح الصخر يوهن قرنه ولا يوهنها.

- **لقد تعرض بفضول لأمرين:**

أولهما: أنه قال في لغة ساخرة: «يتمسك أهل القرى بأنهم خير أمة أخرجت للناس»، ويشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾. ولسنا نطلب منه أدب القول، ولياقته، فإن فاسد الأدب لا يلقنه، وفاسد الذوق لا يعلمه، ولكن نقول أن أمة الإيمان خير أمة أخرجت للناس؛ لأنها تأمر بما هو معروف غير مستنكر عند أهل العقول وتنهى عما تنكره العقول وعن الانحراف وعن تقليد الفاسدين، وتعلم أن كل تغيير ينتهي إلى غير الأخلاق فاسد؛ لأنها تدعو إلى الخير والإيمان، لا إلى الانحراف والشذوذ والكذب والفساد، أو تريدها كأمريكا التي تمد الخائنين، أو تريدها كالانحلال الخلقي في انجلترا وغيرها. إن كنت تريدها كذلك فقد رمت صعبًا، وأردت أمرًا إدًّا فاخسئوا فيها ولا تتكلموا.

الأمر الثاني: أنه ينادي بضرورة الإصلاح الديني في الإسلام، فإذا كان كلامه في الأمر الأول فساد أدب وذوق، فكلامه في هذا الثاني فساد ذوق وفضول وافتراء.

ونسأله ما الباعث على الإصلاح الديني، أهو بيع الغفران، أهو السفاح في دهاليز المعابد، أهو الرشا وابتزاز أموال الناس مما حرك لوثر وكلفين وغيرهما إلى الإصلاح، إنه لا شيء من ذلك وليس في الإسلام شيء منه، أم هو منع الانزلاق في مفاسد الشرق والغرب وانحلاله، إن كان كذلك، فإن ما تدعو هو الفساد، وما يتمسك به رجال العلم الإسلامي هو الصلاح الذي لا ريب فيه[1].

□ يقول ـ رحمه اللَّه ـ عن الشيوعيين ومحاولة إخفاء نياتهم الخبيثة عن المسلمين: «إن الحق أبلج والباطل لجلج، وإن في قلوب الناس نوراً يستضيئون به، ولهم عقول يدركون بها، وإذا خفي الباطل على بعضهم، فلن يخفى على جُلّهم.

لقد كانت الدعوات الهدامة تعيش في خلايا، وتختفي عن الأعين، ولا يجد الناس لمعرفة كنهها إلا أن أصحابها يسيرون وراء أناس بعداء عنا، دولاً أو جماعات، أو دعايات، وما يعرفه الناس من أمرها لا يكون مكشوفًا، بل يكون في غلس بين الليل المظلم والصبح المنير، وأولئك المختفون يحيطون كلامهم بمعسول من الألفاظ يبثونه في المجالس خفية، فيكون الإخفاء والإبهام سببين للتتبع والتعرف، ومثيرين للرغبة عند ذوي الآفات العقلية؛ ولأن الممنوع متبوع، وأن المحرم يشتهي ويطلب عند أهل النفوس المنحرفة، والقلوب المريضة، والذين قال اللَّه تعالى في أمثالهم: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾، وكانوا يجمعون الأتباع بالإغراء المالي أحيانًا، وبالنساء أحيانًا، وخب اليهود في ذلك.. وكانت الحسناوات من اليهود وسائل الإغراء يطمعن ولا يشبعن ليأخذن بزمام الشباب

(١) المصدر السابق (ص١٦٠ ـ ١٦١).

ومقاودهم، وليس غرضهم إلا فك المجتمع الإسلامي، والشكائم الدينية والخلقية، ليتم لهم ما يريدون، ولا يريدون بالعرب والمسلمين إلا خبالاً، ولا المبادئ الفاضلة إلا وبالاً، ليستمر استيلاؤهم على الأرض التي اغتصبوها، وليفسدوا الإرادة التي تريد أن تقتلهم.

- **إعلان الباطل!**

ولما بدا الصبح لذي عينين، وأعطاهم أولو الأمر حق الإعلان استعلنوا فانكشفوا، فتبين تخبط، واضطراب، وأقوال تافهة لا يبعث إليها إلا تقليد من غير تفكير، واتباع من غير تدبر، وترديد للقول من غير أن يفهموا مراميه ولا غاياته، وصاروا بالنسبة للأدلة كحاطب ليل، لا يدري أيقع على حطب أم يقع على أفعى».

◻ يقول الشيخ أبو زهرة راداً على دعواهم بيسارية الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

«من أجل أن نصدق قولهم يجب أن يكون محمد قد ألغى الملكية الفردية، ولم يبق إلا الملكية العامة، وأن يكون محمد قد استغنى عن الزكاة بالتوزيع الذي توزعه اليسارية، أن يكون محمد قد اعتبر الشخص وما كسبت يداه ملكًا للدولة ليس له أن يتصرف إلا من طريقها، وأنه ليس للأشخاص من أموالهم إلا ما يكفيهم بالمعروف، وأنه لا ينتقل مال من رجل أو امرأة إلى ذويه بالميراث، وأن ثمرة المال لصاحبها إذا لم تزد عن حاجته، وأنه إذا تجاوزها كانت مكاسبه شركة بطرق مختلفة، ولا تنتقل قط بالميراث، فهل كان محمد كذلك؟ وهل سار الخلفاء من بعده على هذا المنهاج، لقد ادعوا أن أبا بكر وعمر وعليًّا ﷺ كانوا يساريين، وأن عثمان ﷺ قتل لأنه كان غير يساري، واستثار معاوية ﷺ أصحاب رءوس الأموال على إمام الهدى علي، ذلك قولهم بأفواههم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

❑ ونقول في إيضاح أكثر ردًا على مفترياتهم: إن محمدًا ﷺ أثبت الملكية الخاصة، وقرر أنها لا تمس إلا بحقها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه**»، ولا تمس الملكية إلا إذا كان ضرر.

● يقول النبي ﷺ : «**لا ضرر ولا ضرار**».

وفي حال مسها إذا كان كسبها طيبًا وجب العوض بما لا يقل عن القيمة وقت الاستيلاء عليها، كما قرر مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الأول.

وأن النبي ﷺ قرر الزكاة، ولم يعتبر التوزيع مانعًا من وجوبها، بل إنها حقيقة التوزيع، وأرسل الولاة في الأقاليم لجمعها من أرباب الأموال، وقدر مقاديرها، في الأبل والبقر والغنم، وفي الأموال السائلة. وجمعها من أصحابه معاذ بن جبل رضي الله عنه، وغيره من كبار أصحاب رسول اللَّه ﷺ .

ولما قبض اللَّه تعالى رسوله إليه، وارتد من ارتد من ضعاف الإيمان من الأعراب، وقاتلهم أبو بكر، حتى أزال شوكتهم قبلوا أن يقيموا الصلاة ولا يعطوا الزكاة فوقف أبو بكر وقفته الصامدة الحاسمة، وقال: واللَّه لو منعوني عقالاً أعطوه رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم عليه، قال رضي الله عنه، مخاطبًا جماهير المسلمين: «واللَّه لو أفردت من جمعكم، لقاتلتهم، حتى أنال مأربًا أو أقتل مقتلاً». وقال قولة جازمة قاطعة: «إما حرب مجلية، وإما سلم مجزية» وما زال بهم، حتى أعطوا الزكاة طوعًا أو كرهًا.

❑ فهل كان محمد ﷺ يساريًا عندما قرر فرضية الزكاة؟ وهل كان أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يساريين عندما تشددوا في الزكاة ذلك التشدد؟ ولا زكاة إلا إذا كانت الملكية الخاصة ثابتة، وأنتم معشر اليساريين تحاربون الزكاة بجدع الأنف، حتى أنه ليقول بعض مجانينكم: «إن الزكاة بقية من بقايا الجاهلية».

❑ وهل كان الإسلام يساريًا عندما فرض الميراث وقرره فريضة محكمة

لا تقبل الترك إلا عند ضلال الأمة، وقد بينه بالتفصيل الذي لا يأتيه الريب، وما بين القرآن أمرًا شرعيًا بيانًا كاملاً كالميراث. ولقد سماه النبي ﷺ نصف العلم، وأوجب تعلم الفرائض، وتعليمها للناس، فقال ﷺ: «**تعلموا الفرائض وعلموها للناس، فإنها نصف العلم، وأول علم ينسى**»، وأكد النبي الكريم تقسيم المواريث، كما قسمها اللَّه تعالى في قرآنه الحكيم فقال: «**إن اللَّه قسم الفرائض، فأعطوا كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث**»، وهكذا بين القرآن الميراث، وحث عليه، وبذلك أكد ملكية الآحاد في حياتهم، وامتدادها لذوي قراباتهم والاتصال بهم من بعد وفاتهم.

ومنع النبي والقرآن الكريم المالك من أن يتصرف في ملكه من بعد وفاته لغير ورثته إلا في دائرة الثلث، وقد اعتبر ذلك صدقة من اللَّه تعالى عليهم؛ لأن المال للورثة بعد الوفاة لا يصح أن يترك عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه تصدق عليكم بثلث أموالكم في آخر حياتكم، فضعوه حيث شئتم**».

وقد اشتد المرض على أحد الصحابة فذهب النبي ﷺ لعيادته، فسأل النبي، أفأتصدق بكل مالي؟ فقال الرسول الأمين: لا. فقال: أبنصفه؟ قال: لا، قال: بثلثه ـ قال: **نعم، والثلث كثير إنك إن تترك أولادك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس**».

وهكذا تقرر الحق في الميراث، فهل اليسارية تقرر الميراث وتعتبر من يحاربه عاصيًا للَّه تعالى محاربًا لفرائض اللَّه تعالى؟ إن كانت كذلك، فليست هي الشيوعية، وإن كانت تعارضه، فليس ذلك هو الإسلام، فاتركوه، واستمروا في غيكم تعمهون. والإسلام في علو دائم، إن شاء اللَّه تعالى، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[1].

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٤ ـ ١٥٦).

* أخطر وثيقة للفكر الشيوعي!

نشرت مجلة «كلمة الحق» في إبريل سنة ١٩٦٧ حقيقة الوثيقة التي وضع فيها فلاسفة الفكر الشيوعي الأسس التي يقوم عليها هدم الأديان خاصة الدين الإسلامي.. الذي يمثل العقبة الرئيسية أمام انتشار «أكذوبة الشيوعية» وسوف نقوم بنشر البنود الخاصة بكيفية مهاجمة الدين الإسلامي والقضاء عليه.. وإزاحته من طريق الفكر الشيوعي!!

* تقول الوثيقة:

برغم مرور خمسين سنة تقريبًا على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعًا وما يزال يتفجر قوة بدليل أن ملايينا من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم[1] وخصم عنيد للاشتراكية، وفي خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين ولذلك قررنا:

١ ـ مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه والمهادنة لأجل أن نضمن السيطرة ونجتذب الشعوب العربية إلى الاشتراكية.

٢ ـ تشويه سمعة علماء الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٣ ـ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع مراحل التعليم بجميع المعاهد ومزاحمة الإسلام ومحاصرته.. حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.

---

(١) هذا من وجهة نظر أرباب الفكر الشيوعي وأبسط ما يوصفون به أنهم يستقون تفكيرهم وتشريعهم من قاع المجاري!!.

٤ ـ . . الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين، ولو أدى إلى الموت وتنفير الناس بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة للإسلام.

٥ ـ تشجيع الكتاب الملحدين وإعطائهم الحرية في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية.

٦ ـ قطع الروابط الدينية بين الشعوب وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

٧ ـ إن فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس؛ لأن الدين يكمن في الضمير، والمطلوب هو هدم الضمير الديني. . بالقصص، والمسرحيات، والمحاضرات، والصحف، والأخبار، والمؤلفات التي تروج للإلحاد وتهزأ بالدين ورجاله، وتدعو للعلم. . «والاشتراكية العلمية» وحدها.

٨ ـ خداع الجماهير. . بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي فهو فقير من أسرة فقيرة. ومحمد إمام الاشتراكيين. . فهو فقير وأتباعه فقراء وحارب الأغنياء المحتكرين، والإقطاعيين. . وبقدر الإمكان نبعد عن الأنبياء القَداسَات الدينية والروحية لنجعلهم بشرًا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم!!!، وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون.

٩ ـ في القرآن والتوراة، والأناجيل. . قصص. . ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيرًا ماديًا اشتراكيًّا لتعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين.

١٠ ـ إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم

للتفكير وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والأغاني الوطنية والتنظيمات الحزبية.. والمحاضرات المذهبية والوعود المستمرة برفع الإنتاج، ومستوى المعيشة وإلقاء مسئولية التأخر والانهيار الاقتصادي، والجوع، والفقر، والمرض، على الرجعية والاستعمار والإقطاع ورجال الدين.

١١ ـ الهتاف الدائم ليل نهار بالثورة وأن الثورة هي المنقذ الوحيد للشعوب من حكامها الرجعيين والهتاف للاشتراكية بأنها الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٢ ـ نشر الأفكار الإلحادية بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي!!

١٣ ـ لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك؛ لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر!! ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها!! فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والمواريث الدينية جميعها!!

١٤ ـ الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف، والدين الصحيح هو الاشتراكية، وإلصاق كل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وأن الخرافة تكمن في الدين الزائف.. لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

١٥ ـ تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطور، ودين المستقبل حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه، والاحتفاظ منه بالاسم فقط، لأن العرب إلا القليل منهم مسلمون بطبيعتهم.. فليكونوا الآن مسلمين اسمًا اشتراكيين فعلاً.. حتى يذوب الإسلام لفظًا كما ذاب معنى!!

❑ وتؤكد الوثيقة على أن ضرب الإسلام هو المقصود أولاً.. إن لم يكن هو المقصود أولاً وآخرًا. تقول الوثيقة:

١٦ - الاهتمام بالإسلام مقصود منه أولاً.. استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام.. ثانيًا.. استخدام الإسلام للدخول في شعوب العالم الإسلامي رغم أن القوى الرجعية التي في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة!!

*** الشيوعية.. تكشف عن أنصارها!!**

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول:

إن في المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجدّ.. وقد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات والإدارات الحكومية، والشركات، والمؤسسات الرسمية، وغير الرسمية، ووقفوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن نجاحهم في الوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الهامة الناجحة..

ولئن كان من المتعذر جدًا توقيت التحرك الفوري إلا أن التمهيد له ينتهي في وقت غير بعيد.. ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري، وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسئولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ويعملون تحت ستارها ما يريدون. في أمن وطمأنينة. مع اليقظة والحذر، دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسئولين.

وأنصارنا منبثون في كل الوزارات والإدارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد

اتساعًا ويزداد تغلغلهم على مرّ الأيام»[١] .

*** الشيخ أبو زهرة يرد على أوحال عبدالرحمن الشرقاوي شديدة السواد والقتامة في كتاب الشرقاوي «محمد رسول الحرية» وهو يشكك في آيات اللّه وينسب القرآن إلى رسول اللّه ﷺ :**

قدّم الشيخ محمد أبو زهرة تقريرًا إلى المسئولين وسجّل فيه تعمد إساءة الكاتب إلى الرسالة المحمدية وجوهر العقيدة، وبرغم خطورة ما ورد في التقرير لم يلق حظه من النشر في وسائل الإعلام على نطاق واسع ولم يلتفت إليه المسئولون. . وبقي الكتاب المذكور ـ أعلاه ـ متداولاً بالأسواق إلى وقتنا الحاضر وعلى الصفحات التالية نعرض الحقائق التي تعمّد عبدالرحمن الشرقاوي بها الإساءة إلى الرسالة وصاحب الرسالة وذكرها الشيخ أبو زهرة في تقريره[٢] .

وللأمانة التاريخية فإن تقرير الشيخ أبي زهرة أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم من الشيخ أبي زهرة قبل وفاته، وقد احتفظ به حتى أُتيحت له فرصة نشره في الاعتصام عام ١٩٧٥م وهو الذي قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن:

*** اتجاه غير ديني!**

◻ يقول الشيخ أبو زهرة في مستهل تقريره: «أن الكتاب لم يسلم من الخطأ، أو بالأحرى كان له اتجاه غير ديني وفي دراسته فهو ما درس محمدًا

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٨ ـ ١٤١).

(٢) انظر «جيل العمالقة» لأنور الجندي (ص٢٢٦ ـ ٢٤٠)، و«أبو زهرة إمام عصره» (ص١٦٣ ـ ١٧٢).

ﷺ على أنه رسول يوحى إليه، بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية، فسرها الكاتب على ما يريد، وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد، ويهونون من أمره، فتزيل عنه ما يتوهمون، وتبين أن له شأنًا ومقامًا في تفكيره ومنحاه، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه، فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة لغير المسلمين وفي هذه الحال فقط.

◻ وأما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي ﷺ عند اللَّه، ومقام الرسالة الإلهية التي يحملها النبي ﷺ . والتي هي مصدر علمه، فإنه لا فائدة فيها من جهة، وتوهين للعقيدة الإسلامية من جهة ثانية، وهي غير صادقة من جهة ثالثة وإذا برز نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد، فنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة، ومنفر للقلوب ومضعف للإيمان.

*** لماذا يقتطع جملة من آية؟!**

وإن أول ما يلمحه القارئ من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلاً، أن الكاتب يقطع النبي ﷺ عن الوحي، فكل ما كان من النبي من مبادئ وجهاد في سبيلها، إنما هي من عنده، لا بوحي من اللَّه تعالى، وهي به بمقتضى بشريته، لا بمقتضى رسالته، ولعل العنوان الذي اختاره للكتاب مع إردافه بعنوان آخر صغير يشير إلى بشرية النبي ﷺ فقط، وهذا العنوان قوله: ﴿**إنما أنا بشر مثلكم**﴾ فقد اختار هذه الجملة ليعلن أن ما وصل إليه النبي ﷺ من مبادئ جاهد لأجلها، إنما هو صادر عن بشرية كاملة، لا عن نبوة..

ولكي يتم له الاستشهاد اقتطع الجملة اقتطاعًا مما قبلها ومما بعدها، فإن هذه الجملة وردت في نصين من نصوص القرآن الكريم أولهما: في سورة الكهف، وهو قول اللَّه تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله**

واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ - وثانيهما - في سورة فصلت وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.

ونرى النص الذي اختاره شعار كتابه مقطوعًا عما قبله وما بعده، فما قبله هو قوله تعالى يخاطب النبي ﷺ بقوله: ﴿قل﴾ وهو يصرح بخطاب الله تعالى للنبي ﷺ، وما بعده هو قوله تعالى: ﴿يوحى إلي﴾ وقد أبعده ولم يأت به؛ لأنه لا يتفق مع غرضه؛ لأنه ينفي الوحي عن الحياة المحمدية.

* الوحي في الغار كان مناميًا:

وأن القارئ ليسير قليلاً في الكتاب. حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب السماوي للرسول، لا يذكر أن جبريل خاطب النبي ﷺ في العيان، فهو يقول عن أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه:

«ولكنه في تلك الليلة من رمضان أغفى قليلاً ثم نام، فرأى من يعرض عليه كتابًا ويطلب منه أن يقرأ فقال: ما أنا بقارئ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ، فسأله ماذا أقرأ فقال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وعندما استيقظ من نومه كان يحفظ ما سمعه في النوم، ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به هو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتًا بعيدًا يقول له: أنت رسول الله وأنا جبريل» (ص٦٨ و٦٩).

وأن تصوير الوحي بالحلم في النوم يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل كان يخاطب النبي ﷺ بالعيان لا في المنام، نعم قبل ذلك الخطاب بقوله - اقرأ - ونزول سورة القلم، كان الوحي يجيء إليه في رؤيا منامية، حتى أنه كان يرى الرؤيا تجيء في الصحو مثل فلق الصبح

كما صرح البخاري، ولكن لم تكن تعتبر خطابًا من السماء، حتى نزول الوحي ومخاطبة جبريل الأمين الذي تردد ذكره في القرآن الكريم. على أنه رسول اللَّه إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الإلهية إلى الأرض.

*** نسبة القرآن إلى النبي:**

وإنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول. ويقطع الوحي عنه يتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحيانًا منسوبة إلى النبي ﷺ على أنها من تفكيره ومن قوله، لا أنها قرآن موحى بها، قائله هو اللَّه سبحانه وتعالى وأن ذلك مبثوث في الكتاب بكثرة، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة.

*** إنذاره عشيرته الأقربين:**

ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه: «رأى محمد أن يجمع أسرته من بني عبدالمطلب وأن يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين»، ونراه يذكر ذلك على أنه رأي ارتآه، ويغفل الأمر القرآني الثابت وهو قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾.. فنراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحي قرآني إلى أنه رأي رآه النبي ﷺ.

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب عم النبي ﷺ، فيذكر ما نصه في ذلك: فاسمع يا أبا لهب اسمع إذن، سمعت الرعد، تبا لك أنت تبا لك سائر يومك وسائر حياتك، تبت يدا أبي لهب وتب (ص٨٣).. فنراه في هذا ينسب إلى النبي قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾..

وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي ﷺ، لا إلى اللَّه سبحانه وتعالى، ومثل ذلك جاء في (ص٨٧) من الكتاب، ففيها ما نصه: تبًا لها (أي لامرأة أبي لهب) كما تبت يدا أبي لهب وتبت يدا أبي لهب وتب وامرأته حمالة الحطب.

*** القتال في الشهر الحرام:**

◻ يذكر استنكار المشركين لأمر النبي ﷺ بأنه قاتل في الأشهر الحرم، ويذكر الرد على أنه للنبي فيقول في صفحة ١٨٣: «أنها لكبيرة أن يقتل عبداللَّه ـ أي: ابن جحش ـ أحداً في الشهر الحرام، ولكن الفتنة أكبر من القتل، وصد الناس عن البيت العتيق وإخراج أهله منه أكبر» ـ يذكر هذا الكلام منسوبًا إلى النبي ﷺ على أنه من عنده، مع أنه من القرآن الكريم، واللَّه تعالى يقول: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾.

*** أسرى بدر:**

◻ استشار النبي ﷺ بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم، وأشار أبو بكر بالعفو، وتوسط النبي ﷺ فاختار أن يفتدوا من أهلهم، وقد بين اللَّه سبحانه لنبيه الحكم في أخذه أسرى والمعركة دائمة مستمرة؛ لأنه لا أسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال. وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

هناك في القضية عمل من النبي ﷺ ولوم وتوجيه من اللَّه، ولكن الكاتب يقول أن النبي بعد تأمل وتدبر قرر خطأ الفداء، وهذا نص كلامه «قد أطلق كثيرًا من الأسرى، ولم يعد ـ أي لم يبق ـ غير القليل، فانقطع يفكر، وخرج على أصحابه يقول: أنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يستمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض (ص٢٠٣ ـ ٢٠٤).

وبهذا يتبين أنه يرى أنه هذا ليس وحيًا، ولكنه من تأملات النبي ﷺ، وأن القرآن من عند محمد لا من عند اللَّه..

*** إبطال التبني من النبي؟!**

□ ينسب إبطال التبني إلى النبي ﷺ، ولا ينسبه إلى اللَّه مع أنه قد حرم التبني بقول اللَّه تعالى في نص قرآني إذ يقول سبحانه: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾.

* ويقول سبحانه: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾.

فهو يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجه زينب بنت جحش، وشكواه منها وقول النبي له أمسك عليك زوجك ويبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار، ويذكر إشاعة أن النبي ﷺ طمع في جمالها، وما كان للنبي أن يتزوج زوجة متبناه لأنه ابنه، ثم يقول: «ولكن محمدًا خرج يقول لهم:

ان المتبني ليس كالابن تمامًا، فالولد شيء آخر، وأنه إنما تزوج لكي يدركوا هذا ولكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، فلا حاجة له بجمال زينب، ولديه عائشة وحفصة (ص٢١٦).

فهو في هذا يدعي أن التحريم للتبني من محمد ﷺ، يدعي أن محمدًا تزوج زينب من تلقاء نفسه مع أنه بأمر من اللَّه تعالى في قوله: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا..**﴾.

فنراه ينسب التحريم إلى النبي: وينسب الزواج لرأي ارتآه الرسول مع أنه ثابت بالقرآن ولكنه ينسب القرآن دائمًا إلى النبي ﷺ.

وإنا لنحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين في ادعائهم كما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين أن النبي ﷺ فتن بجمال زينب، وكان الطلاق لذلك ـ فله منا التقدير لهذا!!..

*** عبرة أحد:**

◘ ذكر بعد أن قص أخبار موقعة أحد العبر فيها على أنها من قول محمد مع أنها من قول اللَّه تعالى، فهو يقول: «.. وأقبل محمد على الناس يحدثهم عن محنة أحد، ويستخلص العبرة من أخطائهم، عسى أن تضيء التجربة القاسية طريق المستقبل»..

* وأن العبرة في أحد كانت بقول اللَّه تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ**

حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

.. ولكنه دائمًا ينسب ما جاء في القرآن إلى النبي ﷺ. مما يدل على أنه يرى أن القرآن من قول النبي، ولم يذكر في الصحيح من السنن أن النبي ﷺ بين العبر في أحد بغير تلاوة القرآن عليهم.

* تقسيم أموال بني النضير:

□ يذكر أن تقسيم أموال بني النضير كان بقول النبي ﷺ، ويقول في ذلك، قال لهم: «.. إنَّ إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال، فإن شئتم، قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم جميعًا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة».. والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآني في صريحه يبين هذا، فاللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ولكنه كمنهاجه ينسب ما في القرآن دائمًا إلى النبي ﷺ، وزاد هنا مسأله التخيير التي لا نعلم لها مصدرًا تاريخيًا.. (ص٢٥٥).

* **معاني القرآن وأحكامه ينسبها للنبي:**

☐ وهكذا نجده يذكر كثيرًا من معاني القرآن وينسبها للنبي ﷺ، فهو يذكر سورة (الكافرون) ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ على أنها من كلام النبي ﷺ.. (ص١٠٨).

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبي ﷺ. ويشير إلى تدرج التحريم في القرآن الكريم.. ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك..

ويذكر قصص القرآن على أنه نتيجة تجارب النبي ﷺ ويقول في ذلك.. : «وقسم محمد لياليه بين زوجاته الثلاث: سودة، وعائشة، وحفصة، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليعظهن وفي المساء ليسمر معهن، ويقص عليهن ما رآه في رحلاته، وكثيراً من الحكايات والأمثال». وما كان قصص النبي ﷺ إلا من القرآن. وما كانت له رحلات في بلاد العرب. بل إنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو في الثانية عشرة. والثانية وهو في الخامسة والعشرين.

* **أين ذكر اللَّه في الكتاب؟!**

☐ ويقول الشيخ أبو زهرة في تقريره: هذه أمثلة سقناها، وإنها لكثيرة في الكتاب، وهي تدل على أنه يرى - أي الكاتب - أن القرآن من كلام محمد، وفي الحقيقة أنه لم يذكر قط أن اللَّه سبحانه وتعالى منزل القرآن، وباعث محمد بالرسالة، بل إن ذكر اللَّه تعالى يندر في الكتاب بل لا تجد له ذكرًا قط، .. ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾.

* **القرآن من همهمة الرسول؟!**

لم يذكر القرآن إلا نادرًا، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تبلغ

مائتين أو أكثر فلا تجد ذكرًا لكلمة القرآن الكريم. بل لكلمة القرآن فقط، وأذكر آية ذكر أنها همهمة نفس النبي ﷺ، ولنضرب لذلك مثلاً.. لقد ذكر أن النبي ﷺ أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا، وكان ذلك في بعض الغزوات، ثم يقول: فأذن لمن يريد أن يعود إلى بيته أن يعود فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعًا عما يؤمن به وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف «عفا اللَّه عنك لما أذنت لهم»، ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم. ﴿ **وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا** ﴾ ﴿ **قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (ص٢٨٨).

*** التشكيك في آيات اللَّه:**

فهو يذكر الهمهمة، ثم يقرنها بآية على أنها من همهمته، ثم يتلو آية أخرى غير ناسبها للَّه، ولا لأحد فهي بمقتضى منطقه من همهمته أيضًا، ثم يشير إلى نوع من التشكيك؛ لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما، فآية ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ** ﴾ كانت في غزوة تبوك، وقوله: ﴿ **وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ** ﴾ كانت في غزوة الأحزاب.

وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه منسوب للَّه في مقام يومئ بالتشكيك في صدقه وأقرأ قوله في (ص٣٥٤) بالنسبة للمرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدراً الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة**»: وكان منهم رجل عهد إليه محمد بكتابة القرآن، ولكن الرجل كان

يغير في القرآن على هواه يمليه محمد وهو السميع العليم فيكتب وهو الخبير الحكيم، ثم يذهب إلى المنافقين في المدينة، ويتندر بما يصنع.. ظل يصنع هذا حتى اكتشف محمد ﷺ أمره فهرب إلى مكة، ويظل يهزأ بمحمد، وبالقرآن، ويؤكد للناس أنه حرف كثيرًا من آياته لم يكتشفها محمد بعد..

وأقرأ قوله في (ص٣٥٦): أما الرجل الذي حرف في القرآن الكريم فيعلن توبته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع.. وأن هذا البيان التاريخي يوهم، بل يثير أن القرآن فيه تحريف وتبديل، بدليل أن أحد كتاب الوحي قال ذلك، والخبر على هذا الوجه غير صحيح، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحيانًا، وما كان للنبي كاتب واحد، بل كان يكتب الوحي من يكون بحضرته عند نزوله ممن يحسنون الكتابة، وعندما يملي عليه النبي ﷺ ما أوحي إليه يقرأه ويحفظه من يكون بحضرته من الصحابة فما كان الرجل ملازمًا له، وما كان الاعتماد على ما يكتب، بل على ما يحفظ.

وما تكونت في عصر النبي ﷺ نسخة مجموعة جمعا نهائيًا، ولكن كان محفوظًا في صدور كثيرين من الصحابة كأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم كثير، فلا يقال أن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت، وما جاء ذلك في سياق تاريخي قط، وما قاله أحد قط من علماء الإسلام وأخيرًا أن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل ما كانت نتيجة طرد النبي ﷺ له. بل إنه ارتد من تلقاء نفسه، ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب، فما كانت حقيقة، ولكنها ادعاء منه، هو كاذب فيه، فالنبي ﷺ يحفظ ما ينزل عليه، وغيره يحفظه وما كان من المعقول أن يستمر ذلك التحريف دقيقة واحدة.

وأنه عند جمع القرآن في مصحف، أي تكوين نسخة كاملة منه في

عهد الشيخين أبي بكر وعمر كان الاعتماد على الحفظ وكان يبحث عن المكتوب غير المجموع، إذ كانت الكتابة في قطع متناثرة عند الصحابة، فيبين أن المكتوب كما حفظوا فيثبتونه في المصحف.

*** توهين لتواتر القرآن:**

❑ ويضيف الشيخ أبو زهرة في تقريره:

«إن السياق الذي ذكره الكاتب توهين لتواتر القرآن لا يصح أن ينشر بين المؤمنين أو غير المؤمنين فوق أن أصله كاذب في ذاته ثم إنه ليوهن شأن النصوص سواء أكانت قرآنًا أم أحاديث عندما يقرر أن الحكم في الإسلام بالقرآن أو السنة أو الرأي على أنها متساوية، والمسلم مخير بينها، ألا أنها مرتبة، ويقول في ذلك (ص٣٧٥): « .. وفي رأس كل منهم ترسخ نصيحة محمد: » «احكم بالقرآن أو بالسنة أو اجتهد رأيك، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تعلوا في الأرض مفسدين».

*** ينافي الحقائق التاريخية:**

❑ ويستطرد الشيخ أبو زهرة في تقريره قائلاً:

«هذا موقف الكاتب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من الكتاب، لا نكتب فيه ما لم يكتب بل إننا نسمع البينات من كتابته، فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبي الرسول المبعوث من عند اللَّه تعالى، فإن الكلام الذي كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة، بل على ما ينافي كل الحقائق التاريخية تمامًا، ولنضرب لذلك بعض الأمثال:

● ادعاء خروج النبي إلى اليمن؟

ادعى أن النبي ﷺ سافر إلى اليمن مع عمه الزبير بن عبدالمطلب فقد

جاء في (ص٤٢) ما نصه: «وها هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أجيرًا في هذه القوافل ليعيش فما كان يملك الدينارين أو الدينار ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير في رحلة الشتاء..

وهذا ما لم يذكر في الصحاح عن تاريخ النبي ﷺ.. وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخي، بل بفرض يفرضونه ليتم لهم ما يبتغون من توهين شأن الدعوة الإسلامية بادعاء أن محمدًا ﷺ كان رحالة، وأن ما جاء به نتيجة تجاربه، لا بوحي من ربه..

يسترسل في ادعاء أن محمدًا ﷺ كان رحالة معنيًا بما عند الرومان والفرس. فهو يقول في (ص٦٢): «.. لم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تعنيه فقد طاف بالشمال والجنوب، وعرف كثيرًا مما حدث في بلاد الفرس والروم وفكر في هذا كله، ففي كل مكان يهدد الإنسان، ويسيطر الغيظ أحيانًا حتى لتمتد يد المرأة الحنون إلى قلب خصمها بعد أن يقتل: فتأكل منه القلب، وتلعق الدم، وما زال الملاك الكبار في بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما يصنعه المرابون التجار الكبار في مكة، والرؤساء والدهاقون في بلاد الفرس وهنا وهناك يقضي على الإنسان ما يقضي باسم قوى الخفاء التي لا تقاوم ولا ترد، وهي قوى لا تشبع من الضعفاء وتقتات بالهوان..

● ادعاءات من خيال المستشرقين:

ولا يهمنا من هذا الكلام إلا ما فيه من ادعاء أن النبي ﷺ قد جاب البلاد العربية شمالاً وجنوبًا، وأنه كان معنيًا بمعرفة ما عند الرومان والفرس، وأن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه في التاريخ الإسلامي، والمصادر الصحيحة بل لا يوجد شيء من هذا في أي مصدر عربي قديم، ولكنه خيال المستشرقين لحاجة في أنفسهم.

● هل كتب النبي بيده؟!

يذكر أن النبي ﷺ تعلم الكتابة من ملاحظته للحروف. وهذا نص قوله في (ص٣١٣): «.. فتناول محمد الصحيفة من علي ومحا ما كتبه علي، وكتب هو ديباجتها، كما أراد مندوب قريش، كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أملى كتبة القرآن»..

وأن هذا تزيد في الروايات، فإن الثابت أن عليًا لما امتنع عن حذف كلمة رسول اللَّه أو محوها، مد رسول اللَّه ﷺ يده، ومحاها بنفسه، وأتم علي بقية الكتاب، ولم يكتب محمد بيده شيئًا..

● ثلاث دعاوى باطلة:

يذكر أن محمدًا ﷺ قد سحر، فيقول في ذلك في (ص١٧٩): «.. ورأت اليهود موجة نشاط جديدة تهز القلوب فعادت تكيد، وكان من رجال يهود ونسائها من يقوم بأعمال السحر، وللسحر إذ ذاك سلطان مخيف على بعض العقول، وضعت امرأة يهودية سحرًا يقعده عن الخروج ويمنعه من النساء، ولقد ضاق هو بهذا السحر ولكنه تحداه، وخرج يقود إحدى الزايات وعاد إلى المدينة ساخرًا بهذا السحر، غير أنه امتنع عن النساء فأما سودة الزوجة الكهلة فقد صبرت للأمر عدة شهور، وأما عائشة زوجته الجديدة الشابة فقد احتملت هذه الشهور ثم طالبته أن يصنع شيئًا يبطل به هذا السحر، وكان هو يدللها ويصطفيها ويتركها تتكئ بذقنها على كتفه أمام الناس، وشعرها يلمس خده، وهي ترى معه ألعاب الأحابيش في ساحة المسجد..».

وأن هذا الكلام فيه ادعاءات ثلاثة ـ أولها: أنه سحر. وثانيها: أن ذلك أثر في قوته التناسلية. ثالثها: أنه كان يدلل زوجته أمام الناس، وهذه دعاوى باطلة، أما السحر فقد ذكر في بعض الروايات، ولكن الثقات والمحققين من

العلماء ردوها.. وثبت بالدليل القاطع بطلانها[١] ولو أن بعض الثقات قد أدخلت عليه، وأن المستشرقين يطيلون في ذكرها توهينًا لشأن الدعوة الإسلامية وأما أنه أثر في قوته التناسلية فهي مبنية على تأثره بالسحر، وقد ثبت بطلانها على أن أكثر الرواة لايذكرونها، وأما تدليله لزوجه أمام الناس، فذلك لم يصح إنما الذي صح أنها كانت تنظر إلى ألعاب الاحابيش وتتطلع من فوق منكبه وهو جالس.

● **نزعة مسيحية:**

نجده في مواضع كثيرة يذكر أن النبي ﷺ يُنادي بيا ولدي ولا يذكر من المنادي، فقد جاء في (ص٤٩) ما نصه: «.. غريب أنت يا ولدي في هذا التيه الذي يتنفس باللعنة والأكذوبة ـ والمنكر. شارد. حزين، لا تنفك تتأمل في السموات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال، ما تكاد تضحك مستمتعًا بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة التقية الحكيمة التي اختارتك للحياة».

ولا ندري من الذي يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع، فقد جاء في (ص١٣٤) ما نصه:

«.. طريد أنت يا ولدي. مسكين معذب كالمبشرين الأوائل» فمن الذي ينادي هذا النداء؟ إن الذي يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نزعة مسيحية،

---

(١) غفر الله لأبي زهرة.. فأحاديث سحر النبي ﷺ ثابتة ولم يردها الثقات من الحفاظ والمحدثين كما يقول، وليس فيها ما ينافي العصمة.. وإنما جرى أبو زهرة في هذا على نسق المدرسة العقلية الحديثة.. كما أنه يعاب عليه موقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما أورده في ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيمية وموقفه من السلفية.. ونحن ننظر إلى الرجال كل الرجال مهما علا شأنهم من منظور سلفي بحت.. فما وافقوا فيه مذهب السلف شكرنا لهم ذلك وأخذناه، وما حادوا فيه عن منهج السلف رددناه عليه وذممناه.

كما يجري على ألسنة المسيحيين أبونا الذي في السماء، وإنه يصح أن يكون ذلك صوت اللَّه يناديه في زعم الكاتب، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولدًا للَّه تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

● **خيال روائي:**

هذا موقف الكتاب من القرآن، والنبي ﷺ، بالإضافة إلى الخيال الروائي الذي يفتقر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حمزة وغيره.. والكتاب في الجملة يسيء إلى الناس في دينهم.

وختم الشيخ أبو زهرة رحمة اللَّه عليه تقريره بطلب منع تداول الكتاب لأنه يسيء إلى الناس في دينهم.

* رد الشيخ أبي زهرة على مشروع وزارة الشئون الاجتماعية في الأسرة:

كتب فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة رادًّا على وزارة الشئون الاجتماعية في مشروع الأسرة الخاص بتقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات وأفحم الأقزام:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

١ - للَّه تعالى الحمد، وعلى نبيه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وبعد: فقد اطلع مجمع البحوث الإسلامية على المشروع الذي اقترحته لجنة ألفت لوزارة الشئون الاجتماعية ورأستها السيدة الدكتورة عائشة راتب - وزيرة هذه الوزارة:

وقد نشرت بعض فقرات المشروع الخاصة بتقييد الطلاق، وتقييد تعدد الزوجات، وهاج لذلك الرأي العام المسلم، وتنادى الناس بوجوب أن يقول علماء المسلمين كلمتهم في هذا المشروع، وعدوه بدعًا في الإسلام يجب

رده، أو تجب دراسته، لا أن يذهب إلى دار النيابة عن الأمة في غيبة من رأي علماء المسلمين، وطالب مجمع البحوث الإسلامية من الجهات المختصة أن يرسل المشروع إليه ليدرسه، فإن كان خيرًا لا يخالف المبادئ المقررة أقره، وإن كان غير ذلك رده شاكرًا للذين مكنوه من الدراسة.

وجاء المشروع إلى المجمع، فألف لجنة من أعضائه لدراسته.

وانتهت اللجنة من دراستها إلى أمرين:

أولهما: مخالفته للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية والإجماع الذي انعقد في عهد الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أئمة الدين، وذلك في تقييد الطلاق أو منعه، وتقييد تعدد الزوجات أو منعه، ومخالفته للفقه الإسلامي بإجماع فقهائه في مسألة الولاية وحد سن الزواج، كما كان مخالفًا للمصلحة الاجتماعية.

ثانيهما: أن الموازنة التي قامت بها اللجنة في الموضوعات التي تعرض لها مشروع وزارة الشئون الاجتماعية وتعرض لها مشروع اللجنة التي قامت بدراسة الأسرة، ووضعت مشروعًا عامًا في كل أحكامها، انتهت بترجيح ما كان في المشروع العام إلا في بعض عبارات.

ومهما يكن: فقد كانت الموازنة في أمور جزئية تكون موضع دراسة عند عرض المشروع العام ليكون قانونًا.

*** المخالفات الصريحة للقرآن والسنة:**

٢ ـ خالف مشروع وزارة الشئون الاجتماعية النصوص والإجماع في أمرين:

الأول: الطلاق.

الثاني: تعدد الزوجات.

* الطلاق:

فبالنسبة للطلاق: صرح القرآن بجوازه، ولم يذكر قيودًا له إلا قيودًا نفسية لكي يقع الطلاق في حال القصد إليه عن عزيمة وإرادة جازمة، ولا يقع تحت تأثير حال عارضة غير دائمة، بل يقع عند قصد الفراق، والأساس أن الطلاق يقع بإرادة الزوج.

* وقد صرح القرآن بجواز الطلاق في مثل قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

* وقال تعالى عند احتدام الخلاف بين الزوجين: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وهكذا: نجد الكثير من آيات اللَّه تعالى يجيز الطلاق مقيدًا بقيود يلاحظها المطلق في نفسه، لكيلا يظلم أحدًا، فهي قيود دينية خلقية، لا يمكن أن يجري فيها تحقيق القضاء، الذي يكون في الأمور البينة الظاهرة، ولا يكون في الأمور النفسية الخلقية، إذ ذلك يكون لحكم الدين وقانون الأخلاق.

وأن النبي ﷺ قد طلق، وطلق أصحابه الذين عاينوا وشاهدوا، وتلقوا علم النبوة عن الرسول المبعوث رحمة للعالمين.

وانعقد الإجماع من لدن عصر النبي ﷺ إلى عصرنا، إلى أن جاء عصر الذين يريدون إخضاع أحكام الإسلام لأنظارهم، سواء أكانت مستقيمة أم كانت منحرفة، وإن جواز الطلاق أمر معروف من الدين بالضرورة.

٣ ـ وقد جعلته اللجنة التي ألفت بوزارة الشئون الاجتماعية ورأستها السيدة الوزيرة لا يقع إلا أمام القاضي وبإشهاد يصدره بعد عرض التحكيم أو الإصلاح بنفسه.

وإذا أوقع الطلاق بغير هذا الطريق يقع الطلاق، إذا استوفى شروطه الشرعية، ولكن يعاقب بحبس أو بغرامة مائة جنيه، أو بهما معًا.

ولو أخذ بهذا المشروع لأدى ـ لا محالة ـ إلى أمرين مخالفين لنصوص الدين أو الإجماع.

الأمر الأول: أنه زيادة في الشرع في أمر لم يأت الشرع بهذه الزيادة، فلم يشترط القرآن ولا السنة أن يكون أمام القاضي، وكان النبي ﷺ والصحابة والتابعون والفقهاء أجمعون، بل المسلمون أجمعون يطلقون من غير أن يلجأوا إلى القاضي ليقع الطلاق بين يديه.

الأمر الثاني: أنه منع الطلاق، ووضع عقوبة عليه، ومعنى العقاب عليه: أن يكون فيه إثم يستوجب العقاب وتلك مناهضة لإباحة القرآن والسنة والإجماع للطلاق، فبينما يقول اللَّه تعالى: ﴿**لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**﴾. يقول هذا المشروع: لا، بل عليه عقاب صارم.

❑ فهل تكون مصادمة للنصوص المقدسة، وإجماع المسلمين أكبر من هذه المصادمة؟

وأن ذلك فيه ضرر كبير على الأسرة؛ لأن شئون الأسرة بحكم الدين يجب أن تكون مستورة بستر اللَّه تعالى، وفي ظل حكمه الرحيم العادل،

يُحكي: أن قتادة طلق امرأته، فقال له بعض الناس: لم طلقت امرأتك؟ فقال: «إن المؤمن لا يفشي سر أهله».

وإذا كان الطلاق أمام القاضي بإشهاد يصدره، فإنه سيبحث عن بواعثه، وقد يكون من البواعث ـ وذلك كثير ـ ما يضر إعلانه في مجلس القضاء سرًّا أو علانية، كأن يكون ذلك من ريبة بينهما، وإذا أعلن ذلك أضر الزوجة والأولاد، ومن يتصلون بالأسرة من آباء وإخوة، وقد يكون فضيحة، لا تقف عند حد، وأن القرآن الكريم قد لاحظ ذلك. ولهذا عندما أجاز تحكيم الحكمين اشترط: أن يكونا من أهله وأهلها، فقال تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا** ﴾ [النساء: ٣٥].

هذا: وإن العقاب على الطلاق قد يؤدي إلى ضرر شديد بالمرأة، أو استباحة لما حرم اللَّه تعالى، فيعيش معها على بغض وكراهية، وتصير معلقة: لا هي زوجة تأخذ حقوق الزوجية، ولا مطلقة يغنيها اللَّه من سعته وقد يستبيح ما حرم اللَّه أو يتزوج زواجًا غير مسجل، فلا تتقرر حقوق الثانية، كما ضاعت حقوق الأولى، وذلك الحرمان للأولى لا يحله اللَّه تعالى، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** ﴾.

ولهذا: نجد المنع الحرام الذي قررته لجنة الشئون الاجتماعية برئاسة وزيرتها يؤدي إلى الوقوع في حرام وضرر بالمرأة، والوقوع في المحرمات.

٤ ـ وما الذي أدى بوزارة الشئون الاجتماعية إلى الوقوع في ذلك؟ نذكر ما تذكره.

قالت اللجنة: إن الطلاق قد كثر كثرة فادحة فنسبة الطلاق إلى الزواج ٢٥٪، أي ربع عدد الزواج، فتتفرق الأسرة، وتتشتت، ومن الواجب وضع حدود له.

*** ذلك قولهم بأفواههم:**

□ لنفكر فيه ونقرر ما يأتي:

أولاً: أن نسبة عدد الطلاق إلى عدد الزواج ٢٣٪ على حسب إحصائية سنة ١٩٦٠، وأن هذا الإحصاء مأخوذ من دفاتر الموثقين الذين يوثقون الطلاق قبل الدخول مطلقًا، سواء أكان قبل الدخول، أم كان رجعيًا، أم كان بائنًا بتراضي الطرفين، وما يكون الزواج قد استؤنف بعد.

ثانيًا: أنه ليس كل طلاق يخرب الأسرة.

ثالثًا: أن الطلاق الذي يكون بحكم القاضي في أمريكا وأوربا نسبته أكبر من هذه النسبة بكثير، وذلك لانحلال الأسرة هناك، ولنضرب عن هذا صفحًا؛ لأن أسرتنا الإسلامية لا تزال ـ بعون اللَّه تعالى ـ أشد الأسر في العالم تماسكًا.

ولننظر في الأمر الثاني وهو الذي تركته وزارة الشئون الاجتماعية، لا نقول: إهمالاً أو جهلاً، ولكن نقول: نسيانًا.

وهو: أنه ليس كل طلاق يفرق الأسرة، فيفرق ما بين الآباء والأمهات والأولاد، فيجب عند دراسة الطلاق الممزق للأسرة، المضيع للأولاد، أن نفرق بين الطلاق قبل الدخول فإنه لا يفرق بين الأسرة، بل إنه يحمي المجتمع من أن تتكون الأسرة على أساس غير سليم، تحمل في تكوينها أسباب انحلالها.

ولا نفرق بين طلاق رجعي، وطلاق بائن، ولا بين طلاق بتراضي الطرفين، وافتداء المرأة نفسها بمال، وطلاق بغير رضا المرأة.

وإنه إذا استنزل من عدد الطلاق عدد الطلاق قبل الدخول، وعدد الرجعات، فإن الطلاق الرجعي إنذار بالافتراق، وليس افتراقًا إلا بعد انتهاء

العدة، وإذا استنزل أيضًا عدد الطلاق بتراضي الطرفين، كما يستنزل من عدد الزواج، الزواج بين مطلق ومطلقة، فإنه إعادة للحياة الزوجية بعد الطلاق فلا تفريق إذا استنزل هذا من الزواج واستنزل ذلك من الطلاق لا تصل نسبته إلى ٢٪ وكثيرًا ما تكون فيها الإساءة من جانب الزوجة، وقد يكون لريبة بينهما.

ذلك هو النظر الحق إلى الطلاق، وهو تقدير العزيز العليم.

*** تعدد الزوجات:**

٥ - ولننتقل إلى تعدد الزوجات، وإنا نرى تقييده أو منعه مصادمة لنصوص القرآن، والمأثور في السنة، وإجماع الصحابة ومن بعدهم: التابعين والأئمة المجتهدين بل إجماع المسلمين من عصر النبي ﷺ إلى أن كان في أيامنا من يريدون إخضاع الإسلام لأنظارهم.

جاء في مشروع اللجنة التي ألفت برياسة السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية أنه: لا يجوز لمتزوج أن يوثق زواجه بأخرى إلا بإذن من المحكمة المختصة، ولا تأذن المحكمة إلا بعد التحري والتحقيق من توافر المبرر الشرعي، والقدرة على القيام بحسن المعاشرة والإنفاق، ولا تسمع دعوى الزوجية إذا تم خلاف ما تقدم.

وقررت: عقوبة الحبس وبغرامة مائة جنيه، أو بإحداهما على من يتزوج بغير هذا الإجراء.

كما قررت: العقوبة على الذين يدلون بمعلومات يثبت عدم صحتها، ويترتب عليها التوثيق. وكذلك قررت: العقوبة على الموثق الذي يوثق من غير أن يكون لديه إذن من القاضي.

❑ ولننظر في المشروع وفيما يتعلق بهذا الجزء منه من ناحيتين:

الناحية الأولى: الشرعية في الإسلام، فنقول: إن اللَّه تعالى أباح

التعدد، وقيده بعدد معين، مخالفًا بذلك شريعة التوراة، التي لم تنص على عدد، وقيده بعض الأحبار بثماني عشرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]. أي لا تظلموا؛ لأن عال كقال معناها ظلم.

أباح اللَّه تعالى التعدد إلى أربع، والنبي ﷺ عدد لأكثر من ذلك خاصة له، من دون المؤمنين، لأسباب: اجتماعية وسياسية.

وأجمع على الإباحة بهذا العدد: الصحابة الذين تلقوا علم النبوة من النبي كما أجمع التابعون الذين تلقوا علم الصحابة أو الأئمة المجتهدون من بعدهم بل أجمع المسلمون كما ذكرنا.

ويكون المنع بهذا فيه مصادمة لنص القرآن، وسنة النبي ﷺ والصحابة وإجماع المسلمين، وأنه بدعة في الدين، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

والناحية الثانية: ما اشترطه نص المشروع لإصدار الإذن فقد قال: لا تأذن المحكمة إلا بعد التحري والتحقيق من توافر المبرر الشرعي، والقيام بحسن المعاشرة والإنفاق.

هذا نص مبهم، لا يصلح أن يكون مادة في قانون يطبق فما هي المبررات المسوغة للتعدد؟ فهل يكون منها حال ما إذا كان بينهما ما يوجب تصحيح الوضع بعقد شرعي رسمي، وهل يكون من مصلحة المرأة المنع من ذلك؟ ومهما يكن فإن اللفظ مبهم لا يكون في قانون يطبق.

وكيف يتحقق القيام بالعشرة الزوجية وكيف يكون تحقيقه، وأن يكون على الدوام، هل تفتش القلوب، وتتعرف على النيات في الحاضر والقابل!!

إن ذلك أمر غير ممكن، والمقصود بوضع هذا الكلام المبهم: المنع المطلق

وهذا مصادمة واضحة صريحة للنصوص والإجماع.

٦ - ولقد وضعت عقوبة لأمر أباحه اللَّه تعالى: فاللَّه تعالى يقول: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء: ٣]. ووزارة الشئون الاجتماعية بلجنتها الموقرة، تقول: إذا نكحتم ما طاب مثنى أو ثلاث فالحبس والغرامة مائة جنيه.

لقد قال كاتب اجتماعي في آخر القرن الماضي ورددوا قوله إن شرط الإباحة العدالة، واللَّه تعالى بين في آية أخرى استحالتها فقال تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ [النساء: ١٢٩].

□ ونقول: إن العدالة المادية هي المطلوبة وهي المساواة في المسكن والملبس والمبيت.. أما العدالة المنفية فهي العدالة في المحبة القلبية، ولم يطالب بها اللَّه تعالى، لأنها ليست في الملك التي يجري بها التكليف، فسبحان مقلب القلوب، ولذلك عقب النفي بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ**﴾ فمعنى ذلك أنه غير مطلوب هذه العدالة، بل المطلوب ألا تهمل إحداهما.

● ولقد قال النبي ﷺ عند قسمه بين زوجاته: «**اللَّهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**».

٧ - وأخيراً: إن هذا المنع فيه ضرر للمرأة مع مصادمته لأوامر الشرع، وإجماع المسلمين، وفيه تدخل في حرية التعاقد، وفيه فساد للمجتمع الإسلامي.

إن الأصل في العقود الاختيار، ومن غير رقابة من الدولة إلا أن يكون مخالفًا للنظام العام، وإن تعدد الزوجات لا يمكن أن يكون في دولة دينها الرسمي الإسلام مخالفًا للنظام العام، بل إن منعه هو المخالف للنظام العام.

وإن مشروع وزارة الشئون الاجتماعية تقييد لحرية المرأة والرجل معًا، وكل تقييد للحرية ظلم في ذاته إلا أن يكون له مبرر من دين أو خلق.

وإنه قد يكون في المنع مضرة بالمرأة؛ لأنه قد يكون تصحيحًا لوضع وقع إثمًا وربما لا تجد المرأة زواجًا إلا مع زوجة أخرى فتنالها عند المنع مضرة الحرمان والعنوسة.

وإن منع التعدد يترتب عليه انحلال اجتماعي، فتتعدد الخلائل بدل تعدد الحلائل كما هو الآن في أوروبا وأمريكا، التي لا تتعدد فيها الزوجات، ولكن تتعدد الخليلات، وبذلك ينحل المجتمع ويعم الفساد.

٨ ـ ولماذا كانت مخالفة الشرع الإسلامي بنصوصه وآثاره والإجماع؟ قالوا: لأن التعدد تفاقم أمره وكان التعدد لغير المقصد الشرعي، ولكثرة التشرد.

□ ونقول: إن التعدد قد أخذ يقل من تلقاء نفسه، فقد كان الإحصاء سنة ١٩٥١ عقب الحرب العالمية بلغ نحو ٤,٥٪ وإحصاء سنة ١٩٦٠ دل على أن النسبة هبطت إلى ١,٠٤٪ والمجتمع يعالج نفسه، والعلاج بقانون ولو لم تكن فيه مصادمة الشريعة ـ لا يصح إلا لضرورة؛ ولأنه لو وضع التوثيق الرسمي لعقود الزواج لأدى ذلك إلى أن نعقد العقود التي لا توثق وفيها ضياع حقوق المرأة، وحقوق الأولاد. فيؤدي القانون إلى عكس مقصده وإن التقنين حيث يكون فيه تقييد للحرية كالدواء لا يُعطى إلا إذا عجز الجسم عن أن يستمد علاجه من حيويته.

وجسم الآفة لم يعجز عن علاج التعدد وإن لم يكن داء؛ لأنه شريعة اللَّه، ولا يمكن أن تكون شريعة اللَّه تعالى داء، إنها شفاء ورحمة للمؤمنين.

وقالوا: إن التعدد في الماضي كان لمقاصد شرعية، والتعدد الآن لأجل الشهوة ولم يبينوا ما المقاصد الشرعية القديمة؟ ونعفيهم من الجواب.

□ ونقول لهم: إذا كان التعدد للشهوة فإن هذا لا يوجب المنع ولا يسوغه؛ لأنه إذا كان للشهوة فإن وضعها في حلال خير، وحلال في تعدد خير من حرام مؤكد، فإذا سيطرت الشهوة فإن ذلك أدعى لبقاء الإباحة لا المنع.

وقالوا: إن التعدد يفتح باب التشرد.

ونقول: إن التشرد ليس سببه التعدد، أو الطلاق، إنما سببه ضعف الولاية على النفس وضعف الرقابة على الأولياء.

وقد ثبت بالإحصاء أن التشرد في أكبر البلاد الأوربية أكثر عددًا من التشرد في البلاد الإسلامية ولكن هنالك يُؤوَى المتشردون.

وأخيرًا إن التعدد دواء وليس بداء.

*** زيادة السن:**

٩ - وأنه جاء بمشروع وزارة الشئون الاجتماعية، ويزيد سن الزواج، فيجعله بالنسبة للزوجة ثماني عشرة سنة بدل ست عشرة، ويجعله للزوج إحدى وعشرين سنة، وأن ذلك يؤدي إلى الفساد وهو شاذ في ذاته.

أولاً: لأن جعل الحد الأدنى لسن الزواج ست عشرة للفتاة، وثمانية عشرة للفتى هو أعلى حد أدنى في العالم كله فبعض البلاد لا يحدد سنًا، وبعضها يحدده بثلاث عشرة.

ثانيًا: أنه في هذا الوقت الذي شاع فيه الكلام في الحب في الإذاعة المرئية وغير المرئية والصحف والمجلات والروايات يجب إطفاء نوازع الشهوة بالحلال سريعًا ولا يجوز الإبطاء أو المنع.

ثالثًا: أن الشائع في القرى وبين العمال المسارعة إلى تزويج بناتهم وأبنائهم، وكل قانون يجب أن يكون متلاقيًا مع رغبات الشعب وشعوره العام، ولا يكون مصادمًا له، ولا يكون مضيقًا للحرية من غير باعث على

ذلك وإلا كان ظلمًا.

رابعًا: أنه تبتدئ خطبة الفتاة من الخامسة عشرة، وكان يجب أن يكون ذلك الحد الأدنى لسن الزواج، فإذا جاءت الخطبة مثلاً في السابعة عشرة، ورد للسن كان في ذلك فوات الكفء، والنبي ﷺ يقول: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه ـ إلا تفعلوه تكن فتنة وفساد كبير**».

*** الولاية على النفس:**

١٠ ـ يلاحظ على مشروع لجنة الأحوال الشخصية في الولاية على النفس والحضانة أنه راعى جانب المرأة، ونسي حق الرجل في تربية أولاده والقيام عليهم، وهو المولود له والمنسوبون إليه، وفوضوا للأم كل شيء، ونسوا قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾ [النساء: ٣٤].

وجعلوا للأم حق الولاية على النفس وقدموها على الإخوة الأشقاء، أو الأب، وخالفوا بذلك قول الفقهاء أجمعين إذ لم يجعل من هؤلاء ولاية لها مع وجود العصبات وهم الذين يستطيعون الإشراف على أخيهم أو أختهم، وفي ذلك مخالفة لقول النبي ﷺ: «**الولاية إلى العصبات**».

ولم يوافق على أن يكون للأم ولاية إلا أبو حنيفة إذا لم يكن عصبات قط.

هذا: وفي مشروع وزارة الشئون تعرض لمسائل جزئية تنظر عندما ينظر المشروع العام الذي انتهت من وضعه لجنة من كبار العلماء سنة ١٩٦٥م.

محمد أحمد أبو زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكليات الحقوق

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر[1]

(١) «أبو زهرة وقضايا عصره» (٣/ ٢١٢ ـ ٢٢٠).

□ لقد أولى الشيخ أبو زهرة الأسرة المسلمة بكبير اهتمامه، وتعد قضايا الأسرة من القضايا الرئيسية التي تعرّض للدفاع عنها في صدر حياته وحتى قبل وفاته بأيام.

وكانت الدعوة إلى تقييد الطلاق، وتقييد تعدد الزوجات التي قُبرت عام ١٩٢٦ ثم أعيدت في سنة ١٩٤٣ واستنكرها العلماء ومن ورائهم الشعب فقبرت مرة ثانية، ثم نُشرت من القبر عام ١٩٤٥ على يد شيخ الأزهر مصطفى المراغي فتصدى له الشيخ محمد أبو زهرة، حتى أن المراغي أرسل إلى وزارة الشئون الاجتماعية - آنذاك - يقول برجوعه عن رأيه «وأن التقييد لا يؤدي إلى خير» كما جاء على لسانه.

تصدى الشيخ محمد أبو زهرة لهذه الدعوة وكان وقتها أستاذًا مساعدًا للشريعة في كلية الحقوق جامعة القاهرة وأوصل رأيه إلى وزير الشئون الاجتماعية في تلك الفترة - المهندس عبدالمجيد بدر باشا - وأطلعه على بحث قد كتبه بـ «مشروع القانون الخاص بتقييد الطلاق، وتعدد الزوجات» وعندما قرأ الوزير هذا البحث القيم والجاد، وافق الشيخ على رأيه، وكتب له خطابًا بهذا المعنى اتخذه الشيخ أبو زهرة كوثيقة يظهره عندما يستدعي الأمر إظهاره.

* هجومه على تنظيم الأسرة وتنظيم النسل أو تحديده:

□ يقول الشيخ أبو زهرة: «إن النسل في ذاته ثروة، وإن أعلى مصادر الثروة هو القوى البشرية، وهناك أمم كسويسرا لا تعتمد في مصادرها إلا على مهارة سكانها، ومثلها كثير من الأمم، فهل نريد أن نحرم أنفسنا هذه القوى العاملة، وهي أغلى الثروات في الوجود، وأثمنها وأغلاها، ومثلنا كمثل من يكون في يده كنز من الذهب لا يستطيع أن يتخذ منه نقدًا أو حليًا، أو ما ينفع الناس في الأرض فيلقيه في البحر، ليتخلص من أعباء صناعته أو الانتفاع به!!».

◻ ولكي نكشف كل ما هو زيف أو ادعاء، ونرى الحقيقة كفلق الصبح.. نتصفح معًا هذا البحث الوجيز الذي ألقاه الإمام أبو زهرة في مجمع البحوث الإسلامية في الخمسينات، ولم يلق الحظ الوافر من إعلامنا ليعرّف به الناس.

◻ يقول فضيلته:

«أثير هذا الموضوع تحت عناوين متعددة كتنظيم الأسرة، وتنظيم النسل، أو ضبط النسل، أو تحديد النسل، ألفاظ مترادفة في المؤدى كما يقصد الكتّاب فيها، وكما يقصد الذين يقومون بالعمل في تنفيذها بوزارة الشئون الاجتماعية ووزارة الصحة في مصر، فإن الذين يفعلون ذلك، والذين يروجون ويرددون أن النسل يتزايد، ويتكاثر، وقد ضاقت الموارد الطبيعية، وأصبح ما تنتجه تلك الموارد لا تتكافأ مع زيادة السكان المستمرة بنسبة عالية، فلا بد من وقف ذلك النمو المتزايد، وذلك بجعل النسل على قدر ما يجيء من الموارد الطبيعية، ذلك قولهم بأفواههم، ومقالاتهم بأقلامهم، ولا شك أن كلمة تحديد النسل تكون أدل على المراد، ولكنهم بدلوا بها غيرها، ليخففوا على المسلمين المتدينين وقعها، ولكن تغيير اللفظ لا يجعل الحلال حرامًا، ولا الممنوع مطلوبًا.

◻ وأن الدعاية لتحديد النسل ظهرت في البلاد الإسلامية من مصادر أوروبية وأمريكية، ولم تفرق بين بلد ذات موارد كثيرة، وأخرى قليلة، وكانت في الماضي تظهر وتختفي، حتى إذا احتلت إسرائيل الأرض المقدسة وأخرجوا أهلها من ديارهم وأموالهم وأرضهم، وظاهر على إخراجهم الأمريكان والإنجليز، وغيرهم من أهل أوربا، وأكثر أهل أمريكا، عندئذ وجدنا الدعاية إلى تحديد النسل تعود خدعة قوية في عنف ولجاجة، وتخص البلاد العربية التي تحيط بإسرائيل بالدعاية تحتل ربوعها، حتى ما كان منها

سكانه لا يصل إلى خمسة ملايين، وفيه موارد طبيعية تتسع لثلاثين أو أربعين، وفي أهله مهارة في الصناعة، وكياسة في التجارة كسوريا، وكادت الفكرة الباعثة تتكشف بهذا التعميم، فاتجهوا إلى التخصيص، وخصوا مصر بالدعاية اللجوج؛ لأن دعوى قلة الموارد الطبيعية فيها ربما تروج؛ ولأن سكانها في نماء ببركة اللّه تعالى، ولأنها تقف بالمرصاد في الصدر لإسرائيل؛ ولأن جيشها المظفر ـ بعون اللّه تعالى ـ هو قوة العرب أجمعين، وفيه عتادهم؛ ولأنها هي التي قبرت أمراء الصليبيين؛ ولأنها هي التي ردت التتار على أعقابهم خاسرين.

❑ وقال الشيخ: إن الأكثار من النسل مطلوب في ذاته، وهو غاية الزواج الأولى والسامية في الإسلام.

اختلف العلماء في جواز العزل، ففريق جوزه، وفريق منعه، ومن هؤلاء ابن حزم وبعض الحنابلة، والذين أجازوه ـ أجازوه على أنه رخصة فردية، وإن اختلفوا في أسباب هذه الرخصة ما بين موسع ومضيق، ومن أشد من وسعوا الغزالي في الإحياء، فقد وسع في أسباب الرخصة.

ومع ذلك فقد قرر الغزالي مع غيره أن العزل ترك الأفضل، بل إنه مكروه، وفي الجملة إن الإباحة لا تكون إلا برخصة باعثة وفي غيرها لا يكون جائزا، هذا ما ينتهي إليه التفكير السليم.

ويجب أن نقرر أن العزل أو المنع الشخصي للنسل يعارضه أنه ضد الفطرة، ويعارضه الأحاديث المتفق عليها، الداعية إلى تكثير النسل، ويعارضه أيضا ـ الأحاديث الصريحة المانعة له، حتى قال بعض العلماء: إنها ناسخة لأحاديث الإباحة على سبيل الرخصة، وخصوصًا الحديث الصحيح الذي قال: «إنه الوأد الخفي» ثم تعارضه قاعدة أجمع عليها المسلمون، وهي المحافظة على النسل، فقد أجمع العلماء على أن الضرورات التي تجب

المحافظة عليها خمس هي النفس، والدين، والعقل، والنسل، والمال، فنظرية منع النسل معارضة صريحة لكون المحافظة على النسل من الأمور الضرورية في الإسلام بإجماع العلماء.

❑ تبين من البحث السابق أن المنع الفردي للنسل ترك للأفضل أو مكروه، وإذا وجد موجبه عند الفرد كان مباحًا على مقدار هذه الرخصة الفردية، ولا يوجد في الفقه الإسلامي ما يجعل الرخصة جماعية لأمة من الأمم أو لإقليم من الأقاليم، فالرخص دائمًا فردية.

وإذا انتهينا إلى الإباحة في هذه الدائرة، فإنه من المقررات الشرعية أن المباح بالشخص أو بالجزء يكون إما مطلوبًا بالكل، أو ممنوعًا بالكل، على حسب موافقته للمبادئ الكلية المقررة في الشريعة، أو مناقضتها. فإن كان خادمًا للمبادئ الشرعية الثابتة كان مطلوبًا بالكل مباحًا بالجزء وإن كان مناقضًا للمبادئ الكلية العامة في الشريعة، كان مباحًا بالجزء حرامًا بالكل، ولنترك الكلمة للشاطبي في الموافقات، فهو يقول: إن المباح ضربان: أحدهما إما أن يكون خادمًا لأصل ضروري أو حاجي أو تكميلي، والثاني ألا يكون كذلك، فالأول ـ قد يراعي ما هو خادم له، فيكون مطلوبًا ومحبوبًا فعله، وذلك كالتمتع بما أحل اللَّه تعالى من المأكل والمشرب ونحوهما مباح في نفسه، وإباحته بالجزء، وهو خادم لأصل ضروري، وهو إقامة الحياة، فهو مأمورٌ به من هذه الجهة ومعتبر ومحبوب من حيث هذا الكلي المطلوب، فالأمر به راجع إلى حقيقته الكلية، لا إلى اعتباره الجزئي.. والثاني: إما أن يكون خادمًا لما ينقض أصلاً من الأصول الثلاثة المعتبرة، أو لا يكون خادمًا لشيء، كالطلاق، فإنه ترك للحلال الذي هو خادم لكلي: إقامة النسل في الوجود، وهو ضروري، ولإقامة مطلق الألفة والمعاشرة، واشتباك العشائر بين الخلق، وهو ضروري أو حاجي أو مكمل لأحدهما، فإذا كان الطلاق بهذا النظر

خرقًا لذلك المطلوب، ونقضًا عليه كان مبغضًا، ولم يكن فعله أولى من تركه، إلا لعارض أقوى كالشقاق بين الزوجين وعدم إقامة حدود الله، وهو من حيث كان جزئيًا في هذا الشخص، وفي هذا الزمان مباح وحلال[1].

وبتطبيق هذه القواعد على قضية منع النسل نقر الأمر الشرعي في هذه القضية، إنه إذا أبيح لرخصة، فإنه يباح للشخص الذي كانت عنده الرخصة، ولا يباح كقاعدة عامة تعم الناس في إقليم أو أمة، بحيث ينتفع بالإباحة صاحب الرخصة وغيرها، ثم هو خادم لأمر يناقض مبدأ مقررًا ثابتًا، وهو المحافظة على النسل، والإكثار منه الذي جاءت به الأحاديث الصريحة المتفق عليها.

ونريد أن نطبق هذا الحكم على ما يجري الآن في مصر، تقوم الجماعات التي أصلها قد أنشئت للخير، وبعض الرعايات الاجتماعية بإعطاء أقراص أو حبوب لمنع النسل، وتقوم دعاية صحفية، وعلى منبر الإذاعة المرئية وغير المرئية لتحديد نسل الأمة بدعوى قلة الموارد، وتزايد السكان، باسم جواز ذلك شرعًا، وقد رأينا حكم الشرع، وأنه لا يجوز منع النسل بالكل، ولا يباح كأمر عام؛ لأنه يعارض قوله: ﴿**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾. ﴿**نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾، ولذلك نعارض باسم الدين، ولا نريد أن نقطع نسلنا، ونقلل جمعنا، ونعصي رسولنا، ونكفر بقدرة ربنا الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

هذا حكم الدين فلننظر إلى الدنيا، ولنتعرف الدنيا متحررين في فهمنا من كل تقليد أعمى، أو اتباع على غير هدى.

□ لماذا نحدد النسل؟ لماذا نحارب الكثرة، ونعمل على القلة؟ إن الرقعة

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (١/ ١٢٨، ١٢٩) طبع التجارية.

الزراعية ضئيلة، والسكان في تكاثر وتزايد، وسيأتي وقت لا تجود عليهم الأرض بما يطعمهم.

□ ونقول: إن مصر الآن لم تبق بلدًا زراعيًّا يعتمد على الزراعة، بل إنه صار يعتمد على الصناعة، وإن ما تنتجه أرض مصر من ثمرات الأرض والأغراس يزيد عما تنتجه أرض انجلترا التي اتسعت لأكثر من خمسين مليونًا، ولكنها الصناعة، ومصر فيها كل المواد الأولية للصناعة: فيها البترول، ولم يكشف كل ما يجري في باطنها من أنهار، وفيها الحديد، وقد كشف فيها الفحم، وقد اتجهت إلى الصناعة في عهدها الحاضر، حتى صار ما تصدره منها لا يقل عما تصدره من زراعة، وأن قوتها لا تعتمد فيه على ما تخرجه أرضها، بل تعتمد على ما تستجلبه في نظير ما تقدم من صناعات وخامات.

إن الاقتصاديين المدركين الفاهمين الذين لا يقلدون ولا ينحرفون، يقررون أن النسل في ذاته ثروة، وأن أعلى مصادر الثروة هي القوة البشرية، وهناك أمم كسويسرا لا تعتمد في مصادرها إلا على مهارة سكانها، ومثلها كثير من الأمم، فهل نريد أن نحرم أنفسنا هذه القوى العاملة وهي أغلى الثروات في الوجود، وأثمنها وأغلاها، ومثلنا كمثل من يكون في يده كنز من الذهب لا يستطيع أن يتخذ منه نقدًا أو حليًا، أو ما ينفع الناس في الأرض، فيلقيه في البحر، ليتخلص من أعباء صناعته أو الانتفاع به»[1] .

* أبو زهرة يرد على أكذوبة ظهور العذراء في كنيسة الزيتون في مارس ١٩٦٨م:

□ قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه «مقارنة الأديان» (٢/١٠١،

---

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (ص٢٠١ ـ ٢٠٨) ملخصًا.

١٠٢، ١٠٣): «انتهز بعض المسيحيين بمصر فرصة الهزيمة النكراء التي حلّت بالشعب المصري وجيشه في يونيو ١٩٦٧ بسبب اضطراب القيادة السياسية والعسكرية ـ آنذاك ـ ولم يشاءوا أن يشاركوا الشعب آلامه، ورأوا أن القيادة السياسية كانت تتلمّس الطريق لإرضائهم، ولو على حساب الحق والإسلام، فلم يضيّعوا هذه الفرصة، وأرادوا أن يكسبوا جولة من النصر، فادعوا أن العذراء ظهرت للناس، وأعادت الإبصار للعميان، والقوة للكسيح!!

وخرجت جريدة «وطني» المسيحية تهلل وتذيع، ولم يعد لها من عمل إلا تأييد هذه الفرية الهزيلة، قد حاولْتُ . . آنذاك ـ كما حاول غيري، أن نرد هذا الباطل، ولكن أوامر القيادة السياسية منعت أي نقاش في هذا الموضوع، فسكتنا حتى أذن اللَّه للحق أن ينبلج، ولصوت الباطل أن يخفت، ولكن ذلك لم يتم إلاّ بعد ضحايا كثيرين سقطوا في الزحام الذي جمعته الدعاية الظالمة، وبدل أن تشفي العذراء المرضى تسبّبت هذه الفرية التي ارتبطت بالعذراء في قتل الأبرياء، ومعنا الآن كتاب كتبه باحث مسيحي أوربي يعرض هذه المهزلة، ومنه نقتبس كلماته ليكون صوتًا مسيحيًا يردّ باطل أهل دينه.

❑ يقول otto Meinardus في كتابه christian Eygpt: Fiath and life p.265, 267, 269:

«في شهر مارس سنة ١٩٦٨ صرخت كنيسة العذراء بالزيتون بشارع «طومان باي» صرخة مدوية بأن العذراء ظهرت بها، وأنها تشفي المرضى، وتُعيد الإبصار للعُميان، وقد خُدِع بهذه الصرخة آلاف من المصريين، فاتجهوا ليروا هذا الأمر الجلل، ولم تقنع القيادة المسيحية بمصر بأن يُذاع مثل هذا الخبر دون توثيق، فأرسل البطريرك «كرولس السادس» مطران بني سويف ليرى في ذلك بنفسه وليعلنه بصفة رسمية، وفي الثاني من أبريل أعلن هذا المطران ظهور العذراء في هذه الكنيسة، وأنها ظهرت عدة مرات بحجمها

الطبيعي، أو ظهر النصف الأعلى منها، وقد أذاع المطران هذا الإعلان في مؤتمر صحفي ذاكرًا أنه رأى العذراء بنفسه، وأن آلاف الناس رأوا ذلك معه».

ويقرر المؤلف أن الذي ظهر ليس إلا انعكاسًا ضوئيًا، وليس بحال من الأحوال ظهورًا للعذراء، كما يقرر الحقيقة التي ذكرناها، وهي أن العذراء لم تكن تشفي المريض وهي حية منذ ألفي سنة. ويذكر كذلك أن البطريرك لم يتجه بنفسه إلى كنيسة العذراء إلا بعد أربعة أشهر من هذا الإعلان، مما يدل على تهاونه به، ولو حدث ظهور العذراء فعلاً لأسرع لاستقبالها والسجود لها، ولكن سلوكه كان أقل حماسًا وانفعالاً من معظم الأقباط». ويستمر المؤلف فيقول: «إن الكنائس في شبرا وفي المعادي أخذت تتنافس في ادعاء هذا الأمر لتجذب لها جماهير المخدوعين، بل وصل الأمر إلى كنائس شتى في جميع بلاد الشرق الأوسط أخذت تدّعي هذا الادعاء».

ويختم المؤلف وصفه لهذه المسألة بحديثه عن كارثة بشرية تسبّبت عنها، فيذكر أنه في ١٩ مايو ١٩٦٨ قُتِل وطئًا تحت الأقدام حوالي خمسة عشر شخصًا في زحام داخل كنيسة شبرا، وبهذا الحدث الجلل توقّف هذا الباطل وقُطِعت ألسنة الكذّابين»[١].

□ وردّ الشيخ محمد أبو زهرة على هذه الأكذوبة بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أقدم لكلامي بذكر حقيقتين ومناقشة لكلام قيل حول القضية. أما الحقيقتان:

فأولهما: أنه لا يوجد في الأناجيل ولا في رسائل الرسل ولا في كتب

---

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (٣/ ٤٢ ـ ٤٣).

العهد القديم التي يقدسونها، لا يوجد في هذه الكتب أيَّ ذكر قط لمريم البتول عليها السلام.

والكتاب المقدس الوحيد ـ الذي انفرد بذكر مريم البتول ـ إنما هو القرآن الكريم وقد ذكرها وهي حامل قبل أن تلد، وذكرها بعد أن ولدت، وذكر أن اللَّه طهرها واصطفاها على نساء العالمين، ومن الغريب أن النصارى عندما يريدون أن يتكلموا عن مريم العذراء والكتب المقدسة التي تعرض لها لا يجدون إلا القرآن الكريم، وإذا كانوا لا يجدون مصدر ذكرها إلا في القرآن الكريم فكان واجب المنطق أن يأخذوا بما جاء فيه في شأنها كما يفهمون سواء أكان حقًّا أم كان باطلاً.

الحقيقة الثانية: أن الصحف سواء كانت صحفًا قومية أم كانت صحفًا طائفية أخذت القول ترميه هنا وهناك من غير تمحيص. ولما اتجه بعض الناس إلى ذكره على أنه محض افتراض لم يأتوا بدليل يمكن أن يكون حجة لما يدّعون.

أنا كنت أفهم أن الحكومة ـ وقد رأت الأمر جللاً وأنه قد يثير فتنة، أو أن فيه ما يمس بعض العقائد ـ كنت أفهم أن تعيِّن الحكومة وكيل نيابة أو محققًا أو هيئة محترمة ومسئولة تحقق الموضوع ولا تترك الناس حيارى لا يدرون الحق في الأمر ويموجون في فتنة ظلماء وتمحصه وتذكر حقيقة الأمر فيه لا أن تترك الناس في هذه الظلماء التي قد تؤدي إلى فتنة عمياء، وهذه حقيقة أوجه نظر الحكومة إليها وأدعوها قبل أن يتفاقم الأمر وقبل أن يفوت الأوان.

◻ أما أن تجري الصحف وتقول: «نريده أن يكون مكانًا سياحيًّا» ونحو ذلك فهذا أمر لا يجوز مطلقًا!!

ويجب علينا نحن المسلمين أن نعرف أن هناك موجات من الأوهام

والخرافات تجيء الفينة بعد الفينة والسنة بعد السنة ولا شك أنكم تذكرون حديث «آقال» الذي جاء من لبنان وهو فتى أرمني معتوه قيل أنه يشفي المرضى، وكان معه خواص يشيعون عنه ذلك وأخذت الأخبار تنشر عنه، ثم تبيّن بعد حوالي عشرة أيام أنها كلها كاذبة، فرحل إلى أمريكا وهناك بُثّت كذبة أيضًا بعد أن روج له بعض المصريين من غير المسلمين ترويجًا شديداً.

وأظنكم تذكرون أيضًا أن الخبر الذي ذاع في الآفاق في أوروبا وفي غيرها أن تمثالاً للعذراء انحدرت الدموع عن عينيه وتناقلت أوروبا ذلك وتحدثت به ثم تبين أنه «فرية بلا مرية» على رأي الأزهريين.

هذه أمور تعودنا أن نسمعها وأن تثير الفضول من المسلمين وغير المسلمين وأن تموه على أبصار الناس وعلى عقولهم وعلى تفكيرهم ومن الغريب أنه يسارع إلى ترويجها وتصديقها ناس لا يؤمنون بالأديان ولا يؤمنون بخاصة الأديان وهي الإيمان بالغيب، لأنهم يجدون في هذا ما يوهن العقائد، العقائد القائمة الثابتة التي لا يستطيع أن يرتاب فيها مرتاب.

❑ قيل لهم: وكيف عرفتم صورة العذراء؟ مع أن أحدًا من المسيحيين لم ير العذراء الآن ولا قبل الآن.

❑ فقالوا: إن القديس لوقا وهو من الحواريين رآها وصورها وهذه كذبة تقوم على عناصر ثلاثة من الكذب:

الكذبة الأولى: أن لوقا لم يكن مصوراً بل رجح القس إبراهيم سعيد وأعوانه أنه كان طبيبًا ولم يكن مصوراً ومن الغريب أن القس إبراهيم سعيد هو الذي روّج لفكرة أن لوقا هو الذي صورها مع أنه في شرع بشارة لوقا يبني العلالي والقصور على أن لوقا كان طبيبًا وكان عالمًا وأنه في طبّه وعلمه كان ممحصًا.

الكذبة الثانية: أنهم قالوا إن لوقا كان من الحواريين. ونقول لهم كذبتم

وافتريتم، فكُتَّابُ المسيحية ما قالوا إن لوقا كان من الحواريين، فلم يكن حواريًّا، بل كان من تلاميذ غير الحواريين كان تلميذًا لبولس وبولس ما كان من الحواريين ولا أتباع الحواريين، بل كان مناوئًا وعبئًا شديدًا عليهم!!

الكذبة الثالثة: أنهم قالوا إن لوقا رأى السيدة العذراء مريم، والتاريخ ينبئ أن لوقا لم يولد بين اليهود بل الراجح أنه ولد في أنطاكية، وقيل إنه ولد في إيطاليا، إذًا فهو ليس عبرانيًّا حتى نقول: إنه كان بحكم عبرانيته كان مع بني إسرائيل وكان مختلطًا بالعذراء وثابت عندنا أن الأناجيل لم تظهر قبل مضى مائتي سنة على وفاة المسيح عليه السلام.

◻ نرجع ونقول إن الثابت عندهم لا عندنا أنه على حسب كلامهم فإن إنجيل لوقا دوّن سنة ٥٨م أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٤ فأقل مدة ٥٨ سنة بينما في سنة ٥٨م كان المسيح قد ترك الدنيا منذ أكثر من ثمان وعشرين سنة.

ثم إن الأدلة قاطعة على أن السيدة العذراء ما ذكرت قط عندهم حتى يذهب إليها لوقا - في أكاذيبهم - ويصورها.

نعم قال بعض العلماء إنه كان مصورًا ولكن القس إبراهيم سعيد هو الذي حقق أنه كان طبيعيًّا وكيماويًّا وإن كنا نصدقه أو لا نُصَدِّقُهُ فعليهم أن يحترموا قوله خصوصًا أنه كان ممن خاضوا في هذه القضية.

بقى أن نقول لإخواننا الفضوليين الذين يذهب بهم فرط فضولهم إلى أن يذهبوا إلى هذا المكان ويوضحوا عندهم ومنهم من تصل به أوهامه إلى أن يرى ما لا يرى، وكون الإنسان يرى شيئًا لم يره فهذا ثابت عند ذوي النفوس المضطربة والعقول التي يسيطر عليها الوهم والخيال - إلى هؤلاء نقول لهم: لا تذهبوا لأن تصديق كلامهم يؤدي بكم إلى الكفر».

ذلك أن مريم العذراء كانت طاهرة مطهرة موحدة حتى قيل إنها نبي من الأنبياء ويتكلم علماء أصول الدين في ذلك: هل يوجد من النساء نبية؟ قيل

إن السيدة مريم إن كانت من الأنبياء فهي موحدة. وإذا كانت موحدة فلا يمكن أن تظهر في كنيسة لأن هذه الكنيسة يدَّعي فيها أن المسيح إله!! فكيف تظهر العذراء الطاهرة المطهرة الصادقة المؤمنة كيف تظهر في كنيسة لا تعبد اللَّه سبحانه وتعالى. لا نقول هذا طعنًا في أحد! ولكن نقوله لأبنائنا المسلمين: إن أردتم أن تكونوا ممن يقولون إن المسيح ابن اللَّه يعبد!!! فاذهبوا إلى هناك! وصفقوا أو لا تصفقوا!!

❑ أما إن كنتم مؤمنين باللَّه حقًّا وصدقًا فاحذروا ثم احذروا وأبعدوا الأوهام عن نفوسكم!!

هناك حقيقة أخرى ضد الإسلام، لقد قالوا إنها جاءت متأبطة الصليب أو في حالة تشبه تقديس الصليب، وهذا ضد القرآن فاحذروا أيها المؤمنون؛ لأن اللَّه يقول ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ والصليب رمز للصلب فهل تكذبون القرآن وتصدقون هذه الأوهام. إن كنتم كذلك فلا تكونوا مسلمين، هذه حقيقة نقولها بقوة لإخواننا المسلمين.

❑ ثم نقول لإخواننا[1] المسيحيين أيضًا ـ وإن كان كلامنا لا يخلو من فضول ولكن الأمور كلها تسير في فضول، فلا مانع أن نخوض في الفضول أيضًا:

ـ أيها الإخوان إنهم يقولون إن مريم شفت من المرضى ما عجز الطب عن أن يجد له علاجًا!! فلماذا يكلف السيد رئيس الجمهورية نفسه مشقة السفر ويسافر إلى «اسخلطو بو» للعلاج!! لماذا لا يعالج ببركات السيدة العذراء كما يدعي الجهلاء!!.

أيها الإخوان الأعزاء. أنتم تقولون إن مريم مقدسة فهل تقولون إنها

---

(١) غفر اللَّه للشيخ أبي زهرة أين هذه الأخوة وهم كفّار بنص كتاب اللَّه.

معبودة وإله؟! إذن فقولوا الرَّابوع ولا تقولوا الثالوث حتى يكون هناك أربعة بدل أن يكون هناك ثلاثة.

◘ وأخيرًا أقول ما ابتدأت به وهو أنه يجب على الدولة أن تقتلع الفتنة من جذورها بأن ترسل هيئة قضائية تحقق القضية من كل وجوهها ثم تعلنها للناس حقيقة سائغة يطلبها الحق ويقرها الصدق»[1] .

أسأل اللَّه أن يرحم الفقيه أبي زهرة لصدعه بالحق في وقت عزّ فيها الرجال الذين لا يخشون في اللَّه لومة لائم.

* * *

(١) «أبو زهرة وقضايا العصر» (٣/ ٦٤ ـ ٦٧).

*** الشيخ محمد الغزالي المدافع عن الإسلام ضد خصومه من العلمانيين ودعاة التنوير ـ الظلاميين ـ والقوميين والزنادقة والشيوعيين وطوائف الكافرين:**

◻ الشيخ محمد الغزالي من أبرز المدافعين عن الإسلام ضد خصومه الموتورين، وكانت مقالاته في شبابه صرخات عالية من شأنها أن توقظ النيام ولم تكن همسات خافتة تبعث على التثاؤب، وتنيم اليقظان!

كان بعد خروجه من معتقل الطور سنة ١٩٤٩ هو المحامي عن حرمات الإسلام في مصر، وكان يسطر المقالات الممتعة في مجلة «المباحث» لإيقاظ الوعي الإسلامي العام.

وتصدى لصاحبه الشيخ خالد محمد خالد لما كتب كتابه «من هنا نبدأ» الذي صفّقت له، وروّجت له كل القوى المعادية للإسلام: شيوعية، وصليبية، وماسونية، وعلمانية.

وهنا تصدى له الغزالي في سلسلة مقالات قوية، نقد فيها شبهات خالد وردّ على دعاويه ثم جُمعت هذه المقالات في كتاب «من هنا نعلم»، الذي كان أقوى ما رُدَّ به على الكتاب المذكور، مع رفق وأدب، ورعاية لرابطة الود القديم، وكان الغزالي ـ رغم خلافه لخالد ـ يظن به خيرًا، وقد صدّقت الأيام ظنه.

◻ وصدر بعد ذلك للغزالي كتاب آخر في المواجهة والردّ أيضًا على من يتحاملون على الإسلام، ذلكم هو كتاب «التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام» ردًّا على من افترى على الإسلام واجترأ على حماه.

*** الشيخ الغزالي يدافع عن الهضيبي ويرد على الظالمين:**

◻ وفي خلافه مع الشيخ حسن الهضيبي أنصفه باعتباره رمزًا من رموز

الحركة الإسلامية في ذلك الوقت وقال عنه:

«من حقه أن يعرف الناس عنه أنه تحمّل بصلابة وبأس كل ما نزل به، فلم يجزع ولم يتراجع، وبقى في شيخوخته المثقلة عميق الإيمان، واسع الأمل حتى خرج من السجن.

الحق يقال.. إن صبره الذي أعزّ الإيمان، رفعه في نفسي، وإن المآسي التي نزلت به وبأسرته لم تفقده صدق الحكم على الأمور، ولم تبعده عن منهج الجماعة الإسلامية منذ بدأ تاريخنا.. على حين خرج من السجن أُناس لم تُبق لهم المصائب عقلاً.

وقد ذهبت إليه بعد ذهاب محنته، وأصلحت ما بيني وبينه، ويغفر اللَّه لنا أجمعين»[1] اهـ.

وكان مما هزّ الشيخ الغزالي وقدّره من مواقف الأستاذ الهضيبي، أنه أوصى في مرض موته أن يُدفَن في مقابر الصدقة التي يُدفَن فيها الفقراء والغرباء! وهو مَنْ هو منزلة ومنصبًا وجاها.

□ قال الشيخ الغزالي:

«من أيام مات الأستاذ حسن الهضيبي وبلغتني وصيته: لقد أوصى أن يُدفن خفية، لا إعلان ولا مواكب وطلب أن يوارى جثمانه في مقابر الصدقة.

وعقدت لساني دهشة، وأنا أسمع العبارة الأخيرة ـ في مقابر الصدقة ـ!..

قلتُ: لم مقابر الصدقة؟!

ولم يغب عني الجواب، لقد كان مستشاراً راسخ المكانة، رفيع الهامة.

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته ـ رحلة نصف قرن» للشيخ د. يوسف القرضاوي (ص٤٧) ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى.

لو اشتغل بمهاجمة الشريعة الإسلامية لنال جائزة الدولة التقديرية التي نالها غيره.

ولو خدم الغزو الثقافي لعاش في شيخوخته موفور الراحة، مكفول الرزق.

ولكنه خدم الإسلام، فتجرّع الصاب والعلقم! طُعِن مع الدين الجريح، وأُهين مع الدين المُهَان! فأراد أن تصحبه هذه المكانة في منقلبه إلى اللَّه!

فليدفن مع ناس أسلموا أرواحهم في غرفات السجن الحربي، وهم رازحون تحت وطأة عذاب تنوء به الجبال!

الحق يُقال: إن الأمة المصرية خاصة، والأمة الإسلامية جمعاء، يجب أن تُراجع نفسها طويلاً قبل يوم الحساب.

وسواءً صحا الضمير الراقد أم بقي غافيًا، فإن أعداء الإسلام لم يتغيروا في مواقفهم منه. لقد تحركوا مستغلين الضربات التي أطارت رشده ومزّقت شمله، فطمع البعض في تهويده، والبعض في تنصيره، والبعض في تكفيره، كفرًا يقطع علاقته بتة باللَّه والمرسلين أجمعين..

وتلك نتائج لم يكن منها بدّ للسياسة التي سلكها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. وما ألّفنا هذا الكتاب إلا بعد ما رأينا أن ارتداد مصر عن الإسلام، خطة يتحرك بها كثيرون يعلنون بها ولا يستترون..!!

وظاهر أن جمال عبدالناصر كان أداة رائعة في يد القوى العالمية الحاقدة على اللَّه وخاتم رسله، وأنه فعل بمصر أضعاف ما فعله لورد كرومر.

ما تكون (دانشواي) بجانب مجازر طرة والحربي وغيرهما من سجون؟

ومعلوم أن مصر، والعرب كلهم، والمسلمين في القارات الخمس مكلّفون بالتفريط في عقيدتهم وأرضهم.. وأن مأساة فلسطين نموذج لمآسٍ أخرى عديدة.

ومعلوم أن الحرب المعلنة علينا تعتمد على جناح ديني عند اليهود، والنصارى أعني المستعمرين منهم، وأن الدفاع لن يتماسك أو يقوم أو ينجح إلا بعاطفة دينية مقابلة ترد الجماح المعتدي.

لقد كانت رسالة الزعيم المصري أن يميت العاطفة الدينية عند المسلمين، وأن يُطارد كل أثارة من الإسلام.. أي كان يمهد للتعصب الزاحف ويدع الطريق أمامه مفتوحًا ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴿١٨﴾ **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [هود: ١٨-١٩][(١)] .

إنصاف وأدب ونصح

* **وقفة هامة: «الدين النصيحة»:**

إن تشويه الرموز الإسلامية، وتحطيم الأعلام، وتدمير القمم عمل لا يستفيد منه غير أعداء الإسلام ولست والحمد لله من الذين إذا رأوا شرًّا أذاعوه وإن رأوا خيرًا دفنوه، مبدعين في تضخيم الآفات إن وُجدت، واختلاقها إن لم يكن لها وجود.

ولست من الذين يسارعون في التكفير فهذا دأب الرعاع والحمقى، وليس من توجهي الهدم بدلاً من البناء، والحيف بدلاً من الإنصاف وإنما أقيم أخي إذا كبا، وأغطيه إذا تعرى، أبكي على ما بين الإسلاميين من تقطع، وإذا تصالح ندامى الحان، وتشاكس إخوان المسجد، فستنكسر المئذنة ويستولي السكارى على المحراب.

◻ ويرحم الله ابن القيم حيث يقول: «والبصير الصادق يضرب مع كل قوم بسهم، ويعاشر الناس على أحسن ما عندهم، وإن الماء إذا بلغ القلتين

---

(١) «قذائف الحق» للغزالي (ص١٠٨، ١٠٩).

لا يحمل الخبث.

❑ لست من دعاة التفرق ويبكيني قول القائل:

أخي إني أُريـــدك لا تدعنـــي ... وإنْ بي ضاق صـدرك من يسعني
أأبـــكي دون أن تبـــكي لحـزني ... وجفنك بـــاردٌ لم يجـر دمعـــه

* * *

وشُـــدّ بعزمـــة في اللّه أزري ... شريكي أنت في قهري ونصري
لنحرك صوّب الأعـــدا ونحـــري ... فصنْ صـدري فأنت اليـوم درعه

* * *

ولا تـسمع لتحريك الضغـائن ... وأنصـــتْ لاســتغاثات المـــآذنْ
بقلب القدس قد نصبوا البراثـــن ... فـــدعْ داعي التفـــرق لا تُطعـهُ

❑ وقول القائل:

أخي إنني في القرار السحيق ... بغصة نَفْسٍ أضجّ إليكْ
فخذ بانتصاري فإني غريقْ ... أعاني وكيف أهون عليكْ

* * *

أَئِنٌّ فلا تسمَعَنْ صرختي ... وأسقط لا ترفعن عثرتي
حرام فنصري لزامٌ عليك

❑ ومع هذا أقول: الولاء المطلق للّه ولرسوله ﷺ، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، وكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، وإذا ضاع الحق، وضاعت معالم السنة، وظهرت البدع وسكتنا عنها بدعوى لمّ الشمل وتوحيد الصف فلن يتوحد صف وستضيع الأمة.

من هذا المنطلق ونحن نتكلم عن فضيلة الشيخ محمد الغزالي وهو

يهدر كالموج، ويقصف كالرعد، ويزأر كالليث مدافعًا عن الإسلام ضد خصومه، إلا أنا لا نقبل كلامه مطلقًا عن السلفية والسلفيين، ودفاعه عن المدرسة العقلية الحديثة، الأفغاني ورده لبعض الأحاديث الصحيحة وتقديم العقل على بعض النصوص، وبعض أقوال فيما يخص المرأة وتوليها لمناصب القضاء، وشدة هجومه وحدته بغير حق على الشباب الملتزم بالسنة ممن يخالفه الرأي.

فقد بلغ من ذلك مبلغًا لم يصل إليه أحد قبله في الاستخفاف بهم[١].

*** الغزالي المدافع عن الإسلام ضد خصومه:**

دافع الغزالي عن الإسلام في وقت علت فيه كلمة المارقين والشيوعيين والعلمانيين، وكان صوته مسموعًا بيّنا يجأر بالدعوة إلى اللَّه في أيام عبدالناصر، وسط الضوضاء الصاخبة التي تنعق بتقديس الطواغيت، وكان هو الشمعة الهادية في تلك الفترة الحالكة الظلمات، في جيل أُطفئت من حوله كل السُّرج، وزكمت أنوفه روائح التعذيب البشع والملاحقات التي كان بعض قادتها يتباهون علنًا بأنهم يعلمون ما في الصدور.

*** قذائف الحق:**

وقف الشيخ الغزالي حارسًا من حرّاس هذا الدين الأيقاظ ووقف لخصومه الكائدين له، المتربصين به الشر، الكارهين لانتشار أنواره وعودته إلى

(١) مما يؤخذ على الشيخ الغزالي عدم أخذه بأحاديث الآحاد في العقائد، ينحو منحى الأشاعرة، وأخطاؤه الفقهية، وموقفه من الشيعة وعباراته القاسية الخشنة المثيرة في كتابه «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» للسلفيين، وأيضًا كتابه «هموم داعية» و«علل وأدوية» يُرد عليها في مجلد، وصحة طريقهم واضحة وضوح الشمس لا يجحدها إلا مكابر

وَهَبْني قلت: هذا الصبح ليلٌ ... أيعمى العالمون عن الضياء؟!

قيادة الحياة من جديد.

بعض هؤلاء من خارج الإسلام وخارج أرضه من القوى العالمية التي تخاف الإسلام أو تبغضه: من اليهودية والصليبية والشيوعية والوثنية.

بل وبعضهم من داخل أرض الإسلام، بل من أبناء المسلمين أنفسهم، ولكنهم لا يضمرون للإسلام إلا شرًّا، ولا لدعاته إلا عداوة، ولا لشريعته إلا تنكرًا - وربما عادوه لأنه ضد شهواتهم المحرمة، وضد مظالمهم المفترسة، وضد مصالحهم الآثمة، وضد مطامعهم الفاجرة.

❑ وقف الشيخ لأعداء الدين بالمرصاد، مدافعًا ذائدًا، لا يُلقي السلاح ولا ينشد الراحة، ومعركة المصحف في العالم الإسلامي قائمة، والحرب على الإسلام وأمته دائرة، والدم الإسلامي مستباح، وأكثر المُوكّلين بالحراسة يغطّون في نوم عميق، هانت رسالة الإسلام عليهم فلم يدروا منها ما يرفع خسيستهم ويحمي محارمهم.

❑ في مقدمة كتابه «قذائف الحق» قال الشيخ:

«أعداء الإسلام يريدون الانتهاء منه، ويريدون استغلال المصائب التي نزلت بأمته، كي يبنوا أنفسهم على أنقاضها.

يريدون بإيجاز القضاء على أمة ودين.

وقد قرّرنا نحن أن نبقى، وأن تبقى معنا رسالتنا الخالدة، أو قرّرنا أن تبقى هذه الرسالة، ولو اقتضى الأمر أن نذهب في سبيلها، لترثها الأجيال اللاحقة...» إلى أن يقول: «إن اللَّه أخذ على حملة الوحي أن يعالنوا به، ويكشفوا للناس حقائقه وأكدّ ذلك عليهم في قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فما بد من البيان وعدم الكتمان.

وأعلم أن ذلك قد يعرّض لمتاعب جسام ولكني أقول ما قال صديقنا عمر بهاء الدين الأميري:

الهولُ في دربي وفي هدفي وأظلّ أمضي غير مضطرب!
ما كنتُ من نفسي على خور أوْ كنتُ من ربي على رِيَب!
ما في المنايا ما أحاذره اللّه ملء القصد والأرب»

*** الشيخ الغزالي وعبدالناصر ورجاله:**

كان الغزالي في بدء الثورة عظيم الترحيب بها والمناصرة لها، وتوجّس الهضيبي شرًّا من عبدالناصر، ولكن الشيخ الغزالي كان حسن الظن به، بناءً على ظواهر رآها منه أو سمعها عنه، ولكن الأيام أثبتت أن فراسة القاضي المتوجس، كانت أصدق من ظن الداعية المتفائل.

ومما يُذكر بالخير للغزالي أنه كان يرى أن من الخير للإسلام ولمصر أن يكون الإخوان أكثر ليونة مع الثورة وقائدها الذي لم يتخذ ـ في رأيه ـ بعد موقفًا صريحًا ضد الإسلام بدلاً من أن تراق دماء المسلمين[1] .

◘ وحين أدرك الغزالي خبث عبدالناصر وسوء طويّته، وكيده للإسلام وأمته كتب في ذلك بعض الكتب المعبرة عن وجهته هذه، مثل: «كفاح دين» و«قذائف الحق» و«معركة المصحف في العالم الإسلامي» و«حصاد الغرور» و«الإسلام والزحف الأحمر» وغيرها.

---

(١) ويا ليت أن الناس أخذوا بهذا بدلاً من المصائب التي حلّت بالحركة الإسلامية عمومًا من جرّاء الاندفاع والقول بالعمل المسلح الذي لم يجن الاسلاميون منه إلا الصاب والمرّ والعلقم والتشريد والدماء وقتل الأبرياء المسلمين من الجانبيْن مما لا يرضى عنه اللّه ورسوله.

وأنذرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغدِ

▫ وفي كتابه «كفاح دين» كشف اللثام عن الخطط المبيّتة لضرب كل تحرك للإسلام، والاستعانة على ذلك بأبناء المسلمين أنفسهم، وذكر فيه إحصاء بالمساجد التي هدمها رجال الثورة بدعوى تجميل القاهرة، ولم يبنوا بدائل لها.. وسلّط الضوء على ما تقوم به أجهزة الإعلام من تخريب للعقول والضمائر.

وكان قد خطر له أن يجعل عنوان هذا الكتاب «سياسة تمويت الإسلام» سمعتُ ذلك منه، ثم رأى العنوان الآخر أخفّ وطأة، وأدلّ على روح المقاومة والكفاح الكامنة في طبيعة الإسلام»[1] .

وفي كتاب «قذائف الحق» وضع النقاط على الحروف، وفضح المؤامرات اللئيمة التي دُبِّرت ـ ولا زالت تدبر ـ للإسلام، وسجّل في كتابه الوثيقة الرهيبة التي أعدها زكريا محيي الدين وشمس بدران ورجالهما، ووقعّ عليها عبدالناصر للقضاء على الإخوان، وعلى الروافد التي تمدهم من سائر التيارات والقوى الدينية في مصر.

▫ كما أكدّ أن القومية العربية لا يُمكن أن تكون بدلاً عن الإسلام، وأن العرب بدون الإسلام صفر.. وفي هذا الكتاب عرض الغزالي لعبدالناصر في أكثر من موضع، وخصوصًا في فصل «الدعوة الإسلامية والحكام الخونة» فقد ذكره مع «أتاتورك» و«سوكارنو» و«سوهارتو» وغيرهم ممن استخدمتهم القوى المعادية للإسلام من صهيونية وصليبية وشيوعية.

وأنكر على عبدالناصر أن يستخدم الأزهر أكبر جامعة إسلامية ليستقبل الداعر المنحل سوكارنو ويمنحه أعلى شهاداته العلمية وهي (العالمية) الفخرية في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين!!

---

(١) انظر «الشيخ الغزالي كما عرفته» للدكتور يوسف القرضاوي (٥٥ ـ ٥٧).

❑ قال الغزالي:

«والحق أني حائر في فهم جمال عبدالناصر، لقد كنتُ ـ كما يعلم الناس ـ من جماعة الإخوان المسلمين، وأقرر أن جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين بايعا في ليلة واحدة على نصرة الإسلام ورفع لوائه، وقد كنت قريبًا من مشهد مثير وقف فيه جمال عبدالناصر أمام قبر حسن البنا يقول: «نحن على العهد وسنستأنف المسيرة!. كان ذلك عقب قيام الثورة بأشهر قلائل[1] .

وقد وضع كُتّاب مسلمون كبار مقدمات للرسائل التي كانت تصدر تحت عنوان «اخترنا لك» أمضاها جمال عبدالناصر، وفيها أشرف ما يؤكده زعيم مسلم نحو أمته ودينه.

لا أدري ما حدث بعد ذلك..

إنه تغيّر رهيب في فكر الرجل ومسيرته، جعله في كل نزاع بين الإسلام وطرف آخر ينضم إلى الطرف الآخر:

ـ انضم إلى الهند في خصومتها المُرّة ضد باكستان المسلمة.

ـ انضم إلى الحبشة في عدوانها الصارخ على إرتريا.

ـ انضم إلى تنجانيقا وأغضى عن المذبحة الشنعاء التي أوقعتها بشعب زنجبار المسلم ورحّب أحرّ ترحيب بنيريري الذي يتظاهر بالاشتراكية وهو قسيس كاثوليكي.

ـ انضم إلى القبارصة اليونان في نزاعهم ضد القبارصة المسلمين، وجعل الأزهر يستقبل مكاريوس عدو الكيان الإسلامي للأتراك.

ـ كان أسدًا هصورًا في قتال اليمن، وحملاً وديعًا في قتال اليهود،

---

(١) كان ذلك في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣م.

حتى جعل اليهود ـ وهم أحقر مقاتلين في العالم ـ يزعمون أنهم لا يُقهرون في حرب!!

سريع إلى ابن العم يلطم خدّه　　　وليس إلى داعي الندى بسريع!

◻ وقد ساند «البعث العربي» الحاقد على الإسلام، ورفض مساندة أي تجمع إسلامي، واخترع حكاية القومية العربية لتكون بديلاً عن العقيدة الإسلامية..!!».

*** الغزالي رجل المواقف:**

◻ يرحم الله شوقي القائل:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً　　　إن الحيــاة عقيــدة وجهــاد

وقد كانت للشيخ الغزالي مواقف مشكورة في نصرة الإسلام والجهر بالحق نذكر منها.

*** موقفه في المؤتمر القومي العام سنة ١٩٦٢م:**

«ومن المواقف التي تُذكر للشيخ موقفه في المؤتمر القومي العام الذي عُقِد في القاهرة أيام عبدالناصر سنة ١٩٦٢، ووقوف الشيخ يدعو صراحة إلى وجوب التحرير من الاستعمار التشريعي بالرجوع إلى أحكام الشريعة الإسلامية، وعرّج الشيخ في نهاية كلمته على ضرورة التخلص من التقليد والتبعية في الأزياء، وأن يكون للأمة أزياؤها الخاصة بها، سواء ما يتعلق بالرجال أو النساء، وضرورة عودة المرأة المسلمة إلى الاحتشام»[(١)] .

«وهنا ثارت ثائرة الشيوعيين والمنحلين، وأعداء الإسلام المتسترين بالثورة والمحتمين بحماها.

---

(١) انظر «الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٣٣٧ ـ ٣٣٨).

وكتب رسّام الكاريكاتير الملحد المعروف صلاح جاهين، المحرر بالأهرام ما كتب من سخرية بالشيخ وكلامه، وما يرمز إليه من بقاء الإسلام والأزهر.

نشر صلاح جاهين المعروف بانتمائه الشيوعي ١٤ رسمًا ساخرًا، تحت عنوان (تأملات كاريكاتورية في المسألة الغزالية) إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن كلمة الغزالي قلبت موازينهم، وأصابت منهم مقتلاً. وهو فرد، وهم ألوف معهم الدولة والسلطان والصحافة والإعلام.

وقد بلغ التبجح بصلاح جاهين أن بعض الناس قالوا له: كيف تهاجم الإسلام ورجاله، وهو دين الدولة الرسمي؟ فقال لهم: إذا كان الإسلام دين الدولة فسأحارب الدولة! ولقد غاظ الجماهير المسلمة أن يتعرّض شيخها لهذه السخريات من صحفي ملحد أثيم، فخرجت يوم الجمعة ١/٦/١٩٦٢ من الجامع الأزهر في صورة مظاهرة شعبية غاضبة مزمجرة، ضمت عشرات الألوف، وقد اتجهت الجموع الصاخبة إلى دار الأهرام القديمة تعلن احتجاجها وسخطها لقد سخر الشيوعي جاهين من عمامة الشيخ الغزالي، ولكن الشيخ وقف في المؤتمر في اليوم التالي يقول جهرة: إن تحت هذه العمامة رأس مفكر، كان يحارب الظلم والإقطاع، أيام كان أمثال هذا الكاتب قوّادين لفاروق!

ولقد سمعته ـ وأنا في قطر ـ يتحدث على الهواء في المؤتمر، يرد على مفتريات الصحافة التي حرّفت كلامه، وعلى الصحافيين الذين قوّلوه ما لم يقل، حقدًا على الإسلام الذي يمثله، وكان مما قاله: إن الذي يهاجمه هؤلاء اليوم باسم التقدمية والحرية، نُشر له في عهد الملكية خمسة كتب تهاجم الأوضاع الظالمة الفاسدة، طُبعت مثنى وثلاث ورباع، في الوقت الذي كان هؤلاء وأشباههم يسبحون بحمد فاروق وحاشيته»[1].

---

(١) المصدر السابق (ص٥٩ ـ ٦٠).

*** مصارعة القوى المعادية للإسلام:**

وهناك جانب أساسي من جوانب الدعوة عند الغزالي، وهو: مصارعة القوى المعادية للإسلام، والتصدي لتياراتها، والعمل على كشف عملائها، وهدم أوكارها، وهتك أستارها، والوقوف في وجه أخطارها وآثارها، والغزالي هنا مقاتل عنيد، لا يستسلم ولا يطأطئ ولا يلين، ولا يقبل اللقاء في منتصف الطريق، أو الرضا بأنصاف الحلول، بل صبر ومصابرة ومرابطة حتى النصر أو الشهادة.

*** في وجه الاستعمار:**

لذا وقف في وجه الاستعمار، وكشف عن حقيقته ودوافعه، وأنها (أحقاد وأطماع) فليس الاستعمار مجرد مطامع في أرض المسلمين ونهب ثرواتهم وخيراتهم، ولكنه ـ إلى جوار ذلك ـ حاقد صليبي، يحمل ضغائن قديمة لم ينسها بعد الحروب الصليبية المعروفة، بل منذ احتل الأرض التي كانت مسيحية، بالشام ومصر وشمال إفريقيا والأناضول، وحولها إلى قلاع إسلامية. وقد ظهر هذا في موقف الغرب من قضايا الإسلام، وآخرها: قضية البوسنة والهرسك.

*** في وجه الصهيونية:**

وقف في وجه الصهيونية العالمية، التي احتلت أرض النبوات، وانتهكت حرمة المقدسات الإسلامية، وشردت أبناء الأرض من ديارهم بغير حق، صنعت ذلك كله باسم التوراة، وتحت راية العقيدة اليهودية، التي جمعت اليهود المتفرقين في الأوطان، ويراد للعرب وللفلسطينيين أن يقاتلوهم بغير دين، فيدخل اليهود المعركة ومعهم التوراة، ويدخلها العرب وليس معهم القرآن، وكان للشيخ في ذلك كتابات كثيرة لا تحصى، من أبرزها ما أصدره

بعد النكبة أو النكسة، وهو كتاب: «حصاد الغرور».

◻ يقول ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «كفاح دين» (ص١١١):

«كنا نفكر أن سيطرة الغربيين على بلادنا كانت مجرد غلب القوى على الضعيف حتى صحونا من منامنا، أو استفقنا من بلاهتنا، فوجدنا الأوربيين الغزاة يطوون أفئدتهم على جميع المشاعر التي حرّكت أسلافهم الأقدمين حين حاربونا باسم «الصليب» زهاء قرنين من الزمان.

إنهم هم هم، بغضاؤهم للإسلام لم تنقض، بل ظلت في نماء، وسخطهم على أهله لا تزيده الليالي إلا ضرامًا.

كل ما أفادوه من تقدم علمي في إبّان غفوتنا الأخيرة، أنهم غيّروا الوسائل، وأضافوا إليها مقدارًا أكبر من الختل والخبث، وطوروا السلاح ليجعلوه أشد فتكًا، وأوسع هلكًا، حشدوا كل ما لديهم ليجهزوا على الكتاب والسنة أي على رسالة محمد عدوهم الألدّ.. ثم ليمزقوا أمته شر ممزق فيسلطوا عليها من صنوف البلاء ما يجعلها تتعثر في طلب النجاة دون جدوى».

* في وجه التنصير:

ووقف في وجه «التنصير» الذي يريد أن يسلخ المسلمين من عقيدتهم فإن لم يقدر على إدخالهم في النصرانية اكتفى بزعزعة إسلامهم، وتشكيكهم في دينهم، وللشيخ في ذلك كتابات شتى، بأساليب متنوعة، لعل آخرها كتابه: «صيحة تحذير من دعاة التنصير»، وقد كتبه بعد أن قرأ ما صدر عن مؤتمر (كلورادو) سنة ١٩٧٨م من تقرير ضخم ضم أربعين (٤٠) دراسة عن الإسلام والنصرانية، وهو المؤتمر الذي اجتمع بهدف تنصير المسلمين في العالم، ورصد لذلك ألف مليون دولار، وأنشأ لهذه الغاية (معهد زويمر) لتخريج متخصصين في تنصير أمة الإسلام.

* في وجه الشيوعية:

ووقف في وجه الشيوعية ومحاولاتها لغزو ديار الإسلام، وما صنعته بالمسلمين وراء الستار الحديدي من تصفيات جسدية، وحملات قمعية، وحمامات دموية، وللشيخ في ذلك كتابات كثيرة أبرزها: كتاب «الإسلام في وجه الزحف الأحمر»، الذي نشرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٦م أي في أوج عهد عبدالناصر، وقد كان الشيوعيون في ذلك الوقت لهم سطوة وسلطان، وكانوا ممكنين من جميع أجهزة الثقافة والإعلام، وكانت صلة مصر بالسوفييت وثيقة متينة، لا غرو أن قال الشيخ في مقدمة كتابه هذه العبارات: «لذلك رأيت أن أكتب هذه الصحائف الحافلة بالحقائق العلمية والتاريخية، وأودعها صرخات قلب غيور على دينه، شفيق على أمته.

وأعرف أنني بكتابتها سأتعرض لعداوات مميتة، ولكن بئست الحياة أن نبقى، ويفنى الإسلام! إن الضربات تنهال من كل ناحية على هذا الدين الجلد! وعلى بعد ما بين الخصوم الضاربين من منازع وغايات، فقد جمعهم حب الإجهاز على الإسلام، واقتسام تركته!

وقد فرض اللَّه على العلماء أن يقولوا الحق ولو كان مرًّا، وألا يخشوا في اللَّه لومة لائم، وعُشّاق الحق لا بد أن يحيْوا معه، وإلا فبطن الأرض خير لهم من ظهرها. والأمة التي أعنيها ليست عشيرتي الأقربين، ولا العرب أجمعين، كلا. إنني أعني الأمة الإسلامية حيث انتشرت في الأرض، ولمس ترابها جبهات الساجدين، وكل منهم يهمس في خشوع: «سبحان ربي الأعلى».

هذه الأمة التي أحاط بها الطامعون والحاقدون هي الأمة التي أحذر عليها وأعمل لها».

* **محامي الأمة الإسلامية:**

وقف الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ بقلمه ولسانه مع كل قضايا المسلمين في العالم، مع الإسلام في كل مكان واحتلت قضية فلسطين بؤرة شعوره، وصميم قلبه وفكره، وعدّ نفسه حارسًا لها بقلمه ولسانه ووجدانه.

وقف الشيخ بقلمه ولسانه مع «الإسلام الجريح في الحبشة»[(١)]، والإسلام المقاتل في كشمير والفلبين، وفي البوسنة والهرسك، الإسلام الصامد في أندونيسيا، وفي بنجلاديش في آسيا، وفي نيجيريا والصومال في أفريقيا أمام موجات التنصير والعلمانية، والإسلام الذي يقاوم التغريب في تركية وفي البلاد العربية.

وقف الشيخ مع اللاجئين المشردين من أبناء الإسلام في أنحاء العالم من أبناء بورما وتشاد والصومال وأريتريا وغيرهم[(٢)].

◻ يقول الشيخ في ألم وأسى: «إن قلبي يتفطّر عندما أرى الدم المسلم أرخص دم على الأرض، لقد استباحه المجوس واليهود والنصارى والوثنيون الملحدون.. وحكام مسلمون ولا ريب أن المدافعين عن الإسلام تكتنفهم ظروف صعبة معقدة، غير أنه بين الحين والحين ينبجس من روح اللَّه ندى يواسي الجراح، ويهوّن الكفاح، ويُبشر بالصباح. ومهما كانت الأوضاع محرجة فلا بد من بقاء الدعوة الإسلامية مرفوعة الراية، واضحة الهداية، تعلن الحق وتبسط براهينه، وتلقف الشبه وتوهي إسنادها»[(٣)].

---

(١) انظر حديثه في كتاب «كفاح دين» عن «مأساة المسلمين في الحبشة»، وفصل «حكومات مسيحية لشعوب مسلمة»، وفصل «ذئاب الحبشة تنهش الإسلام».

(٢) انظر حديثه عن «أحوال المسلمين في الفلبين في كتابه «علل وأدوية» (ص٢٠٩ ـ ٢١١).

(٣) «قذائف الحق» (ص١٤٨).

* الغزالي والحرية وحربه على الفساد السياسي:

كان ـ رحمه اللَّه ـ عدوٌ للاستبداد أيًّا كانت صوره، ولقد تحدّث الشيخ عن الفساد السياسي في كتابه «هموم داعية» فقال: «الفساد السياسي مرضٌ قديم في تاريخنا، هناك حكّام حفروا خنادق بينهم وبين جماهير الأمة؛ لأن أهواءهم طافحة، وشهواتهم جامحة.. لا يؤتمنون على دين اللَّه ولا دنيا الناس.. ومع ذلك فقد عاشوا آمادًا طويلة.

ولقد عاصرت حكّامًا تدعو عليهم الشعوب، ولا تراهم إلا حجارة على صدرها توشك أن تهشمه، انتفع بهم الاستعمار الشرقي والغربي على سواء في منع الجماهير من الأخذ بالإسلام والاحتكام إلى شرائعه، بل انتفع بهم في إفساد البيئة حتى لا تنبت فيها كرامة فردية، ولا حرية اجتماعية أيًّا كان لونها».

وقال: «إن الفقه الدستوري في أمتنا يجب أن تنحسر عنه ظلال الحجاج، وعبيداللَّه بن زياد، وبعض ملوك بني العباس، وبعض سلاطين آل عثمان».

إن الضلال في تصوير الإسلام يُفقد الإسلام حق الحياة.. إنهم يحسنون الإماتة، ولا يحسنون الإحياء.

«إنني أومن بالشورى، وأزدري الاستبداد السياسي من أعماق قلبي، وأردّ إليه أغلب هزائم أمتنا خلال تاريخها».

◘ وهو يبشر بالأمل ويفقه الثوابت من مذهب أهل السنة والجماعة من عدم الخروج المسلح والصبر على الحاكم الظالم فيقول:

«الواقع أن أنسًا ﷺ كان يقصد بحديثه منع الخروج المسلح على الدولة بالطريقة التي شاعت في عهده ومن بعده، فمزّقت شمل الأمة، وألحقت بأهل الحق خسائر جسيمة، ولم تنل المبطلين بأذى يُذكر.

وأنس بن مالك ﷺ أشرف دينًا من أن يمالئ الحجاج أو يقبل مظالمه، ولكنه أرحم بالأمة من أن يزجّ بأتقيائها في مغامرات فردية تأتي عليهم، ويبقى الحجاج بعدها راسخًا مكينًا.

وتصبيره الناس حتى يلقوا ربهم - أي حتى ينتهوا هم - لا يعني أن الظلم سوف يبقى إلى قيام الساعة، وأن الاستكانة الظالمة سنة ماضية إلى الأبد! لقد سلخ الإسلام من تاريخه المديد أربعة عشر قرنًا وسيبقى الإسلام على ظهر الأرض ما صلحت الأرض للحياة والبقاء، وما قضت حكمة اللَّه أن يختبر سكانها بالخير والشر.

ويوم ينتهي الإسلام من هذه الدنيا فلن تكون هذه دنيا؛ لأن الشمس ستنطفئ، والنجوم ستنكدر، والحصاد الأخير سيطوي العالم أجمع فليخسأ الجبناء دعاة الهزيمة وليعلموا أن اللَّه أبرّ بدينه وعباده مما يظنون.

إن الباطل لن تلين قناته بسهولة، بل ربما وصل في جرأته على الإيمان أن تقتحم حدوده ويهدد حقيقته، ويحاول الإجهاز عليه.

وعندما تنجلي الظلماء عن رجال صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه يقاومون الضلال بجلد، ولا يستوحشون من جو الفتنة الذي يعيشون فيه ولا يتخاذلون للغربة الروحية والفكرية التي يعانونها، ولا يزالون يؤدون ما عليهم للَّه حتى تنقشع الغمّة، ويخرج الإسلام من محنته مكتمل الصفحة، بل لعلّه يستأنف زحفه الطهور فيضمّ إلى أرضه أرضًا وإلى رجاله رجالاً.

ليست الغربة موقفًا سلبيًا عاجزًا، إنها جهاد قائم دائم حتى تتغيّر الظروف الرديئة ويلقى الدين حظوظًا أفضل.

وليس الغرباء هم التافهين من مسلمي زماننا، بل هم الرجال الذين رفضوا الهزائم النازلة، وتوكلوا على اللَّه في مدافعتها حتى تلاشت!».

إن لجواد هذه الأمة نهضته من هذه الكبوة، وإن لسهمها قوطة بعد

هذه النبوة.

إن ترك الشر ليس هو غاية التدين، وإن اعتزال الفتن فقط ليس هو آية الإيمان، وهذا عجز سببه ضعف الهمة وسقوط الإرادة.

◘ وإني لأذكر قول المتنبي فيه:

إنّا لفي زمنٍ ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإجمال

أجل، فإن ترك الصغائر غير بلوغ الأمجاد، وتجنب التوافه والرذائل غير إدراك العظائم، وتسنم الهام.

والرسول الكريم عندما يأمرنا باعتزال الفتن لا يُنهي واجبنا عند هذا الحد.. سوف يبقى بعد ذلك الاعتزال الواجب، بناء الأمة على الحق، ومدّ شعاعاته طولاً وعرضًا حتى تنسلخ كل ظلمة»[1] .

*** في وجه العلمانية:**

ولعل أبرز المعارك التي خاضها الشيخ، وأطولها نفسًا، وأشرسها هجومًا هي معركته مع (العلمانية) اللادينية، التي تعارض حاكمية اللَّه لخلقه، وسيادة الشريعة على الناس، وتعزل الدين عن الحياة وعن المجتمع، وتحارب الذين يدعون إلى الإسلام الشامل، وتعتبرهم دعاة الرجعية وأعداء التطور.

وقد بدأ هذا في كتابات الشيخ منذ وقت مبكر، حينما رد على صديقه الشيخ خالد ـ في فصل (قومية الحكم) من كتابه: (من هنا نبدأ).

بيد أن الشيخ وقف بقوة وحرارة في وجه العلمانيين الأصلاء في العلمانية، المبغضين علانية لشريعة الإسلام، المجاهرين بتحقير حكم اللَّه

(١) «قذائف الحق» (ص٢٠٨ ـ ٢١١) باختصار وتصرف يسير.

ورسوله، الداعين إلى تغريب المجتمعات الإسلامية.

كانت معارك الشيخ مع هؤلاء تتسم بشيء من الشدة والحدة بقدر نفور هؤلاء من الإسلام، وتنفيرهم منه، ومعاداتهم للدعاة إليه، وكلما أوغل هؤلاء في عداوة الدين والشريعة كان قلم الشيخ كأنما هو شعلة من نار، نار تكوي وتحرق، ولا يخبو لها لهيب، كما نرى ذلك واضحًا في تعقب الشيخ لسقطات محمد سعيد العشماوي، ونصر أبو زيد، وفرج فودة، الذين أظهرت كتاباتهم مبلغ كراهيتهم لدعوة الإسلام، وتحكيم شريعته.

والشيخ يقول عن هذا النوع من العلمانيين: لماذا لا نسمي هؤلاء بأسمائهم الحقيقية؟ والاسم الحقيقي لهؤلاء: المرتدون، فهؤلاء قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، ولم يعد في قلوبهم توقير للَّه تعالى، ولا تعظيم لكتابه، ولا احترام لرسوله، ولا انقياد لشريعته، ويعجب الشيخ من موقف هؤلاء المرتدين في حقيقة أمرهم، لماذا يحرصون على أن يحتفظوا باسم الإسلام، وأن يظلوا محسوبين على المسلمين، والإسلام منهم براء، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول المثقّب العبدي:

فإما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثّي من سميني!

وإلا فاطرحني واتخذني ... عدوًّا أتقيك وتتقيني!

كان هؤلاء العلمانيون يظهرون في أثواب متباينة الأشكال. فقد يلبسون لبوس اليسار الثوري، وقد يلبسون لبوس اليمين الليبرالي، وقد يتحلون بعباءة القومية العربية، وقد يبدون في أثواب أخر، ولكنهم جميعًا شركاء في الجرأة على اللَّه تباركت أسماؤه، وفي التعالم عليه جل علاه، والاستدراك على شرعه! فهم يزعمون أنهم أعلم من اللَّه بخلقه، وأبر منه بعباده. وأنه تعالى حين شرع لهم ما شرع لم يكن يدري ما يحدث لهم من تطورات، وما يجري عليهم من أحداث، فهم لذلك يرفضون حكمه وحكم رسوله، ولا

يرتضون مرجعية الإسلام فيما شجر بينهم.

وأكثر ما يغيظ الشيخ من هؤلاء العلمانيين الذين لا دين لهم هو: دجلهم وكذبهم على اللَّه عز وجل! وذلك حين أقحموا أنفسه على دين اللَّه، وليسوا من اللَّه في كثير ولا قليل. وهم الذين يعتبرهم الشيخ (نباتات سامة في حقول الإصلاح)!

إنهم ورثة مسيلمة الكذاب الذي زعم أنه نبي يوحى إليه، ولم يوح إليه بشيء، وظن المغفل أنه يدرك المجد بهذا الدجل المكشوف، فلم يدرك إلا القاع، وبقي اسمه إلى الأبد رمزًا للكذب.

وتتابع الكذابون في عصور مضت، فإذا أناس لا أثر لهم في ميادين الفلسفة، ولا أثر لهم في مجالات العلم، ولا ثقة بعقولهم في شيء طائل يقتحمون ميدان الدين، ثم يزعم هذا أنه نبي بعد محمد! ويزعم أن اللَّه قد حلّ فيه، أنه مجلي لبهائه!!

وظاهر أن الاستعمار العالمي أراد الكيد للإسلام، والنيل من تعاليمه، فاستغل هذه «المانيخوليا» عند أصحابه، وروج لها واعتبر أصحابها مؤسسي أديان ومحدثين عن اللَّه، وساندهم بدهاء وإلحاح، فكان له ما أراد أو بعض ما أراد.

وعندما شرع المسلمون يفيقون من غفوتهم، ويثوبون إلى رشدهم، ويدمغون الكهان الجدد لاحقهم الاستعمار بنفر آخرين، هم امتداد للنبوات الكاذبة في العصور السابقة، بفرض هؤلاء أنفسهم على الإسلام، بغية الإجهاز عليه من داخله، ولا شيء لديهم من علم أو فلسفة إلا ما ورثوه عن مسيلمة وغلام أحمد وبهاء اللَّه، مزيج من المانيخوليا، والجراءة والكهانة والادعاء.

هـذا دجـال ظهـر في السـودان يأخـذ القرآن المكي ويرفض القرآن

المدني[1] ، ويوفر له الأمن سنين عددًا!! وهذا دجال ظهر في مصر يقبل الكتاب ولا يقبل السنة[2] .

وبديه أن كلا الشخصين لا يعتمد في مزاعمه على إسناد علمي، لا ينجع في مقارعة حجة بحجة. ماذا تقول لمسيلمة أو لسجاح أو لطواغيت القاديانية والبهائية، أو لطلائع الغزو الثقافي الذين يقسمون الوحي قسمين، فيمسكون قسمًا، ويطرحون قسمًا؟

هناك منطق عقلي أو تجريبي يحكم المقولات الفلسفية والقضايا المادية، أما هؤلاء فمنزع آخر تسيِّره أمراض نفسية، واضطرابات ذهنية، ونوع من الجنون المقدس أو عبادة الذات، وعلى الدهماء أن تسمع وتطيع..

وتعاليم الإسلام في هذه الأيام تهبُّ عليها رياح صفراء من مصادر جديرة بالتفرُّس والحذر..

وغايتها لا تخفى علينا، إنها الإطاحة برسالة محمد كلها تحت عناوين مفتعلة، الاعتماد على القرآن واطراح السنة! الاعتماد على القرآن المكي وترك القرآن المدني! تعطيل نصوص قائمة قد تكون عبادية كشريعة الصيام فيقال: الصيام يضرّ الإنتاج فلنلغ رمضان! وقد تكون معاملات اجتماعية كأنواع الحدود والقصاص، فيقال: إقامة هذه العقوبات تكثر العاهات وتشيع البطالة فنتجاوزها إلى ما هو أعدل منها وأرعى للصحة العامة!!

---

(١) يقصد: محمود محمد طه، الذي قضت المحكمة العليا في السودان بردته وبالدعوة إليها.

(٢) يريد حسين أحمد أمين، الذي كتب في مجلة (المصور) مقالات هاجم فيها الشريعة والسنة وفقهاء الأمة، والسلف الصالح وعمر بن عبدالعزيز، ودافع عن طغيان الحجاج. انظر ردّنا عليه في كتابنا: «فتاوي معاصرة» (ج٢). فتوى: عمر بن عبدالعزيز وهل كان جاهلاً بالسياسة؟ وانظر كذلك في الرّد عليه كتاب: الكاذب الحزين، نشر دار الصحوة وتأليف منذر الأسعد وتقديم الدكتور عبدالحليم عويس.

* فضح عملاء الغرب:

ومما أخذه الشيخ على نفسه: أن يفضح عملاء الغرب الصليبي والشرق الشيوعي في ديارنا، ويهتك أستارهم التي يتخفون وراءها ويتخذون لها عناوين شتى، من الحرية والتقدمية والتطور والتحرر والتنوير، وما شابهها.

لا بد من تعرية هؤلاء الذين لا همّ لهم إلا ترويج سلع الغرب الفكرية في أرضنا، وبين أهلنا، وإن كان فيها السم القاتل لأمتنا، فهذا السم يوضع في الدسم أو في الحلوى، حتى يقبل ويُشتهي.

من أجل ذلك هاجم سلامة موسى، ولويس عوض، وميشيل عفلق، وقسطنطين زريق، وجورج حبش، وغيرهم من النصارى كما هاجم لطفي السيد، وساطع الحصري، وطه حسين، ونزار قباني، وعبدالرحمن الشرقاوي، وصلاح جاهين، وحسين أمين، وغيرهم من المسلمين، سواء منهم من تسربل برداء القومية أو الاشتراكية أو التحررية، أو أي رداء كان.

ونأخذ هنا مثالاً لموقفه من طه حسين ومحاولات أنصاره العمل على تخليد ذكراه، باعتباره الرائد الأول في الأدب، والقائد الأول للفكر!

❑ يقول الشيخ في كتابه «علل وأدوية»:

«قرأت للدكتور طه حسين، واستمعت له، ودار بيني وبينه حوار قصير مرة أو مرتين فصد عني وصددت عنه!

أسلوب الرجل منساب رائق! وأداؤه جيد معجب، وهو بين أقرانه قد يدانيهم أو يساويهم ويستحيل أن يتقدم عليهم.. بل عندما أوازن بينه وبين العقاد من الناحية العلمية أجد العقاد أعمق فكرًا، وأغزر مادة، وأقوم قيلاً، وأكاد أقول: إن الموازنة المجردة تخدش قدر العقاد.

وأسلوب زكي مبارك أرشق عبارة وأنصع بيانًا من أسلوب الدكتور طه حسين، ولولا أن الرجل قتله الإدمان لكان له شأن أفضل.

ودون غمط لمكانة الدكتور الأدبية نقول: إنه واحد من الأدباء المشهورين في القرن الماضي، له وعليه.. وحسبه هذا.

بيد أنني لاحظت أن هناك إصرارًا على جعل الرجل عميد الأدب العربي، وإمام الفكر الجديد، وأنه زعيم النهضة الأدبية الحديثة.

ولم أبذل جهدًا مذكورًا لأدرك السبب، إن السبب لا يعود إلى الوزن الفني أو التقدير الشخصي، السبب يعود إلى دعم المبادئ التي حملها الرجل، وكلف بخدمتها طول عمره، إنه مات بيد أن ما قاله يجب أن يبقى، وأن يدرس، وأن يكون معيار التقديم.

❑ تدبر هذه العبارة للدكتور «العميد»:

«إن الدين الإسلامي يجب أن يعلم فقط كجزء من التاريخ القومي، لا كدين إلهي نزل بين الشرائع للبشر، فالقوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية! أو يتخذ كمنطلق لتجديد الأمة (!) فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين».

ويمكن الرجوع لمثل كتابه: «مستقبل الثقافة في مصر» لتجد أشباهًا لهذه العبارات السامة.

ويشاء القدر أن تقع عيني على هذه العبارة: وقد قررت (إسرائيل) وقف الطيران في (شركة العال) يوم السبت احترامًا لتعاليم اليهودية!

إن الإسلام وحده هو الذي يجب إبعاده عن الحياة العامة، أما الأديان الأخرى فلتقم باسمها دول، ولترسم على هداها سياسات.

وظاهر أن الدكتور طه حسين كان ترجمانًا أمينًا لأهداف لم تعد خافية على أحد عندما طالب بإقصاء الإسلام وأخلاقه وأحكامه، وعدم قبوله أساسًا

تنطلق الأمة منه، وتحيا وفق شرائعه وشعائره.

قائل هذا الكلام يجب أن يكون عميد الأدب العربي في حياته وبعد مماته، وأن تشتغل الصحافة والمسارح بحديث طويل عن عبقريته، ليكون علمًا في رأسه نار، كما يقول العرب قديمًا.

أما العقاد وإسلامياته الكثيرة فيجب دفنه ودفنها معه، ومع أن الرجل حارب الشيوعية والنازية وسائر النظم المستبدة، وساند «الديمقراطية» مساندة مخلصة جبارة، فإن العالم «الحر» ينبغي أن يهيل على ذاكره التراب، ليكون عبرة لكل من يتحدث في الإسلام، ولو بالقلم! فكيف إذا كان حديثًا بالفكر والشعور، والدعوة والسلوك، والمخاصمة والكفاح؟ هذا هو الخصم بالفناء والازدراء.

والقوى التي تعمل دائبة على تخليد الدكتور طه حسين، وتجديد فكره، وإعلاء شأنه معروفة لدينا، ونريد أن نكشف عنها، إذ لا معنى لبقائها في جحورها تلدغ ثم تستخفي، وتنال منا باسم حرية العلم، وهي لا تعرف من الحرية إلا لونًا وحيدًا: كيف تضرب الإسلام وتطفئ جذوته وتميت صحوته؟

ذلك، إلى أن الريح تعصف اليوم ضدنا أكثر مما كانت تعصف يوم ألف الدكتور طه ضد ديننا وتراثنا، لقد أقامت اليهودية على أنقاضنا دولة تريد اجتياح حاضرنا ومستقبلنا، وهي تربي النساء والأطفال لتحقيق هذه الغاية، وتعتبر المدرسة ثكنة عسكرية، والثكنة معبدًا دينيًا، والتوراة دينًا ودولة»[1] .

* علماء الأزهر وحملة نابليون والردّ على الخبيث صلاح جاهين:

كما فضح الغزالي العملاء، دافع بقوة عن الشرفاء، ومنهم علماء الأزهر، الذين اتهمهم بعض الشيوعيين أنهم استسلموا لنابليون!

(١) «علل وأدوية» (ص٧٩ ـ ٨١).

□ يقول الشيخ:

«لقد تابعت بعض العروض الروائية والسير التاريخية لرجالنا وأحوالنا الأولى، فوجدت العجب من تزوير التاريخ والكذب على الأحياء والأموات.

زعم بعضهم أن علماء الأزهر لاذوا بالتقية عند مجيء نابليون بونابرت إلى مصر ولم يؤدوا واجبهم الوطني، وضربت كفًا على كف لهذه الصفاقة الغريبة..!

إن جثث العلماء المسلمين بعثرت حول القلعة وهم يقاومون الفرنسيين، وضرب الأزهر بالمدافع، ودخله الجيش الفرنسي بخيله، وقتل أحدُ الأزهريين القائدَ «كليبر»، وانتقم الفرنسيون منه فقتلوه شر قتلة. فكيف يطوى ذلك كله، ويذكر أن النسوة المعلمات هن اللائي قاومن الفرنسيين؟

قبحك اللَّه من مؤلف كذوب.. ولكن التهجم على الإسلام هدف يشترك فيه الرعاع وبعض الرؤساء عمدًا، لينالوا من الإسلام نفسه، ولتعيش الأمة بلا عقيدة، ولتجد الصهيونية الطريق أمامها مفتوحًا إلى ما تريد.

وإلى القارئ هذا الشاهد الآخر من شواهد التاريخ والحملة على الإسلام وعلمائه:

كتب السيد صلاح جاهين شيئًا من الشعر[1] العامي عن مصر وتاريخها الطويل جاءت فيه هذه الكلمات:

زحف الفرنسيس وزحفت قبلهم جواسيس
غايصين لقاعها وعارفين باعها من باريس
وايش عمل القاع قصير الباع.. في القمة
وايش تعمل العمة في البرنيطة يا أئمة؟

(١) ناسف على تسميته بالشعر والشعر منه بريء.

العمة ما اتكلمت؟ (!!) وتن صوتها حبيس!
غير مرة لما البوليس قال: نوروا الفوانيس!
وده كفر طبعًا. ولا يدخل لنا في ذمة
اطمن الغرب أن في بلدنا ناس رمة
وانهش يا ديب فينا واقضي بمنتهى الهمة
على اسـم مصـر

وأنا أعتذر أولاً عن تدوين هذه التعابير السوقية في صحيفة محترمة، لا يجوز أن تنشر أمام العامة، ولكني مضطر لتفنيد ما حوت من إفك خسيس على تاريخ الجهاد العلمي لأمتنا..

يرى هذا الكاتب أن علماء الأزهر قابلوا الغزو الفرنسي لمصر بصوت محبوس، وهمة مشلولة، وأنهم ما تحركوا محتجين إلا عندما أنار الفرنسيون القاهرة؛ لأن إبقاء المصابيح كفر، وإشاعة الظلام بالليل هو ما يعمل له علماء الدين (الرمم)..!!!.

ولست أستغرب من منكر لله أن يفتري على خلقه! ولكن الافتراء يوم يعلن على أنه علم، وعهد الناس قريب بالحقيقة، فإن الأمر يستدعي الكي لا التكذيب المعتاد..

ولقد علم الغرب والشرق أن الحملة الفرنسية لما وطئت أرض مصر قاد الإسلام ـ وحده ـ حركة المقاومة، وقاتل الفرنسيين شبرًا شبرًا في هذا الوطن المحروب، وأن علماء الدين كانوا قادة هذه المقاومة الباسلة ووقودها المتوهج.

ولما انتفضت القاهرة ضد الغزاة، وكان الجامع الأزهر مصدر الثورة اقتحمت الخيل الفرنسية حرمه، ويقول الجبرتي: «إنهم تفرقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، ودشتوا المصاحف والكتب على الأرض، وبأرجلهم ونعالهم داسوها وأحدثوا فيه ـ أي بالوا داخله ـ وشربوا الشراب ـ أي الخمر ـ وكسروا الأواني وألقوها بجوانبه».

ويحكي التاريخ العدل الصدوق أن الشيخ الشهيد سليمان الحلبي كان ـ قبل أن يقتل بأشنع الطرق ـ رابط الجأش، وصرح في التحقيق الذي أجري معه أنه قتل الجنرال «كليبر» في سبيل اللَّه، وكان ينظر إلى من حوله «بعين رفيعة».

ولقد قبض الفرنسيون على الشيخ أحمد الجوسقي والشيخ أحمد الشرقاوي، والشيخ عبداللَّه الشبراوي، والشيخ يوسف المصيلحي، وعرّوهم من ثيابهم، وصعدوا بهم إلى القلعة، فسجنوهم إلى الصباح، ثم أنزلوهم وقتلوهم بالبنادق، وألقوهم من السور خلف القلعة، ولم تعرف لهم قبور. هكذا يذكر الجبرتي في تاريخه، ويجيء رجل شيوعي وغد ليقول في حق علماء الأزهر كلهم:

وأنا لو «نابليون» لكنت عدمتهم تقتيل
ما دمت أقدر أسيح دمهم في النيل
واخلع ذقونهم وابين أنها تضليل
على اسم مصر

أهكذا يكون تزوير الوقائع، وتشييع شهداء المقاومة الشريفة؟ ولم هذا كله؟ لنثبت بطريق الخداع والكذب أن الدين «أفيون الشعوب»، مع أن كل شيء يصرخ هنا بأنه محرر الشعوب ونافخ نارها ومعلي منارها؟

ونجيء أخيراً للقصة السمجة، قصة أن علماء الإسلام قاوموا تعليق المصابيح على البيوت؛ لأن الظلمة طاعة، والضوء معصية! كما يذكر رجال الأهرام الأغر.

إنه أضاف بهذه القصة بمنقبة لنابليون لم تعرف له، ألم يكتشف أنه جاء من فرنسا بجيشه كي ينير القاهرة؟

واتهم الإسلام بمثلبة لم يوردها أشد أعدائه صغاراً، ألم يقف علماؤه

ضد إنارة الشوارع والحارات؟

وقصة تكليف الأهالي بإنارة الطريق أمام بيوتهم أوردها الجبرتي، وذكر حولها بعض وقائع السلب والنهب التي تبعتها.

ورأينا أن هذا التصرف الفرنسي كان إجراء عسكريًّا ليحكم الغزاة وثاق القاهرة الجريح، وتشتد قبضتهم عليها، حتى لا يستخفي القناصة والفدائيون في جنح الليل.

لكن سدنة القومية العربية الذين يقودون صحافتنا المعاصرة، يريدون تشويه كل شيء لتحقيق مآربهم، وفرض مبادئهم.

وباسم القومية العربية، يحارب البيان العربي الصحيح، ويتم التمهيد للعامية الهابطة.

وباسم القومية العربية، ينقم العرب على أضوأ اسم في تاريخهم، وأشرف إنسان مشى على الثرى في الأولين والآخرين.. ينقمون على محمد ابن عبدالله وينالون من رسالته!

إن هؤلاء الناس ـ بداهة ـ ليسوا مسلمين. فهل هم عرب كما يوصفون أو يتصفون؟

كلا. إن هؤلاء ـ سواء كانوا أجراء أو مخلصين ـ أفضل لإسرائيل من كل أسلحة الدنيا التي ترد إليها»[1].

*** صلاح جاهين الملحد وتلميذته سندريللا الشاشة وضياع المُخَدَّرين من شباب الأمة في غيبوبة فكرية وفسق لا تفيق الأمة منه إلا على الجزاء العادل من ربك لمن حاد عن طريقه:**

يا لضياع الأمة حين يعلو الأقزام والزنادقة ولكن الإسلام لا بواكي له!!

---

(١) «قذائف الحق» (ص٩١ ـ ٩٤)، و«الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٧٧ ـ ٨٨).

صلاح جاهين الملحد المستهزئ الساخر من رسول اللَّه ﷺ ومن الإسلام يكال له المديح في وسائل الإعلام، وينخدع الدهماء والرعاع به وكأنه صلاح الدين ويفسح لكلامه الرقيق المجال وكأنه شعر حسان، وتشدو بالكلام الماجن تلميذته سندريللا الشاشة التي فُتن بها الرعاع والدهماء.

ويتكلم الفُسّاق من أهل الفن عن روائعها «خللي بالك من زوزو» و«الدنيا ربيع» و.. وصباحة وجهها وتعبيرات قسماته وتثنيها ورقتها ورشاقتها».

ونسوا أنها سقطت في وحل الشيوعية وزواجها السابق من المخرج الشيوعي كما قالت جريدة الأهرام العربي..

ومعاذ اللَّه أن نقول عنها ما قالته اعتماد خورشيد في كتابها «انحرافات أهل الفن» ونحن أبعد الناس عن قذف الناس ولكن ما كانت نهايتها:

يبتليها اللَّه بسرطان في وجهها الذي طالما أغرت به، وشرخ في عمودها الفقري الذي طالما تثنت به، وكآبة لا تفارقها، وبُعد عن الناس بعد أن كانت السندريللا، وترهل بالغ في جسدها بعد رشاقتها.. ثم انتحار أو قتل في بلد الضباب لندن» ولا يظلم ربك أحدًا، فهل من معتبر، والجزاء عند اللَّه من جنس العمل.

فهل رجع الناس وتلمّسوا العبرة من حكايتها.. خرج الغوغاء في جنازتها في مظاهرة كبيرة وهم يرددون «لا إله إلا اللَّه» ويثنون على الراحلة عظيم الثناء!!! ونقول: قد أفضت إلى ما قدمت، وحسابها على اللَّه، فاحذر أن يفضحك ميراثك يوم موتك وعند القدوم على ربك، وإنما يحشر الناس على نياتهم، وقد قال ﷺ: **«من أراد أن يعلم ما له عند اللَّه فلينظر ما للَّه عنده»**.

*** الشيخ الغزالي في مسجد عمرو بن العاص وموقفه العظيم من «قانون الأحوال الشخصية الزائف»:**

«ومن المواقف التي تذكر للشيخ: موقفه من قانون الأحوال الشخصية، الذي يعرف عند المصريين بـ (قانون السيدة جيهان)، يقصدون قرينة الرئيس الراحل أنور السادات، التي كانت متحمسة له، وقد هاجمه الشيخ في قاعة الشيخ محمد عبده بالأزهر وصفقت له الجماهير؛ ووقفت بجانبه.

وكان موقف الشيخ في هذه القضية مماثلاً لموقف شيخنا الدكتور عبدالحليم محمود ـ الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ ولذا سقط القانون أو قل جمّد في عهده، ثم وجد من الشيوخ ـ للأسف الشديد ـ من أجازوه!»[١] .

☐ يقول الشيخ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧) في مسجد عمرو:

هذا المسجد الذي يحمل إلى قلوب المؤمنين العارفين، نفحات المدّ العظيم الذي أضاء مصر بنور الإسلام على أيدي الطليعة المباركة من تلاميذ النبوة كان قد استحال أو كاد خلاء كالخراب يوشك ألا يجتمع فيه نصاب الجمعة على المذهب الشافعي، وكأني بالدكتور عبدالحليم محمود، وكان يومئذ وزيراً للأوقاف، قد شاء إحياء الغابر من جلال هذا المسجد، فدعا الشيخ الغزالي ليبلغه رغبته في أن يتولى خطابته.. وكان هذا بنظر الغزالي أشبه بالنفي له عن أوساط التوجيه، لذلك راجع الوزير يطلب إعادته إلى خطابة الجامع الأزهر الذي ألفه وألفه روّاده على مدى عشر سنوات، ولكن الوزير أصر على تكليفه وقال له: اذهب إلى مسجد عمرو، وستجدني بين المستمعين إليك.

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته» للشيخ القرضاوي (ص٣٣٨).

وكانت هذه لفتة طيبة أقنعت الشيخ بقبول التكليف، وما إن ذاع خبر هذا التوجيه حتى استبشر الناس الذين أحزنهم أن يفتقدوا هذا الصوت المؤثر، وأقبلوا على المسجد منذ الجمعة الأولى فملئوه وصحنه، ثم مضى الأمر على التزايد جمعة بعد أخرى، حتى قفز العدد عن الألف إلى ما يُقارب الثلاثين ألفًا، يتوافدون إليه من مختلف أنحاء القطر.

وتراءى للشيخ من خلال ذلك الإقبال عظم المسئولية فاستخار اللَّه وتوجه إليه بالدعاء أن يوفقه إلى إعلاء كلمته وتثبيت حقائق الإسلام في هاتيك القلوب المتلهفة إلى قولة الحق.

ورأى أنفع شيء لهذه الآلاف المؤمنة أن يعالجها بالقرآن، وعلى المنهج الذي أفاده من تأملاته الخلوية في ليمان طرة.. وهكذا مضى بها في حدائق «الأنعام» و«يس» و«الواقعة» و«الفتح» و«محمد» ﷺ.

وقادته حكمة اللَّه أن يبدأ بسورة «النساء» في الوقت نفسه الذي اختارته وزارة الشئون الاجتماعية لإثارة موضوع قانون الأسرة، وما يُراد له من التغيير.

* **قضية الساعة:**

وتتصاعد موجة البحث، ويكون من ردود الفعل الطبيعية لمحاولات أنصار القانون المراد، أن اتجه أولو الفكر في مسجد عمرو إلى الدعوة لمؤتمر يُعقد في الأزهر، ويضم المشتغلين بالقضايا الإسلامية لمعالجة القضية على نطاق أكثر موضوعية.. وكذلك كان، وقد حضر ذلك المؤتمر كثيرون يمثلون مختلف الأوساط العلمية والسياسية، فعلماء من كبار الأزهريين، وأعضاء من مجلس الشعب، وأساتذة وطلاب من مختلف الكليات، إلى آخرين من العاملين في الجماعات الإسلامية.. وشارك في الاجتماع سفير نيجرية، حتى بلغ الحضور قرابة خمسة عشر ألفًا يمكن القول بأنهم يعكسون بمجموعهم رأي

الكثرة الغالبة من الشعب المصري.

وطرحت قضية الساعة في جو من الصراحة الواجبة، وكان الصديق المترجم في بحثه الموضوع[1] بمثابة المرافع القضائي الذي يدعم أفكاره بالحجج الدامغة والوثائق الحاسمة.

وانتهى النقاش أخيرًا بإجماع الحضور ودون معارض إلى المقررات التالية:

١ ـ لا يجوز النظر في قانون الأسرة قبل تعديل قوانين العقوبات كلها لتتفق مع مبادئ الشريعة.

٢ ـ يضع قوانين الأسرة علماء الأزهر فقط.. لا الوزارة.

٣ ـ استنكار ورفض كل تهجّم تقوم به أجهزة الإعلام على التعاليم الإسلامية وأوضاع المسلمين.

وعقب ذلك خرج جمهور المؤتمرين، ومعهم الطلاب، في مظاهرة ما زالت تزداد بالمنضمين إليها حتى أحاطت بمجلس الشعب إحاطة السيل بجزيرة معزولة.

وكان هذا كافيًا لإقناع المسئولين بأن الشعب المصري غير مستعد بتمرير هذا العدوان الجديد على بقايا الشريعة الإسلامية، فوقفوا التفكير في مشروعهم ولو إلى حين.

وكان طبيعيًا، بعد همود العاصفة أن يتحرك القوم للبحث عن مسببها، فانتهى بهم المطاف إلى مسجد عمرو وخطيبه، وأعقب ذلك تنحية الشيخ عن منبره.. ثم جاء التدبير الآخر بنقله من وظيفة مدير عام للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف إلى منصب مستشار فيها» ا.هـ.

---

(١) يعني بذلك «الشيخ محمد الغزالي».

*** وقفته الرائعة في «ملتقى الفكر الإسلامي» في الجزائر في الثمانينات وردّه على الدكتور البوطي أمام الرئيس الشاذلي بن جديد:**

□ قال الشيخ القرضاوي:

«ومن المواقف التي تذكر للشيخ: موقفه في (ملتقى الفكر الإسلامي) في الجزائر في أواخر الثمانينات، عندما وقف صديقنا الدكتور سعيد رمضان البوطي ـ الداعية الإسلامي المعروف ـ يتحدث عن ضرورة اشتغال الدعاة بالتربية والتوجيه، وترك السياسة لأربابها، ويكفي الحكام أو الساسة ما يعانون من متاعب الحكم، وآفات السياسة.. إلى آخر ما قال ـ غفر اللّٰه لنا وله ـ حول هذا الموضوع، مما أثار الحاضرين في الملتقى وأقلقهم.

وكان الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد حاضراً في ذلك الوقت، وشعر المشاركون بالحرج، وهنا طلب الشيخ الغزالي الكلمة، وصعد إلى المنصة، وأثنى على صديقه الشيخ البوطي، ولكنه خطَّأه في توجهه، وإن العالِم المسلم لا يسعه أن يسكت عن باطل، أو يغمض عن ظلم أو يتغاضى عن المنكرات من حوله، وأكبرها تعطيل الحكم بما أنزل اللّٰه، وأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الحكم والعلم، وأن المسلمين إنما أصيبوا وهزموا يوم فصلوا بين الأمرين.. إلى آخر ما قال ـ حفظه اللّٰه ورعاه ـ.

وبذلك وضع الشيخ الحق في نصابه، وأتى الأمر من بابه، واستراح الجميع لتعليق الشيخ، ومنهم ابن جديد نفسه، وقد ذكر الشيخ له موقفاً في أيام الجهاد، دلل به على أهمية الدين وضرورة الإيمان للسياسة وللجهاد.

لم أكن حاضراً في ذلك الملتقى، ولكن نقله إليّ الإخوة الحضور، كما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» في حينه»[1].

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته» للقرضاوي (ص٣٣٨ ـ ٣٣٩).

*** الشهادة في مقتل فرج فوده:**

ومن أخطر المواقف وأحدثها للشيخ هو موقف (الشهادة) الأخيرة في محكمة أمن الدولة، في قضية مقتل الدكتور فرج فوده[١]، تلك الشهادة التي أحدثت دويًا، بل زلزالاً في دنيا السياسة وعالم الفكر والثقافة، وتناولتها الأقلام المختلفة بالتعقيب ما بين مؤيد ومنكر ومتوقف. وجاء فيها:

س من الدفاع: قررتم فضيلتكم أنه قد يكون صاحب القولة الكفرية لديه شبهة أو لم تبلغه الحجة، فماذا إذا بلغته الحجة؟

ج: هذا ككفر الفراعنة.. جحدوا وجود اللّه وعصوا موسى، وهذا يكون ارتدادًا صريحًا حاسمًا.

س من الدفاع: من الذي يملك إيقاع الحد على المرتد المستوجب قتله؟

ج: المفروض أن جهاز القضاء هو الذي يقوم بهذه المهمة، فهو الذي يقيم الحدود ويقيم التعازير ويحكم بالقصاص، ولا يكون ذلك لآحاد الناس حتى لا تكون فوضى.

س من الدفاع: فماذا لو كان القانون لا يعاقب على الردة والقضاء لا يوقع الحدود؟

ج: هذا عيب القضاء وعيب المسئولين عنه والقانون معيب.

س من الدفاع: ماذا لو أن القانون المطبق لا يعاقب.. هل يبقى الحد على أصله من وجوب الإيقاع؟

ج: حكم اللّه لا يلغيه أحد.. والحد واجب الإيقاع.

س من الدفاع: ماذا لو أوقعه فرد من آحاد الأمة، وهل يعتبر مرتكبًا

---

(١) «شهادة الشيخ سجلّها حرفيًا كتاب الأستاذ أحمد السيوفي «محاكمة المرتدين» وسننقل جزءاً منها هي وشهادة الشيخ مزروعة بعد ذلك.

جريمة أو مفتئتًا على السلطة؟

ج: أنا لا أذكر أن له عقوبة في الإسلام.

* **أثر شهادة الشيخ في الحياة العامة:**

«زلزلت الأرض زلزالها بعد شهادة الشيخ؛ لمكانته المرموقة في مصر والعالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كله، وثارت ثائرة خصوم الفكر الإسلامي، وأعداء الحل الإسلامي، وكل الحاقدين على الإسلام، والخائفين منه، والمبغضين له، وتكالبت الأقلام المسعورة والمأجورة على الشيخ الجليل، وانتهزها الشيوعيون المهزومون، والمتغربون المقهورون، والعلمانيون الموتورون، انتهزوها فرصة لينهشوا من لحم الشيخ، ناسين أن لحمه سم زعاف.

وسالت أنهار الصحف بالكلام عن الشهادة والشاهد، ولم يعبأ الشيخ بما قيل ويقال.

حتى بعض الأقباط دخل في المعركة[1] ، وهاجم الشيخ بوقاحة وسلاطة، مع أنهم كانوا من قبل لا يجترئون على أن يمسوا بكلمة علماء الإسلام!

وذهب وزير مسئول إلى الشيخ في بيته ملحًا في الضغط عليه، ليصدر تصريحًا أو بيانًا، أو يكتب كلمة ـ أو نحو ذلك مما يروق له ـ يفسر به موقفه بما يشبه التراجع عما قاله في الشهادة.

ولكن الشيخ أبى إلا أن يثبت على موقفه، وظل كالصخرة العاتية،

---

(١) غالي شكري، في مجلة له في مقال طويل عن الشيخ الغزالي. (وغالي شكري تظاهر باعتناق الإسلام لاعتبارات مصلحية، ثم عاد يعمل الآن بضراوة مع الكنيسة ولا يستحي من الأغلبية المسلمة بل يستغل حالة الخضوع لأمريكا فشتم الإسلام والمسلمين كل أسبوع وكل شهر، ويستغل كل حدث لإحداث الفتنة الطائفية واحتقار الأغلبية المسلمة) (ع.ع).

التي تحطمت عليها كل تلك المحاولات، ولم تجد فتيلاً.

ولما ألح هذا المسئول على الشيخ وكرر عليه القول مرة بعد مرة، قال له في صراحة وجلاء: أنا لم أكتب مقالاً في صحيفة، ولا ألقيت خطبة في جامع، ولا محاضرة في جمعية، ولكني استدعيت للشهادة أمام المحكمة، فشهدت بما أعتقد أنه الحق الذي أدين اللَّه به وألقاه عليه، فإذا كان في شهادتي بعض الغموض، فلتدعني المحكمة مرة أخرى، وأنا أشرح لها موقفي.

وبهذا حسم الأمر، ولم يعد هناك مجال للقيل والقال.

ولكن الصحافة لم تصمت، وخصوصًا بعد أن انضم إلى شهادة الشيخ: شهادة أ.د. محمود مزروعة رئيس قسم العقائد والأديان بكلية أصول الدين بالأزهر، والتي كانت أصرح وأشد من شهادة الشيخ، والتي اتهم فيها الشاهد فرج فوده بالردة صراحة، وقدم من كتبه ومقالاته ما يدل على ذلك للمحكمة.

ومن أهم ما نشرته الصحافة المصرية في الموضوع: ما أثاره الصحفي المعروف صلاح منتصر في جريدة الأهرام القاهرية»[1] .

*** أسئلة هامة للشيخ:**

في أهرام ١٨ يوليو فجَّر صلاح منتصر عدة أسئلة لفضيلة الشيخ الغزالي، نظرًا لأهميتها نوردها ونورد الرد عليها من الشيخ، وخاصة أننا استشعرنا أن الأستاذ صلاح يحاول أن يضع فخًا للشيخ.. ولكن الشيخ الغزالي خرج من هذا المطب بسهولة متلحفًا بقواعد الشريعة. وهذا نص ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر في عموده اليومي[2] :

---

(١) «الشيخ الغزالي كما عرفته» (ص٣٤٥ ـ ٣٤٦).

(٢) نقلاً عن كتاب «محاكمة المرتدين».

* **أسئلة إلى الغزالي:**

فضيلة الشيخ محمد الغزالي له منا كل احترام وتقدير.. بالإضافة إلى ما نعرفه عن عمله وجهده الكبير للقيام بدور الداعية، الذي يتمنى قوة المسلمين وخروجهم من مرحلة الضعف والهوان التي يمرون بها اليوم.

ولقد كانت لفضيلة الشيخ الغزالي شهادة أمام المحكمة التي يمثل أمامها المتهمون باغتيال الدكتور فرج فوده، وحسنا تم نشر هذه الشهادة بالنص حتى نعرف على وجه الدقة ما قاله فضيلة الشيخ.. وإن كان أحد الزملاء (الأستاذ فهمي هويدي أهرام ٧/٦) قد وجد أن حديث الشيخ أمام المحكمة يحتاج إلى إيضاح للعامة، فكتب يحاول هذا الشرح تحت عنوان «حاشية على شهادة الغزالي». ولكن يبدو أن الحاشية في حاجة إلى حاشية.. وليس في الدين حرج كما تعلمنا.. كما أن الدين كدستور للحياة لا بد أن يصل إلى الناس ببساطة حتى وإن كان معقدًا في بعض التفاصيل.. لكن مهمة الداعية أن يسهل لا يصعب، وهو ما يجعلني أرجو فضيلة الشيخ الغزالي ـ بعد أن قرأت شهادته، وبعد أن قرأت الحاشية التابعة لشهادته ـ أن يجيب عن هذه الأسئلة التي أتصور أن ملايين مثلي قد سألوها وينتظرون من فضيلة الشيخ الإجابة عنها.

* **إن أسئلتي يا فضيلة الشيخ هي:**

١ ـ أي الدرجات أعلى في المعصية: الكافر أم المرتد؟

٢ ـ متى يكون الفرد كافرًا ومتى يكون مرتدًا؟

٣ ـ من الذي يملك تكفير فرد ومن الذي يملك الحكم عليه بالردة؟

٤ ـ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية وواضحة.. أم يستطيعه أي فرد أو جماعة وبطريقة سرية ومغلقة؟

٥ ـ هناك بعض الدارسين من يشكك في حد الردة، ويقول: إن حد الردة ليس موجودًا صراحة في القرآن الكريم.. فهل هذا صحيح؟

٦ ـ هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم عن حرية العقيدة. واعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أي فرد أو جماعة في تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

٧ ـ المعروف أن فضيلتكم اشتركتم في ندوة كان فرج فوده طرفًا فيها، وكان ذلك في معرض الكتاب في يناير من العام الماضي قبل اغتياله بنحو ستة أشهر، فهل كان قبولكم للاشتراك في هذه الندوة لمناقشة فرج فوده كمسلم أو محاولة استتابته كمرتد؟

٨ ـ حماية لأنفسنا وأبنائنا وشبابنا من الزلل، ما الذي ورد في كتابات فرج فوده يجعله في موضع الشبهة بالكفر أو الردة؟

فضيلة الإمام.. إن الدعوة ضريبة وفرض.. وأحسب أن تساؤلاتي هي أمانة في عنقك كداعية للرد عليها، مع كل تقديري واحترامي.

صلاح منتصر

*** رد من الغزالي:**

أبدأ أولاً وأشكر فضيلة الشيخ محمد الغزالي على سرعة استجابته بالرد على ما وجهته إلى فضيلته من أسئلة (أهرام الأحد ٧/١٨).. وقد أرسلها لي مكتوبة بخط اليد مع مقدمة، بأمل نشرها كاملة دون تلخيص «فإني قمت عنكم بمهمة الإيجاز، وأحسب أن أي نقص في العبارة يفسد الرد.. وهذا ما لا يرضيكم» وهأنذا أنشر نص الرد كاملاً:

١ ـ أي الدرجتين أعلى في المعصية: الكافر أو المرتد؟

جواب: الكافر أقل سوءًا من المرتد. فإنني قد أشترك في عمل تجاري

مثلاً مع كافر بالإسلام، يهوديًا كان أو نصرانيًا، وفي كلتا الحالتين يجب البر بهم وبذل الود لهم. أما المرتد فهو كخائن الوطن منبوذ مكروه، وقد استعمر الأوروبيون أرضنا ومحوا شرائعنا وشعائرنا، فمن انضم إليهم في عداوتهم.. فكيف نصادقه؟

٢ ـ متى يكون الفرد كافراً ومتى يكون مرتداً؟

جواب: الكافر امرؤ خالي البال من تعاليم الإسلام.. لعلها لم تبلغه أو بلغته ولم يقتنع بها. ولا سبيل لنا عليه إلا إذا اعتدى علينا. أما المرتد فهو رجل كان منا وعرف ما نحن عليه ثم رأى لمأرب خاص أن ينضم إلى خصومنا، وأن يؤيدهم بما يستطيع. أي أنه خائن غادر. أما إن كانت لديه شبهة عقلية فلا بد من إزالة شبهته ومحو ما يتعلق به من أوهام ولو ظل سنين على قيد الحياة.

٣ ـ من الذي يملك تكفير فرد أو الحكم عليه بالردة؟

جواب: أهل الذكر وحدهم.. أعني الراسخين في العلم، فإن اتهام فرد بالكفر جريمة، والإسلام دين مضبوط التعاليم.. فمن استباح الخمر مثلاً وسخر من حرمتها، أو من ترك الصلاة جاحدًا واستهزأ بشريعتها فليس بمسلم، بل هو ناقض للمجتمع، ومنكر للوحي وخارج على الأمة.

وسلطة الاتهام بالكفر محددة، وليست كلأً مباحًا لأي إنسان.

٤ ـ هل يحتاج الأمر السابق إلى فقهاء ودعاة دارسين وبطريقة علنية واضحة، أم يستطيعه أي فرد أو جماعة وبطريقة سرية مغلقة؟

جواب: قلنا: إن الفقهاء الثقات وحدهم هم مصدر الفتوى. ورأيهم يكون واضحًا ومعلنًا. إلا إذا كان الإسلام مضطهدًا وحرية العمل به مصادرة. إن جو الحرية الرحب هو الذي يستطاع الأخذ والرد فيه، ولن

تكون الحرية لطرف واحد بداهة، بل تضمن الحرية لجميع الأطراف يقولون ما لديهم في أمان.

وبقيت أربعة أسئلة أخرى سبق أن وجهتها إلى فضيلة الشيخ.. أكمل بإذن اللَّه غدًا رده عليها.

صلاح منتصر

*** بقية رد الغزالي:**

في عمود أمس نشرت النص الكامل لما تضمنته رسالة فضيلة الشيخ محمد الغزالي ردًا على أربعة أسئلة سبق أن وجهتها إليه، وفيما يلي بقية إجاباته عن أربعة أسئلة أخرى أنشرها بالنص دون انتقاص حرف واحد.. حتى علامات التعجب، فهي كما وردت في رسالة فضيلته:

٥ - هناك بعض الدارسين الذين يشككون في حد الردة.. ويقولون: إنه ليس موجودًا صراحة في القرآن الكريم فهل هذا صحيح؟

الجواب: نعم لم يرد في القرآن الكريم قتل المرتد[(١)] ، وإنما وردت بذلك السنن الصحاح. وعندي أن جريمة الردة متفاوتة السنوء والخطر، وقد تستحق القتل إذا ساوت ما نسميه الآن الخيانة العظمى، أو ما نسميه الخروج المسلح على الدولة. وقد تكون شبهة عارضة يكتفى فيها بالتوبة النصوح. وأمام القضاء تعرف الحقيقة، ويتحدد العقاب العدل، ويوزن خطأ كل فرد!!

٦ - هل يتعارض ما ورد في القرآن الكريم من اعتبار الحكم على إسلام الفرد من اختصاص الحق سبحانه وتعالى، مع القول بحق أي فرد أو جماعة

---

(١) هذا ليس مُسلَّمًا، فبعض فقهاء السلف يرون آية الحرابة في سورة المائدة تشمل المرتدين؛ لأنهم يحاربون اللَّه ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا. انظر: بحثنا عن عقوبة المرتد في الفصل الأول من كتابنا: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.

في تكفير فرد أو الحكم بأنه مرتد؟

جواب: إن قلوب الناس إلى اللَّه بيقين. ولكن لمسالكهم حدودًا وضوابط من وضع اللَّه ذاته، وإلا سرت الفوضى بين الناس. فمن يدعو إلى ترك العلاقات الجنسية حرة، ويماري في جريمة الزنا وعقوبتها، لا يمكن اعتباره مسلمًا؛ لأنه مخاصم لحكم اللَّه وخارج عليه. ولذلك قال في ضرورة الطاعة التامة: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ [التوبة: ١١].

فما العمل إذا لم يتب ويقم الصلاة ويؤت الزكاة؟ حكم اللَّه واضح.

٧ ـ اشتركت في مناظرة مع فرج فوده لأني كنت طامعًا ـ إذا شرحت له الحق، وبسطت أدلته ـ أن أعود بالرجل إلى الإيمان، ولكني وجدته يكره الإسلام ونظامه، وينكر صلاحية أحكامه للبقاء. أي أنه يؤيد حكم الإعدام الذي أصدره الاستعمار على شريعتنا وينحاز إلى أعدائنا بصراحة!!

هذا وقد أصدر نفر من علماء الأزهر كتابًا تضمن ما نسب إلى فرج فوده من خروج على الإسلام واستهزاء بتعاليمه.. ويستطيع الأستاذ صلاح منتصر أن يقرأ هذا الكتاب.. ذلك وأقول أخيرًا: إنني رجل من الدعاة إلى اللَّه، لا أتمنى إلا الحرية لي ولخصومي على السواء، وأكره العدوان والمشاكسة، ولكني أشكو من أن ديني يجار عليه، وينتقص منه ويحرم أهله ما يسمى في عصرنا بحقوق الإنسان، وأن المنتمين إلى هذا الدين في طور سيِّئ من تاريخه، وتكاد تذهب كراماتهم الخاصة والعامة في مهب الرياح.

محمد الغزالي

*** عقوبته قاتل المرتد:**

كان سؤالي الأخير إلى فضيلة الشيخ محمد الغزالي هو: إذا قتل إنسان

إنسانًا آخر بحجة أنه كفر أو ارتد.. فما عقوبته؟ هل يقتل قصاصًا أم تعزيرًا، أم نقول ـ كما فهم البعض من شهادتكم أمام القضاء ـ بأنه لا عقوبة عليه؟

وقد تلقيت شاكرًا رد فضيلة الشيخ الغزالي.. وفيما يلي نصه كما أنقله من رسالته المكتوبة بخط يده:

«إذا ارتد أحد عن الإسلام رفع أمره إلى القضاء ليبت في مصيره وفق حكم اللَّه.. وقد قلت: إن جريمته إذا ساوت الخيانة العظمى حكم القضاء بقتله. وتتقرر هذه المساواة في حالات شتى نذكر منها: التهوين من شأن القرآن والطعن في مكانته، وجحد الفرائض المعلومة من الدين بالضرورة والدعوة إلى تركها، واستباحة الكبائر وطلب فتح حانات الخمور ومواخير البغاء.. والسخرية من الحدود الشرعية، وإهانة الرسول ﷺ، إلى آخره.. فإذا أعلن المرتد توبته وأصلح نفسه سقط الحد عنه.. وعاد مسلمًا كما كان.. وليس للجمهور إقامة الحدود أو إيقاع العقوبات من قصاص وتعزير فذلك للقضاء، ومن فعل شيئًا من ذلك فقد افتأت على السلطة.. وهنا يقوم القضاء بتعزيره حسب ما يصون المصلحة العامة وهيبة القضاء.

وليست هناك عقوبة محددة لهذا المسلك.. بيد أننا نلفت النظر إلى أن التهاون في معاقبة المرتدين يفتح باب الفوضى. ومعروف أن هناك من ارتد وبسطت عليه بعض الحكومات حمايتها كسلمان رشدي، واعتقادي أن حكومتنا ترفض هذا السلوك، وأن قضاءنا ـ مع غيبة التعاليم الإسلامية ـ سيمنع هذه الفوضى، ويصون حق اللَّه سبحانه في ذلك، ولكم الشكر على سعة صدركم وكريم خلقكم».

محمد الغزالي

*** الشيخ المبتلى الصابر ومع المحن المنح:**

بعد مقتل النقراشي سيق الشيخ الغزالي إلى معتقل الطور ليقضي مع

إخوانه سنة كان لا بد منها للتدريب على ممارسة أنواع البلاء ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

ويصف الشيخ تلك السنة بأنها كانت حافلة بالآلام والبركات معًا..

◻ يقول فضيلته: لقد غذّت هذه التجربة طاقة الاحتمال في النفوس وارتفعت بروحانيتها إلى مستوى عال، فلا تذمر، ولا تململ؛ بل الصبر الكريم، والرضا بالقدر الحكيم.

◻ ثم كانت الطامة الكبرى في العهد الذي أحال مصر كلها سجنًا كبيرًا، ويصف فضيلته ذلك العهد بأنه كان يسلب الرجال رجولتهم بما أطلق من زوابع الرعب، التي ألقت في رُوع كل حر في مصر أنه محاط بالأعين والحراب والسياط.

في أحد السجون سيق أهل العلم، وكل من توهّم المتسلطون أن له صلة بالدعوة الإسلامية، إلى الباستيل الذي لم يخل قطّ من الأبرياء.. وبعد سنوات من الفتنة التي شوّهت وحطّمت، أفرجوا عن أحد المشايخ ممن لم يستطيعوا مواصلة الاحتمال، بعد أن كتب لهم التعهّد الذي شاءوا.. وبعد أن أوهموه أن في مكان ما من جوفه جهاز تسجيل ينقل إليهم كل كلمة يقولها، وكل حركة يأتيها، وبذلك أصبح وهو خارج السجن، في جحيم لا يخمد من الخوف، أحال وجوده سجنًا لا يكاد يطيق معه حراكًا.

◻ يقول الشيخ: ظللت في مطالع المحنة مدّة ألقي الدرس في المسجد أو في الجامع فلا أدري في أعقابه أين أبيت..

ويوم أعلن الطاغية من موسكو نيّته في إيقاع المذبحة بالإخوان، استدرارًا لعطف طواغيت الكرملين جاء الغزالي توجيه من الزبانية بوجوب التجريح في الجماعة لتسويغ ما يرادُ بهم، ولما رفض الخضوع للأمر زُجّ في سجن طرة، حتى قضى تلك المدة في جو من المهانة والتحقير لا يملك القدرة

على وصفه، ولكنها مع ذلك كله كانت فرصة أخرى للخلو مع القرآن الذي لم يكن له سلوة سواه.. ويشير إلى واحدة من هذه المناسبات الروحية قائلاً:

كنت ذات ليلة مضطجعًا في ثياب السجن فوق الأسفلت، فجعلتُ أتلو في نفسي سورة المائدة، وألاحظ أثناء ذلك مضامينها واحدًا تلو الآخر، فأحسّ بينها من التناغم ما لم أنتبه إليه من قبل.. وهكذا هُديت في ظلمات هذه المحنة إلى أنوار من المعرفة[1] أضاءت لي سبيلاً جديدة إلى أُفق جديد من

---

(١) من ذاق عرف.. ولا ينبئك مثل سجين.

وأردد مقالة شيخ الإسلام ابن تيمية: «لو يعلمون ما أسدوْا إليّ من الجميل بسجنهم إياي في القلعة ما كافأتهم عليه بملء القلعة ذهبًا» أو كما قال: ﴿**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾ فافهم عن ربك ولا تخدعنك ظواهر الأشياء عن باطنها فكم في حشو البليّات من مسرّات، وكم في المحن من منح.

وكم للَّه من لطفٍ خفيّ ... يدقّ خفاه عن فهم الذكيّ

وللَّه در ابن تيمية حين يقول:

ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحتُ فهي معي، إن معي كتاب اللَّه وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني فنفي سياحة، وإن حبسوني فأنا في خلوة مع ربي.. إن المحبوس من حُبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه».

وليس السجن حبس الجسم قهرًا ... فـذا أنس بـرب العالمينـا
سجينٌ من نأى عن شرع ربي ... سجينُ الروح عن هدي الأمينا
أيُترك من يعيث بأرض مصر ... ويُسجن من رضى الإسلام دينا
بلاد الليث مأوى الشافعي ... وتصبـح ملهى كل العابثينا
سيوطي البلاد ينـوحُ يبكي ... وحافظنـا يجاوبـه أنينا
ينادي العسقلاني يا بلادي ... أضعت الهـدي كنـا حافظينا
فيا فسطاط عمرو العاص عودي ... يعودُ الطيـرُ كم ترح السنينا

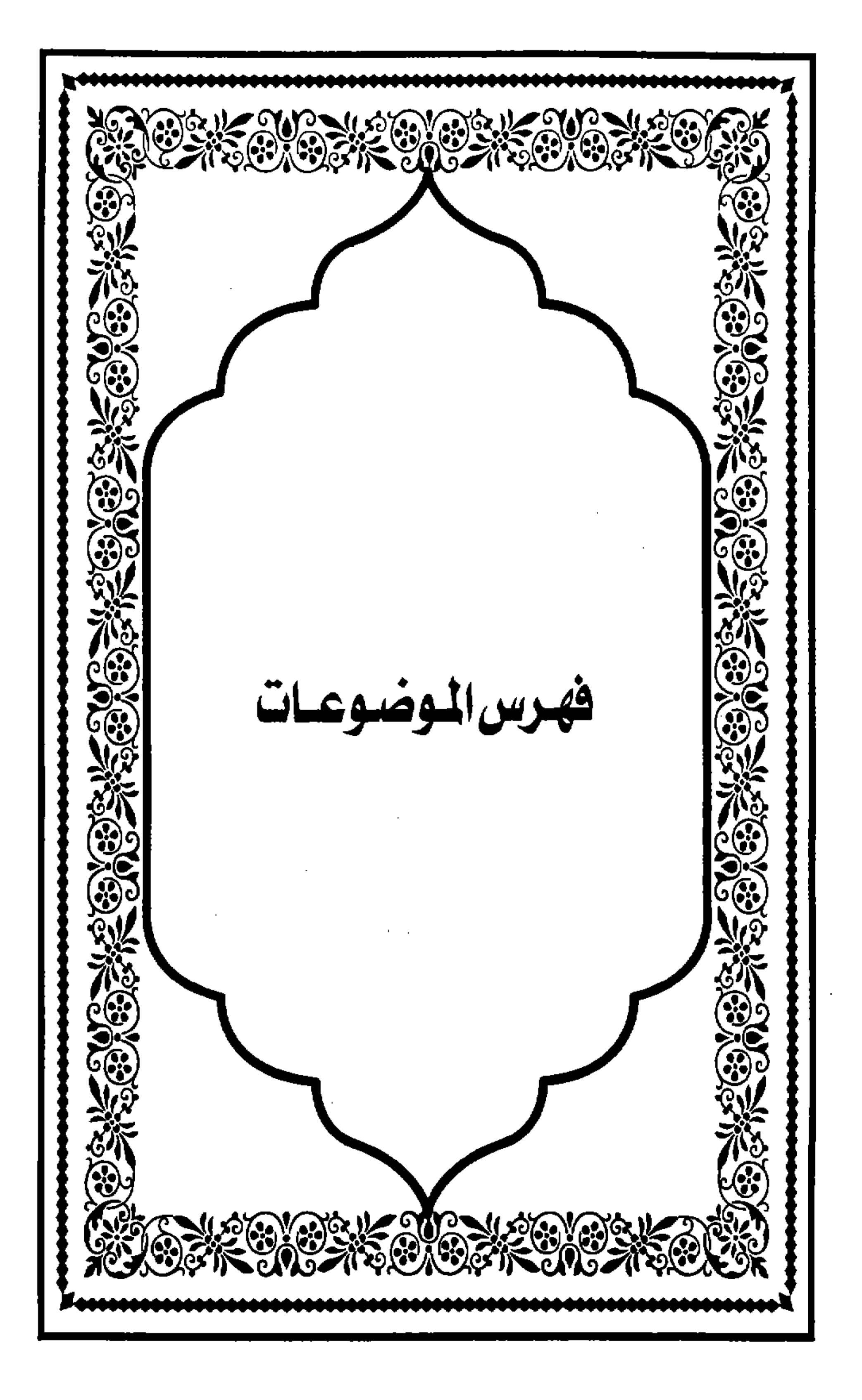
أيام ليست من الدنيا.. بل هي جنة المعرفة والأنس باللَّه برغم ضيق القضبان نشر اللَّه علينا رحمته.. ردّدت فيها مع إبراهيم بن أدهم قوله: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من سعادة لجالدونا عليها بالسيوف».. ومع العابدة زوجة فتح الموصلي «حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها».

الفهم القرآني»[1].

* * *

= وفي المحن تأتي المنح.. بُشِّرت بجنين ذكر تحمله زوجي بعد دعاء طيلة خمسة عشر عامًا أن يرزقني الله بمولود يحمل الدعوة من بعدي أنذره وأهبه للعلم والدعوة إلى منهج السلف.. وكانت البشارة في السجن.. وصُمَّتْ أذن الدنيا إن لم تسمع لنا».

(١) «رجال ومفكرون عرفتهم» (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤).



فهرس الموضوعات

الموضــــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

تم المجلد الثالث بحمد اللَّه وتوفيقه

* * *